

مِفْحُ الزَّهْنِ

وَمَعَارِدُ الْجَوْاهِرِ

تأليف الشيخ العلامة الكبير والشيخ الفيلسوف أبي الحسين علي بن الحسين بن علي السمرقندي
المتوفى في عشرين ٣٤٦ من الهجرة

المجلد الثاني



مكتبة آية الله العظمى
المرجععية

مُزَجَّجُ الزَّهَبِ

وَمَعَادِنُ الْجَوْهَرِ

تصنيف الرحالة الكبير والمؤرخ الجليل أبي الحسن علي بن الحسين بن علي السعدي
المتوفى في عام ٣٤٦ من الهجرة

الجزء الثاني

تمتاز هذه الطبعة بدقة فهارسها
التي وضعها العلامة الأستاذ
يوسف اسعد داغر

من منشورات دار الهجرة
إيران - قم



اسم الكتاب :	مروج الذهب
المؤلف :	المسعودي
الناشر :	موسسة دارالهجرة
المطبعة :	مطبعة الصدر
العدد :	١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة للناشر

١٤٠٩ هـ

الطبعة الثانية في ايران - قم
دارالهجرة

١٤٠٩ هـ - ١٣٦٣ ش - ١٩٨٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر الصقالبة ومساكنها

وأخبار ملوكها ، وتفرق أجناسها

الصقالبة : من ولد مار^(١) بن يافث بن نوح ، وإليه يرجع سائر أجناس الصقالبة ، وبه يلحقون في أنسابهم ، هذا قول كثير من أهل الدراية ممن عني بهذا الشأن ، ومساكنهم بالجدي^(٢) إلى أن يتصلوا بالمغرب ، وهم أجناس مختلفة وبينهم حروب ، ولهم ملوك ، ومنهم من ينقاد إلى دين النصرانية إلى رأي اليعقوبية^(٣) ، ومنهم من لا كتاب له ولا ينقاد إلى شريعة ، وهم جاهلية لا يعرفون شيئاً من الشرائع ، وهؤلاء أجناس : فمنهم جنس كان الملك فيهم قديماً في صدر الزمان ، وكان ملكهم يدعى ماجك^(٤) ، وهذا الجنس يدعى ولينا ، وكان يتلو هذا الجنس في القديم سائر أجناس الصقالبة ؛ لكون الملك فيهم ، وانقياد سائر ملوكهم إليه ، ثم يتلو هذا الجنس من أجناس الصقالبة اضطراباً ، وملكهم في هذا الوقت يدعى بصقلانج^(٥) ، وجنس يقال له دلاونة ، وملكهم يدعى وانج علاف^(٦) وجنس يقال لهم ناجين^(٧) ، وملكهم يدعى عزانة^(٨) ، وهذا الجنس أشجع أجناس الصقالبة وأفرس ، وجنس يدعى منابن^(٩) ، وملكهم

- | | |
|---|--------------------------------|
| (١) في بعض النسخ : من ولد بار بن يافث . | (٦) في بعض النسخ : وابع صلاف . |
| (٢) » : ومساكنهم بالجزيرة . | (٧) » : يا حقيق . |
| (٣) » : النسطورية . | (٨) » : يدعى عزانة . |
| (٤) » : يدعى ماجل . | (٩) » : ماين . |
| (٥) » : بصقلانج . | |

يدعى زنبير^(١) ، ثم جنس [يقال له سرتين ، وهو جنس]^(٢) عند الصقالبة مهيب لملل يطول ذكرها وأوصاف يكثر شرحها ، وتفرتهم من ملة ينقادون إليها ، ثم جنس يقال له صاصين^(٣) ، ثم جنس يقال له جروانيق^(٤) ، ثم جنس يقال له خشافين^(٥) ، ثم جنس يقال له برانجابين^(٦) ، وما سميناه من أسماء بعض ملوك هذه الأجناس فسيمة معروفة للوكنهم ، والجنس الذي سميناه المعروف بسرتين يحرقون أنفسهم بالنار إذا مات فيهم الملك والرئيس ، ويحرقون دوابه ، ولهم أفعال مثل أفعال الهند ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب طرفاً من ذكرهم عند ذكرنا لجبل القبيخ^(٧) والخزر ، وانت في بلاد الخزر ، مع الخزر ، خلقاً من الصقالبة والروس ، وأنهم يحرقون أنفسهم بالنيران ، وهذا الجنس من الصقالبة وغيرهم متصلون بالمشرق ، ويعبرون من المغرب^(٨) .

ملوك الصقالبة : فالاول من ملوك الصقالبة ملك الدير ، وله مدن واسعة ، وعماير كثيرة ، وتجار المسلمين يقصدون دار ملكه بأنواع التجارات .

ثم يلي هذا الملك من ملوك الصقالبة ملك الاوانج^(٩) ، وله مدن وعماير واسعة ، وجيوش كثيرة ، وعدد كثير ، ويحارب الروم والافرنج والنوكبرد ، وغير هؤلاء من الأمم ، والحرب بينهم سجال . ثم يلي هذا الملك من ملوك الصقالبة ملك الترك ، وهذا الجنس

- | | |
|---|---------------------------|
| (١) في بعض النسخ: زنبير . | (١) في بعض النسخ: زنبير . |
| (٢) زيادة في بعض النسخ . | (٢) زيادة في بعض النسخ . |
| (٣) في بعض النسخ: مرادة . | (٣) في بعض النسخ: مرادة . |
| (٤) » » : جروانش . | (٤) » » : جروانش . |
| (٥) » » : صاصيف . | (٥) » » : صاصيف . |
| (٦) في بعض النسخ: حافين . | |
| (٧) » » : الفتح . | |
| (٨) » » : ويتعدون من المغرب ؛ وفي نسخة أخرى : ويبعدون من المغرب . | |
| (٩) في بعض النسخ : ملك الافرنج . | |

أحسن الصقالبة صوراً ، وأكثرهم بدءاً وأشدّهم بأساً .

اجناس الصقالبة : والصقالبة أجناس كثيرة ، وانواع واسعة ، لا يأتي كتابنا هذا على وصف أجناسهم وتفرّيع أنواعهم ، وقد قدمنا الاخبار عن الملك الذي كان ينقاد اليه ملوكهم في قديم الزمان وهو ماجك ملك ولينانا ، وهذا الجنس أصل من أصول الصقالبة معظم في أجناسهم ، وله قدم فيهم .

ثم اختلفت الكلمة بين أجناسهم ؛ فزال نظامهم ، وتحزبت أجناسهم ، وملك كل جنس منهم ملكاً على حسب ما ذكرنا من ملوكهم لأمر يطول ذكرها ، وقد أتينا على جل من شرحها وكثير من مبسوطها في كتابنا^(١) ، و اخبار الزمان ، من الأمم الماضية ، والأجيال الخالية ، والممالك الدائرة .

ذكر

الافرنجة والجلالة ، وملوكها

وما يتصل بذلك

الافرنجة والصقالبة والنوكبرد والأشبات وباجوج وماجوج والترك والحزر وبرجان واللان والجلالة وغير ذلك ممن ذكرنا من حل الجدي^(٢) ، وهو الشمال ، لا خلاف بين أهل البحث والنظر من الشرعيين ان جميع من ذكرنا من هؤلاء الأمم من ولد ياقث بن نوح وهو الأصغر من ولد نوح ؛ فالافرنجة أشد هؤلاء الاجناس بأساً ، وأمنهم هيبة^(٣) ، وأكثرهم عدّة ، وأوسعهم ملكاً ، وأكثرهم مدناً ،

(١) في بعض النسخ : كتابنا أخبار الزمان والأوسط . (٢) في بعض النسخ : وأمنهم جهة .

(٢) » » : ألجرا .

وأحسنهم نظاماً وانقياداً لملوكهم ، وأكثرهم طاعة ؛ إلا أن الجلالقة أشد من الإفرنجية بأساً ، وأعظم منهم نكاية ، والرجل من الجلالقة يقاوم عدة من الإفرنجية ، وكلمة الإفرنجية متفقة على ملك واحد ، لا تنازع بينهم في ذلك ، ولا تحزب ، واسم دار مملكتهم في وقتنا هذا بويرة^(١) ، وهي مدينة عظيمة ، ولهم من المدن نحو من خمسين ومائة مدينة غير العماثر والعمور .

مسكنهم : وكان أوائل بلاد الإفرنجية قبل سهر الإسلام في البحر جزيرة رودس ، وهي الجزيرة التي ذكرنا أنها مقابلة لاسكندرية ، وإن فيها دار صناعة المراكب في وقتنا هذا للروم ، ثم جزيرة إقريطش ، وقد كانت للإفرنجية أيضاً ففتحها المسلمون ونزلوها إلى هذه الغاية ، وكانت بلاد إفريقية وجزيرة صقلية للإفرنجية أيضاً ، وقد أتينا على أخبار هذه الجزائر وخبر الجزيرة المروقة بالبركان . وهي الأطمية التي يخرج منها أجسام من النار كأجساد الناس بلا رؤوس فتعلو في الهواء بالليل ، ثم تسقط في البحر فتطفو على الماء وهي الحجارة التي يحك بها الكتابة من الدفاتر ، وهي خفاف بيض على هيئة الشهد وأكوار الزئبیر الصفار ، وهي الأطمية المعروفة بأطمية صقلية ، وفيها قبر فرغوريوس^(٢) الحكيم الذي صنف كتاب إيساغوجي ، وهو المدخل إلى علم المنطق ، وهذا الكتاب بهذا الرجل يعرف ، وكذلك أتينا على ذكر آطام الأرض ، كأطمية وادي برهوت من بلاد حضرموت وبلاد الشحر ، وأطمية بلاد الزابج^(٣) من بحر الصين ، وأطمية بلاد أسك ، وهي ما بين بلاد فارس [وبلاد الأهواز من أعمال مدينة أرجان من بلاد فارس]^(٤) ، وهذه النار ترى

(١) في بعض النسخ : نومرة .

(٢) في بعض النسخ : الزنج .

(٣) زيادة في إحدى النسخ .

(٤) وفيها ملك مرقونوس .

بالليل من نحو عشرين فرسخاً ، وهي مشهورة بأرض الاسلام ،
وتفسير اطمة هي عين النار التي تنبع^(١) من الأرض .

ولم نتعرض في هذا الكتاب لذكر الحمامات^(٢) الكبريتية والزاجية ،
ولا الحمامات التي تظهر من مائها النار بالأطمة^(٣) التي ببلاد ماسبدان
من أرض أريوجان والسيروان يقال لها النومان وهي اطمة تظهر من
وسط مائها النار وهي أطمة عجيبة تمنع ورود الماء عن اطفالها ،
وتدفعه بشدة قوتها وسلطان لهبها ، وهي احدى عجائب العالم ؛ إذ
كنا قد أتينا على علل جميع ذلك فيما سلف من كتبنا .

وقد أتينا على منافع أنواع المياه بجوامع ذكرناها ، ولمع لوحنا
بها ، فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لأرض الواحات من
بلاد مصر ، وإن كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما تقدم من كتبنا .

ملوك الافرنجة : قال المسعودي : ووجدت في كتاب وقع إلي
بفسطاط مصر سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، أمهدها عرماز الاسقف
بمدينة جريدة من مدن الافرنجة في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة إلى
الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد
الملك بن مروان بن الحكم ولي عهد أبيه عبد الرحمن صاحب الأندلس
في هذا الوقت في عهده : يا أمير المؤمنين ، إن أول ملوك إفرنجية
قلودية ، وكان مجوسياً فنصرته امرأته وكان اسمها غرطة ، ثم ملك
بعده ابنه للريق ، ثم ولي بعد للريق ابنه دقشرت ، ثم ولي بعده
ابنه « للريق » ، ثم ولي بعده « قرطان » ابن دقشرت ، ثم ولي بعده

(١) في بعض النسخ : التي تعرض من الأرض . (٢) في بعض النسخ : كالخاصة .

(٣) « » : لذكر الخاصة .

ابنه « قارلة » ثم ولي بعده ابنه « تبين » ثم ولي بعده « قارلة »^(١) ابن تبين ، وكانت ولايته ستاً وعشرين سنة ، وكان في أيام الحكم صاحب الأندلس ، وقد تدافع أولاده بعده ووقع الاختلاف بينهم ، حتى تفانت الإفرنجية بسببهم ، وصار لذريق بن قارلة^(٢) صاحب ملكهم ؛ فملك ثمانياً وعشرين سنة وستة أشهر ، وهو الذي أقبل الى طرطوشة فحاصرها ، ثم ولي بعده ابنه « قارلة بن لذريق » وهو الذي تهادن^(٣) مع محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وكان محمد يخاطب بالامام ، وكانت ولايته تسعاً وثلاثين سنة ، وستة أشهر ، ثم ولي بعده ابنه « لذريق » ستة أعوام ، ثم وثب عليه قائد الأفرنجية المسمى فوسه^(٤) ، وملك إفرنجية ، وأقام في ملكه ثمان سنين ، وهو الذي صالح الجيوش على بلده سبع سنين بستمئة رطل ذهب وستمئة رطل فضة يؤدها صاحب الإفرنجية اليهم ، ثم ولي بعده « قارلة بن تقوير »^(٥) أربع سنين ، ثم ملك بمسده قارلة آخر ، ومكث إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ، ثم ولي بعده « لذريق » ابن قارلة ، وهو ملك إفرنجية الى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة - وقد استوفى في مملكته عشر سنين الى هذا التاريخ على حسب ما عني الينا من خبره .

عبد الرحمن والجلالة : قال المسعودي : وأشد ما على الأندلس من الأمم المحاربة لهم الجلالة ، كما أن الإفرنجية حُرِّبُ لهم ، غير أن الجلالة أشد بأساً ، وقد كان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الأندلس

(١) في بعض النسخ: المسمى برشة .

(٢) « » : نازلة بن بغيرة .

(٣) في بعض النسخ : نازلة .

(٤) « » : وهو الذي كان

يهادي محمد - الخ .

في هذا الوقت وزير من ولد أمية^(١) يقال له أحمد بن إسحاق فقبض عليه عبد الرحمن لأمر كان منه استحق عليه في الشريعة المقبوبة ، فقتله عبد الرحمن ، وكان للوزير أخ يقال له أمية في مدينة من ثغور الأندلس ، يقال لها شنترين^(٢) ، فلما نفي إليه ما فعل بأخيه عصي على عبد الرحمن ؛ فصار في حيز رذمير ملك الجلالقة ، فأعانه على المسلمين ، ودلّه على عوراتهم ، ثم خرج أمية في بعض الأيام من المدينة يتصيد في بعض متزهاتها ، فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعوه من الدخول إليها ، وكتبوا إلى عبد الرحمن^(٣) ، ومضى أمية ابن إسحاق أخو الوزير المقتول إلى رذمير ، فاصطفاه ، واستوزره ، وصيره في جمته^(٤) وغزا عبد الرحمن صاحب الأندلس سمورة^(٥) مملكة الجلالقة المتقدمة صفة بنيانها وأسوارها في باب جل الأخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والأمم ومراتب الملوك وأخبار الأندلس وغير ذلك ، وكان عبد الرحمن في مائة ألف أو يزيدون ، فكانت الواقعة بينه وبين رذمير ملك الجلالقة في شوال سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعد الكسوف الذي كان في هذا الشهر بثلاثة أيام ، وكانت للمسلمين عليهم ، ثم أتوا^(٦) بعد أن حوصروا وأولجوا إلى المدينة فقتلوا من المسلمين - بعد عبورهم الخندق - خمسين ألفاً ، وقيل : أن الذي منع رذمير من طلب مَنْ نجا من المسلمين أمية بن إسحاق ، وخوفه الكمين ، ورغبه فيما كان في معسكر المسلمين من الأموال والعدد والخزائن ، ولولا ذلك لآتى على جميع المسلمين ، ثم إن أمية بعد ذلك استأمن إلى عبد الرحمن ، وتخلص

(١) في بعض النسخ : من ولد أبيه .
(٢) في بعض النسخ : في حلت .
(٣) » » : سيرين .
(٤) » » : بثورة .
(٥) » » : ثم أتوا .
(٦) » » : وكان عبد الرحمن .

من رذمير ، فقبله عبد الرحمن أحسن قبول ، وقد كان عبد الرحمن صاحب الأندلس بعد هذه الواقعة جهز عساكر مع عدة من قواده الى الجلالة ، وكانت لهم معهم حروب هلك فيها من الجلالة ضعف ما قتل من المسلمين في الواقعة الأولى ، وكانت للمسلمين عليهم إلى هذه الغاية ، ورذمير ملك الجلالة الى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين^(١) وثلاثين وثلاثمائة - وكان قبله على الملك أردون [وكان قبل أردون أذبوشن]^(٢) ، والجلالة والافرنجة تدين بدين النصرانية على رأى الملكية .

ذكر

النوكبرد ، وملوكها

نسبهم ومساكنهم : قد تقدم ذكرنا للنوكبرد ، وانهم من ولد يافث بن نوح ، وبلادهم متصلة بالمغرب ، ومحلهم بالجدي ، ولهم جزائر كثيرة فيها أمم من الناس وهم ذوو بأس شديد ومنعة ، ولهم مدن كثيرة ، يجمعهم ملك واحد ، واسماء ملوكهم في سائر الاعصار « أدنكيس » والمدينة العظمى من مدنها ودار مملكتهم هي يست ، ويخترقها نهر عظيم ، وهي جانبان ، وهذا النهر أحد أنهار المسالم الموصوفة بالكبر والمعائب يقال له سايبط ، قد ذكره جماعة ممن عني بهذا المعنى من تقدم ، وكان المسلمون ممن جاورهم من بلاد الأندلس والمغرب غلبهم على مدن كثيرة من مدنها مثل مدينة باري ومدينة طارنيو ومدينة شبرامة وغيرها من مدنها الكبار .

(١) في بعض النسخ : وهو سنة ست وثلاثين وثلاثمائة .

(٢) زيادة في احدى النسخ .

ثم ان النوكبرد أنابوا^(١) ورجعوا على من كان في تلك المدن من المسلمين ، فأخرجوهم عنها بعد حرب طويلة ، وما ذكرنا من المدن في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - في ايدي النوكبرد .

قال المسعودي : ومن ذكرنا من الجلالة والافرنجة والصقالبة والنوكبرد وغيرها من الأمم فديارهم متقاربة ، والأكثر منهم حرباً لأهل الأندلس ، وصاحب الأندلس في هذا الوقت ذو منعة وقوة عظيمة على ما قدمنا من نسبه واخباره ، وقد كان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام سار الى الأندلس في أول دولة بني العباس ، وله أخبار كثيرة في كيفية وصوله الى الأندلس ، ودار مملكة الأندلس قرطبة على ما ذكرنا ، ولهم مدن كثيرة وعمائر متصلة واسعة ، وثغور في أطراف أرضهم ، وربما يجتمع عليهم من جاورهم من الأمم من ولد يافث من الجلالة وبرجان والافرنجة وغيرها من الألسن^(٢) وصاحب الأندلس في هذا الوقت يركب في مائة ألف ، وهو ذو منعة بالرجال والمال والكراع والعدد ، والله أعلم .

ذكر عاد و ملوكها

عاد الأولى : ذكر جماعة من ذوي العناية بأخبار العالم ان الملك يثوث^(٣) من بعد نوح في عاد الأولى التي بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ، ومصداق ذلك قوله عز وجل : (وأنه أهلك عاداً الأولى) فإنه يدل على تقدمهم ، وان هناك عاداً ثانية ، واخبر الله عن ملكهم ، ونطق بشدة بطشهم وما بنوه من الابنية المشيدة

(٣) في بعض النسخ : تأمل من بعد نوح .

(١) في بعض النسخ : تابوا .

(٢) » » : من الأمم .

التي تدعى على مر الدهور العمادية ، وقد أخبر الله تعالى عن قول نبيه هود عليه السلام وخطابه إياهم : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين) . وعاد أول من ملك في الأرض في قول هذه الطائفة ، بعد أن أهلك الله عز وجل الكفار من قوم نوح ، وذلك لقوله تعالى : (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ، وزادكم في الخلق بسطة) وذلك أن هؤلاء القوم كانوا في هياكل النخل طولا ، وكانوا في اتصال الأعمار وطولها بحسب ذلك من القدر ، وكانت نفوسهم قوية وأكبادهم غليظة ، ولم يكن في الأرض أمة هي أشد بطشا وأكثر آثارا وأقوى عقولا وأكثر أحلاما^(١) من قوم عاد ، ولم يكن الهلك يعرض في أجسامهم ، لقوة آثار الطبيعة فيها ، وما أوتوه من الزيادة في تمام البنية وكال الهيئة على حسب ما أخبر الله عز وجل .

نسب عاد : وكان عاد رجلا جبارا عظيم الخلق ، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وكان عاد يعبد القمر ، وذكروا أنه رأى من صلبه أربعة آلاف ولد ، وأنه تزوج ألف امرأة ، وكانت بلاده متصلة باليمن ، وهي بلاد الأحقاف ، وبلاد صحاري^(٢) هي وبلاد عمان إلى حضرموت على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا .

وقد ذكر جماعة من الأخباريين - ممن عني بأخبار العرب - أن عاداً لما توسط العمر واجتمع له الولد وولد الولد ، ورأى البطن العاشر من ولده ، وظهور الكثرة مع تشييد الملك واستقامة

(١) في بعض النسخ : وأعظم أخلاقا . (٢) في بعض النسخ : منجبار .

الأمر ، غمر^(١) إحسانه الناس^(٢) ، وقرى الضيف ، وأحواله منتظمة ،
والدنيا عليه مقبلة ، فعاش الف سنة ومائتي سنة ثم مات .

وكان الملك بعده في الأكبر من ولده ، وهو « شديد بن عاد »
وكان ملكه خمسمائة سنة وثمانين سنة ، وقيل غير ذلك .

ثم ملك بعده أخوه « شداد بن عاد » وكان ملكه تسعمائة
سنة ، ويقال : إنه احتوى على سائر ممالك العالم ، وهو الذي بنى
مدينه إرم ذات العماد ، على حسب ما قدمنا فيما سلف من كتبنا
عند إخبارنا عن هذه المدينة وتنازع الناس في كفيتهما وماهيتها وفي
أي بلاد هي .

وهذه عاد الثانية التي ذكرها الله تعالى فقال : (ألم تر كيف فعل
ربك بعاد إرم ذات العماد) وإلى هذه الأمة^(٣) انتهى البطش ،
ولشداد بن عاد مسير في الأرض ، وطواف في البلاد وبأس عظيم في
ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب ، وحروب كثيرة ،
أعرضنا عن ذكرها لشرط الاختصار ، ومعوّلنا في ذلك على ما
بسطناه من أخبارهم في كتاب « أخبار الزمان : من الأمم الماضية ،
والأجيال الحالية ، والممالك الدائرة » وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب -
عند ذكرنا تفرق الناس ببابل وتشعب الانساب ، وما قالوا في ذلك
من الأشعار - جملاً من أخبار عاد ونبيها هود ، فأما تنازع الناس
من سلف وخلف في العلة التي لها عظمت أجسامهم وطالت أعمارهم
فقد أتينا على ذكر ذلك في كتابنا المترجم بـ « كتاب الرؤوس
السبعة من السياسة الملوكية » وكذلك في كتابنا المترجم بـ « كتاب الزلف » .

(٣) في بعض النسخ : وإلى هذه المدينة .

(١) في بعض النسخ : عم .

(٢) » » : النامي .

[وذكرنا العلة التي لها ومن أجلها عدم كون السباع والجمال بأرض الأندلس ، وما يتكون في هذه الأرض من الجواهر في نباتها ومعادنها ، وما في أرض جليقية ، وإلى هذه الأرض أضيفت مملكة الجلالة المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب ، وهم أشد الأمم على أهل الأندلس ، وأعظمهم بطشاً من جاورهم ، ثم يليهم في الناس أمة عظيمة الملك يقال لها الوشكنش ، على حسب ما قدمنا من ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب وفي غيره من كتبنا مما تقدم تأليف هذا الكتاب ^(١) .

ذكر ثمود

وملوكتها ، وصالح نبيها

مساكن ثمود : قد ذكرنا فيما سلف من ذكر ثمود ونبيها صالح عليه السلام لمّا ، وإن كنا قد بسطنا ذلك في غير هذا الكتاب ، وكان ملك ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشي ، وديارهم بفتح الناقة ، وبيوتهم إلى وقتنا هذا أبنية ^(٢) منحوتة في الجبال ، ورسومهم ^(٣) باقية ، وآثارهم بادية ، وذلك في طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادي القرى ، وبيوتهم منحوتة في الصخر بأبواب صفار ، ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا ، وهذا يدل على أن أجسامهم على قدر أجسامنا ، دون ما يخبر به القصص من بعد أجسامهم ، وليس هؤلاء كمعاد ؛ إذ

(١) زيادة في بعض النسخ .

(٢) في بعض النسخ : ورسومهم باقية .

(٣) في بعض النسخ : بيوت منحوتة في الجبال .

كانت آثارهم ومواضع مساكنهم وبنيانهم بأرض الشعر تدل على بعد أجسامهم .

وكان ملك الملك الأول من ملوكهم مائتي سنة ، وهو عابر بن إرم بن ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح .

ثم ملك بعده « جندع بن عمرو » بن الذبيل^(١) بن إرم بن ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وكان ملكه إلى أن هلك مائتي سنة وتسعين سنة ، وهلك جندع هذا بعد أن كان من أمر صالح النبي صلى الله عليه وسلم ما كان على ما ذكرنا أربعين سنة ، فجميع ما ملك هذا الملك - وهو جندع - ثلاثمائة وسبع وعشرون سنة ؛ فهؤلاء ملوك ثمود .

وبعث الله صالحاً نبياً وهو غلام أحدث لثمود على حين فترة كانت بينه وبين هود نحو من مائة سنة ، فدعاهم إلى الله ، وملكهم يومئذ هو جندع بن عمرو على ما ذكرنا ، فلم يجب صالحاً من قومه إلا نفر يسير ، وكبر صالح ، ولم يزد قومه من الإيمان إلا بُعداً ؛ فلما توتر عليهم إعداره وإنذاره ووعده ووعيدته ساموه المعجزات ، وإظهار العلامات ؛ ليؤمنوه من دعائهم ، وليعجزوه عن خطاياهم ، فحضر عيداً لهم ، وقد أظهروا أوثانهم ، وكان القوم أصحاب إبل ، فساموه الآية من جنس أموالهم^(٢) ، وطالبوه بما هو مجانس لأملاتهم ، وذلك من بعد اتفاق آرائهم فقال له زعيم من زعمائهم : يا صالح ، إن كنت صادقاً في قولك ، وأنتك مُعَبَّرٌ عن ربك ، فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ، ولتكن وبراء سوداء عُشْرَاء

(١) في بعض النسخ : بن الذيل .

(٢) » » : فساموه الدلالة من حيث أموالهم .

تَنُوجاً حَالِكَةً صَافِيَةً ^(١) اللَّوْنِ ذَاتِ عَرَفٍ وَنَاصِيَةٍ وَشَعْرٍ وَوَبَرٍ ،
فَاسْتَفَاثَ بَرِيهٍ ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ وَتَلَمَلَّتْ ، وَبَدَأَ مِنْهَا حَنِينٌ وَأَنِينٌ ،
ثُمَّ انْصَدَعَتْ مِنْ بَعْدِ تَمَخُّضٍ شَدِيدٍ كَتَمَخُّضِ الْمَرْأَةِ حِينَ الْوِلَادَةِ ،
وَوُظِرَ مِنْهَا نَاقَةٌ عَلَى مَا طَلَبُوهُ مِنَ الصَّفَةِ ، ثُمَّ تَلَاهَا مِنَ الصَّخْرَةِ
سَقْنَبٌ لَهَا نَحْوُهَا مِنَ الْوَصْفِ ، فَأَمْعَنَّا فِي رَغْيِ الْكَلِّ وَطَلَبِ
الْمَاءِ وَالْمَرْعَى ، فَأَمِنَ خَلْقٌ مِنْ حَضْرِهِ ، وَزَعِيمُهُمُ الَّذِي سَأَلَهُ وَهُوَ
جَنْدَعُ بْنُ عَمْرٍو ، وَأَقَامَتِ النَّاقَةُ يَحْلِبُونَ مِنْ لَبَنِهَا مَا يَعْمُ شَرْبُهُ
ثَمُوداً كُلِّهَا ، وَضَايَقَتَهُمْ فِي الْكَلِّ وَالْمَاءِ ، وَكَانَ فِي ثَمُودَ امْرَأَتَانِ ذَوَاتَا
حَسَنِ وَجْهٍ ، فَزَارَهُمَا رَجُلَانِ مِنْ ثَمُودَ ، وَهُمَا قَدَارُ بْنُ سَالِفٍ ،
وَمَصْدَعُ بْنُ مَفْرَجٍ ^(٢) ، وَالْمَرْأَتَانِ عَنِيْزَةُ بِنْتُ غَنَمٍ ^(٣) ، وَصَدُوفُ بِنْتُ
الْجُبَا ^(٤) . فَقَالَتْ صَدُوفُ : لَوْ كَانَ لَنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ مَاءٌ لَأَسْقَيْنَاكُمْ
خَمِراً ، وَهَذَا يَوْمُ النَّاقَةِ وَوَرَدَهَا إِلَى الْمَاءِ وَلَا سَبِيلَ لَنَا إِلَى
الشَّرْبِ ، فَقَالَتْ عَنِيْزَةُ : بَلَى وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لَنَا رَجُلًا لَكَفُونَا
إِيَّاهَا ، وَهَلْ هِيَ إِلَّا بَعِيرٌ مِنَ الْإِبِلِ ؟ ! فَقَالَ قَدَارُ : يَا صَدُوفُ ،
إِنْ أَنَا كَفَيْتُكَ أَمْرَ النَّاقَةِ فَمَا لِيْ عِنْدَكَ ؟ فَقَالَتْ : نَفْسِي ، وَهَلْ حَائِلٌ
بُنَاهَا عِنْدَكَ ؟ فَأَجَابَتْ الْأُخْرَى صَاحِبَهَا بِنَحْوِ ذَلِكَ ، فَقَالَا : مِيلًا
عَلَيْنَا بِالْخَمْرِ ، فَشَرَبَا حَتَّى قَوَسَا السَّكْرَ ، ثُمَّ خَرَجَا فَاسْتَفْوَا تِسْعَةَ
رَهْطٍ ^(٥) ، وَهُمْ التَّسْعَةُ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ :
(وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلَحُونَ)
وَقَصَدُوا طَرِيقَ النَّاقَةِ فِي حَالِ صُدُورِهَا ، فَضَرَبَ قَدَارُ عَرْقُوبَهَا
بِالسَّيْفِ ، فَعَرْقَبَهَا ^(٦) ، وَأَتْبَعَ صَاحِبَهُ الْآخَرَ الْعَرْقُوبَ الْآخَرَ بِسَهْمِهِ ،

(١) فِي بَعْضِ النُّسَخِ : صَافِيَةٌ . (٤) فِي بَعْضِ النُّسَخِ : وَصَدُوفُ بِنْتُ الْجُبَا .
(٢) » » : وَمَصْدَعُ بْنُ مَفْرَجٍ . (٥) » » : فَاسْتَفْوَا سَبْعَةَ رَهْطٍ .
(٣) » » : بِنْتُ زُعَيْمٍ . (٦) » » : فَعَرْقَبَهَا .

فخرت الناقة لوجهها ، ووجأ قدار لبثها فنحرها ، ولاذ السَّقْبُ
بصخرة فلحقه بعضهم فعقره [وفرقوا لحم الناقة]^(١) ، وورد صالح
فنظر الى ما فعلوه ، فوعدهم العذاب ، وكان ذلك في يوم الأربعاء ،
فقالوا له مستهزئين : يا صالح ، متى يكون ما وعدتنا به من العذاب
عن ربك ؟ فقال : تصبح وجوهكم يوم مؤنس - وهو يوم الخميس - مصفرة ،
ويوم المروبة حمرة ، ويوم شيار مسودة ، ثم يصبحكم العذاب يوم
أول ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أسماء الشهور والأيام بلغتهم ،
فهَمَّ السَّعْمَةُ بقتل صالح ، وقالوا : ان كان صادقاً كنا قد عاجلناه
قبل ان يعاجلنا ، وان كان كاذباً كنا قد ألحقناه بناقته ، فأتوه ليلاً ،
فعالت الملائكة بينهم وبينه ، وأمطرتهم الحجارة ، ومنعه الله منهم ،
فلما أصبحوا نظروا الى وجوههم كما وعدهم صفراء كأنها الورش :
قد حالت الالوان ، وتغيرت الاجسام ، وثيقن القوم صدق الوعيد ،
وان العذاب واقع بهم ، وخرج صالح في ليلة الاحد من بين ظهرائهم
مع من خفَّ من المؤمنين ، فنزل موضع مدينة الرملة من بلاد فلسطين ،
وأقامهم العذاب يوم الاحد ، وفيهم يقول بعض من آمن بصالح
عليه السلام :^(٢)

أراكم يا رجال بني عثيد كان وجوهكم طلييت بورش
ويوم عروبة احمرت وجوه مصفرة ، وفادوا يال مرس
ويوم شيار فاسودت وجوه من الحيين قبل طلوع شمس
فلما كان أول في ضعاه أتهم صيعة عمت بتمس
وفيهم يقول حباب بن عمر ، وكان ممن اعتزلهم من المؤمنين وبان
عن ديارهم :

(١) سقطت هذه الجملة من بعض النسخ . (٢) لا توجد هذه الابيات في بعض النسخ .

كانت ثمود ذوي عز ومكرمة ما إن يُضام لهم في الناس من جار
 [لا يرهبون من الأعداء حولهم وقنع السيوف ، ولا نزعا بأوتار]^(١)
 فأهلكوا ناقة كانت لرَبِّهم قد أنذروها وكانوا غير أبرار
 [نادوا قداراً ولحم السَّقْب بينهم هل للعجول ودل للسقب من ثار]
 [لم يرعياً صالحاً في عقر ناقته وأخفروا العهد هذياً أي إخفار]
 [فصادفوا عنده من ربه حرساً فشَدَّخواروسهم شَدَّخاً بأحجار]

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب - عند ذكرنا لتفرق الناس
 ببابل - من أخبار ثود بُجَمَلاً ، وما كانت من أمر الناس بأرض
 بابل وافتراق لغاتهم ، وما قاله كل فريق منهم من الشعر ، على
 حسب ما أعطاه الله من اللسان ، وإن كنا قد أتينا على شرح ذلك
 على الكمال فيما تقدم لنا من كتابنا « أخبار الزمان » وبالله التوفيق .

ذكر مكة

وأخبارها ، وبناء البيت

ومن تداوله من جبرهم وغيرها ، وما لحق بهذا الباب

سكن اسماعيل وأمه بمكة: ولما أسكن إبراهيم ولده اسماعيل مكة مع أمه هاجر ،
 واستودعها خالقه - على حسب ما أخبر الله عنه أنه أسكنه بواد غير ذي
 زرع ، وكان موضع البيت ربوة حمراء - أمر إبراهيم هاجر أن تتخذ
 عليها عريشاً يكون لها مسكناً ، وكان من ظمأ اسماعيل وخبر هاجر ما
 كان إلى أن أنبع الله لها زمزم ، وأقحط الشجر واليمن ، فتفرق العماليق
 وجبرهم في البلاد ومن هناك من بقايا عاد .

(١) هذه الأبيات سقطت من بعض النسخ .

فيمت العالقي نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى والدار الحصينة ، وعليهم السميع بن هوبر بن لاوي بن^(١) قيطور بن كركر بن حيدان ، فلما أمعنت بنو كركر في المسير - وقد عدمت الماء والمرعى ، واشتد بها الجهد - أقبل السميع بن هوبر يحثهم على السير في شعر له ويشجعهم بما قد نزل بهم ، وهو :

سيروا بني الكركر في البلاد إني أرى ذا الدهر في فساد
قد سار من قحطان ذي الرشاد [جرهم لما هدّها التعادي]^(٢)

فأشرف رؤؤادهم - وهم المتقدمو منهم لطلب الماء - على الوادي ، فنظروا الطير ، ترتفع وتنخفض ، فهبطوا الوادي ونظروا الى العريش على الربوة الحمراء ، وفيها هاجر وإسماعيل ، وقد زمت حول الماء^(٣) بالأحجار ومنعته من الجريان ، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رحم الله أمنا هاجر ، لولا انها بخلت ومنعت ماء زمزم من أن يجري بما حوطت حوله من الأحجار لجرى الماء على وجه الأرض ، فسلم الرؤؤاد عليها ، واستأذنوها في نزولهم وشربهم من الماء ، فأنست إليهم ، وأذنت لهم في النزول ، فتلقوا من كان وراءهم من أهليهم ، وأخبروهم خبر الماء ، فنزلوا الوادي مطمئنين ، مستبشرين بالماء ، وبما أضاء الوادي من نور النبوة وموضع البيت الحرام ، فرحين ، وعيّل إسماعيل ، وتكلم إسماعيل بالعربية خلاف لغة أبيه .

وقد ذكرنا في هذا الكتاب وغيره ما قاله الناس في ذلك من قحطان ونزار وتزؤج إسماعيل بالجداء بنت سعد العملاقي .

زيارة إبراهيم الأولى لابنه إسماعيل : وقد كان إبراهيم استأذن سارة في زيارة

(١) في بعض النسخ : السميع بن هود بن لاوي بن قنطور بن كركر بن حيدان .
(٢) زيادة في بعض النسخ .
(٣) في بعض النسخ : وقد زما . . ومنعوه .

إسماعيل ، فأذنت له ، فوافى مكة وإسماعيل في الصيد والرعي ومعه أمه هاجر ، فسلم على الجداء بنت سعد زوجة إسماعيل ، فلم ترد عليه السلام ، فقال : هل من منزل ؟ فقالت : لا ها الله ، قال : فما يفعل رب البيت ؟ قالت : هو غائب ، فقال لها : إذا ورد فأخبريه أن إبراهيم يقول لك بعد مسأله عنك وعن أمك : استبدل بعتبة بيتك غيرها ، وانصرف إبراهيم من فوره نحو الشام ، وراح إسماعيل وهاجر ، فنظرا الى الوادي قد أشرق وأثار ، والأغنام تتنسم^(١) الآثار ، فقال لزوجته الجداء : هل كان لك بعدي من خبر ؟ قالت : نعم ، شيخ ورَدَ علي ، وأخبرته بالقصة ، فقال : ذاك أبي خليل الرحمن ، وقد أمرني بتخليتك ، فالحقي بأهلك ، فلا خير فيك .

جرهم تستوطن مكة : وتسامعت جرهم ببني كركر ونزولهم الوادي ، وما هم فيه من الخصب وإدراج الضرع^(٢) ، وهم في حال القحط ، فبادروا نحو مكة ، وعليهم الحارث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن ظالم ابن هيني^(٣) بن نبت بن جرهم ، حتى أتوا الوادي ، ونزلوا مكة ، واستوطنوها مع إسماعيل ومن تقدمهم من العماليق من بني كركر ، وقد قيل في بني كركر : إنهم من العماليق ، وقيل : إنهم من جرهم ، والأشهر أنهم من العماليق ، وتزوج إسماعيل زوجته الثانية ، وهي سامة بنت مهمل بن سعد بن عوف بن هيني ابن نبت .

واستأذن إبراهيم سارة في زيارة إسماعيل ، فاستحلفته غيرة عليه أنه إذا أتى الموضع لا ينزل من ركبته ، وقد تنازع الناس على أي شيء كان ركوبه : فمنهم من قال : أنه كان راكباً على البراق ، ومنهم من قال : على أتان ، وقيل غير ذلك من الحيوان ، فلما أتى إبراهيم الوادي سلم على زوجة إسماعيل

(١) في بعض النسخ : والأغنام تشم الآثار . (٢) في بعض النسخ : ظالم بن محالة بن هيني بن نبت .

(٣) » » : ودور الضرع .

الجرهمية ، فسلمت عليه ، ورَحَّبَتْ به وتلقته بأحسن لقاء^(١) ، وسألتها عن إسماعيل وهاجر ، فأخبرته بخبرهما ، وأنها في رَعْيِها ، وعرضت عليه النزول ، فأبى ، وقيل : إن هاجر كانت قد ماتت ولها من السن تسعون سنة ، وألحت الجرهمية على إبراهيم في النزول ؛ فأبى ، فقدمت إليه لبناً وشرائح من لحم الصيد ، فدعا فيه بالبركة ، وجاءته بحجر كان في البيت ، فقال عن ركابه^(٢) ، وجعلته تحت قدمه اليمنى ، ثم رَجَلَتْ شعره ودهنته ، ثم حولت الحجر الى شماله ، فوضع رجله اليسرى عليه أيضاً ، ومال برأسه نحوها ، فرَجَلَتْه ودهنته ، فأثرت قدماه في الحجر على ما وصفنا من ترتيب اليمين والشمال ، فلما رأت الجرهمية ذلك أكبرت ما شاهدته^(٣) ، وهذا الحجر هو مقام إبراهيم ، فقال لها إبراهيم : ارفعيه ، فسيكون له شأن ونبا بعد حين ، ثم قال لها : إذا جاءك إسماعيل فقولي له : إن إبراهيم يقرأ عليك السلام ويقول لك : احتفظ بعتبة بيتك ، فتعمت العتبة هي ، وسار إبراهيم راجعاً نحو الشام .

تسمية إسماعيل : وقيل : إنما سمي إسماعيل لأن الله سمع دعاء هاجر ورحمها حين هربت من سيدتها سارة أم إسحاق ، وقيل : إن الله سمع دعاء إبراهيم .

وقبض إسماعيل وله مائة وسبع وثلاثون سنة ؛ فدفن في المسجد الحرام رَحِيالَ الموضع الذي [كان^(٤)] فيه الحجر الأسود .

أبناء إسماعيل : وولد لإسماعيل اثنا عشر ولداً ذكراً ، وهم : ثابت^(٥) ،

(١) في بعض النسخ : بأحسن لقيان . (٢) في بعض النسخ : أكبرته .
(٣) » » : فقال على ركابه . (٤) لا توجد هذه الكلمة في بعض النسخ .
(٥) في بعض هذه الأسماء اختلاف كثير . فمن أمثلة ذلك أنه وقع في بعض النسخ : ثابت وقيدار واربيل ومسيم ومسمع ودوما ودوام ومشي وحداد ونيم وبطور وثابس .

وقيدار ، وأدبيل ، ومبسم ، ومشع ، ودوما ، ودوام ، ومسا ، وحداد ، وثيا ، ويطور ، وثاقش ، وكل هؤلاء قد أنسل^(١) .

بناء البيت : وقد كان إبراهيم قدم الى مكة وإسماعيل ثلاثون سنة ، حين أمره الله تعالى ببناء البيت ، فبناه ، وكان إسماعيل يأني بالحجر من عدة^(٢) جبال ذكرت ، وطوله ثلاثون ذراعاً ، والحجر فيه وهو سبعة أذرع ، وعرضه اثنان وعشرون ذراعاً ، وسمكه سبعة أذرع^(٣) ، وجعل له باباً ، ولم يسقف ، ووضع الركن موضعه ، وألصق المقام بالبيت ، وذلك قوله عز وجل : (وَإِذْ يُرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) الآية ، وأمر الله تعالى إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج .

ولاية البيت : ولما قبض إسماعيل قام بالبيت بعده نابت بن إسماعيل ، ثم قام من بعده أناس من جرهم ، لغلبة جرهم على بلد إسماعيل ، وكان ملك جرهم يومئذ الحارث بن مضاض ، وهو أول من ولي البيت ، وكان ينزل هناك في الموضع المعروف بقمبيعان في هذا الوقت ، وكان كل من دخل مكة بتجارة عشرينها عليه^(٤) ، وذلك في أعلى مكة ، وملك العماليق السميدع ابن هوير بن لاوي بن قبطور بن كركر بن حيد وكان ينزل أجبادا من أسفل مكة ، وكان يعيش من دخل مكة من ناحيته ، وكانت بينهم حروب ، فخرج الحارث بن مضاض ملك جرهم تتفقع معه الرماح والدقاق ، فسمي الموضع بقمبيعان لما ذكرنا ، وخرج السميدع ملك العماليق ومعه الجياد من الخيل فعرف الموضع بأجباد الى هذا الوقت ، فكانت على الجرهميين واقتضحوا ، فسمي الموضع قاضحاً الى هذا الوقت ، ثم اصطلحوا ونحروا الجزر وطبخوا فسمي الموضع بطابخ الى الآن ، وصارت ولاية البيت الى العماليق ، ثم كانت

(١) في بعض النسخ : وكل هؤلاء قد أسلم .
(٢) عشره جبال .
(٣) في بعض النسخ : تسعة أذرع .
(٤) عشرها عليه : أي أخذ عشرها .

لجرهم عليهم ، وأقاموا ولاية البيت نحو ثلاثمائة سنة ، وكان آخر ملوكهم الحارث بن مضاض الأصغر بن عمرو بن الحارث بن مضاض الأكبر ، وزادوا في بناء البيت ، ورفعته على ما كان عليه من بناء إبراهيم عليه السلام ، وبغت جرهم في الحرم وطغت ، حتى فسق رجل منهن في الحرم بامرأة ، وكان الرجل يدعى بإساف والمرأة فائلة ، فسخها الله عز وجل - حجرين صيرتا بعد ذلك وثنين وعبدا تقربا بهما الى الله تعالى ، وقيل : بل هما حبران نحتا ومثلا بمن ذكرنا وسميا باسمائهما ، فبعث الله على جرهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات ^(١) فهلك كثير منهم ، وكثر ولد اسماعيل [وصاروا ذوي قوة ومنعة ففكّبوا على أخوالهم جرهم] ^(٢) وأخرجوهم من مكة ، فلاحقوا بحبيشة ، فأثامهم في بعض الليالي السيل فذهب بهم ، وكان الموضع يعرف بإضم ، وقد ذكر ذلك أمية بن أبي الصلت الثقفى في شعر له فقال :

وجرم دمنوا تهامة في الدمر فالت يجمعهم إضم

وفي ذلك يقول الحارث بن مضاض الأصغر الجرهمي :

كان لم يكن بين الحجبون الى الصفا أنيس ، ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها ، فأبادنا صروف الليالي والجدود العوائر
وكنا لإسماعيل صهرا ووصلة ولحما تدثر فيها علينا الدوائر ^(٣)
وكنا ولاية البيت من بعد نابت نظوف بذاك البيت والحيز ظاهر ^(٤)
[فبدّلنا ربي بها دار غربة بها الذئب يعوي والعدو المحاصر] ^(٥)

وفيا ذكرنا من أخبارهم يقول عمرو بن الحارث بن مضاض الأصغر الجرهمي :

(١) في بعض النسخ : وغير ذلك من الآيات .
(٢) زيادة في بعض النسخ .
(٣) في بعض النسخ : صهرا وجيرة .
(٤) في بعض النسخ : والحيز ظاهر .
(٥) لا يوجد هذا البيت في إحدى النسخ .

وكنا ولاية البيت والقاطن الذي اليه يؤدّي نذرته كل محرم
سكنّا بها قبل الظباء وراثة لها عن بني هيني بن نبت بن جرم

[وفي ذلك يقول :

كهفنا جرهم وأبة كهف وولاية لبيتهم والحجاب
فسقوا في الحرام بعد تقامم واستعاضوا العقاب بعد الثواب]^(١)

ثم صارت ولاية البيت في ولد إياد بن نزار بن معد ، وكانت
حروب كثيرة بين مضر وإياد ، وكانت لمضر على إياد ، فانجلوا^(٢)
عن مكة الى العراق .

وسنورد بعد هذا جملاً من اخبار مكة وولد نزار وخزاعة وغيرهم .

قال المسعودي : وقد أتينا على جل من الاخبار في هذا الباب من أخبار
جرهم وغيرها ، ووجدت في وجه آخر من الروايات أن أول من ملك من
ملوك جرهم بمكة مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هيني بن نبت بن
جرهم بن قحطان مائة سنة ، ثم ملك بعده ابنه عمرو بن مضاض مائة
وعشرين سنة ، ثم ملك بعده الحارث بن عمرو مائتي سنة ، وقيل دون ذلك
ثم ملك بعده عمرو بن الحارث مائتي سنة وقيل دون ذلك ،
ثم ملك مضاض بن عمرو الاصغر بن الحارث بن عمرو بن مضاض بن عمرو بن
سعد بن الرقيب بن هيني بن نبت بن جرهم بن قحطان أربعين سنة .

وانقرضت العرب العاربة من عاد وثمود وعبيد وطسم وجديس والماليق
ووبار^(٣) وجرهم ، ولم يبق من العرب إلا من كان من عدنان وقحطان ،
ودخل من بقي ممن ذكرنا من العرب البائدة في عدد قحطان وعدنان ،
فانمحت أنسابهم وزالت آثارهم .

(١) سقطت من بعض النسخ : وفي بعض النسخ : وإياد وجرهم .

(٢) سقطت من بعض النسخ .
(٣) في بعض النسخ : فانجلوا عن مكة .

العاليق : وقد كانت العاليق بغت^١ في الأرض ، فسلط الله عليهم ملوك الأرض فأفنتها ، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا للروم وأنسابها من^٢ ألحق ولد عملاق وغيرهم ، ممن ذكرنا ، بولد عيصو بن إسحاق ابن إبراهيم عليها السلام ، وأن علماء العرب تنسبهم إلى غير هذا النسب ، وهو الأشهر في الناس ؛ وقد رثتهم الشعراء : فقال بعض من رثاهم :

مضى آل عملاق فلم يبق منهم خطير^(١) ، ولا ذو نخوة متشاوس
عَتَرُوا فأدال الله منهم ، وحكمه على الناس هذا وعده وهو سائس

طعم وجديس : وأما طسم وجديس فتفانت في نحو من سبعين سنة في البراري ، بما كان بينهم من الشحنةاء ، وطلب الرياسة ، فدثروا ، ولم يبق لهم باقية ، فضربت بهم العرب المثل ، وضربت بهم الشعراء المقال [فمن ذلك ما قاله بعض الشعراء ممن رثاهم في قوله :

فويلي من جوى هم رئيس من اللاوا لطسم أو جديس
بنو عم تفانوا بالمذاكي وباليوم الأحم^(٢) العيطموس]^(٣)

اصحاب الرس : أما الرس وأصحابه فقد قدمنا ذكرهم فيما سلف من كتبنا ، وهم قوم حنظلة بن صفوان العبسي ، بعثه الله اليهم فكذبوه ، وقد ذكرنا من خبره لمأ ؛ وقد قيل في اصحاب الرس أوجه كثيرة غير ما ذكرنا في هذا الكتاب ، وقد ذكرت هذه القبائل في التوراة ، وكل يرجع إلى ولد سام بن نوح : من بني إرم بن سام وهو من ولده عوص بن إرم ، ومن ولده [عابر ابن إرم ، ومن ولده]^(٤) ماش ابن إرم .

النبيط : [فولد عوص عاد بن عوص ، وولد عابر ثمود بن عابر ، وولد ماش

(٢) سقطت من بعض النسخ .

(١) في بعض النسخ : حقيير .

بن إرم [١] نبيط بن ماش؛ فسائر النبط وملوكها ترجع في أنسابها إلى نبيط ابن ماش .

فحل* عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وولده الأحقاف* من بلاد حضرموت ، وحل ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح وولده أكناف* الحجاز وحل جدیس بن عابر بلاد بجور* ، وهي بلاد اليمامة ما بين البحرين والحجاز ، وهذا البلد في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - بيد ولد الأنخير العلوي ، وهو من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو مجاور للبحرين ، ومن فيها إلى هذا الوقت ، وحل* طسم ابن لود بن سام بن نوح وولده اليمامة مع بني جدیس، وحل علقم بن لود* ابن سام بن نوح الحجاز ، وقد ذكرنا ولد عيلام فيما سلف من هذا الكتاب أنهم حلوا الأهواز وقارس ، وهو عيلام بن سام بن نوح ، وحل تبيط بن ماش بن إرم بن سام بن نوح بابل* ، فغلبوا على العراق ، وهم النبط* ، ومنهم ملوك بابل الذين قدمنا ذكرهم ، وأنهم الملوك الذين عمروا الأرض ، ومهدوا البلاد ، وكانوا أشرف* (٣) ملوك الأرض ، فأدال منهم الدهر* (٤) ، وسلبهم الملك والعز* ، فصاروا على ما هم عليه من الذل في هذا الوقت بالعراق وغيرها .

دعوى الشعوبية : وقد زعم جماعة من المتكلمين - منهم ضرار بن عمرو وثمامة ابن الأشرس وعمرو بن بحر الجاحظ - أن النبط خير من العرب ؛ لأن من جعل الله تبارك وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم منهم لم يدع أكبر شرف في الدنيا إلا وقد [أعطاهم إياه ، ومن لم يجعله منهم فلم يدع أكبر شرف في الدنيا إلا وقد] (٥) أعراهم منه وسلبهم إياه ، ولا نعمة على من جعل الله تعالى

(١) زيادة في بعض النسخ . (٤) في بعض النسخ: فأذلهم الدهر .

(٢) في بعض النسخ : علقم بن أد . (٥) زيادة في إحدى النسخ

(٣) » » : وكانوا أشرف ملوك الأرض .

النبي عليه السلام منهم أكبر من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يلوى على من لم يجعل الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم منهم أكبر من خروج النبي صلى الله عليه وسلم عنهم ، إلا أنهم مع هذا كله لهم عند الله فضل ما بين النعمة والبلاء .

الرد على الشعوبية : قال المسعودي : ولما لم يبال من قدمنا ذكره من تشريف النبط وتفضيلهم على ولد قحطان وعدنان وفيهم الفضل والشرف من النبوة والملك والعزة قال لهم المحتج عن قحطان وتزار : إذا كان النبط قد صاروا أفضل من العرب لما امتحن الله به النبط من سلبه النبوة منهم وأنعم العرب بكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم ، فللعرب أيضاً التعلق بهذه العلة التي اعتل بها النبط ، فتقول : قد صرنا بعد أفضل من النبط ؛ لما امتعنا به من سلب ما جعل الله للنبط من الفضل في شدة امتحانهم بسلب النبي صلى الله عليه وسلم عنهم ، والنبط أيضاً قد صاروا دون العرب ؛ إذ للعرب من فضل النبي صلى الله عليه وسلم مما جعله الله لهم بتعريضهم من فضل النبط على شدة امتحانهم بتعرية الله إياهم من النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس للنبط ؛ فتصير العرب أيضاً خيراً من النبط ، وهذا لا يصح لهم إلا كما يصح عليهم ، والكلام متوجه عليهم فيما قالوه ، ومكافيء لعلتهم فيما أوردوه : من تفضيل النبط على العرب .

وقد ذكرنا تنازع الناس في الأنساب والفضل بها وبالأعمال دون الأنساب ومن قال العمل والنسب ومن قال العمل دون النسب ، وما قالته الشعوبية وغيرها في كتابنا « المقالات » في أصول الديانات .

وقد ذكر أبو الحسن أحمد بن يحيى في كتابه في الرد على الشعوبية عللاً كثيرة ، وذكر أن من اختصه الله تعالى من عباده ، واصطفاه من خلقه ، أذاك على طريق الثواب أم على طريق التفضيل ؟ قل : فإن زعم زاعم أن

ذلك ثواب خرج من معقول كلام العرب ومفهوم خطابها ؛ لأنه لا يقال لمن أعطى الأجير أجرته ووفى العامل ثوابه : قد اختص فلان فلاناً بعطيته ، وإنما يقال ذلك إذا تطوع عليه^(١) بالعطية بغير عمل ومنعها غيره بغير جرم ، وإن زعموا أنه تفضل قلنا لهم : فإذا جاز أن يصرف الله عز وجل رحمته إلى بعض خلقه بغير عمل استحقوها به فكلم لا يجوز أن يشرفهم بأنسابهم ، وإن لم تكن الأنساب من أعمالهم ؟ فإن قالوا : ليس من العدل^(٢) أن يشرفهم بغير أعمالهم ، قلنا لهم : رأيتم إن عارضكم معارض ؛ فزعم أنه ليس من العدل أن يمن عليهم برحمته دون غيرهم بغير عمل كان منهم ، وبغير معصية كانت من غيرهم ، ماذا يكون الفصل بينكم معاشر الشعوبية وبينه ، وقد أخبر الله عن اصطفاء من خلقه فقال : (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم) ؟

والواجب على ذي النسب الشريف ، والمجد الرفيع ، أن لا يجعل ذلك سلباً إلى التراخي عن الأعمال الموافقة لنسبه ، والاتكال على آباءه^(٣) ، فإن شرف الأنساب يحض^(٤) على شرف الأعمال ، والشريف بهذا أولى ؛ إذ كان الشرف يدعو إلى الشرف ولا يشبط عنه ، كما أن الحسن يدعو إلى الحسن ويحرك عليه وأكثر المدحوحين إنما مدحوا بأعمالهم دون أنسابهم ، وهذا كثير في أشعار الناس ومنثور كلامهم ، وقد قال الشاعر في هاشم بن عبد مناف وهو إمام ذوي الأنساب :

عَمَرُوا الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرَجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافُ

فمدحه بعمله ، ولم يذكر نسبه ، وإن كان شريفاً رفيعاً ، وإنما ينبغي

(١) في بعض النسخ « تطول عليه بالعطية » . (٢) في بعض النسخ : والاتكال على آباءه .

(٣) » » » : ليس في العدل أن يشرفهم . (٤) » » » : يختص على أشرف الأعمال .

لذوي الأنساب أن يكونوا كما قال أخوهم وشريكهم في النسب عامر بن
الطُفَيْل :

وإني وإن كنتُ ابنَ سيد عامر وفي السرِّ منها والصريح المَهْدَب
فما سوَّدتني عامر عن وراثته أبى الله أن أَسْمُو بأُم ولا أب
ولكنني أحى حماها ، وأتقي أذاها ، وأرمي مَنْ رماها بِقَنْب
وكما قال الآخر :

لسنا وإن كرمت أوائلنا يوماً على الأحساب تتكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني ، ونفعل كالذي فعلوا^(١)

أول من عبد التماثيل : قال المسعودي : ولما خرج عمرو بن عامر وولده
من مأرب انخزع بنو ربيعة ، فنزلوا بهامة ، فسمعوا خُرَاعَةَ لانخزاعهم ، ولما
ثارت الحرب بين إِيَاد ومضر ابني نزار وكانت على إِيَاد قلمت الحجر الأسود
ودفنته في بعض المواضع ، فرأت ذلك امرأة من خُرَاعَةَ ، فأخبرت قومها ،
فاشترطوا على مضر أنهم إن ردُّوا الحجر جعلوا ولاية البيت فيهم ، فوفوا لهم
بذلك ، ووليت خُرَاعَةَ أمر البيت وكان أول من وليه منهم عمرو بن لُحَي ،
واسم لُحَي حارثة بن عامر^(٢) ، فغير دين إبراهيم وبدَّله ، وبعث العرب على
عبادة التماثيل ؛ لخبْر قد ذكرناه في هذا الكتاب وغيره ، حين خرج إلى الشام
ورأى قوماً يعبدون الأصنام ، فأعطوه منها صنماً فنصبه على الكعبة ،
وقويت خُرَاعَةَ ، وعمَّ الناس ظلم عمرو بن لُحَي ، وفي ذلك يقول رجل من
جرهم كان على دين الحنيفية :

يا عمرو لا تظلم بمكة إنها بلدٌ حرام
سائل بَعَادٍ أين همْ وكذاك تُخْتَرَمُ الأَنَامُ
وبني العاليتى الذين لهم بها كان السَّوَامُ

(١) في بعض النسخ : ونفعل مثلها فعلوا . (٢) في بعض النسخ : حارث بن عامر .

ولما أكثر عمرو بن لحي من نصب الأصنام حول الكعبة وغلب على العرب عبادتها ، وانمحت الحنيفية منهم إلا لمعاً ، قال في ذلك شحنة بن خلف^(١) الجرمي :

يا عمرو ، إنك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت أنصاباً
وكان للبيت ربٌ واحد أبداً فقد جعلت له في الناس أرباباً
لتعرفنَ بأن الله في مهل سيصطفي دونكم للبيت حُجَّاباً
وعُمِّرَ عمرو بن لحي ثلاثمائة سنة وخمساً وأربعين سنة .

ولاية البيت : وكانت ولاية البيت في خزاعة وفي مضر ثلاث خصال :
الإجازة بالناس من عرفة ، والإفاضة بالناس غداة النحر الى منى ، فانتسب
ذلك منهم الى أبي سيار ، فدفع أبو سيار من مزدلفة الى منى أربعين سنة
على حمار له ، ولم يعتل في ذلك ، حتى أدركه الإسلام ، فكانت العرب تتمثل
به فتقول « أحج من سيار أبي سيار »^(٢) .

وفي أبي سيار يقول قائلهم :

نحن دفعنا عن أبي سياره حتى أفاض مُحَرِّماً حماره^(٣)
مستقبل القبلة يدعو جاره

والنساء للشهور الحُرِّم ، وكانت النساء في بني مالك بن كنانة ، وكان
أولهم أبو القلس^(٤) حذيفة بن عبد ، ثم ولده قلع بن حذيفة ، وورد الإسلام
وآخروهم أبو ثامة ، وذلك أن العرب كانت اذا فرغت من الحج وأرادت

(١) في بعض النسخ : شحنة بن خلف .

(٢) » : أحج من غير أبي سيار .

(٣) » : مجرياً حماره .

(٤) » : القلس ؛ وفيها « ولده فيولع » .

الصدّر اجتمعت إليه ، فيقوم فيهم ، فيقول : اللهم إني قد أحللت أحد الصّفرَيْنِ الصّفر الأول ، وأنسأت الآخر للعام المقبل ، وظهر الإسلام وقد عادت الشهور الحرم الى بدئها على ما كانت عليه في أصلها ، وذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » وما ذكر عليه السلام في هذا الحديث الى آخره ، فأخبر الله عز وجل عنهم بذلك بقوله تعالى : (إنما النسيء زيادة في الكفر - الآية) وقد فخر بذلك عمير بن قيس بن جذل الطعان^(١) فقال :

ألسنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما ؟

وقد كان قصي بن كلاب بن مرة تزوج ابنة حليل ، وحليل هو أخز من ولي البيت من خزاعة ، وقد كان عمرو بن لحي - حين 'عمر' ما ذكرنا من السنين - مات وله من الولد وولد الولد ألف ، ولما حضرت حليلا الوفاة - وهو آخر من ولي البيت من خزاعة - وقد كان عمرو على ما ذكرنا جعل ولاية البيت الى ابنته زوج قصي بن كلاب ، فقيل له : إنها لا تقوم بفتح الباب وغلقه ، فجعل ولاية البيت إليها ، وفتح الباب وغلقه الى رجل من خزاعة يعرف بأبي غبشان الخزاعي ، فباعه أبو غبشان الى قصي ببيعير وزق خمر ، فأرسلت العرب ذلك مثلاً ، فقالت : « أخسر من صفقة أبي غبشان » وفي بيعه لولاية البيت ببيعير وزق من الخمر ونقله ولاية البيت من قومه من خزاعة الى قصي بن كلاب ، يقول الشاعر :

أبو غبشان أظلم من قصي وأظلم من بني فهر 'خزاعة'
فلا تلحوا قصيا في شرّاه ولوموا شيخكم إذ كان باعه

وقال في ذلك آخر :

(١) في نسخة : عمير بن قيس القرشي . وفي نسخة أخرى : عمرو بن قيس الفراسي .

إذا افتخرت خزاعة في قديم وجدنا فخرها شرب الخمر
وباعت كعبة الرحمن جهرأ بزق^(١) بش مفتخر الفجور^(٢)

وقد كانت ولاية البيت في خزاعة ثلاثمائة سنة ، واستقام أمر قصي ،
وعشر على من دخل مكة من غير قريش ، وبنى الكعبة ، ورتب قريشاً على
منازلها في النسب بمكة ، وبين الأبطحي ، وهم الأباطح ، وجعل الظاهري
ظاهرياً .

وقريش البطاح : هي قبائل عبد مناف ، وبني عبد الدار ، وبني عبد
العزى بن قصي ، وزهرة ، ونخزوم ، وتيم بن مرة ، وجُمَح ، وسهم ،
وعدي ، وهم لعقة الدم ، وبني عتيك بن عامر^(٣) بن لؤي .

وقريش الظواهر : بنو محارب و الحارث بن فهر ، وبني الأدرم بن غالب
ابن فهر ، وبني هصيص^(٤) بن عامر بن لؤي ، وفي ذلك يقول ذكوان مولى
عبد الدار للضحاك بن قيس الفهري :

تطاولت للضحاك حتى رددته إلى نسب في قومه متقاصر^(٥)
فلو شاهدتني من قريش عصابة قريش البطاح لا قريش الظواهر
ولكنهم غابوا وأصبحت شاهدا فقيحت من حامي دمار وقاصر^(٥)
[فريقان منهم ساكن بطن يثرب ومنهم فريق ساكن بالمشاعر]^(٦)

والأحلاف من قريش : بنو عبد الدار بن قصي ، وسهم ، وجُمَح ،
وعدي ، ونخزوم .

(١) في بعض النسخ : مفتخر الفجور .

(٢) » » : وبني حنبل بن عامر بن لؤي .

(٣) » » : وبني مبيص بن عامر بن لؤي .

(٤) » » : إلى حسب في قومه متقاصر .

(٥) » » : فقيحت من حامي ديار وقاصر .

(٦) لا يوجد هذا البيت في بعض النسخ .

الجزء الثاني : ذكر مكة وأخبارها ، وبناء البيت ٣٣

والمطيّبون : بنو عبد مناف ، وبنو أسد بن عبد العزّي ، وزُهرة ،
وتيم ، وبنو الحارث بن لؤي .

وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي في امرأة :

ولها في المطيبين جسدود ثم قالت ذوائب الأحلاف
إنها بين عامر بن لؤي حين تدعى وبين عبد مناف

وأخذت قريش الإيلاف من الملوك ، وتفسير ذلك الأمن ، وتقرّشت ،
والتقرش : الجمع ، ومنه قول ابن حِلْزَة اليشكري (١) :

إخوة قرّشوا الذنوب علينا في حديث من دهرنا وقديم

ورحلت (٢) قريش - حين أخذ لها الإيلاف من الملوك - إلى الشام والحبشة
واليمن والعراق ، وفي ذلك يقول مطّشروذ (٣) الحزاعي :

يا أيها الرجل المَحْصُول رَحْلُهُ هَلَّا تَزِلْتُ بِأَلْ عَبْدِ مَنْفَافٍ
الآخِذِينَ الْعَهْدَ مِنْ آفَاقِنَا وَالرَّاحِلِينَ بِرَحْلَةِ الْإِيلَافِ (٤)

ولقريش أخبار كثيرة ، وكذلك لجرهم ونَخَزَاعَةَ وغيرهما من معد ،
قد أثينا على جميعها فيما سلف من كتبنا ، وإنما نذكر في هذا الكتاب لما ،
تنبيهاً بها على ما سلف ، وسنورد عند ذكرنا تفرق الناس من بابل جملاً من
أخبار مكة وعبد المطلب والحبشة وغير ذلك مما لحق بهذا المعنى ، إن
شاء الله .

(١) في بعض النسخ : أبي خالد اليشكري . (٢) في بعض النسخ : مطرف الحزاعي .
(٣) » » : والمحدث قريش . (٤) » » : الآخذين العهد من آفاقها .

ذكر جوامع من الأخبار ، ووصف الأرض والبلدان وحنين النفوس للأوطان^(١)

عمر بن الخطاب يستوصف بقاع الأرض: ذكر ذوو الدراية^(٢) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الأرض - كتب إلى حكيم من حكماء العصر: إنا أناس^٣ عرب ، وقد فتح الله علينا البلاد ، ونريد أن نتبوأ الأرض ، ونسكن البلاد والأمصار ، فصيف^٤ في المدن وأهويتها ومساكنها ، وما تؤثره التربة والأهوية في سكانها .

تأثير البيئة الطبيعية : فكذب إليه ذلك الحكيم : اعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى قد قسم الأرض أقساماً : شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، فما تنهى في التشريق [ولَجَجَ في المطلع السانح منه النور]^(٣) فهو مكروه لاحتراقه وناريتة وحدته وإحراقه لمن دخل فيه ، وما تنهى مغرباً أيضاً أضر سكانه ؛ لموازاته ما أوغل في التشريق ، وهكذا ما تنهى في الشمال أضر ببرده وقره وثلوجه وآفاته الأجسام فأورثها الآلام ، وما اتصل بالجنوب وأوغل فيه أحرق بناريتة ما اتصل به من الحيوان ؛ ولذلك صار المسكون من الأرض جزءاً يسيراً : ناسب الاعتدال ، وأخذ بحظه من حسن القسمة ، ومأصف لك - يا أمير المؤمنين - القطع المسكونة من الأرض .

الشام : أما الشام فسحب وآكام ، وريح وغمام ، وغدق ركام ، ترطب

(٣) زيادة في إحدى النسخ .

(١) في بعض النسخ : إلى الأوطان .

(٢) » » : ذوو الرواية .

الأجسام ، وتبلى الأحلام ، وتصفي الألوان ، لاسيا أرض حِمْص فإنها تحسن
الجسم ، وتصفي اللون ، وتبلى الفهم ، وقنزع غوره ، وتجفي الطبع ،
وتذهب بلاء القريحة ، وتنصب العقول ، والشام - يا أمير المؤمنين ، وإن
كانت على ما وصفت لك - فهي مَسْرَحٌ خصب ، ووابل سكب ، كثرت
أشجاره ، واطَّردت أنهاره ، وغمرت أعشاره^(١) وبه منازل الأنبياء ،
والقدس المجتبى ، وفيه حل أشرف خلق الله تعالى من الصالحين والمتعبدين ،
وجباله مساكن المجتهدين والمنفردين .

مصر : وأما أرض مصر فأرض قَوْرٍ غَوْرَاء ، ديار الفراعنة ، ومنازل
الجبابرة ، تحمد بفضل نيلها ، وذمها أكثر من حمدها ، هواؤها راكد ،
وحرها زائد ، وشرها وارد^(٢) ، تكدر الألوان ، وتخبب الفِطَن وتكثر
الإحن ، وهي معدن الذهب والجوهر والزمرد والأموال ، ومغارس الغلات ،
غير أنها تسمن الأبدان^(٣) وتسود الأيثار ، وتنمو فيها الأعمار ، وفي أهلها
مكر ورياء ، وخبث ودهاء وخديعة ، إلا أنها بلد مكسب لا بلد مسكن ؛
لترادف قتنها ، واتصال شرورها .

اليمن : وأما اليمن فيضعف الأجسام ، ويذهب الأحلام^(٤) ، ويذهب
بالرطوبة ، في أهلها هم كبار ، ولهم أحساب وأخطار ، مغايضة خصبة ،
وأطرافه جَدْبَةٌ ، وفي هوائه انقلاب ، وفي سكانه اغتيال ، وبهم قطعة من
الحسن ، وشعبة من التشرّف^(٥) ، وفقرة من الفصاحة .

الحجاز : وأما الحجاز فحاجز بين الشام واليمن والتهائم ، هواؤه حرور ،
وليله بهُور^(٦) ، ينحف الأجسام ، ويحفف الأدمغة ، ويشجع القلوب ،
ويبسط الهمم^(٧) ، ويبعث على الإحن [وهو بلد محل قحط جَدْب ضنك .

- | | |
|-----------------------------------|-------------------------------------|
| (١) في بعض النسخ : وغمرت أعشاره . | (٥) في بعض النسخ : وشعبة من الرقة . |
| (٢) » » : وشرها بائد . | (٦) » » : وليله سهور . |
| (٣) » » : تسهل الأجسام . | (٧) » » : ويسقط الهمم . |
| (٤) » » : ويذهب الأحلام . | |

المغرب : وأما المغرب فَيَقْسِي القلب ، ويوحش الطبع ، ويطيش الشعب^(١) ، ويذهب بالرحمة ، ويكسب الشجاعة ، ويقشع الضراعة ، وفي أهله غدر ، ولهم خبث ومكر ، ديارهم مختلفة ، وهمهم غير مؤتلفة ، ولديارهم في آخر الزمان نبا عظيم ، وخطب جسيم : من أمر يظهر ، وأحوال تبهر .

العراق : وأما العراق فمزار الشرق ، وسرّة الأرض وقلبها ، إليه تحادرت المياه^(٢) ، وبه اتصلت النضارة ، وعنده وقف الاعتدال ، فصفت أمزجة أهله ، ولطفت أذهانهم ، واحتدت خواطرم ، واتصلت مسراتهم^(٣) ، فظهر منهم الدهاء ، وقويت عقولهم ، وثبتت بصائرهم ، وقلب الأرض العراق وهو المجتبي من قديم الزمان وهو مفتاح الشرق ، ومسلك النور ومسرح العينين ، ومدنه المدائن وما والاها ، ولأهله أعدل الألوان ، وأنقى الروائح ، وأفضل الأمزجة ، وأطوع القرائح ، وفيهم جوامع الفضائل ، وفوائد المبرات ، وفضائل كثيرة ؛ لصفاء جوهره ، وطيب نسيمه ، واعتدال تربته ، وإغداق الماء عليه ، ورفاهية العيش به .

الجبال : وأما الجبال فتخشن الأجسام وتغلظها ، وتبذل الأفهام وتقطعها ، وتفسد الأحلام ، وتبيت الهمم ؛ لما هي عليه من غلظ التربة ، ومتانة الهواء ، وتكاثفه ، واختلاف مهابه ، وسوء متصرفاته .

والأخلاق والصور - يا أمير المؤمنين - تناسب البلد وتحاذيه ، وتقاربه ، وتوافقه وتضاهيه ، وكل بلد اعتدل هواؤه ، وخف ماؤه ، ولطف غذاؤه - كانت صور أهله وخلاتهم تناسب البلد وتحاذيه ، وتشاكل ما عليه أركانه ، وما أسس عليه بنيانه وكل بلد يزول عن الاعتدال ، انتسب أهله الى سوء الحال .

(١) هذه الجمل منقطة من بعض النسخ . (٢) في بعض النسخ : وتصلبت مراثرهم .

(٣) في بعض النسخ : إليه تطاردت المياه .

خراسان : وأما خراسان فتكبر الهام ؛ وتعظم الأجسام ؛ وتلطف الأحلام ؛ ولأهلها عقول وهمم طامعة ؛ وفيهم غَوَصٌ وتفكير ؛ ورأي وتقدير^(١) .

فارس : وأما بلد فارس فخصب الفضاء ، رقيق الهواء ، متراكم الماء ، مُعْتَمِّمٌ بالأشجار كثير الثمار ، وفي أهله شج ، ولهم بخب ؛ وغرائزهم سيئة ؛ ومهمم دنيئة ، وفيهم مكر وخداع .

خوزستان : وأما بلاد خوزستان فهي كدرّة الأهواء ، تقسد الأحلام^(٢) ، وتبلك الأفهام وتخبط الهمم ، وتستأصل الكرم ، يساق أهله سوق الأنعام ، وهم الهمج الطغام .

الجزيرة : وأما أرض الجزيرة فتناسب البر بالهواء اللطيف ، وفيها خصب وسرّح ، ولأهلها بأس ومراس .

والبر - يا أمير المؤمنين - أفضل قطع الأرض وأسنأها ، وأشرفها واعلاها ، نحو الأنجاد والتهائم ؛ لحماية الهواء الأقداء عن سكانه ، ودفعه الآفات عن قطّانه ، وسماحة المشوّى ، وتهذيب الماء وصحة المتنسّم ، وارتفاع الأكدار ، وذهاب الأضرار .

واعلم - يا أمير المؤمنين - ان الله تبارك وتعالى قسم الارض أقساماً فضل بعضها على بعض ، فافضل اقسامها العراق ، فهو سيد الآفاق ، وقد سكنه أجيال وأمم ذوو كمال .

الهند والصين : وأما الهند والصين وبلاد الروم فلا حاجة بي الى وصفها لك ؛ لانها منازل شاسعة ، وبلدان فائية ، كافرة طاغية .

(١) في بعض النسخ: ورأي وتقدير . (٢) في بعض النسخ: وهي كور الأهواز فتفسد الأحلام .

وفي الذي ذكرته لك ما أشقى بك إلى ما شمرت إلى علمه^(١) ، وكل ما وصفته في هذه البلدان فهو الأعم من أمور أهلها ، والأغلب على أحوالهم ، فان وجدت فيهم احد بخلاف ذلك فهو النادر يا أمير المؤمنين ، والحكم في ذلك للأغلب

كعب الأحبار يصف لعمر العراق : قال المسعودي : وذكر جماعة من أهل العلم بالسير والأخبار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أراد الشغوص إلى العراق - حين بلغه ما عليه الأعاجم من الجمع ببلادهم^(٢) - سأل كعب الأحبار عن العراق ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله لما خلق الأشياء ألحق كل شيء بشيء ، فقال العقل : أنا لاحق بالعراق ، فقال العلم : وأنا معك ، فقال المال : وأنا لاحق بالشام ، فقالت الفتن : وأنا معك ، [فقال الحصب : وأنا لاحق بمصر ، فقال الذل : وأنا معك ، فقال الفقر : وأنا لاحق بالحجاز ، فقالت القناعة : وأنا معك]^(٣) ، فقال الشقاء^(٤) : وأنا لاحق بالبوادي ، فقالت الصحة : وأنا معك .

وصف اقليم بابل : قال المسعودي : وأوسط الأقاليم الاقليم الذي ولدنا به ، وان كانت الأيام أنات بيننا وبينه ، وساحقت مسافتنا عنه ، ولدت في قلوبنا الحنين إليه ، اذ كان وطننا ومسقطنا ، وهو اقليم بابل ، وقد كان هذا الاقليم عند ملوك الفرس جليلا ، وقدره عظيما ، وكانت عنايته اليهم ، وكانوا يشتون بالعراق ، وأكثرهم يصيفون بالجبال ، وينتقلون في الفصول [إلى الصرود من الأرض والحرور]^(٥) ، وقد كانت أهل المروءات في الاسلام كأبي دلف القاسم بن عيسى^(٦) العجلي وغيره يشتون في الحرور^(٦) ، وهو العراق ،

(١) في بعض النسخ : إلى . سموت إلى علمه . (٤) في بعض النسخ : فقال الشقاء .

(٢) » » : ببلاذ نهاوند . (٥) » » : القاسم بن علي .

(٣) هذه الجمل سقطت من بعض النسخ . (٦) » » : في الجرود وهي العراق

ويصيفون في الصرود ، وهي الجبال ، وفي ذلك يقول أبو دلف :
وإني امرؤ كشرّويّ الفعّال أصيفُ الجبالَ وأشتتو العراقا

وذلك لما خص به هذا الاقليم من كثرة مرافقه ، واعتدال أرضه ،
وغضارة عيشه ، ومادة الوافدين اليه ، وهما دجلة والفرات ، وعموم الأمن
فيه ، وبُعد الخوف عنه ^(١) ، وتوسطه الأقاليم السبعة ، وقد كانت الأوائل
تشبهه من العالم بالقلب من الجسد ؛ لأن أرضه من اقليم بابل الذي تشعبت
الآراء عن أهله بحكمة الأمور كما يقع ذلك عن القلب ^(٢) ، وبذلك اعتدلت
ألوان أهله واقتدرت أجسامهم ، فسلموا من شقرة الروم والصقالبة ، وسواد
الحبشة ، وغلظ البربر ، ومن جفا من الأمم ، واجتمعت فيهم محاسن جميع
الاقطار ، وكما اعتدلوا في الجليّة ، كذلك لطفوا في الفطنة ، والتمسك
بمحاسن الأمور ، واشرف هذا الاقليم مدينة السلام ، ويعز عليّ ما أصارتني
اليه الأقدار من فراق هذا المصر الذي عن بقعته فصلنا ، وفي قاعته
تجمعنا ^(٣) ، لكنه الزمن الذي من شيعته التشتيت ، والدمر الذي من شروطه
الإبادة] ولقد أحسن أبو دلف العجلي حيث يقول :

أيا نكبة الدهر التي طوّحت بنا أيادي سبّا في شرايقها والمغارب
قفي بالتي نهوى فقد طرّرت بالتي اليها تناهت راجعات المصائب ^(٤)

الحنين الى الاوطان والاخوان : وقد ذكر الحكماء - فيما خرجنا اليه
من هذا المعنى - أن من علامة وفاء المرء ودوام عهده حنينه الى اخوانه ،
وشوقه الى اوطانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه ، وان من علامة الرشد
ان تكون النفوس الى مولدها مشتاقة ، والى مسقط رأسها تواقفة ، وللالف

(١) في نسخة : وبعد الأشرار عنه . (٢) في نسخة : وفي قاعه نجمنا .
(٣) » : التي كشفت الآراء من (٤) ما بين المعقوفين ماقط من بعض النسخ .
أهله بحكمة الأمور كما يرتفع ذلك عن القلب .

والعادة قطع الرجل نفسه لصلة وطنه .

وقال ابن الزبير : ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم ،
وقال بعض حكماء العرب : عمر الله البلدان بحب الاوطان ، وقالت الهند :
حرمة بلدك عليك كحرمة والديك ؛ لان غذاءك منها ، وغذاءها منه ،
وقال آخر : أولى البلدان بصياتك بلد رضعت ماءه ، وطعمت غذاءه ،
وقال آخر : ميلك الى موضع مولدك من كرم محنتك ؛ وقال بقراط :
يداوى كل عليل بمعايير أرضه ؛ فان الطبيعة تتطلع الى هوائها ، وتنزع الى
غذائها ، وقال أفلاطون : غذاء الطبيعة من انفع أدويتها ، وقال جالينوس :
يتروح العليل بنسيم أرضه ، كما تنبت الحبة ببطل الأرض^(١) .

والنفوس في علة حنينها الى الاوطان كلام ليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه
في كتابنا المترجم بـ « سر الحياة » وفي كتاب « طب النفوس » .

فصل علم الأخبار : ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر لبطل أول العلم ،
وضاع آخره ؛ إذ كان كل علم من الأخبار يستخرج [وكل حكمة منها
تستنبط^(٢)] والفقه منها يستثار^(٣) ، والفصاحة منها تستفاد ، وأصحاب
القياس عليها يبنون ، وأهل المقالات بها يحتجرون ومعرفة الناس منها تؤخذ ،
وأمثال الحكماء فيها توجد ، ومكارم الاخلاق ومعاليها منها تقتبس ، وآداب
سياسة الملك والحزم^(٤) منها تلتبس ، وكل غريبة منها تعرف ، وكل عجيبة منها
تستطرف ، وهو علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل ، ويستعذب موقعه
الاحق والعاقل ، ويأنس بمكانه وينزع اليه الخاصي والعامي ، ويميل الى
رواياته^(٥) العربي والمعجمي .

(١) في نسخة : كما تثوب الجنة ببيل القطر . (٢) في نسخة : سياسة الملك والحرب .

(٣) زيادة في بعض النسخ .

(٤) في نسخة : يستثار .

(٥) » » : ويميل الى روايته .

فصل الكتاب : وبمعد ؛ فإنه يوصل به كل كلام ، ويتزين به في كل مقام ، ويتجمل به في كل مشهد ، ويحتاج اليه في كل محفل ، ففضيلة علم الاخبار بينة على كل علم ، وشرف منزلته صحيح في كل فهم ، فلا يصبر على فهمه وثيقن ما فيه ، وإيراده واصداره الا انسان قد تجرد له ، وفهم معناه ، وذاق ثمرته ، واستسفر من غرره ^(١) ، وقال من سروره ، وقد قالت الحكماء : الكتاب نعم الجليس ، ونعم الدخر ^(٢) ، ان شئت ألهتك نوادره ، وأضحكتك بوادره ، وإن شئت أشجعتك مواعظه ، وان شئت تعجبت من غرائب فوائده ، وهو يجمع لك الاول والآخر والغائب والحاضر والناقص والوافر والشاهد والغائب والبادي والحاضر ، والشكل وخلافه ، والجنس ^(٣) وضده ، وهو ميت ينطق عن الموتى ، ويترجم عن الأحياء ، وهو مؤنس ينشط بنشاطك ، وينام بنومك ، ولا ينطق معك الا بما تهوى ، ولا ندلم جارا أبر ، ولا خليطا أنصف ، ولا رفيقا ، ولا معلما أخضع ^(٤) ، ولا صاحباً أظهر كفاية ، وأقل خيالته ^(٥) ، ولا ~~أعدي~~ ^(٦) نقماً ، ولا أحدا أخلاقاً ، ولا أقل خيلاً ، ولا أهدم سروراً ، ولا أسكت هبة ، ولا أحسن موافاة ^(٧) ، ولا أعجل مكافاة ، ولا أنقص مينة منه ، ان نظرت اليه اطلال إمتاعك ، وشعد طباعك ؛ وأيد فهمك ، وأكل ~~فكلك~~ ، وتعرف منه في شهر ، ما لا تأخذه من افواه الرجال في دهر ، وينيك عن كد الطلب ؛ وعن الخضوع لمن أنت أثبت منه أصلاً ، وأسمع فرعاً ^(٨) ، وهو المعلم الذي لا يحفوك ، وإن قطعت عنه المائدة ، لم يقطع عنك الفائدة ، وهو الذي يطبعك بالليل طاعته لك بالنهار ، ويطبعك في السفر كطاعته لك في الحضر . وقد قال

(١) في نسخة : واستسفر من غره .
(٢) » : نعم الجليس والمعدة .
(٣) » : والجنس وضده .
(٤) » : ولا معلما أجمع .
(٥) في نسخة : ولا أقل جناية .
(٦) » : ولا أبدى نقماً .
(٧) » : ولا أحسن موافاة .
(٨) » : وأسمع فرعاً .

الله تبارك وتعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ،
اقرأ وربك الاكرم ، الذي علّم بالقلم ، علّم الانسان ما لم يعلم) فوصف
عن نفسه أنه علم بالقلم ، كإخباره عن نفسه بالكرم ، وفي ذلك يقول بعض
أهل الأدب :

لَمَّا عَلِمْتُ بِأَنِّي لَسْتُ أَعْجِزُهُمْ فَوْتًا وَلَا هَرَبًا قَدِمْتُ أُحْتَجِبُ
فَصُرْتُ بِالْبَيْتِ مَسْرُورًا بِهِ جَذَلًا حَاوِي الْبَرَاءَةَ ، لَا شَكْوَى وَلَا شُغْبُ
فَرَدًّا يَحْدِثُنِي حَقًّا وَيَنْطِقُ لِي عَنْ عِلْمٍ مَا غَابَ عَنِّي مِنْهُمْ الْكُتُبُ
الْمُؤَنَسُونَ لَهُمُ اللَّائِي عُنَيْتُ بِهِمْ فَلَيْسَ لِي فِي جَلِيسٍ غَيْرِهِمْ أَرْبُ
لَهُ دَرُّ جَلِيسِي لَا جَلِيسَهُمْ فَنَذَا عَشِيرَهُمْ لِلْسُّوءِ يَرْتَقِبُ

وقد كان عبدالله بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب لا يجالس
الناس ، وتزل مقبرة ، وكان لا يرى الا وفي يده كتاب يقرؤه ، فسئل عن
ذلك ، فقال : لم أرَ واعظاً أوعظ من قبر ، ولا ممتعاً أمتع من كتاب ،
ولا شيئاً أسلم من الوحدة ، فقبل له : قد جاء في الوحدة ما جاء ؛ فقال : ما
أفسدها للجاهل ، وقد قال بعض الشعراء فيمن يجمع الكتب ولا يعلم
ما فيها :

زَوَامِلُ لِلْأَسْفَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ يَحْيِيْدُهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ
لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْبَعِيرُ إِذَا غَدَا بِأَحْمَالِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الْفَرَائِرِ^(١)

(١) في نسخة : بأوساقه ، أو راح ، ما في الفرائر .

ذكر تنازع الناس

في المعنى الذي من أجله سمي اليمن يمنا ، والعراق عراقا
والشام شاماً ، والحجاز حجازاً

تنازع الناس في اليمن وتسميته ؛ فمنهم من زعم أنه إنما سمي يمنا لأنه عن
يمين الكعبة وهو التيمن وسمي الشام شاماً لأنه عن شمال الكعبة ، وسمي
الحجاز حجازاً لأنه حاجز بين اليمن والشام ، نحو ما أخبر الله عز وجل عن
البرزخ^(١) الذي بين بحر القلزم وبحر الروم بقوله عز وجل : (وَجَعَلَ بَيْنَ
الْبَحْرَيْنِ حَاِجِزًا) وإنما سمي العراق عراقاً لمصب المياه إليه كالدجلة والفرات
وغيرهما من الأنهار ، وأظنه مأخوذاً من عراقى الدلو وعراقى القرية .

ومنهم من زعم أن اليمن إنما سمي يمناً ليمنه ، والشام شاماً لشؤمه ،
وهذا قول يعزى إلى قطرب النحوي في آخرين من الناس .

ومنهم من رأى أنه إنما سمي اليمن يمناً لأن الناس حين تفرقت لغاتهم
ببابل كيامن بعضهم بين الشمس وهو اليمن ، وبعضهم تشاءم فوسم له هذا
الاسم ، وسندكر تفرق هذه القبائل من أرض بابل بعد هذا الموضع ، وبعض
ما قالوه في ذلك من الشعر ، عند مسيرهم في الأرض واختيارهم البقاع .

وقيل : إنما سمي الشام شاماً لشأمت في أرضه بيض وسود ، وذلك في
الترب والبقاع والحجر وأنواع النبات والأشجار ، وهذا قول الكلبي .

وقال الشرقي بن القطامي إنما سمي الشام شاماً بسام بن نوح ؛ لأنه أول

(١) في نسخة : عن الفرق الذي بين - للنخ .

من نزله وقطن فيه ، فلما سكنته العرب تطيرت من أن تقول سام ،
فقلت : سام .

وقيل : ان سامرا انما سميت بذلك إضافة الى سام .

وقيل : ان اول من سكنها من خلفاء بني العباس سماها بهذا الاسم ،
وانها سرور لمن رآها .

وقد ذكر في أسماء هذه المعقل والبقاع والأمصار وجوه غير ما ذكرنا
قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا .

ذكر اليمن

وأنسابها ، وما قاله الناس في ذلك

اختلف الناس في أنساب قحطان ؛ فحكى هشام بن الكلبي عن أبيه
والشرقي بن القطامي أنها كانا يذهبان الى ان قحطان بن الهيمس بن نبت -
وهو ثابت - بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل ، ويحتجسان لذلك بوجوه من
الانخبار : منها ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ما رواه هشام
عن أبيه عن ابن عباس ، ورواه الهيثم عن الكلبي عن أبي صالح أن النبي
صلى الله عليه وسلم مر على فتية من الأنصار يتناضلون ، فقال : « ارْمُوا
يا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً » ، ارْمُوا وأنا مع ابن الأدرع ، رجل من
خزاعة ، فرمى القوم نبأهم^(١) ، وقالوا يا رسول الله ، من كنت معه فقد
نضلك ! فقال « ارْمُوا وأنا معكم جميعاً » .

قال المسعودي : وسائر ولد قحطان من حمير وكهلان يأبى هذا القول
وينكره وقد ثبت ان قحطان هو يقطن^(٢) ، وإنما عُربَ ف قيل له : قحطان .

(١) في نسخة : فألقى القوم نبأهم .

(٢) في نسخة : وتذهب طائفة منهم في أنسابها وما انضج من أحسابها أن قحطان هو يقطن .

وحكى ابن الكلبي : ان اسم يقطن في التوراة الجبار بن عابر بن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح ، والواضح من أنساب اليمن ، وما تدين به كهلان وحير ابنا قحطان الى هذا الوقت قولاً وعملاً ، وينقله الباقي عن الماضي والصغير عن الكبير والذي وجدت عليه التواريخ القديمة للعرب وغيرها من الامم ، وعليه وجدت الاكثر من شيوخ ولد قحطان من حمير وكهلان بأرض اليمن والتهائم والانجاد وبلاد حضرموت والشحر والاحقاف وبلاد عمان وغيرها من الامصار أن الصحيح في نسب قحطان أنه قحطان بن عابر ابن شالخ [بن سالم ^(١)] - وهو قينان - بن إرفخشذ بن سام بن نوح ، وقد كان لعابر ثلاثة أولاد : فالخ ، وقحطان ، وملكان ، والحضر عليه السلام من ولد ملكان في قول كثير من الناس ، وولد لقحطان أحد وثلاثون ذكراً ، وأمه حني ^(٢) بنت روق بن فزارة بن منقذ ^(٣) بن سويد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، فولد قحطان يعرب بن قحطان وولد يعرب يشجب ، وولد يشجب ولدين : أحدهما عبد شمس - وهو سبأ بن يشجب - وإنما سمي سبأ لسببه السبايا ، فولد سبأ حمير وكهلان ابني سبأ ، والثاني لم يعقب ، وإنما العقب من ولد هذين - وهما حمير وكهلان - فهذا المتفق عليه عند أهل الخبرة بها ، والمتيقن لدها .

وكان الهيثم بن عدي الطائي ينكر أيضاً أن يكون قحطان من ولد اسماعيل ، وإنما اسماعيل تكلم بلغة جرهم ؛ لأن اسماعيل كان سرياني اللسان على لغة أبيه خليل الرحمن حين أسكنه هو وأمه هاجر بمكة على ما ذكرناه ، فصاهر جرهم ، ونشأ على لغتها ، ونطق بكلامها ^(٤) ، وقفنا في مراده خطابها .

(١) سقط هذا الاسم من إحدى النسخ . (٢) وفي نسخة : فزارة بن سعد .

(٣) في نسخة : حني . (٤) » » : وأعرب بكلامها .

وتزار تأبى ان يكون اسماعيل نشأ على لغة جرهم ، ويقولون : ان الله عز وجل أعطاه هذه اللغة ، وذلك أن ابراهيم خلفه هو وأمه هاجر ، واسماعيل ابن ست عشرة سنة ، وقيل : ابن أربع عشرة سنة ، في وادٍ غير ذي زرع ، ولا أنيس ، فحفظها الله تعالى ، وأنبع لها زمزم ، وعَلِمَ اسماعيل هذه اللغة العربية .

قالوا : ولغة جرهم غير هذه اللغة ، ووجدنا لغة ولد قحطان بخلاف لغة ولد نزار بن معد ، فهذا يقضي بإبطال قول من قال : ان اسماعيل أعرب^(١) بلغة جرهم ولو وجب ان يكون اسماعيل انما كان عربي اللسان لأجل جرهم ونشأته فيها لوجب ان تكون لغته موافقة للغة جرهم ، أو لغيرها ممن نزل مكة ، وقد وجدنا قحطان سرياني اللسان ، وولده يعرب بخلاف لسانه ، وليس منزلة يعرب عند الله أعلى من منزلة اسماعيل ، ولا منزلة قحطان أعلى من منزلة ابراهيم خليل الرحمن فيمنع اسماعيل فضيلة اللسان العربي التي أعطيها يعرب بن قحطان .

ولولد نزار وولد قحطان خطب طويل ومناظرات كثيرة لا يأتي عليها كتابنا هذا ، في التنازع والتفاخر بالأنبياء والملوك ، وغير ذلك مما قد أقمنا على ذكره من حجاجهم وما أدلى به كل فريق منهم من سلف وخلف ، وكذلك مناظرات السودان والبيضان والعرب والمعجم ومناظرات الشعوبية في كتابنا « أخبار الزمان » .

وزعم الهيثم بن عدي أن جرهم بن عابر بن سبأ بن يقطن هو قحطان ، وتأول الهيثم قول النبي صلى الله عليه وسلم - حين قال للرماة من الأنصار : « ارمؤا يا بني اسماعيل » - أنه عليه السلام نسبهم الى اسماعيل من جهة

(١) في نسخة : أعرف بلغة جرهم .

الأمهات ، وما نالهم من الولادات^(١) من ولد إسماعيل ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزيل نسباً قد ثبت ، ولا يثبت نسب قوم إلى غير آبائهم ، وقد نقلوا ذلك قولاً وعملاً ، وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أن سائلاً سأله من مرآد عن سبب : أرجلاً كان أو امرأة ثور وادياً أو جبلاً ؟ فقال له : « كان رجلاً ، ولد له عشرة فتشام أربعة وتيامن ستة ؛ فالذين تشاموا لحمهم وجذام وعاملة وغسان ، والذين تيامنوا حمير والأزد ومذحج وكنانة والاشعريون وأنمار الذين هم بحيلة وخشم » .

وقال أبو المنذر^(٢) هو أنمار بن إياد^(٣) بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

قال المسعودي : وقد تنوزع في نسب أنمار ؛ فذهب الأكثر إلى أن أنماراً وإياداً وربيعاً ومضر بنو تزار بن معد بن عدنان ، وأنما دخلوا في اليمن فأضيفوا إليهم ، وما ذكرناه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن تيامن وتشام فمن أخبار الآحاد وليس بحجة مجية الاستفاضة التي يقطع بها العذر^(٤) ويثبت بها الحكم .

وللناس في هؤلاء كلام كثير ، وقد ذكر هشام عن أبيه الكلبي قال : كان يقال لسائر ولد سبأ السبثيون ، ولم تكن لهم قبائل تجمعهم دون سبأ .

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر عمرو بن عامر مزريقيا ، وخبر طريفة الكاهنة ، وخبر عمران الكاهن ، وهو أخو عمرو بن عامر ، وأخبار العرم والسيل وما كان من كهانتها في أمر السد وسيل العرم ، وتفرق القبائل من مأرب ، ومن لحق بعمان وشنوءة والشرارة^(٥) والشام وغير ذلك من بقاع الأرض .

(٤) وفي نسخة : التي يقطع بها العدد .

(٥) « » : الشرارة .

(١) وفي نسخة : نالهم من الولايات .

(٢) « » : ابن المنذر .

(٣) « » : أنمار بن إياد .

ذكر اليمن وملوكتها ، ومقدار سنيها

سبأ : أول من يُعَد من ملوك اليمن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، واسمه عبد شمس ، وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا لأية علة سمي سبأ على ما قيل ، والله أعلم ، وكان ملكه أربعمائة سنة وأربعاً وثمانين سنة .

حمير : ثم ملك بعده ولده حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب وكان أشجع الناس في وقته ، وأفرسهم ، وأكثرهم جلالاً ، وكان ملكه خمسين سنة ، وقيل : أكثر من ذلك ، وقيل : أقل [وكان يعرف بالمتوج]^(١) وكان أول من وضع على رأسه تاج الذهب من ملوك اليمن .

كهلان : ثم ملك بعده أخوه كهلان بن سبأ ، فطال عمره ، وكبر سنه ، واستقامت له الأمور ، وكان ملكه ثلاثمائة سنة ، وقيل : غير ذلك^(٢) .

ثم عاد الملك بعد ان هلك كهلان الى ولد حمير ؛ لاخبار يطول ذكرها ، وتنازع في الملك [بين]^(٣) ولد حمير وكهلان .

عمرو بن سبأ : ثم ملك أبو مالك عمرو بن سبأ^(٤) ، واتصل ملكه ، وغمر الناس عدله^(٥) ، وشملهم احسانه ، وكان ملكه ثلاثمائة سنة .

وقيل : ان أول من ملك بعد كهلان الرائش ، وهو الحارث بن شداد^(٥)

(١) زيادة في نسخة . (٤) في نسخة: وعم الناس عدله .

(٢) في نسخة : وقيل : أقل من ذلك . (٥) » : الحارث بن ذي سدد .

(٣) » : أبو مالك بن عسكر بن سبأ .

ثم ملك جبار بن غالب [بن زيد بن كهلان ، فكان ملكه عشرين ومائة سنة .
ثم ملك بعده الحارث بن مالك ^(١) بن افرئس بن صيفي بن يشجب
ابن سبأ ، وكان ملكه مائة سنة ونحو أربعين سنة ، وقيل : ان هذا الملك
هو أبو أبرهة بن الرائش المعروف بندي المنار .

جماعة من ملوك اليمن : ثم ملك بعده الرائش بن شداد بن ملظاظ ^(٢) ،
وكان ملكه مائة وخمسا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده أبرهة بن الرائش ، وهو ذو المنار وكان ملكه مائة وثمانين
سنة .

[ثم ملك بعده افرئس بن أبرهة ، فكان ملكه مائة وأربعا وستين
سنة ^(٣)]

ثم ملك بعده أخوه العبد بن أبرهة ^(٤) ، وهو ذو الأذعار ، وكان ملكه
خمسا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الرائش ، وقد تنوزع في مقدار
ملكه : فمنهم من رأى أنه عاش عشر سنين ، ومنهم من ذكر سبعا ، ومنهم
من قال ستا .

ثم ملك تبع الاول وكان ملكه أربعمائة سنة ، وذكر كثير من الناس
أن بلقيس قتلتها ، وقيل : غير ذلك ، والأشهر ما قدمنا .

ثم ملكت بعده بلقيس بنت الهدهاد ، وكان لمولدها خبر ظريف ذكرته
الرواة فيما روي أنه تصور لأبيها في بعض قنصه حبيبتان سوداء وبياض ،
فأمر بقتل السوداء منها ، وما ظهر له بعد ذلك من شيخ وشاب من الجن ،

(١) زيادة في نسخة .

(٢) زيادة في إحدى النسخ .

(٣) وفي نسخة : ملظاظ .

(٤) وفي نسخة : المعبد بن أبرهة .

وأن الشيخ زوجه بابتته ، واشترط عليه شروطاً لها ، فعلقت منه ببليقيس ، ونقض تلك الشروط المأخوذة عليه لها ، فغابت عنه ، في خبر ظريف ، وهو موجود في كتاب أخبار التبابعة .

وإنما نحكي هذه الأخبار على حسب ما وجدناه في كتب الاخباريين وعلى حسب ما توجبه الشريعة والتسليم لها ، وليس قصدنا ^(١) من ذلك وصف أقاويل أصحاب القدم ؛ لأنهم ينكرون هذا ويمنعونه ، وإنما نحكي في هذا الكتاب أقاويل أصحاب الحديث المنقادين للشرع والمسلمين للحق ، وأخبار الشياطين ^(٢) على حسب ما نطق به الكتاب المنزل على النبي المرسل ، وما قارن ذلك من الدلائل الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وإعجاز الخليفة أن يأتوا بمثل هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وكان ملك بلقيس عشرين ومائة سنة ، وكان من أمرها مع سليمان عليه السلام ما ذكر الله عز وجل في كتابه ، وما اقتص من خير الهدهد ، وما اقتص من أمرها ، فملك سليمان اليمن ثلاثاً وعشرين سنة .

بقية ملوك اليمن : ثم عاد بعد ذلك الملك إلى حمير ؛ فملكهم ناسراً النعم ابن عمرو بن يعفر ^(٣) ، وكان ملكه خمساً وثلاثين سنة .

[ثم ملك بعده شعر بن إفریقس بن أبرهة ، فكان ملكه ثلاثاً وخمسين سنة . ثم ملك بعده تبجع الأقرون بن شمر ، فكان ملكه مائة وثلاثاً وستين سنة] ^(٤)

ثم ملك بعده كليكوب بن تبع ^(٥) وكان ملكه مائة سنة ^(٦) وعشرين سنة .

(١) وفي نسخة : وليس وصفنا في ذلك . (٤) ما بين المعقوفين ساقط من إحدى النسخ .

(٢) » » : والمسلمين للجن ولأخبار الشياطين . (٥) وفي نسخة : ملكيكراب .

(٣) » » : ياسر بن عبد بن يعفر . (٦) » » : ثلاثاً وعشرين سنة .

وسَّيرَ^(١) قومه نحو الشرق من بلاد خراسان والتبت والصين وسجستان .
ثم ملك بعده حسان بن تبع ، فاستقام له الأمر ، ثم وقع بعد ذلك في
ملكه تنازع وخلاف ، وكان ملكه إلى ان قتل خمساً وعشرين سنة .
ثم ملك بعده عمرو بن تبع ، وهو القاتل لأخيه حسان الملك الماضي ،
وكان ملكه أربعاً وستين سنة ، ويقال : إنه عدم النوم لما كان من فعله من
قتل أخيه .

ثم ملك بعده تبسع بن حسان بن كليكرب^(٢) ، وهو الملك السائر من
اليمن إلى الحجاز^(٣) ، وكانت له مع الأوس والخزرج حروب ، وأراد هدم
الكعبة فمنعه من^(٤) كان معه^(٥) من أحبار اليهود ، فكساها القصب اليماني ،
وسار نحو اليمن وقد تهود وغلبت على اليمن اليهودية ، ورجعوا عن عبادة
الاصنام وكان ملكه نحو مائة سنة .

ثم ملك عمرو بن تبع بعد تفرق وتنازع كان بينهم في الملك ثم خلع عن
الملك وملكوا عليهم مرثد بن عبد كلال ، وكان في اليمن تنازع وحروب ،
وكان ملكه أربعين سنة .

ثم ملك بعده وليعة بن مرثد^(٦) ، وكان ملكه تسعاً وثلاثين سنة .
ثم ملك بعده أبرهة بن الصباح بن وليعة بن مرثد ، وهو الذي يدعى شيبه
الحمد^(٧) ، وكان ملكه ثلاثاً وتسعين سنة ، وقيل : أقل من ذلك ، وكانت
علامة وله سير مُدَوَّنة .

ثم ملك بعده عمرو بن ذي قيفان^(٨) ، وكان ملكه سبع عشرة سنة^(٩) .
ثم ملك بعده ذو شناتر^(١٠) ، ولم يكن من أهل بيت الملك ، فغرى

(١) وفي نسخة : وسكن قومه - الخ . (٢) وفي نسخة : وهو الذي يدعى شيبه الخير .
(٣) » » : تبسع بن حسان أبو كرب . (٤) » » : بن ذي قيفان .
(٥) » » : من اليمن إلى يثرب . (٦) » » : تسع عشرة سنة .
(٧) » » : من كان بها من أحبار اليهود . (٨) » » : ثم ملك الحنيفة ذو شناتر .
(٩) » » : وكيع بن مرثد .

بالأحداث من أبناء الملوك ، وطالبهم بما تطالب به النسوان ، وأظهر الفسق باليمن واللواط ، وعدل مع ذلك في الرعية . وأنصف المظلوم ، وكان ملكه ثلاثين سنة ، وقيل : تسعاً وعشرين سنة ، وقتله يوسف ذو نواس ، وكان من أبناء الملوك ، خوفاً على نفسه ، وأنفة أن يفسق به .

ثم ملك بعده يوسف ذو نواس بن زرعة بن تبع الأصغر بن حسان بن كليكرب ، وقد ذكرنا خبره في غير هذا الموضع من كتبنا ^(١) ، وما كان من أمره مع أصحاب الأخدود ، وتحريقه إياهم بالنار ، وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم في كتابه فقال : (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود) وإليه عبرت الحبشة من بلاد ناصع والزيلع ، وهو ساحل الحبشة على حسب ما ذكرنا ، إلى بلاد غلافقة من ساحل زبيد من أرض اليمن ، ففرق يوسف نفسه بعد حروب طويلة خوفاً من العار ، وكان ملكه مائتي سنة وستين سنة ، وقيل أقل من ذلك ، وذلك أن النجاشي ملك الحبشة لما بلغه فعل ذي نواس بأتباع المسيح عليه السلام ، وما يعذبهم به من أنواع العذاب والتحريق بالنار بعث إليه الحبشة وعليهم أرباط بن أصحمة ^(٢) فملك اليمن عشرين سنة ، ثم وثب عليه أبرهة الأشرم أبو يكسوم ^(٣) فقتله وملك اليمن ، فلما بلغ ذلك من فعله إلى النجاشي غضب عليه ، وحلف بالمسيح أن يحجز ناصيته ، ويريق دمه ، ويطأ تربته - يعني أرض اليمن - فبلغ ذلك أبرهة فججز ناصيته وجعلها في حق من العاج ، وجعل من دمه في قارورة ، وجعل من تراب اليمن في جراب ، وأنفذ ذلك إلى النجاشي ملك الحبشة ، وضم إلى ذلك هدايا كثيرة وألطافاً ، وكتب إليه يعترف بالعبودية ، ويحلف له بدين النصرانية أنه في طاعته ، وأنه بلغه أن الملك حلف بالمسيح أن يحجز ناصيته ويريق دمه ويطأ

(١) وفي نسخة: من كتابنا . (٢) وفي نسخة: أبرهة الأشرم بن يكسوم .

(٢) » » : فعبّر بالحبشة إليه وعليهم أرباط بن أصحمة .

أرضه ، وقد أنفذت إلى الملك ناصيتي فليجزها بيده ، وبدمي في قـارورة فليهرقه ، ويحrab من تربة بلادي فليطأه بقدميه ، وليطفئ الملك عني غضبه فقد أبررت يمينه ، وهو على سرير ملكه ، فلما وصل ذلك إلى النجاشي استصوب رأيه ، واستحسن عقله ، وصفح عنه ، وكان ذلك في ملك قباد ملك فارس .

وأبرهة أبو يكسوم ^(١) هو الذي سار بأصحاب الفيل إلى مكة لإخراب الكعبة ، وذلك لأربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان ، فعدل إلى الطائف فبعثت معه ثقيف بأبي رغال ليده على الطريق السهل إلى مكة ، فهلك أبو رغال في الطريق بموضع يقال له المغمس بين الطائف ومكة ، فرُجم قبره بعد ذلك ، والعرب تتمثل بذلك ، وفي ذلك يقول جرير بن الحنظلي في الفرزدق :

إذا مات الفرزدق فارُجموه كما خرّمون قبرَ أبي رغال

قال المسعودي رحمه الله : وقيل : إن أبا رغال وجهه صالح النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات الأموال ، فغالف أمره ، وأساء السيرة ؛ فوثب عليه ثقيف - وهو قسّي بن منبه - فقتله قتلة شنيعة لسوء سيرته في أهل الحرم ؛ فقال غيلان بن سلمة ^(٢) وذكر قسوة أبيهم ثقيف على أبي رغال : نحن قسيّ وقسا أبونا ؛ وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت الثقيفي :

نَقَوْنَا عَنْ أَرْضِهِمْ عَدَنَ طَرًّا وَكَانُوا لِلْقَبَائِلِ قَاهِرِينَ

وَهُمْ قَتَلُوا الرَّئِيسَ أَبَا رُغَالٍ بِمَكَّةِ إِذْ يَسُوقُ بِهَا الْوَضِيئَا

وفي ذلك عمرو بن دراك العبدي :

(١) وفي نسخة : أبرهة الأشرم بن يكسوم . (٢) وفي نسخة : غيلان بن سلمة .

تراني إن قطعت جبال قيس^(١) وخالفت^(٢) المُرُورَ على تميم^(٣)
لأعظم^(٤) فجبرة^(٥) من أبي رغال^(٦) وأجور^(٧) في الحكومة^(٨) من سدوم^(٩)
وقال مسكين الدارمي :

وأرجم^(١٠) قبره^(١١) في كل عام^(١٢) كرجم^(١٣) الناس قبر^(١٤) أبي رغال^(١٥)
وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب قصة الحبشة وورودهم الحرم وما كان
من أمرهم في ذلك .

قبر العبادي : قال : وفي طريق العراق الى مكة - وذلك بين الثعلبية
والهبير^(١٦) نحو البطان - موضع يعرف بقبر العبادي ، ترجمه المارة الى هذه
الغاية كما ترجم قبر أبي رغال ، وللعبادي خبر ظريف قد أتينا على ذكره
في كتاب « أخبار الزمان » ، وفي كتاب « حقائق الأذهان » ، وفي أخبار
أهل البيت رضي الله عنهم .

فكان ملك أبرهة على اليمن إلى أن هلك بعد أن رجع من الحرم وقد سقطت
أنامله وتقطعت أوصاله حين بعث الله عليه الطير الأبابيل ثلاثاً وأربعين سنة .
وكان قدوم أصحاب الفيل مكة يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من
المحرم سنة ثمانمائة واثنين وثلاثين^(١٧) سنة للاسكندر وست عشرة سنة ومائتين
من تاريخ العرب الذي أوله حجة الغدر^(١٨) .

وسنذكر بعد هذا في الموضع المستحق له من هذا الكتاب جملاً من تاريخ

(١) وفي نسخة : ان قطعت جبال قيس .
(٢) » » : لأعظم من فخار أبي رغال .
(٣) » » : بين الثعلبية والهند نحو النظامية ، ووقع في نسخة أخرى : نحو
البطانية ، والبطان بكسر أوله - منزل بطريق الكوفة من جهة مكة دون الثعلبية .
(٤) وفي نسخة : سنة ثمانمائة واثنين وثلاثين للاسكندر .
(٥) وفي نسخة : حجة العدد ، وفي نسخة أخرى : العذر .

العالم وتاريخ الأنبياء والملوك ، في باب نفرد له لذلك إن شاء الله تعالى .
ثم ملك اليمن بعد أبرهة الأشرم ولده يكسوم ، فعم أذاه سائر اليمن ،
وكان ملكه إلى ان هلك عشرين سنة .

مسروق بن أبرهة : ثم ملك بعده مسروق بن أبرهة ، فاشتدت وطأته
على اليمن ، وعم أذاه سائر الناس ، وزاد على أبيه وأخيه في الأذى ، وكانت
أمه من آل ذي يزن ، وكان سيف بن ذي يزن قد ركب البحار ، ومضى
إلى قيصر يستنجده ، فأقام ببابه سبع سنين ، فأبى أن يستجده ، وقال :
أنتم يهود ، والحبيشة نصارى ، وليس في الديانة أن تنصر المخالف على الموافق ،
فمضى إلى كسرى أنوشروان فاستنجده ومَتَّ إليه بالقرابة ، وسأله النصره ،
فقال له كسرى : وما هذه القرابة التي أدليت بها إليّ ؟ فقال : أيها الملك
الجبيلة وهي الجلدة البيضاء ؛ اذ كنت أقرب إليك منهم ، فوعده
أنوشروان بالنصرة على السودان وشغل بحرب الروم وغيرها من الأمم ، ومات
سيف بن ذي يزن ، فأتى بعده ابنه معديكرب بن سيف ، فصاح على باب
الملك ، فلما سئل عن حاله ، قال : لي قبيل الملك ميراث ، فوقف بين
يدي أنوشروان ، فسأله عن ميراثه ، فقال : أنا ابن الشيخ الذي وعده الملك
بالنصرة على الحبشة ، فوجه معه وهزّز إصْبِيَهْبِيْدَ الديلم في أهل السجون ،
فقال : إن فتحوا فلنا ، وإن هلكوا فلنا ، وكلا الوجهين فتح ، فحملوا
في السفن في دجلة ومعهم خيولهم وعُدَدُهم وأموالهم^(١) ، حتى أتوا أبلّة
البصرة - وهي فرج البحر^(٢) ، ولم يكن حينئذ بصرة ولا كوفة ، وهذه
مدن إسلامية - فركبوا في سفن البحر ، وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت
بموضع يقال له مَثْوَب ، فخرجوا من السفن ، وقد كان أصيب بعضهم في

(١) وفي نسخة : وغلانهم .

(٢) » » : وهي برج البحر .

البحر ، فأمرهم وهَرَزَ أن يحرقوا السفن ليعلموا أنه الموت ، ولا وجهه يؤملون المفرّ إليه فيجهدون أنفسهم ، وفي ذلك يقول رجل من حضرموت :

أصبح في مَثُوبَ أَلْفٍ في الجَنَنِ من رهط ساسان ورهط مهرسن
ليخرجوا السودان من أرض اليمن دَلَّتْهُمُ قَصْدُ السَّبِيلِ ذُو يَزَنَ

في شعر له طويل ، ونا خبرهم إلى ملك اليمن مسروق بن أبرهة ، فأقام في مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان ومن سائر مَنْ سَكَنَ اليمن من الناس وتصاف القوم ، وكان مسروق على فيل عظيم ، فقال وهَرَزَ لمن كان معه من الفرس : اصدقوهم الحملة^(١) ، واستشعروا الصبر ، ثم تأمل ملكهم وقد نزل عن الفيل فركب جملاً ، ثم نزل عن الجمل فركب فرساً ، ثم أنف أن يحارب على فرس فركب حماراً استصغاراً لأصحاب السفن ، فقال وهَرَزُ : ذهب ملكه ، وتنقل من كبير إلى صغير ، وكان بين عيني مسروق ياقوتة حمراء معلقة في ثاجه بمعلق من الذهب تضيء كالنار ، فرمى وهَرَزُ ، ورمى القوم ، وقال وهَرَزُ لأصحابه : قد رميت ابن الحمارة ، فانظروا إن كان القوم يجتمعون عليه [ولا يتفرقون عنه فهو حي ، وإن كان أصحابه يجتمعون عليه]^(٢) ويتفرقون عنه فقد هلك ، فنظروا إليهم فرأوهم يجتمعون ويتفرقون عنه ، فأخبروه بذلك ، فقال : احملا على القوم واصدقوهم [فحملوا عليهم وصدقوهم]^(٣) ، فانكشفت الحبشة وأخذهم السيف ، ورفع رأس مسروق ورؤوس خواص الحبشة ورؤسائهم ، فقتل منهم نحو ثلاثين ألفاً ، وقد كان أنوشروان اشترط على معديكرب شروطاً : منها أن الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها [وفي ذلك يقول الشاعر :

على أن ينكحوا النسوان منهم ولا ينكحوا في الفارسينا^(٤)]

(١) وفي نسخة : اصدقوهم الخبر . (٢) زيادة في إحدى النسخ .

(٣) ما بين المعرفين باقط من إحدى النسخ .

[وخَرَاجَ يَحْمِلُهُ إِلَيْهِ]^(١) فَتَوَجَّ وَهَرَزَ مَعْدِيكَرِبَ بَتَاجَ كَانَ مَعَهُ
وَبَدَنَةً^(٢) مِنْ الْفِضَّةِ أَلْبَسَهُ إِيَّاهَا ، [وَرَتَبَهُ فِي مَلِكِهِ عَلَى الْيَمَنِ]^(٣) ، وَكَتَبَ
إِلَى أَنْشُرَوَانَ بِالْفَتْحِ ، وَخَلَفَ هُنَاكَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ .

وَكَانَ جَمِيعُ مَا مَلَكَتِ الْأَحَابِشُ [الْيَمَنِ]^(١) اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ
مَلِكُ مَسْرُوقِ بْنِ أَبْرَهَةَ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ وَهَرَزُ ثَلَاثَ سِنِينَ ، وَذَلِكَ لِحَسِّ
وَأَرْبَعِينَ خَلَّتْ مِنْ مَلِكِ أَنْشُرَوَانَ .

[وَأَتَتْ مَعْدِي كَرْبَ الْوَفُودِ مِنَ الْعَرَبِ تَهْنِئَةً بِالْمَلِكِ ، فَأَتَاهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ
وَجَدَ أُمِيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلْتِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا خَبَرَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَوَفَادَتَهُ عَلَى ابْنِ
ذِي يَزْنَ فِي هَذَا الْكِتَابِ فِيمَا بَعْدَ ، وَمَا قِيلَ مِنَ الشَّعْرِ]^(١) وَفِي مَسِيرِ الْفَرَسِ
إِلَى الْيَمَنِ وَنَصَرَتِهِمْ عَلَى الْحَبَشَةِ يَقُولُ بَعْضُ أَوْلَادِ فَارَسَ :

نَحْنُ خُضْنَا الْبَحَارَ حَتَّى فَكَّكْنَا حَيْرًا مِنْ بَلِيَّةِ السُّودَانِ
بَلِيوْثَ مِنْ آلِ سَاسَانَ شُوسٍ يَنْعَمُونَ الْحَرِيمَ بِالْمُرَّانِ
وَبَبِيضَ بَوَاتِرَ تَلَلَا كَسْنَا الْبَرْقَ فِي ذُرَى الْأَبْدَانِ
فَقَتَلْنَا مَسْرُوقَ إِذْ تَاهَ لَمَمًا أَنْ تَدَاعَتْ قِبَائِلُ الْحَبْشَانِ
وَفَلَقْنَا يَاقُوْتَةَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بِنُشَابَةِ الْفَقِّ السَّاسَانِي
[وَهَرَزُ الدِّيلَمِيِّ لَمَّا رَأَاهُ رَابِطَ الْجَأْشِ ثَابِتَ الْأَرْكَانِ]^(٢)
وَحَوَيْنَا بِلَادَ قَحْطَانَ قَسْرًا ثُمَّ سَرْنَا إِلَى ذُرَى غُمْدَانَ
فَنَعَمْنَا فِيهِ بِكُلِّ سُرُورٍ وَمَنَّنَا عَلَى بَنِي قَحْطَانَ

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْبَحْتَرِيُّ يَمْدَحُ أَبْنَاءَ الْعَجَمِ ، وَيَذْكُرُ فَضْلَ الْفَرَسِ عَلَى
أَسْلَافِهِ لِأَنَّهُ مِنْ قَحْطَانَ :

(٣) هذا البيت لا يوجد في إحدى النسخ .

(١) زيادة في إحدى النسخ .
(٢) وفي نسخة : وقفازات من الفضة .

فكم لكم من يد يزكو الثناء بها ونعمة ذكرها باقي على الزمن
إن تفعلوها فليست بكثر أنعمكم ولا يد كأيديكم على اليمن
أيام جلّسى أنوشروان جدكم غيابة الذل عن سيف بن ذي يزن^(١)
إذ لا تزال خيول الفرس دافعة

بالضرب والطعن عن صنعا وعن عدن^(٢)
أنتم بنو المنعم المجدي ونحن بنو من فاز منكم بفضل الطول والمنن

وفود العرب تنهى معديكرب : قال المسعودي : وأتت معديكرب
الوفود من العرب تنهيه بعود الملك إليه وأشرف العرب وزعمائها ، وفيهم
عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وأمّية بن عبد شمس بن عبد مناف ،
وخويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وأبو زَمْعَة جدّ أمّية بن أبي الصلت
الثقفي ، وقيل : بل أبو الصلت أبوه قد دخلوا إليه وهو في أعلى قصره بمدينة
صنعاء المعروف بقُمدان وهو مضمخ بالعنبر ، وسواد المسك يلوح على
مفرقه ، وسيفه بين يديه ، وعلى يمينه ويساره الملوك وأبناء الملوك وأبناء
المقاول .

عبد المطلب يهنئ الملك : فتكلت الخطباء ، ونطقت الزعماء ، وقد
تقدمهم عبد المطلب بن هاشم فقال عبد المطلب : إن الله جل جلاله قد
أحلّك - أيها الملك - محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخاً باذخاً ، وأنبتك
منبتاً طابت أرومته ، وعزت جرثومته ، وثبت أصله وبسقى فرعه ، في
أكرم معدن ، وأطيب موضع وموطن ، فأنت - أبيت اللعن ! - رأس
العرب وربيعها الذي تُخصب به^(٣) . وأنت - أيها الملك - ذروة العرب
الذي له تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي تلتجئ إليه

(٣) وفي نسخة : وقبها الذي يخطب له .

(١) وفي نسخة : غيابة الذل .
(٢) » » : صنعاء أو عدن .

العباد ، سَلَفُكَ خَيْرَ سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلن يحمد ذكر
من أنت سلفه ، ولن يهلك من أنت خلفه ، أيها الملك ، نحن أهل حرم الله ،
وسَدَنَةِ بيته ، أَشْخَصْنَا إِلَيْكَ الذي أهيجنا من كشف الكرب الذي^(١)
فَدَحْنًا ، ونحن وفد التهنئة . لا وفد المرزئة^(٢) ، فقال له الملك : وأهم
أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فقال
الملك معدي كرب بن سيف : ابن أختنا ؟ قال : نعم ، قال : أدنوه مني ،
فأدني ، ثم أقبل عليه وعلى الوفد ، فقال لهم : مرحباً وأهلاً ، وناقصة
ورَحَلًا ، ومستدأخاً سهلاً ، وملكاً رِبَحَلًا^(٣) ، يعطي عطاء جزلاً ، قد
سمع الملك مقالكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فأنتم أهل الليل
والنهار ، لكم الكرامة ما أقمتم ، والحياة إذا ظعنتم .

أبو زمعة يهنئه : ثم قام أبو زَمَمَةَ جَدُّ أُمَيَّةَ بن أبي الصلت الثقفي ،
فأنشأ يقول^(٤) :

ليطلبِ الوتر أمثال ابن ذي يزن في لجة البحر أحوالا وأحوالا
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم تخالهم في سواد الليل أجبالا
لله درهمُ من عصبه خرجوا ما إن رأيت لهم في الناس أمثالا
أرسات أسداً على سود الكلاب فقد أمسى شريدُهم في الأرض فلألا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً في رأس غُمْدان داراً منك محلا
ثم اطلُ بالمسك إذ شالت نعماتهم وأسبيل اليوم في برديك إسبالا
تلك المكارم لا قَعْبَانٍ من لبن شيباً بماء فعاد بعد أبوالا

(١) في نسخة : من كشف الكرب فرحاً ، وفي إحدى النسخ : من كشف الكرب الذي فرجنا .

(٢) » » : الرزية .

(٣) وفي نسخة : وملكاً مرتجلاً .

(٤) في بعض هذه الأبيات اختلاف في الرواية ، ولم نغيره فانظر (سيرة ابن هشام

ج ١ ص ٦٩ و ٧٠) .

ولمعد يكرب بن سيف بن ذي يزن كلام كثير مع عبد المطلب وكوائن أخبره بها في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وبدء ظهوره ، بشّر به عبد المطلب وأخبره عن أحواله ، وما يكون من أمره ، وحباً جميع الوفد ، وانصرفوا ، وقد أتينا على ما كان من أخبارهم في كتابنا « أخبار الزمان » فأغنى عن إعادته ووصفه .

مقتل معد يكرب : قال المسعودي : وأقام معد يكرب بن سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن ، واصطنع عبيداً من الحبشة حرابة يمشون بين يديه بالحرا ب ، فركب في بعض الأيام من باب قصره المعروف بغمدان بمدينة صنعاء ، فلما صار إلى رحبتها عطفت عليه الحرابة من الحبشة ، فقتلوه بحرا بهم ، وكان ملكه أربع سنين ، وهو آخر ملوك اليمن^(١) من قحطان ، فعدد ملوكهم سبعة وثلاثون ملكاً وملكوا ثلاثة آلاف سنة ومائة وتسعين سنة .

رواية عبيد بن ثرية : قال المسعودي : وأما عبيد بن ثرية الجرهمي حين وفد على معاوية ، وسأله عن أخبار اليمن وملوكها وتواريخ سنيها ، فانه كر أن أول ملوك اليمن على حسب ما قدمنا في هذا الباب سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ملك مائة سنة وأربعاً وثمانين سنة .

ثم ملك بعده الحارث بن شداد بن ملطاط^(٢) بن عمرو ، مائة وخمسة عشر سنة .

ثم ملك بعده أبرهة بن الرانث ، وهو أبرهة ذو المنار ، مائة وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده إفريقس بن أبرهة ، مائة وأربعاً وستين سنة .

(١) وفي نسخة : وهو آخر من ملك اليمن من قحطان .

(٢) » » : بن شداد بن ملطاط .

[ثم ملك بعده أخوه العبد بن أبرهة ، خمساً وأربعين سنة ^(١)] .

ثم ملك بعده الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو ، وهو ذو الصرح ، سنة ^(٢) .

ثم ملكت بعده بلقيس بنت الهدهاد ، سبع سنين .

ثم ملك سليمان بن داود عليها السلام ، ثلاثاً وعشرين سنة ، على حسب ما قدمنا من أمر بلقيس .

ثم ملك بعده رحبعم ^(٣) بن سليمان ، سنة .

ثم رجع الملك إلى حمير ، فملك من بعد رحبعم بن سليمان ^(٤) ناشر النعم بن يعفر ^(٥) بن عمرو ذي الأذعار ، خمساً وثلاثين سنة ، وقد قيل في تسميته ذا الأذعار خبر تأباه العقول ، وتنكر النفوس كون مثله في العالم ، ويجوز كون ذلك في المقدور وأنه إنما سمي الأذعار لأنه وصل إلى قوم في أقاصي مفاوز اليمن وأرض حضرموت مشوهي الحلقة عجيب الصورة وجوههم في صدورهم ، فلما رأى أهل اليمن ذلك أذعروهم ما شاهدوا من ذلك ، وجزعت منه نفوسهم ، فسمي ذا الأذعار ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم بكيفيته .

ثم ملك بعده عمرو بن شمر بن إفريقس ، ثلاثاً وخمسين سنة .

[ثم ملك بعده تبع الأقربن بن عمرو ، وهو تبع الأكبر ، مائة سنة وثلاثاً وخمسين سنة ^(٦)] .

ثم ملك بعده ابنه ملكيكرب بن تبع [خمساً وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده تبع بن ملكيكرب بن تبع ^(٧) وهو تبع أبو كرب أسعد ابن ملكيكرب أربعاً وثمانين سنة .

(١) لا يوجد ما بين المعقوفين في إحدى النسخ . (٣) وفي نسخة : يامر بن ينعم بن يعفر .

(٢) وفي نسخة : أرخبعم بن سليمان .

ثم ملك بعده كلال بن مثوب^(١) ، أربعاً وسبعين سنة .
ثم ملك بعده تبع بن حسان بن تبع [ثلاثمائة سنة وستاً وعشرين سنة]^(٢) .

ثم ملك بعده مرثد ، سبعاً وثلاثين سنة .
ثم ملك بعده أبرهة بن الصباح ، ثلاثاً وسبعين سنة .
ثم ملك بعده ذوشناتر^(٣) بن زرعة ، ويقال يوسف ، ويقال : بل اسمه^(٤) عريب بن قطن ، تسعاً وثمانين سنة .

ثم ملك بعده الحنيعة^(٥) ، ويعرف بذي الشنار ، أربعاً وثمانين سنة .
فذلك ألف [وتسعمائة سنة]^(٦) وسبع وعشرون سنة ، وانما ذكرنا ما حكيناه عن عبيد بن شريفة في ترتيب ملوكهم ، وتبيان تواريخ سلاطهم ، لنأتي على جميع ما قيل في ذلك من التنازع ، والله ولي التوفيق .

ملك فارس باليمن : ولما قتلت الحبشة معد يكرب بن سيف بن ذي يزن - على حسب ما قدمنا - في الرحبة بحرايمهم ، كان بصنعاء خليفة لوهرز في جماعة من المعجم ، ممن كان ضمهم وهرز إلى معد يكرب فركب وأتى على من كان هنالك من الحبشة ، وضبط البلد ، وكتب بذلك إلى وهرز وهو بباب انوشروان الملك ، وذلك بالمداخن من أرض العراق^(٦) ، فأعلم وهرز بذلك الملك ، فسيره في البر في أربعة آلاف من الاساورة ، وأمره بإصلاح اليمن ، وأت لا يبقى على أحد من بقايا الحبشة ، ولا على جعد قَطَط قد شرك السودان في نسبه ، فأتى وهرز اليمن ، ونزل صنعاء ، فلم يترك بها أحداً من السودان ولا من أنسابهم ، وملك أنوشروان وهرز على اليمن إلى ان هلك بصنعاء [ثم ملك بعده النوشجان بن وهرز إلى ان هلك بها]^(٧) ثم ملك بعده

(١) وفي نسخة : كلال بن سويب . (٤) وفي نسخة : غريب بن قطن .

(٢) لا يوجد ما بين المعقوفين في إحدى النسخ . (٥) » » : حنيعة .

(٣) وفي نسخة : ذونواس زرعة . (٦) » » : من أرض فارس .

رجل من فارس يقال له سبجان ، ثم ملك بعده خرزاد ستة أشهر ، ثم ملك بعده ابن سبجان ، ثم ملك بعده المرزبان وكان من أهل بيت مملكة فارس ، ثم ملك بعده خرخسرو^(١) ، وكان مولده باليمن ، ثم ملك بعده بإذات ابن ساسان

ملك اليمن في أبناء إبراهيم : قال المسعودي : فهؤلاء جميع من ملك اليمن من قحطان والخبشة والفارس ، وقد ملك اليمن رجل من ولد إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهو يعد من ملوك اليمن واسمه 'هنيبة'^(٢) بن أميم بن بدل بن مدين^(٣) بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكان له شأن عظيم في ملك اليمن ، وطالت أيامه ، وذكره امرؤ القيس في شعره فقال :

وهنيبة الذي زادت قـواه على زيدان اذ حان الزوال
تمكن قائماً وبني طريقاً الى زيدان أعيط لا ينال

ويقال : إنه منتبه بن أميم بن بدل بن لسان بن إبراهيم الخليل .

عاصمة اليمن : وقد كانت ملوك اليمن تنزل بمدينة ظفار ، مثل آل ذي سحر وآل ذي الكلاع وآل ذي أصبح وآل ذي يزن ، إلا اليسير منهم فانهم نزلوا غيرها وكان على باب ظفار مكتوب بالقلم الاول في حجر أسود^(٤) :

يوم شيدت ظفار قيل : لمن أنت ؟ فقالت : لمحير الأخيار
ثم سئلت : من بعد ذاك ؟ فقالت : إن ملكي للأحبش الأشرار
ثم سئلت : من بعد ذاك ؟ فقالت : إن ملكي لفارس الأحرار
ثم سئلت : ما بعد ذاك ؟ فقالت : إن ملكي الى قریش التجار
ثم سئلت : ما بعد ذاك ؟ فقالت : إن ملكي لمحير صحار

(١) وفي نسخة : حرجس .

(٢) وفي نسخة : بن مرن .

(٣) » » : هنيبة .

(٤) » » : بالحجر الأسود ما صورته .

وقليلاً ما يلبث القومُ فيها منذ شيدت مَشِيدُهَا للبوار
من أسودٍ يلقيهم البحرُ فيها تشعل النارُ في أعالي الديار

وهذا خبر عن ملوك تداولوها ، أخبروا عن ملكهم قبل كونه ، فتداولتها
هذه الملوك على حسب ما وصفنا ، وينتظر في المستقبل من الزمان ما
ذكرنا من وقود النيران في أعالي الديار ، وعند أهل اليمن أن ديارهم سيغلب
عليها الأحابش في آخر الزمان بعد هنات وكوائن وأحداث ، وبُعِثَ النبي
صلى الله عليه وسلم ، وعلى اليمن عمّال كسرى ، ثم غلب الاسلام فظفر
بحمد الله .

وقد أتينا على أخبار من ذكرناه من الملوك ، وسيرهم ، ومطافئهم في
البلاد وحروبهم ، وأبنيتهم في سائر مطافئهم ، في الكتاب الاوسط ، فأغنى
ذلك عن اعادته في هذا الباب .

مساحة اليمن وحدوده : وبلد اليمن طويل عريض : حده مما يلي مكة
الى الموضع المعروف بطلحة الملك ^(١) سبع مراحل ، ومن صنعاء الى
عدن - وهو آخر عمل اليمن - تسع ^(٢) مراحل ، والمرحلة من خمسة فراسخ
الى ستة ، والحد الثاني من وادي وحّا الى ما بين مفاوز حضرموت وعمان
عشرون مرحلة ، ويلى الوجه الثالث بحر اليمن على ما ذكرنا أنه بحر القلزم
والصين والهند ، فجميع ذلك عشرون مرحلة في ست عشرة مرحلة .

واسماء ملوك اليمن كذي يزن وذو نواس وذو منار وغير ذلك مضافة
الى مواضع والى أفعال لهم وسير وحروب وغير ذلك ، وهي سمات لهم
تتيزهم عن غيرهم ، وتبين كل واحد منهم عن غيره من ملوكهم .

(١) وفي نسخة : بلجة الملك والأصح صلحة الملك وهو اسم واد باليمن .

(٢) » » : سبع مراحل .

واذ قد ذكرنا جوامع من أخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم ، للحوقهم باليمن ، ثم نعتب ذلك بملوك الشام وغيرهم^(١) من الملوك ، ان شاء الله تعالى .

ذكر ملوك

الحيرة من بني نصر وغيرهم

جذيمة الوضاح ومقتله : ولما هلك جذيمة الوضاح وأتت عليه الزبائن بنت عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر ، وقد كانت ملك من مشارق الشام^(٢) الى الفرات من قبل الروم ، وكانت داره بالموضع المعروف بالمضيقي^(٣) ، بين بلاد الحانوقة وقرقيسيا ، وقد كانت الزبائن تملك بعد أبيها ، وأطعمت جذيمة في نفسها الى ان قتلتها ، وأقام جذيمة ملكاً في زمن ملوك الطوائف خمساً وتسعين سنة ، وفي ملك أردشير بن بابك وسابور الجنود بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة ؛ فكان ملكه مائة وثمان عشرة سنة ، وكان يكنى بأبي مالك ، وفيه يقول بعض شعراء الجاهلية وهو سويد بن أبي كاهل اليشكري :

إن أذق حنفي فقبلي ذاقه طسم عاد وجديس ذو الشنع^(٤)

وأبو مالك القيل الذي قتله بنت عمرو بالجدة^(٥)

مالك بن فهم : وكان الملك قبل جذيمة أباه ، وهو أول من ملك الحيرة ، والله أعلم ، وكان يقال له مالك بن فهم بن دؤس بن الأزد بن الغوث

(١) وفي نسخة : بملوك الشام من اليمن

وغيرهم ، ان شاء الله .

(٢) لعله مشارف الشام .

(٣) وفي نسخة : بالصيرة .

(٤) وفي نسخة : ذو السبع .

(٥) » » : وأبو مالك الكهل .

ج ٢ - مروج الذهب (٥)

[بن نبت ^(١)] بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، وكان سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمرو بن عامر مزينة ، فسار بنو جفنة نحو الشام ، وانفصل مالك نحو العراق فملك على مضر بن نزار اثني عشرة سنة ، ثم ملك بعده ابنه جذيمة على ما ذكرنا .

عمرو بن عدي : ثم ملك بعد جذيمة ابن اخته عمرو بن عدي بن نصر ابن ربيعة ابن الحارث ابن مالك بن غنم بن نمارة بن لحم ، وهو أول من نزل من الملوك الحيرة واتخذها منزلاً ودار ملك ، واليه تنسب الملوك النصرانية ، ومملوك الحيرة ، فكان ملك عمرو بن عدي بن أخت جذيمة مائة سنة .

قصة عمرو بن عدي : قال المسعودي : وقد ذكر غير واحد ممن عسني بأخبار العرب وأيامها أن جذيمة أول من ملك من قضاة ، وهو جذيمة بن مالك بن فهم التثؤخي ، وأنه قال ذات يوم لندمائه : لقد ذكر لي عن غلام من لحم ، في أخواله من إباد ، له ظرف وأدب ، فلو بعثت إليه فوليته كأمي والقيام على رأسي لكاف الرأي ، قالوا : الرأي ما رأى الملك ، فليبعث إليه ، ففعل ، فلما قدم عليه قال : من أنت ؟ قال : أنا عدي ابن نصر بن ربيعة ، فولاه مجلسه ، فمشقته رقاش ابنة مالك أخت الملك ، فقالت : يا عدي ، إذا سقيت القوم فامزج لهم ، وغدق للملك ، فإذا أخذت الخمر منه فاخطبني منه فإنه يزوجك ، فأشبه القوم إن فعل ، ففعل الغلام ذلك وخطبها وزوجها به ، فأشهد عليه ، وانصرف الغلام إليها فأنبأها ، فقالت : عرس بأهلك ، ففعل ، فلما أصبح غدا متضرجاً بالخلق ، فقال له جثيمة : ما هذه الآثار يا عدي ؟ قال : آثار العرس ، قال : وأي عرس ؟ قال : عرس رقاش فتخبر وأكب على الأرض ، ورفع عدي جراميزه ،

(١) في نسخة : بن العوف بن مالك .

وهرب وأمرع جذية في طلبه ، فلم يجده ، وقال بعضهم : بل قتله ،
وبعث إليها يقول :

حدّثيني رقاش لا تكذبيني أبجر زنت أم بهجين ؟
أم بعبد فانت أهل لعبد أم بدون فانت أهل لدون ؟

فأجابته رقاش تقول :

أنت زوّجتني وما كنت أدري وأتاني النساء للتزين
ذاك من شرّ بك المدامة صرّفاً وتماذك في الصبا والمجون^(١)

فنقلها جذية إليه ، وحصلها في قصره ، فاشتملت على حمل ، وولدت
غلاماً فسمته عمراً ، ووشعته ، حتى إذا ترعرع حلّته وعطرته وألبسته
كسوة فاخرة ، ثم أزارته خاله ، فأعجب به ، وألقت عليه منه محبة
ومودة حتى إذا خرج الملك في سنة مكملّة قد أكملت ، فبسط له في
روضة ، وخرج عمرو في غلّة يجتثون الكمأة ، فكانوا إذا أصابوا كمأة طيبة
أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها ، ثم أقبلوا يتعادون وعمرو يتقدمهم ،
ويقول :

هذا جنّاي وخياره فيه إذ كل جات يدّه الى فيه

قصة نديمي جذية : قال لزمه جذية وحباه ، ثم إن الجن استطارته ، ف ضرب
له جذية في الآفاق زماناً ، فلم يسمع له بخبر فكف عنه ، إذ أقبل رجلان
يقال لأحدهما : مالك ، وللآخر : عقيل ، ابنا فالج ، وهما يريدان الملك
يهدي ، فنزلا على مساء ، ومعها قسيّة يقال لها أم عمرو ، فنصبت لها
قدراً ، وأصلحت لها طعاماً ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل رجل اشعث أغبر

(١) وفي نسخة : الصبا والجنون .

الرأس^(١) قد طالت أظفاره وساءت حاله ، حتى جلس مزجراً الكلب ، ومد يده ، فناولته القينة طعاماً ، فأكل ، فلم يفن عنه شيئاً ، فهد يده ، فقالت القينة : إن تعط العبد كُرَاعاً طلب ذراعاً ، فأرسلتها مثلاً ، ثم ناولت صاحبها من شرابها ، وأوكت زِقْطاً^(٢) ، فقال عمرو بن عدي :

عدلت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمين
وما شرُّ الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا^(٣)

فقال له الرجلان : من أنت ؟ فقال : إن تنكراني فإن تنكرا حسبي^(٤) ، أنا عمرو بن عدي ، فقاما إليه فلثماه ، وغسلا رأسه ، وقلبا أظفاره ، وقصرا من لته ، وألبسا من طرائف ثيابها ، وقالوا : ما كنا لنهدي إلى الملك هدية هي أنف عنده ولا هو عليها أحرص^(٥) من ابن أخته ، قد رده الله إليه ، فخرجوا به ، حتى إذا وقفا على باب الملك بشراه به فسر به وصرفه إلى أمه ، وقال لها : حكمكما ، فقالا : حكمنا منادمتك ما بقيت وبقينا ، قال : ذلك لكم ، فيها ندمانا جذيمة المروغان ، وإياها عن متمع بن نيرة اليربوعي في مراثيته لأخيه مالك حين قتله خالد بن الوليد ابن المغيرة يوم البطاح :

وكنا كندمانني جذيمة حقة من الدهر حتى قيل : لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالك لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
وقال أبو خراش الهذلي :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل

(١) وفي نسخة : رجل شعث الرأس وقد طالت أظفاره .

(٢) » » : وأوكت مقامها .

(٣) والبيتان ينسبان لعمرو بن معد يكرب ، وهما في طويلته .

(٤) وفي نسخة : فلن تنكرا نسي .

(٥) » » : ولا هو عليها أحسن صفداً من ابن أخته ، والصفد : العطاء .

وإن أم عمرو عمدت إليه ، فبعتت معه حَفْدَةَ يقومون عليه في الحمام ، حتى إذا خرج ألبسته من طرائف ثياب الملوك ، وجعلت في عنقه طوقاً من ذهب لنذر كان عليها ، ثم امرته بزيارة خاله ، فلما رأى خاله لحيته والطوق في عنقه قال : شبّ عمرو عن الطوق ، وأقام عمرو مع جذيمة خاله قد حمل عنه عامة أمره .

بين الزباء وجذيمة : وإن الزباء ابنة عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر ملكة الشام والجزيرة من أهل بيت عاملة من العماليق كانوا في سليح ، وقال بعضهم : بل كانت رومية ، وكانت تتكلم بالعربية ، مدائنها على شاطئ الفرات من الجانب الشرقي والغربي ، وهي اليوم خراب ، وكانت - فيما ذكر - قد سقفت الفرات ^(١) وجعلت من فوقه ابنية روميسة وجعلته انقاباً ^(٢) بين مدائنها ، وكانت تغزو بالجنود قبائل فخطبها جذيمة الأبرش ، فكتبت إليه : إني فاعلة ، ومثلك من يرغب فيه ، فإذا شئت فأشخص إلي ، وكانت بكرأ ، فجمع عند ذلك جذيمة اصحابه ، فاستشارهم ، فأشاروا عليه بالمضي ، وخالفهم قصير بن سعد تابع كان له من لحنم ، فأمره ألا يفعل ، ويكتب إليها ، فإن كانت صادقة أقبلت إليك ^(٣) ، وإلا لم تقع في حبائها ، فمضاه وأطاعهم ومار حتى إذا كان ببيعة - من دون هيت إلى الأنبار - جمعهم وشاورهم فأمرهم بالشخص إليها لما علموا من رأيه في ذلك ، وقال قصير : تنصرف ودمك في وجهك ، فقال جذيمة : ببيعة قضي الأمر ، فأرسلها مثلاً ، وقال قصير بن سعد حين رآه قد عزم ^(٤) : لا يطاع لقصير امر ، فأرسلها مثلاً ، وظعن جذيمة ، حتى إذا عاين مدينتها - وهي بكان دون الخانوقة - ونظر إلى الكتائب من دونها ، فماله ما رأى ، فقال : أي قصير ، ما الرأي ؟ فقال قصير : إني تركت الرأي ببيعة ،

(١) » » : قد سقفت الفرات . (٢) وفي نسخة : فإن كانت صادقة أقبلت إليه .

(٣) » » : وجعلته انقاباً . (٤) » » : حين رأى ما قد عزم عليه .

فقال عند ذلك : أشر علي ، فقال : إن لقيتك الكتابُ فحيثك بتحية الملك وانصرفوا أمامك فالمرأة صادقة ، وإن هم أخذوا ينجبيك ووقفوا دونك فالقوم منعطفون عليك فيما بينهم وبين جنودهم ، فاركب العصا فإنها لا تدرك ولا تسبق ، يعني فرساً كانت جنبت معه ^(١) ، فاستقبله القوم وأحاطوا به ، فلم يركب العصا فعمد إليها قصير فركبها وحمل وانطلق ^(٢) ، فالتفت جذية فإذا هو بالعصا عليها قصير أمام خيلهم حتى توارت به ، فقال جذية : ما ضل من تجري به العصا ، فأدخل على الزباء فاستقبلته وقد كشفت عن كبشاتها (أي عفلها) وتنظفت باستها ، وقالت : يا جذية ، أي متاع عروس ترى ؟ قال : أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر ، فقالت : أما والله ما ذاك من عدم مواس ، ولا قلة أواس ، ولكن شيمة ما أناس ، ثم أجلسته على نطع ، ودعت له بطست من عسجد ، فقطعت رواشه واستنزفته ، حتى إذا ضعفت قواه ضرب بيده فقطرت قطرة من دمه على دعامة من رُخام ، وقد قيل لها : إنه ان وقع من دمه قطرة في غير طست طلب بدمه ، فقالت : أي جذية ، لا تضيعن من دمك شيئاً ، فإني إنما بعث إليك لأنه بلغني أن دمك شفاء من الخبل ، فقال جذية : وما يحزنك ^(٣) من دم أضعاء أهله ؟ وفي ذلك يقول البعيث :

من الدارمين الذين دماؤهم شفاء من الداء المحنة والخبيل ^(٤)

واستصفت دمه ، وجعلته في برنية ، وقال بعضهم : دخل عليها جذية في قصر لها ليس فيه إلا الجوارى ، وهي على سريرها ، فقالت للاماء : خذن بيد سيدكن ، ثم دعت بنطع فأجلسته عليه فعرف الشر ، وكشفت عن عورتها فإذا هي قد عقدت شعر استها من وراء ، فقالت : أشوَارَ عروس

(١) وفي نسخة: يعني فرساً كانت تجنب معه . (٢) وفي نسخة: وما يغنيك من دم الخ.

(٣) » » : وختل الخبل وانطلق . (٤) » » : المحبة والخبيل .

تري ؟ فقال : بل شوار أمة بظراء ، فقالت : أما والله ما ذاك من عدم
مَواس ، ولا قلة أواس ، ولكنها شيمة ما أفاس ، ثم أمرت برواهشه
فقطعت ، فجعل دمه يشخب في النّطع كرامة أن يفسد مقعدها ، فقال
جذيمة : لا يحزنك دم أراقه أهله .

ثار عدي لخاله : ونجا قصير ، فأورد الخبر على عمرو بن عبد الجن^(١)
التنوخى بالحيرة ، فاشفق لذلك ، فقال له قصير : اطلب بثار ابن عمك ،
وإلا سببتك العرب ، فلم يحفل بذلك ، فخرج قصير الى عمرو بن عدي ،
فقال له : هل لك في ان اصرف الجنود اليك على أن تطلب ثار خالك ؟
فضمن له ذلك ، فصرف وجوه الجنود اليه ، ومنامهم بالمال والحال ، فانصرف
اليه منهم بشر كثير ، فالتقى هو والتنوخى ، فلما خافوا الفناء تابعه
التنوخى ، وتم الامر لعمرو بن عدي ، فقال له قصير : انظر ما وعدتني به
في الزباء ، فقال عمرو : وكيف لنا بها وهي أمتع من عقاب الجو ؟ فقال :
أما إذا أبيت فاني جادع أنفي وأذني ومحنال لقتلها جهدي ، فأعني وخلاك
ذم ، فقال له عمرو : أنت أبصر ، وعليّ معونة ، فجدع أنفه ، فقيل :
لأمر ما جدع قصير أنفه ، ثم انطلق حتى دخل على الزباء ، فقالت : من
أنت ؟ فقال : أنا قصير ، لا ورب المشارق ما كان على وجه الارض بشر كان
أنصح لجذيمة ولا أغش لك مـبني ، حتى جدع عمرو بن عدي أنفي وأذني ،
فعرفت أني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه مني معك ، فقالت : أي
قصير ، نقبل منزلتك ونصرفك في بضائعنا ، فأعطته مالا للتجارة ، فأتى بيت
مال الحيرة ، فاستخف ما فيه بأمر عمرو بن عدي ، وانصرف به اليها ،
فلما رأت ما جاءها به فرحت بذلك ، وزادته مالا الى ما جاء به ، وقال :
إنه ليس من ملك الا وهم يتخذون في مدائنهم انقابا^(٢) تكون لهم عددا ،

(١) وفي نسخة : بن عبد الحي . (٢) وفي نسخة : أنقابا .

فقال له . أما إني قد فعلت ذلك ، قد نقت سرباً وبنيته من تحت سريري هذا حتى أخرج من تحت الفرات الى سرير أختي رحيلة^(١) ففرح بذلك قصير^(٢) ، ثم ظعن حتى أتى عمراً ، فركب عمرو في الف في رجل على الف بعير في الصناديق^(٣) ، حتى صار اليها ، فتقدم قصير وسبق الأبيرة ، فقال لها : اصعدي حائط مدينتك ، وانظري الى مالك ، وتقدمي الى بوابك فلا يتعرض لشيء من أموالنا^(٤) ، فاني قد جئت ببال صامت^(٥) . وكانت قد أمته ، فلم تكن تخافه ، وصعدت وفعلت ما أمرها ، فلما نظرت الى ثقل مشي الجمال قالت :

ما للجمال مشياً وثيداً أجنثلاً يحملن أم حديدا ؟
أم صرّفاناً بارداً شديداً أم الرجال جثماً قعوداً ؟

ودخلت الإبل المدينة ، حتى إذا بقي آخرها جملاً عيل صبر البواب ، فطمع بمنخسة كانت في يد خاصرة رجل فصرط ، فقال البواب : بشتا بشتا^(٦) ، وهي بالبطية ، أي : في الجوالق شر ، وثار الرجال من الجوالق ضرباً بأسياقهم ، فخرجت الزباء هاربة الى سريرها ، فأبصرت قصيراً عند نفقها مصلتاً سيفه ، فانصرفت راجعة ، وتلقاها عمرو بن عدي فضرها . وقال بعضهم : مصت خاتمها ، وكان فيه سم ساعة ، وقالت : بيدي لا بيد عمرو ، وخربت المدينة ، وسبيت الذراري ، فقالت الشعراء في أمرها وأمر قصير فأكثر : فمن ذلك قول المتلمس :

ومن طَلَب الأوتار ما حَزَّ أنفه قصير ، ورام الموت بالسيف بيتهس^(٧)

(١) كذا في نسخة ، وفي نسخة أخرى : دخلة ، وذكر في هامشها أن في نسخة : زبيبة .
(٢) وفي نسخة : فخرها قصير .
(٣) » » : في الجوالق .
(٤) » » : من أعكامنا .
(٥) حلفظ : بما صأى وصمت .
(٦) وفي نسخة : بشتا لشقا .
(٧) وفي نسخة : ما جد أنفه .

[نَعَامَةٌ لما صرَّع القوم رهطه تبين في أثوابه كيف يلبس^(١)]

[ومن ذلك قول عدي بن زيد التميمي يصف ذلك من أمرهم :
 ألا أيها الملك المرجى ألم تسمع بخطب الأولينا
 دعا بالبقعة الأمراء يوما جذية عام ينجوهم ثبينا^(٢)
 وطاوع أمرهم ، وعصا قصيرا وكان يقول - لو وقع - اليقينا
 لخطبته التي غدرت وخانت ومن ذوات غائلة ، لحيينا^(٣)]

مع أشعار كثيرة قبلت في ذلك .

وكانت الزباء لا تأتي حصنا إلا صفرت شعر أستها من خلفه^(٤) ، ثم
 تقاعست فتقلعه ، حتى فعلت ذلك بمارد - حصن دومة الجندل - وبالأبلى -
 حصن تيماء - حصنين منيعين ، فقالت : تمرد مارد وعز الأبلى ، فذهبت
 مثلا ، وهما الحصنان اللذان تذكرهما العرب في أشعارها كثيرا ، قال
 الأعشى في ذلك :

بالأبلى الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار

[وجذية الوضاح الذي يقول فيه :

ماست مودعة الحديد فنجيد منهم وغائر
 أن تاه أحور ذو رعيس لنا وأحوى ذو أباعر
 والملك كان لذي نوا من حوله من ذي بحائر
 بالسافات وبالقنا والبيض تبرق والمغافر^(٥)
 أزمان علق وفيهم منهم بادٍ وحاضر^(٦)]

(١) هذا البيت لا يوجد في إحدى النسخ .

(٢) وفي نسخة : دعا بالثقبه .

(٣) هذه الزيادة لا توجد في إحدى النسخ .

(٤) في نسخة : قلها تأتي حصنا إلا صفرت أستها من خلفها وتقاعست به فتقلعه .

(٥) » : بالسافات وبالقنا .

وإنما سمي جذيمة الأبرش الوضاح لأنه كان به برص، فكفي عنه إعظاماً له^(١).
قال المسعودي : هذا بدء خبر بني عدي^(٢) ، وقد قدمنا أن مدة ملكه
كانت مائة سنة^(٣) .

بقية ملوك الحيرة : وملك بعده ولده امرؤ القيس بن عمرو بن عدي
ستين سنة .

وملك بعده عمرو بن امرئ القيس ، وهو 'محرّق' العرب^(٤) ، خمساً
وعشرين سنة ، وكانت أمه مارية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسان .
وملك النعمان بن امرئ القيس قاتل الفرس^(٥) ، خمساً وستين سنة ، وكانت
أمه الهيجانة بنت سلول من مراد ويقال : من إباد .

وملك المنذر بن النعمان بن امرئ القيس خمساً وعشرين سنة ، وكانت
أمه الفراسية بنت مالك بن المنذر ، من آل نصر .

وملك النعمان بن المنذر فارس حليلة ، وهو الذي بنى الحوَرَنَق
وكرَدَسَ الكراديس ؛ خمساً وثلاثين سنة ، وكانت أمه هند بنت زيد
مناة من آل غسان .

وملك الأسود بن النعمان ؛ عشرين سنة ، وكانت أمه هند بنت
الهيجانة ، من آل نصر .

وملك المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر أربعاً وثلاثين سنة ، وكانت
أمه ماء السماء بنت عوف بن النمر بن قاسط بن هيث بن أفضى بن دعى بن
جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ؛ وإنما سميت ماء السماء لحسنها وجمالها .

ثم ملك بعده عمرو بن المنذر ، أربعاً وعشرين سنة ، وكانت أمه حليلة
بنت الحارث من آل معديكرب .

(١) وفي نسخة : فكفي به أعظاماً له . (٤) وفي نسخة : محرق الحرب .

(٢) » » : بدء خبر عمرو بن عدي . (٥) » » : قائد الفرس .

(٣) » » : مدة ملكه سنة .

وملك المنذر بن عمرو بن المنذر ، ستين سنة ، وكانت أمه أخت عمرو ابن قابوس من آل نصر .

ثم ملك قابوس بن المنذر ثلاثين سنة ، وكانت أمه هند بنت الحارث ، من آل معاوية بن معديكرب .

وملك النعمان بن المنذر ، وهو الذي يقال له : « أبيات اللعن » اثنتين وعشرين سنة ، وكانت أمه سلمى بنت وائل بن عطية من كلب .

بين الثابتة والنعمان : وذكر عدة من الاخباريين أن الثابتة استأذنت على النعمان يوماً ، فقال له الحاجب : ان الملك على شرابه ، قال الثابتة : فهو وقت الملتق ، تقبله الافئدة ، وهو جذل للرحيق والسماع ، فان تلج تلق المجد عن غرر مواهبه^(١) ، فانت قسم ما أفدت ؛ قال له الحاجب : ما بقي عنايتي بدون شكرك ، فكيف أرغب فيما وصفت ودون ما طلبت رهبة التعدي ؟ فهل من سبب ؟ قال الثابتة : ومن عنده ؟ قال الحاجب : خالد بن جعفر الكلبي نديع^(٢) ، فقال الثابتة : هل لك الى ان تؤدي الى خالد عني ما أقول لك ، قال : وما هو ؟ قال : تقول ان من قدرك وفاء الدرك بك ونأحيي من الشكر ما قد علمت ، فلما صار خالد الى بعض ما تبعته موارد الشراب عليه نهض ، فاعترضه الحاجب ، فقال : ليهنك أبا البسام حادث النعم^(٣) ، قال : وما ذاك ؟ فأخبره الخبر ، وكان خالد رفيقاً ، يأتي الأشياء^(٤) بلطف وحسن بصيرة ، قد دخل مبتسماً ، وهو يقول :

إلا لملك أو من أنت سابقه سبق الجواد اذا استولى على الأمد

واللات لكأني أنظر الى أملاك ذي رعين ، وقد مدت لهم قضبان المجد^(٥) الى معالم أحسابكم ، ومناقب أنسابكم ، في حلبة أنت -

(١) وفي نسخة : فان ملق فلق المجد عن مواهبه . (٢) وفي نسخة : يتأق الأشياء .

(٣) ليهنك التمام حادث النعم . (٤) » » : قصبات المجد .

أبيت اللعن ! - 'غرثتها' ، فجنث سابقاً متمهلاً ، وجاءوا لم يلم لهم سمي ، قال النعمان : لأنت في وصفك أبلغ احساناً من النابغة في نظام قافيته ، فقال خالد : ما أبلغ فيك حسناً ، الا وهو دون قدرك استحقاقاً للشرف الباهر ، ولو كان النابغة حاضراً لقال وقلنا ، فأمر النعمان بإدخاله ، فخرج [اليه]^(١) الحاجب ، [فقال النابغة : ما وراءك]^(٢) فقال : قد أذن بفتح الباب ، ورفع الحجاب ، ادخل ، فدخل ثم انتصب بين يديه ، وحياه بتحية الملك ، وقال : أبيت اللعن ! أتفاخر وأنت سائس^(٣) العسرب ، وغرة الحسب ، واللات لأمسك أين من يومه ، ولقفاك أحسن من وجهه ، وليسارك أسمع من يمينه ، ولوعدك أصلح من رفده ، ولعبيدك أكثر من قومة ، ولاسمك أشهر من قدره ، ولنفسك أكبر من جده^(٤) ، وليومك أشرف من دهره ثم قال :

أخلاق مجدك جعلت ما لها خطر في الجود والبأس بين العلم والخبر
'متوج بالمعالي فوق مفترقه وفي الوغى ضيغم' في صورة القمر

فتهل وجه النعمان بالسرور ، ثم أمر فحشي قوه جوهراً ، ثم قال :
بمثل هذا فلتمدح الملوك .

النعمان وزيد بن عدي وكسرى : وقد كان النعمان قتل عدي بن زيد العبادي ، وكان يكتب لكسرى أبرويز بالعربية ، ويترجم له اذا وفد عليه زعماء العرب ؛ لموجدة وجدها عليه النعمان ، في خبر طويل الشرح ، فلما قتل صار زيد بن عدي ابنه مكان أبيه ، فذكر لابرويز جمال نساء آل المنذر ، ووصفهن له ، فكتب الى النعمان يأمره ان يبعث اليه بأخته ، فلما قرأ النعمان كتابه ، قال للرسول - وهو زيد بن عدي - : يا زيد ، أما لكسرى في مهابة السواد كفاية حتى يتخطى الى العربيات ؟ ! فقال زيد : إنما أراد

(١) زيادة في احدى النسخ .

(٢) في نسخة : أكرم من جده .

(٣) في نسخة : سائد العرب .

الملك إكرامك - أبيت اللعن ! - بصهرك ، ولو علم أنت ذلك يشق عليك لما فعله ، وسأحسن ذلك عنده ، واعذرنا بما يقبله ، فقال له النعمان : فافعل ، فقد تعرف ما على العرب في تزويج المعجم من الغضاضة والشناعة^(١) ، [فلما انصرف إلى كسرى أخبره أنه رغب عنه] فأدى إليه قوله في مَها السواد على أقبح الوجوه ، واوَّجده عليه ، وقال : ما لها ؟ فقال : البقر ، فأخذ عليه ، وقال : رُبَّ عبد قد صار في الطغیان إلى أكثر من هذا ، فلما بلغت كلمته إلى النعمان تخوفه فخرج هارباً حتى صار إلى طيء ، لصهر كان له فيهم ، ثم خرج من عندهم حتى أتى بني رواحنة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس ، فقالوا له : أقم معنا فلما مانعوك مما نمنع منه أنفسنا ، فجزأهم الخير ، ورحل عنهم يريد كسرى ليرى فيه رأيه ، وذلك قول زهير بن أبي سلمى :

ألم ترَ للنعمان كانَ بَنَجْوَةً من الدهر لو أن امرأ كان ناجيا
فغير عنه ملك عشرين حجة من الدهر يوم واحد كان غاويا
فلم أر مسلوباً له مثل ملكه أقلُّ صديقاً معطياً أو مواسيا
خلاً أن حياً من رواحنة حافظوا وكانوا أناساً يتقنون الخازيا
يسرون حق جئشوا عند تأره هيجان المطايا والعتاق المذاكيا^(٢)
فجازأهم خيراً وأثنى عليهم وودعهم توديع أن لا تلاقيا^(٣)

وأقبل النعمان حق أتى المدائن ، فصف له كسرى ثمانية آلاف جارية عليهن المصبغات صفين ، فلما صار النعمان بينهن قلن له : أما فينا للملك غنى عن بقر السواد ! ؟ فعلم النعمان أنه غير تاج منه ، ولقيه زيد بن عدي ، فقال له النعمان : أنت فعلت هذا بي ، لئن تخلصت لأسقينك بكأس أبيك ،

(١) في نسخة : من الغضاضة والبشاعة .

(٢) » : يسرون حق خيموا عند بابه .

(٣) » : فقال لهم خيراً ، وفيها : وودعهم حياً وداع التلاقيا .

فقال له زيد: امض 'نعميم' ، فقد أخيت لك أخية لا يقطعها المهر الأرن ،
رأمر كسرى بالنعمان ، فحبس بسابط المدائن ، ثم أمر به فرمي تحت
أرجل الفيلة ، وقال بعضهم : بل مات في محبه بسابط ، وقد ذكرت ذلك
الشعراء فأكثرت ؛ فمن ذلك قول الأعشى وأجاد :

ولا الملك النعمان يوم لقيته بغبطته يعطي الصكاك ويرفق
[ويحيي إليه المسلمون ، وعنده صريعون في أنهارها والخورنق]^(١)
ويقسم أمر الناس يوماً ولية وهم ساكتون والمنية تنطق
فذاك وما أنجى من الموت ربه بسابط حتى مات وهو محزرق^(٢)

وقال هانيء بن مسعود الشيباني :

إن ذا التاج ، لا أباً لك ، أضعى في الوري رأسه تحوت الفيول
إن كسرى عدا على الملك النعمان حتى سقاء مر البليل
ومما رثي به النعمان :

لم تبكه هند ولا أختها خرقاء ، واستعجم ناعيه
بين فيول الهند تخبطنه مخبطاً تدمي نواحيه

وقد كان النعمان حين أراد المضي إلى كسرى مستلماً ، مر على بني
شيبان فأودعهم سلاحه وعباله عند هانيء بن مسعود بن هانيء الشيباني ،
فلما أتى كسرى على النعمان بعث إلى هانيء بن مسعود ، وطالبه بتركته ،
فامتنع ، وأبى أن يخفر الذمة ، فكان ذلك السبب الذي أهاج حرب ذي
قار ، وقد أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط فأغنى عن إعادته هنا .

(١) هذا البيت لا يوجد في إحدى النسخ . (٢) في نسخة : نفسه .. مات وهو محزرق .

بنت النعمان وسعد بن أبي وقاص : وقد كانت حرقه بنت النعمان بن المنذر إذا خرجت الى بيعتها يفرش لها طريقها بالحرير والديباج ، مغطى بالحز والوشى ، ثم تقبل في جواربها حتى تصل الى بيعتها ، وترجع الى منزلها ، فلما هلك النعمان نكبها الزمان ، فأنزله من الرفعة الى الذلة ، ولما وفد سعد ابن أبي وقاص القادسية أميراً عليها لما هزم الله الفرس وقتل رستم ، فأتت حرقه بنت النعمان في حفدة من قومها وجواربها وهن في زيها عليهن المسوح والمقطعات السود ، مترهبات تطلب صلتها ، فلما وقفن بين يديه أنكرهن سعد ، فقال : أفيكن حرقه ؟ قالت : ها أناذره ، قال : أنت حرقه ؟ قالت : نعم ، فلما تكرارك في استفهامي ؟ ثم قالت : إن الدنيا دار زوال ، ولا تدوم على حال ، تنتقل بأهلها انتقالات ، وتعقبهم بعد حال حالاً ، كنا ملوك هذا المصر 'يحبى لنا خراجهم ، ويطيئنا أهل مدى المدة وزمان الدولة فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدهر ، فصدع عصافاً وشئت شملنا^(١) ، وكذلك الدهر يا سعد إنه ليس يأتي قوماً بمسرة إلا ويعقبهم بحسرة ، ثم أنشأت تقول :

فبينما نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف^(٢)
فأفٍ لدينا لا يدوم نعيمها تقلب ثارات بنا وتصرف

[فقال سعد : قاتل الله عدي بن زيد كأنه ينظر إليها حيث يقول :

إن للدهر صولة فاحذرنا لا تبين قد أمنت الدهورا
قد يبيت الفقى 'معافى' فيردى ولقد كان آمناً مسرورا]^(٣)

قال : فبينما هي واقفة بين يدي سعد إذ دخل عمرو بن معد يكرب ، وكان زوراً لأبيها في الجاهلية ، فلما نظر إليها قال : أنت حرقه ؟ قالت :

(١) في نسخة : وشئت ملأنا . (٢) ما بين المعرفين ساقط من إحدى النسخ .
(٣) في بعض النسخ : إذا نحن فيهم سوقة نكنصف .

ذم ، قال : فما دَعمَكَ فأذهب محودات شيمك ؟ وأين تتابع نعمتك
 وسطوات نعمتك ؟ فقالت : يا عمرو ، إن للدهر لسطوات وعثرات
 وعبرات ، تعثر بالملوك وأبنائهم ، فتخفضهم بعد رفعة ، وتفردهم بعد منعة ،
 وقذلهم بعد عزة ، إن هذا لأمر كنا ننتظره ، فلما حل بنا لم ننكره ،
 قال : فأكرمها سعد ، وأحسن جائزتها ، فلما أرادت فراقه قالت : حتى
 أحبيك بتحية (١) ملوكنا بعضهم لبعض ، لا نزعَ الله من عبد صالح نعمة
 إلا جعلك سبباً لردّها عليه ! ثم خرجت من عنده فلقبها نساء المدينة ، فقلن
 لها : ما فعل بك الأمير ؟ قالت : حاط لي ذمتي ، وأكرم وحيي ،
 إنما يكرم الكريم الكريم .

وسنذكر خبر هند بنت النعمان مع المغيرة بن شعبه أيام إمرته على
 الكوفة ، فيما يرد من هذا الكتاب ؛ عند ذكرنا لأخبار معاوية بن
 أبي سفيان .

قال أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي : فهؤلاء ملوك الحيرة إلى أن
 ظهر الإسلام فأظهره الله ، وأذل الكافرين ، فجميع من سمينا من هؤلاء الملوك
 من ولد عمرو بن عدي بن أخت جذيمة الأبرش ، على حسب ما قدمنا آتفاً في
 صدر هذا الباب ، ثم جاء الإسلام وملك الفرس كسرى أبرويز بن هرمز ،
 فملك على العرب بالحيرة إياس بن قبيصة الطائي ، فكان ملكه تسع سنين ،
 ولثمانية أشهر (٢) ، مضت من ملك إياس ، كان مبعث رسول الله صلى عليه
 وسلم ، ثم ملك الحيرة جماعة من الفرس ، وقد كان قبل عمرو بن عدي ملوك
 على الحيرة على حسب ما ذكرنا ، وكان عدة الملوك بالحيرة ثلاثة وعشرين
 ملكاً من بني نصر وغيرهم من العرب والفرس ، وكان مدة ملكهم ستمائة سنة
 واثنين وعشرين سنة وثمانية أشهر ، وقد قيل : إن عمران الحيرة وبدوه

(١) في بعض النسخ : حي أختك بتحية . (٢) في بعض النسخ : ولست سنين وثمانية أشهر .

الى أن خربت في وقت بناء الكوفة ، كان خمسمائة سنة وبضعاً وثلاثين سنة^(١) .

خراب الحيرة : قال المسعودي : ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذي ذكرنا الى صدر من أيام المعتضد ، فإنه استولى عليها الخراب ، وقد كان جماعة من خلفاء بني العباس - كالسفاح ، والمنصور ، والرشيد ، وغيرهم - ينزلونها ويصلون^(٢) المقام بها لطيب هوائها ، وشفاء جواهرها ، وصحة تربتها ، وصلابتها ، وقرب الخورنق ، والنجف^(٣) منها ، وقد كان فيها ديارات كثيرة فيها رهبان ، فلحقوا بغيرها من البلاد ، لتداعي الخراب إليها ، وأقفر من كل أنيس ، في هذا الوقت ليس بها إلا الصّدَى والبُومُ ، وعند كثير من أهل الدراية التامة بما يحدث في المستقبل من الزمان : أن سَعدها سيعود بالعمران ، وأن هذا النحس عنها سيزول ، وكذلك الكوفة .

قال المسعودي : ولما سمينا من ملوك الحيرة أخبار وسير وحروب قد أتينا على ذكرها والغُرَر من مبسوطها في كتابنا « أخبار الزمان » وفيما بعد من هذا الكتاب ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الباب .

(١) في بعض النسخ : كان خمسمائة سنة ونيفاً . (٣) كذا في نسخة : وفي إحدى النسخ : التحف .

(٢) في إحدى النسخ : ويطلبون المقام بها .

وفي نسخة أخرى : ويطلبون المقام بها .

ذكر ملوك

الشام من اليمن ، من غسان وغيرهم من الملوك

أول ملوك الشام : كان أول من ملك الشام من اليمن فالغ بن يغور^(١) .

ثم ملك بعده يوتاب^(٢) ، وهو أيوب بن رزاح^(٣) ، وقد ذكر الله عز وجل في كتابه ما كان من خبره على لسان نبيه ، وما اقتص من أمره ، ثم غلبت الروم^(٤) على ديارها ، ففترقوا في البلاد ، وكانت قضاة بن مالك بن حمير أول من نزل الشام وانضافوا إلى ملوك الروم ، فملكهم بعد أن دخلوا في النصرانية على من حوى الشام من العرب .

تنوخ ونسبها : وكان أول من ملك من تنوخ النعمان بن عمرو بن مالك ، ثم ملك بعده عمرو بن النعمان بن عمرو ، ثم ملك بعده الحواري ابن النعمان ، ولم يملك من تنوخ إلا من ذكرنا ، وهو تنوخ بن مالك ابن فهم بن تيم اللات بن الأزد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران ابن إلف بن قضاة بن مالك بن حمير .

وقد تنوزع في قضاة : أمن معد كان أم من قحطان ؟ فقضاة تأبى أن تكون من معد ، وتزعم أنها من قحطان على ما ذكرنا ، وقد قيل في نسب قضاة واتصالها بحمير غير ما ذكرنا من النسب . سليح ونسبها : ثم وردت سليح الشام فغلبت على تنوخ ، وتنصرت

(٣) وفي نسخة: بن رزاح .

(٤) » » : ثم غلبت اليمن على ديارها .

(١) في نسخة : فالغ بن مور .

(٢) » » : سومات .

فملكها الروم على العرب الذين بالشام ، وهم ولد سليح بن حلوان بن عمران بن الحلاف بن قضاعة ، فاستقام ملك سليح بالشام وتفرقت قبائل العرب لما كان بمأرب وقصة عمرو بن عامر مزقياء ، فسارت غسان الى الشام وهم من ولد مازن ، وذلك أن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولد مازن ، وإليه ترجع جميع قبائل غسان ، وإنما غسان ماء شربوا منه فسموا بذلك وهو ما بين زبيد ورمع ، وادي الأشعرين بأرض اليمن وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الأنصاري :

إِذَا سَأَلْتَ فَإِنَّا مَعَشَرُ 'نَجْبٍ' الْأَزْدِ نَسَبْتُنَا وَالْمَاءُ 'غَسَّانُ'

وسنذكر بعد هذا الموضع خير عمرو بن عامر مزقياء ، وخبر سيل العرم ، وتفرقهم في البلاد ، وخبر الماء المعروف بغسان ، وقد ذكر أن عمرو بن عامر حين خرج من مأرب لم يزل مقيما على هذا الماء الى ان أدركه الموت ، وكان عمره ثمانمائة سنة : أربعمائة موقعة ، وأربعمائة ملكا .
ملوك غسان على الشام : وغلبت غسان على من بالشام من العرب ، فملكها الروم على العرب ، فكان أول من ملك من ملوك غسان بالشام الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن^(١) وهو غسان بن الأزد بن الغوث .

ثم ملك بعده الحارث بن ثعلبة [بن جفنة]^(٢) بن عمرو [بن عامر ابن حارثة]^(٣) وأمه مارية ذات القرطيين بنت أرقم بن ثعلبة بن جفنة ابن عمرو ، وذكر أنها مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية ابن ثور وهو كندة ، وهي التي ذكرتها الشعراء في أشعارها ، وتنسب جماعة من ملوك غسان اليها .

(١) في نسخة : ماس بن غسان . (٢) سقط ما بين المعقوفين من إحدى النسخ .

وملك بعده النعمان بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة ابن عمرو .

ثم ملك بعده المنذر أبو شمر بن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن جفنة ابن عمرو .
ثم ملك بعده عوف بن أبي شمر .

ثم ملك بعده الحارث بن أبي شمر ، فكان ملكه حين بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حسان والحارث الفسافي : وذكر عدة من الاخباريين أن حسان بن ثابت الانصاري زار الحارث بن ابي شمر الفسافي بالشام - وكان النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة بساميه - فقال له وهو عنده : يا ابن الفريعة ، لقد نبئت أنك تفضل النعمان علي ، فقال : وكيف أفضله عليك ! فوالله لقفاك أحسن من وجهه ، ولأملك أشرف من أبيه ؛ ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولشمالك أجود من يمينه ، ولحرمـانك أنفع من نداه ، ولقليلك أكثر من كثيره ، ولثمادك أمرع من غديره ، ولكرسيك أرفع من مريره ، ولجداولك أغور من بحره^(١) ، وليومك أطول من شهره ، ولشهرك أمدُّ من حوله ، ولحولك خير من حقبه ، ولزندك أوري من زنده ، ولجندك أعز من جنده ، وإنك من غسان وإنه من لخم ، فكيف أفضله عليك أو أعدله بك ؟ فقال : يا ابن الفريعة ، هذا لا يسمع الى في شعر ، فقال :

ونبئت أن أبا منذر	يساميك للحارث الأصغر
قفائك أحسن من وجهه	وأملك خير من المنذر ^(٢)
وئشركي يديك على عُشرها	كيعنى يديه على المعسر

جبلة بن الایم : ثم ملك بعده جبلة بن الایم بن جبلة بن الحارث بن

(١) في نسخة : أغزر من بحوره . (٢) وفي نسخة : قفاك .

ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن ، وهو غسان بن الأزد بن الغوث ، وهو الملك الذي امتدحه حسان بن ثابت الانصاري ، حيث يقول في شعر طويل :

أشهرها فإن ملكك بالشا م الى الروم فخر كل يماني

وفيه يقول أيضا :

لمن الدار أقفرت بعمان بين أعلى اليرموك والصمّان
من قريات من ثلاثين عدت فاسكا منه بالقصور الدواني
قد دنا الفصح والولائد ينظمن سراعاً أكلّة المرجان
ذاك معنى لآل جفنة في الدهر ، وحققاً تصرف الأزمان
صلوات المسيح في ذلك الديار دعاء القيس والرهبان

وهذه مواضع وقرى من غوطة دمشق وأعمالها بين الجولان واليرموك .

ديار غسان : وكانت ديار ملوك غسان باليرموك والجولان ، وغيرهما من غوطة دمشق وأعمالها ، ومنهم من نزل الاردن من ارض الشام .

وجبلة بن الأيهم هو الذي أسلم وارتد عن دينه خوف العار والقوادر من اللطيمة ، وخبره واضح مشهور قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا ، وسائر اخبار ملوك قنوخ وسليخ وغسان وغيرهم من ملك الشام ، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم الحارث بن أبي شمر الفسائي الى الاسلام وترغيبه في الايمان ، وقد أتينا على خبره وما كان من اسلامه واخباره مع النبي صلى الله عليه وسلم في كتابنا « اخبار الزمان » ، وفي أبيه يقول النابغة :

هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التمام
للحارث الأكبر والحارث الأصغر ، والحارث خير الأنام

ثم لهند ولهند وقد
وخمسة آباؤهم ما هم
أسرع في الخيرات منه أمام
أكرم من يشرب صوب الغمام

فجميع من ملك من ملوك غسان بالشام احد عشر ملكاً ؛ وقد
كان بالشام ملوك ببلاد مادب^(١) من ارض البلقاء من بلاد دمشق ،
وكذلك مدائن قوم لوط من ارض الاردن وبلاد فلسطين ، وكانت
خمس مدن . وكانت دار المملكة منها والمدينة العظمى مدينة سدوم ،
وكانت سمة كل ملك يملكها بارعاً^(٢) ، وكذلك ذكر في التوراة ، وذكرت
اسماء هذه المدن ، أعرضنا عنه ؛ إذ كان فيه خروج عن شرط الاختصار .

وقد كان لكندة وغيرها من العرب من قحطان ومعد ملوك كثيرة
لم نتعرض لذكرها ؛ اذ كان لا أسماء لهم تميم وت شهرم ، كقولنا الخليفة
وقيصر وكسرى والنجاشي ، ولثلا يطول الكتاب بذكرهم ، وقد أتينا على
سائر ملوك العرب من معد وقحطان وغيرهم ممن وسم بالملك في بعض
الممالك في سائر الأمم الحالية والممالك الباقية ، من البيضان والسودان ،
من أمكن ذكره وتأتي لنا الإخبار عنه ، وإنما ذكرنا في هذا
الكتاب من الملوك من اشتهر ملكه ، وعرفت مملكته ميلاً الى
الاختصار ، وطلباً للايجاز ، وتنبيهاً على ما سلف من أخبارهم في كتبنا
المتقدم ذكرها من تصنيفنا ، والله الموفق .

ذكر البوادي

من العرب وغيرها من الأمم

وعلة سكنها البدو ، وجل من أخبار العرب
وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى

قد تقدم ذكرنا لولد قحطان ، وان من عداهم من العرب العاربة دثرت
من عاد وطسم وجديس وعملق وججرهم وثمود وعبيل ووبار ، وسائر من
سمينا ، وأن من بقي من ذكرنا دخلوا في العرب الباقية الى هذا الوقت ،
وهم قحطان ، ومعد ، ولا نعلم أن قبيلة بقي يشار اليه في الأرض من العرب
الأولى غير معد وقحطان ، وذكرنا من طاف البلاد من ملوكهم ، مثل التبابعة
والأذواء ، ومن شيد البغيان في الشرق والغرب ، ومصر الأمصار ، وبنى
المدن الكبار ، كإفريقس بن أبرهة ، وما بني بالمغرب من المدن كمدينة
إفريقية وصقلية ، وما كور من الكور هنالك ، وما اتخذ من العمار ،
وكسير شمر الى أرض المشرق ، وبنياته سمرقند ، ومن خلف هنالك من
حمير بها ، وبلاد التبت والصين ، وقد ذكر ذلك جماعة من شعرائهم من
سلف وخلف .

بين دعبل والكميت : وقد افتخر دعبل بن علي الخزاعي في قصيدته التي
يرد فيها على الكميت وفخر دعبل بن سلف من ملوكهم ومسيرهم في
الأرض^(١) [وأن لهم من الفضل ما ليس لمعد بن عدنان ، فقال في شعره :

(١) في نسخة : وسير في الأرض .

فهموا كتبوا الكتاب بباب مروء وباب الصين كانوا الكاتبيين
 وهم جمعوا الجمع بسمرقند وهم غرسوا هناك التبتينا ^(١)
 وقد كان لليمن ملوك لا يدعون بالتبابعة ، ممن تقدم وتأخر منهم ،
 حتى ينقاد الى ملكه أهل الشحر وحضرموت ، فحينئذ يستحق أن
 يسمى تبعا ، ومن تخلف عن ملكه من ذكرنا سمي ملكا ، ولم يطلق
 عليه اسم تبعا ، وقد قال الله عز وجل في قصة قريش وتفاخرها
 بقوتها وعددها : (أم خير أم قوم تبع - الآية) حين دخل الحرم فبعث
 الله عليه الظلة ؛ وإنما سمي تبعا بمن تبعه ، وكذلك حكى عن عبدالله بن العباس .
 بين تبع وقباد ملك الطوائف : وقد كان تبع ابو كرب سار في الأرض ،
 ووطىء الممالك وذللها ، ووطىء أرض العراق في ملك الطوائف ،
 وعبد الطوائف حينئذ جوذر بن سابور ، فلقى ابو كرب ملكا من
 الطوائف يقال له قباد ، وليس بقباد بن فيروز من الساسانية ، فانهزم
 قباد ، وأتى تبع ابو كرب على ملكه ، وملك العراق والشام والحجاز
 وكثيراً من الشرق .

وفي ذلك يقول تبع ويذكر ما صنع :

[ورد الملك تبعا وبنوه ورثوهم جدودهم والجدودا] ^(٢)

إذ جئنا جياتنا من ظفار ثم سرنا بها مسيراً بعيداً ^(٣)

فاستبحنا بالخيال ملك قباد وابن أفلود قائماً مصفوداً ^(٤)

فكسونا البيت الذي حرم الله ملاء مقصباً وبروداً

وأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه إقليداً ^(٥)

[ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعاً وسجدنا عند المقام سجوداً] ^(٦)

١) زيادة عن إحدى النسخ ، ووقع في نسخة أخرى : وقد ذكرنا طرفاً من قوله ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب .

٢) هذا البيت ساقط من إحدى النسخ . (٤) وفي نسخة : وابن أفلود جاءني مصفوداً .

٣) في نسخة : إذ جئنا جياتنا من ظفار . (٥) » » : وجعلنا لنا به إقليداً .

وقال أيضاً فيه :

لَسْتُ بِالتَّبِيعِ الْيَمَانِيِّ إِنْ لَمْ تَرْكُضِ الْخَيْلُ فِي سَوَادِ الْعِرَاقِ
وَتُؤَدِّي رُبَيْعَةَ الْخُرْجِ قَسْرًا أَوْ تَعْقِي عَوَائِقَ الْعَوَاقِ

وقد كانت لنزار بن معد معه وقائع وحروب كثيرة ، واجتمعت عليه معد بن ربيعة ومضر وإياد وأنمار ، وقداعت يحدما نزار ، وقواهبت ما كان بينها من الدماء والثأر ^(١) ، فكانت لهم عليه ؛ ففي ذلك يقول أبو دؤاد الإيادي :

ضربنا على تبّع جزية جِيَادُ الْبُرُودِ وَخُرْجُ الْذَهَبِ ^(٢)
وولّى أبو صُكْرِبٍ هَارِبًا وَكَانَ جَبَانًا كَثِيرَ الرَّهَبِ ^(٣)
[وَأَتْبَعَهُ فَهَوَى لِلْجَبِينِ وَكَانَ الْعَزِيزُ بِهَا مِنْ غَلَبٍ] ^(٤)

وقد ذكرنا في الكتاب الأوسط ^(٥) بدء النسب من إبراهيم عليه الصلاة والسلام وولد اسماعيل وتفرق النسب ^(٦) الى نزار بن معد وتشعب الناس من نزار بن معد بن عدنان ، فلتذكر الآن في هذا الموضع خبر ولد نزار الأربعة مع الأفعى بن الأفعى الجرهمي ، ثم نعقب ذلك بما اليه قصدنا في هذا الباب من هذا الكتاب ، من علة سكّنى البوادي من العرب البدو وغيرهم ممكن سكن الجبال والأودية وسائر البراري والقفار .

نزار بن معد وأولاده : ذكر عدة من رواة أخبار العرب أن نزار بن معد ولد أربعة أولاد : إيادا ، وبه كان يكنى ، وأنمارا - وبجيلة وخثعم من ولده على ما قيل ، إذ كان فيما ذكرنا تتنازع لأن من الناس من ألحقهم باليمن ، ومن الناس من ذكر فيهم ما وصفنا أنهم من ولد أنمار

(١) في نسخة : من الدماء والطوائل . (٤) لا يوجد هذا البيت في إحدى النسخ .
(٢) » » : على تبّع حربه جبال البرود . (٥) في نسخة : وقد ذكرنا فيما بعد .
(٣) » » : كثير الكذب . (٦) » » : وتفرع النسب .

ابن نزار - وربيعه ، ومُضَر ، فلما حضرت نزاراً الوفاة دعا بنيه ودعا يجارية له شمطاء ، فقال لإياد : هذه الجارية وما أشبهها من مالي فلك ، ثم أخذ بيد مُضَر^(١) فأدخله قبة له حمراء من أدم ، ثم قال : هذه القبة وما أشبهها من مالي فلك ، ثم أخذ بيد ربيعة وقال له : هذا الفرس الأدم والخباء الأسود وما أشبهها من مالي فلك ، ثم أخذ بيد أنمار وقال له : هذه البدرية والمجلس وما أشبهها من مالي فلك ، فإن أشكلت عليكم هذه القسمة فأتوا الأفعى بن الأفعى الجرهمي - وكان ملك نجران - حتى يقسم بينكم وتراضوا بقسمته ، فلم يلبث ، نزار إلا قليلاً حتى هلك .

قصة أولاد نزار بن معد مع الأفعى الجرهمي : وأشكلت القسمة على ولده فركبوا رواحلهم ثم قصدوا نحو الأفعى ، حتى إذا كانوا منه على يوم وليلة من أرض نجران ، وهم في مفازة ، إذا هم بأثر بعير ، فقال إياد : ان هذا البعير الذي ترون أثره أعور ، فقال أنمار : وانه لأبتر ، قال ربيعة : وانه لأزور ، قال مضر : وانه لشروود ، فلم يلبثوا أن رفع اليهم راكب توضع به راحلته ، فلما غشيهم قال لهم : هل رأيتم من بعير ضال في وجوهكم^(٢) ؟ قال إياد : أكان بعيرك أعور ؟ قال : فإنه لأعور ، قال أنمار : أكان بعيرك أبتر ؟ قال : فإنه لأبتر ، قال ربيعة : أكان بعيرك أزور ؟ قال : فإنه لأزور ، قال مضر : أكان بعيرك شرووداً ، قال : إنه لشروود ، ثم قال لهم : فأين بعيري ؟ دلثوني عليه ، قالوا : والله ما أحسننا لك ببعير ولا رأيناه ، قال : أنتم أصحاب بعيري وما أخطأتم من نعتي شيئاً . قالوا : ما رأينا لك ببعيراً ، فتبعهم حتى قدموا نجران ، فلما أناخوا بباب الأفعى استأذنوا عليه ، فأذن لهم ، فدخلوا ، وصاح الرجل من وراء الباب : أيها الملك ، هؤلاء اخذوا بعيري

(١) تتقدم بعض هذه العبارات وتتأخر في بعض النسخ . (٢) في نسخة : في وجهكم هذا .

ثم حلفوا أنهم ما رأوه ، فدعا به الأفعى فقال : ما تقول ؟ فقال : أيها الملك ، هؤلاء ذهبوا ببعيري وهم أصحابه ، فقال لهم الأفعى : ما تقولون ؟ قالوا : رأينا في سفرنا هذا اليك أثر بعير فقال إياد : انه لأعور ، قال : وما يدريك أنه أعور ؟ قال : رأيته مجتهداً في رعي الكلأ من شق قد لحسه والشق الآخر وافر كثير الالتفاف لم يمسه فقلت : إنه أعور^(١) ، وقال أنمار : رأيته يرمي ببعره مجتهداً ولو كانت أهلب لمصع به فعلت انه أبلر ، وقال ربيعة : رأيت أثر إحدى يديه ثابتاً والآخر فاسداً فعلت أنه أزور ، وقال مضر : رأيته يرعى الشقة من الأرض ثم يتعداها فيمر بالكلأ الملتف الغض فلا ينهش منه^(٢) حتى يأتي ما هو أرق منه ، فيرعى فيه ، فعلت أنه شرود ، فقال الأفعى : صدقوا^(٣) ، قد أصابوا أثر بعيرك وليسوا بأصحابه ، التمس بعيرك ، ثم قال الأفعى للقوم : من أنتم ؟ فأخبروه بحالهم ، وانتسبوا إليه فرحب بهم وحياهم ثم قال : ما خطبكم ؟ فقصوا عليه قصة أبيهم ، قال الأفعى : وكيف تحتاجون إليّ وأنتم على ما أرى ؟ قالوا : أمرنا بذلك أبونا ، ثم أمر بهم فأنزلوا ، وأمر خادماً له على دار الضيافة أن يحسن إليهم ويكرم مشوّاهم وإطافهم^(٤) بأفضل ما يقدر عليه ثم أمر وصيفاً له من بعض خدمه ظريفاً ادبياً ، فقال له : انظر كل كلمة تخرج من أفواههم فأني بها ، فلما نزلوا بيت الضيافة أتاهم القهرمان بقرص من شهد فأكلوا وقالوا : ما رأينا شهداً أعذب ولا أحسن ولا أشد حلاوة منه ، فقال إياد : صدقتم لولا أن نحله ألقاه في هامة جبار ، فوعاها الغلام ، فلما حضر غداؤهم وجيء بالشواء فإذا بشاة مشوية فأكلوها وقالوا : ما رأينا شواء أجود شيئاً ولا أرخص لحماً ولا أسمن منه ، فقال أنمار : صدقتم لولا أنه تغذي بلبن كلبة. ثم جاءهم بالشراب فلما شربوا قالوا : ما رأينا خمرأ

(١) وفي نسخة : فعلت أنه أعور . (٢) وفي نسخة : صدقتم .
(٣) وفي نسخة : ولا ينهش منه . (٤) وفي نسخة : ويلطفهم بأكثر ما يقدر عليه .

أرق ولا أعذب ولا أصفى ولا أطيب رائحة منه ، فقال ربيعة : صدقتم لولا أن كرمها نبتت على قبر. ثم قالوا : ما رأينا منزلاً أكرم قرى ولا أخصب رَحْلاً^(١) من هذا الملك . قال مضر : صدقتم لولا أنه لغير أبيه . فذهب الغلام إلى الأفعى فأخبره بما كان منهم ، فدخل الأفعى على امه ، فقال : أقسمت عليك إلا ما أخبرتني من أنا ومن أبي ، فقالت يا بني ، وما دعائك إلى هذا ؟ أنت ابن الأفعى الملك الأكبر ، قال : حقاً لتصدقني ، فلما الح عليها قالت : يا بني إن أباك الأفعى الذي تدعى له كان شيخاً قد أثقل ، فخشيت أن يخرج هذا الملك عنا أهل البيت ، وقد كان قدم إلينا شاب من أبناء الملوك ، فدعوته إلى نفسي ، فعلق بك منه ، ثم بعث إلى القهرمان ، فقال : أخبرني عن الشهد الذي بعثت به إلى هؤلاء القوم^(٢) ما خطبه ؟ قال إنا أخبرنا بدبر في طف^(٣) فبعثت إليه من يشوره ، فأخبروني أنهم هجموا على عظام نخرة منكورة^(٤) في ذلك الطف ، فإذا النحل قد عسلت في جمجمة من تلك العظام فأتوا بعسل لم أر مثله فقدمته إلى القوم لجودته ، ثم بعث إلى صاحب مائدته فقال : ما هذه الشاة التي شويتها لهؤلاء القوم ؟ قال : إني بعثت إلى الراعي أن ابعث إلي بأحسن شاة عندك ، فبعث بها إلي ، وما سألتك عنها ، فبعث إلى الراعي أن اعلني خبر هذه الشاة ، قال : إنها أول ما ولدت من غنمي عام أول ، فماتت أمها ، فبقيت ، وكانت كلبة لي قد وضعت فأنست السخلة بجيران الكلبة ، فكانت ترضع من الكلبة مع جرائها ، فلم أجد في غنمي مثلاً ، فبعثت بها إليك ، ثم بعث إلى صاحب الشراب ، فقال : ما هذا الخمر الذي سقيت لهؤلاء القوم ؟ قال : من حبة كرم نبتت غرستها^(٥) على قبر أبيك فليس في العرب مثل شرابها ، فقال الأفعى : ما هؤلاء القوم ؟ إن هم إلا شياطين ، ثم أحضرهم ، فقال : ما خطبكم ؟ قصوا علي قصتكم ، فقال إباد :

(١) وفي نسخة : أخصب رجلاً . (٤) في نسخة : مكثرة في ذلك الطف .

(٢) » » : قدمته إلى هؤلاء القوم . (٥) » » : من جنة كرم .

(٣) الدبر : جماعة النحل .

إن أبي جعل لي خادماً شمطاء وما أشبهها من ماله ، فقال : إن أباك ترك غنماً برشاء^(١) فهي لك ورعاؤها مع الخادم ، قال أثمار : إن أبي جعل لي بدرة ومجلسه وما أشبهها من ماله ، قال : فلك ما ترك أبوك من الشارقة^(٢) والحرث والأرض ، فقال ربيعة : إن أبي جعل لي فرساً أدم وبيتاً أسود وما أشبهها من ماله ، قال : فإن أباك ترك خيلاً دهمًا وسلاحاً فهي لك وما فيها من عبيد ، فسمي ربيعة الفرس ، فقال مضر : إن أبي جعل لي قبة حمراء من أدم وما أشبهها من ماله ، فقال : إن أباك ترك إبلًا حمراء فهي لك وما أشبهها من ماله فصارت لمضر الإبل والقبة الحمراء ، والذهب ، فسمي مضر الحمراء ، وكانوا على ذلك مع أخوالهم جرهم بمكة فأصابتهم سنة أهلكت الشاء وعامة الإبل ، وبقيت الخيل ، وكان ربيعة يفرز عليها ويصل إخوته^(٣) ، وذهب ما كان لأثمار من شاء في تلك السنين ، ثم عاود الناس الخصب والغيث ، فرجعت الإبل وثابت إليها أنفسها ومشت^(٤) ، فتناسلت وكثرت وقام مضر بأمر أخوتهم ، فبينما هم كذلك وقد قدم الرعاء بإبلهم فتمشوا ليلاً وعشوا رعاءهم فقام مضر يوصي الرعاء وفي يد أثمار عظم يتعرقته فرمى به في ظلمة الليل وهو لا يبصر فأوتد في عين مضر وفتأها ، فتأوه مضر وصاح : عيني عيني ، وتشاغل به أخوته ، فركب أثمار بعيراً من كرائم إبله ، فلحق بديار اليمن ، وكان بين إخوته ما ذكرنا من التنازع .

فهؤلاء ولد نزار الأربعة ، اليهم يرجع سائر ولد نزار على حسب ما قدمنا أن مضر الحمراء لما ذكرنا من امر القبة ، وبذلك تفتخر مضر في كلامها من المنشور والمنظوم ، وربيعه الفرس وربيعه القشعم من الفروسية والشجاعة

(١) في نسخة : نقداً ، والنقد - بالتعريبك - جنس من الغنم ، وكان قد قضى لإياد بالخادم والماشية البلق فسمي إياد الشمطاء . وانظر (مجمع الأمثال ١٤/١ بولاق) (المثل ٣٢ في ١٥/١ طبعة المكتبة التجارية الكبرى) .

(٢) الرقة : الفضة . (٤) وفي نسخة : وثارت إليها أنفسها رسمت .

(٣) في نسخة : ويعمل أخوته .

والنجدة والعز^(١) وشن الغارات لما ذكرنا من امر الفرس، وإياد وقد ذكرنا ما لحق عقبه، وأنمار وقد بينا الخلاف في تفرع نسله وما قاله النسابون في عقبه. ولكل واحد من هؤلاء ومن أعقب أخبار كثيرة يطول ذكرها، ويتسع شرحها: من ذكر ما حلوا به من الديار، وتشعب أنسابهم وتسلسلها، قد أتى الناس على ذكرها، وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا اليسير من مبسوطها؛ فمنعنا ذلك من إعادته في هذا الكتاب.

سكنى البدو: فلنذكر الآن الغرض من هذا الباب الذي به ترجم، وإليه نسب، من سكنى من حل البدو من العرب وغيرها من الأمم المتوحشة كالترك والكرد والبيجة والبربر، ومن تقطن بالبراري^(٢) وقطن الجبال، والعله الموجبة لذلك من فعلهم.

تباين الناس في السبب الموجب لما وصفنا، فذهب كثير من الناس إلى أن الجيل الأول ممن سكنوا الأرض مكثوا حيناً من الزمان لم يبنوا بناء، ولا شيدوا مدناً، وكان سكنام في شبه الأكواخ والمظال، ثم إن نقرأ منها أخذوا في ابتناء المساكن، وخلف من بعدهم خلف فابتنوا الأبنية، وثبتت فرقة منهم على سجيئتها الأولى في البيوت والاضلال ينتجعون الأماكن الرفهة الخصبة، ويتنقلون عنها إذا أجذبت، فمضت هذه الطائفة على نهج الأقدمين.

وذكرت طائفة أن أول ذلك، أن الناس لما نضب عنهم الطوفان، الذي أهلك الله به الأرض في زمن نوح على نبينا وعليه السلام، تفرق من نجا في طلب البقاع الخصبة المتخيرة، وانفرد من انفرد بانتجاع الأرضين وحلول البيداء، واستوطن آخرون بقاعاً تحيروها، كمن ابتنى إقليم بابل من النبط، ومن حله^(٣) من ولد حام بن نوح عليه السلام مع نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن

(١) وفي نسخة: والغزو وشن الغارات.

(٢) » » : ومن تبطن البراري.

(٣) في نسخة: ومن سلم من ولد حام.

غمرود الاول بن كوش بن حام بن نوح ، وذلك حين تملك على اقليم بابل من قبل الضحاك ، وهو بيوراسف^(١) وكمن حل بلاد مصر من ولد حام على حسب ما ذكرنا في باب مصر واخبارها في هذا الكتاب وكمن عمر الشام من الكنعانيين ، وكمن حل بوادي البربر وهم هواره وزناة وضريسة ومغيلة وور فجومة ونفزة^(٢) وكتامة ولوارة ومزانة ونفوسة ولفظة وصدينة ومصمودة وزنارة وغمارة وقالة ووارقة وأتيتة وبابه وبنوسبخوت وأركنة وهي من زنانة وبنوكلان وبنومصدریان وبنو أقباس وزيجن وبنو منهوسا وصنهاجة ، ومن سكن من انواع الأحابيش وغيرهم الغابة المعروفة بغابة العافريم سور ورعوين والعورفة ويكسوم ، ومنهم من سكن غير الغابة واتسع في هذه البلاد من المغرب .

وقد ذكرنا ان ارض البربر خاصة كانت ارض فلسطين من بلاد الشام ، وان ملكهم كان جالوت ، وهذا الاسم سمة لسائر ملوكهم ، الى ان قتل داود عليه الصلاة والسلام ملكهم جالوت ، فلم يترك عليهم بعده ملك ، وانهم انتهوا الى ديار المغرب الى موضع يعرف بلوبية ومراقية ، فانتشروا هنالك ، فنزل منهم زنانة ومغيلة وضريسة الجبال من تلك الديار وتبطنوا الأودية ، ونزلوا أرض برقة ، ونزلت هواره بلاد إياس وهي بلاد طرابلس المغرب أي الثلاث المدن ، وقد كانت هذه الديار للأفرنجية والروم ، فأنجلوا عن البربر حين أوطنوا أرضهم الى جزائر البحر الرومي فسكن الأكثر منهم جزيرة صقلية ، وتفرقت البربر ببلاد إفريقية وأقاصي بلاد المغرب من نحو من مسافة ألفي ميل ، وانتهوا الى موضع يعرف بقبوسة ، على أكثر من ألفي ميل من بلاد القيروان ، وتراجعت الروم والأفرنجية الى مدنها وعمائرهم وذلك على موادة وصلح من البربر ، واختارت البربر سكنى الجبال

(١) وفي نسخة : وهو بنوراست .

(٢) في هذه الأسماء اختلاف كثير ، واخترنا ما في إحدى النسخ .

والأودية والرمال والتهاس وأطراف البراري والقفار .

ومن بحر إفريقية وصقلية يخرج المرجات ، وهو المتصل ببحر الظلمات المعروف ببحر أوقيانوس ، وغير هؤلاء ممن ذكرنا من الأمم من سكن قطع الأرض وابتنى المدائن شرقا وغربا .

ورأت العرب ان جولان الأرض وتخير بقاعها على الأيام أشبه بأولي العز وأليق بذوي الأنفة ، وقالوا : لنكون^(١) محكمين في الأرض ونسكن حيث نشاء أصلح من غير ذلك ، فاختاروا سكنى البدو ، من أجل ذلك .

وذكر آخرون أن القدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الأخطار^(٢) ، ونبل الهمم والأقدار ، وشدة الأنفة ، والحمية من المعرة ، والهرب من العار ، بدأت بالتفكر في المنازل ، والتقدير للمواطن ، فتأملوا شأن المدن والأبنية ، فوجدوا فيها معرة ونقصا ، وقال ذوو المعرفة والتمييز منهم : ان الأرضين تمرض كما تمرض الاجسام ، وتلحقها الآفات ، والواجب تخير المواضع بحسب أحوالها من الصلاح ، اذ الهواء ربما قوي فأضر بأجسام سكانه ، وأحوال أمزجة قطانه ، وقال ذوو الآراء منهم : ان الأبنية والتحويط حضر عن التصرف في الأرض ، ومقطعة عن الجولات ، وتقييد للهمم ، وحبس لما في الفرائز من المسابقة الى الشرف ، ولا خير في اللبث على هذه الحالة ، وزعموا أيضاً أن الأبنية والأطلال^(٣) تحصر الغذاء وتمنع اتساع الهواء^(٤) ، وتسد سريوحه عن المرور وقذاه عن السلوك ، فسكنوا البر الأفيع الذي لا يخافون فيه من حصر ومنازلة ضر ، هذا مع ارتفاع الأقداء ، وسماحة الأهواء ، واعتزال الوباء ، ومع تهذيب الأحلام في هذه المواطن ، ونقاء القرائح في التنقل في المساكن ، مع صحة الأمزجة ، وقوة الفطنة ، وصفاء الألوان ، وصيانة

(١) كذا ، ولعل الأصل « لأن تكون » . (٢) وفي نسخة : الأطلال والأبنية .

(٣) في نسخة : على سمو الاخطار . (٤) » » : انفساح الهواء .

الأجسام^(١) ، فان العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء ، وطبع الهواء الفضاء ، وفي هذا الأمن من العاهات والاسقام والعلل والآلام ، فأثرت العرب سكنى البوادي والخلول في البيداء ، فهم أقوى الناس هما ، وأشدهم أحلاماً ، واصحهم اجساماً ، وأعزم جاراً ، وأحماهم ذماراً وأفضلهم جواراً^(٢) ، واجودهم فطناً ؛ لما أكسبهم إياه صفاء الجو ونقاء الفضاء ، لأن الأبدان تحتوي اجزاؤها على متكاثف الأكدار وعناء الأقدار ، ما يرتفع اليه ، ويتلاطم في عرصاته وأفقه من جميع المستحيلات والمستنقعات من المياه ، ففي اكتافه جميع ما يتصعد اليه ، ولذلك تراكبت الأقداء والأدواء والعاهات في اهل المدن ، وتركبت في اجسامهم ، وتضاعفت في اشعارهم وابصارهم ، ففضلت العرب على سائر من عداها من بوادي الأمم المتفرقة لما ذكرنا من تخيرها الاماكن وارقيادها المواطن .

قال المسعودي : ولذلك جانبوا فظاظة الاكراد وسكان الجبال من الاجيال الجافية وغيرهم الذين مساكنهم 'حزون' الارض ودهاسها ، وذلك ان هذه الامم الساكنة هذه الجبال والادوية تناسب اخلاقها مساكنها في انخفاضها وارتفاعها ؛ لعدم استقامة الاعتدال في ارضها ، فلذلك اخلاق 'قطانها' على ما هي عليه من الجفاء والغلظ .

خطيب العرب عند كسرى يعلل اختيار قومه البداوة : وذكر الهيثم بن عدي والشرقي بن القطامي وغيرها من الاخباريين انه وفد على كسرى انو شروان بعض خطباء العرب ، فسأله كسرى عن شأن العرب وسكنائها البر واختيارها البدو ، فقال : ايها الملك ، ملكوا الارض ولم تملكهم ، وأمنوا عن التحصن بالأسوار ، واعتمدوا على المرفقات الباترة ، والرماح الشارعة

(١) وفي نسخة : وصفاء الهواء ومتانة الاجسام . (٢) وفي نسخة : وأفضلهم جوداً .

جُنُنَا وَحَصُونَا^(١) ، فمن ملك قطعة من الارض فكأنها كلها له ، يردون منها خيارها ويقصدون الطافها ، قال : فأين حظوظهم من الفلك ؟ قال : من تحت الفرقدين ورأس المجرة وسعد الجدي مشرقين في البر^(٢) بحسب ذلك ، قال : فما رياحها ؟ قال : أكثرها النكباء بالليل والصبا عند انقلاب الشمس ، قال : فكم الرياح ؟ قال : أربع ، فاذا انحرفت واحدة منهن قيل : نكباء ، وما بين سهيل الى طرف بياض الفجر جنوب ، وما بإزائها مما يستقبلها من المغرب شمال ، وما جاء من وراء الكعبة فهي دبور ، وما جاء من قبل ذلك فهي صبا ، قال : فما أكثر غذائهم ؟ قال : اللحم واللبن والنبيد والتمر ، قال : فما خلثتهم ؟ قال : العز ، والشرف ، والمكارم ، وقرى الضيف ، وإذمام الجار^(٣) ، وإجارة الخائف ، وأداء الجمالات ، وبذل المهج في المكرمات ، وهم سرّاة الليل ، وليوث الفيل ، وعمار البر ، وأنس القفر ، ألقوا القناعة ، وشنّفوا الضراعة^(٤) ، لهم الأخذ بالثأر ، والأنفة من العار ، والحماية للذمار ، قال كسرى : لقد وصفت عن هذا الجبل كرما ونبلا ، وما أولانا بأنجاح وفادتكم فيهم .

فتخبرت العرب في البر أنزالا منها مَشايت ومنها مصايف : فمنهم المُتَجِد والمُتَمِّم فالمتجد منهم هم الذين سكنوا أرض نجد ، والمتهم هم الذين سكنوا أرض تهامة ، ومنهم من سكن أغوار الأرض كغور بيسان وغور غزة من أرض الشام من بلاد فلسطين والأردن ومن سكنه من لحم وُجْدَام ، ولجميع العرب مياه يجتمعون عليها وملكية يعرجون اليها ، كالدهناء^(٥) والسماء والتهائم وأنجاد الأرض والبقاع والقيعان والوهاد ، ولست تكاد ترى قبلا من العرب توغل من

(١) في نسخة : والرماح السامرة حيا وحصنا .
(٢) في نسخة : مشرقين على الأرض بحسب ذلك .
(٣) في نسخة : راذمار الجار .
(٤) شنّفوا : كرهوا وأبغضوا ، وفي إحدى النسخ : وسبقوا الضراعة .
(٥) في نسخة : كالرها .

الاماكن المعروفة لهم والمياه المشهورة بهم ، كما ضارج وماء العقيق والهبة (١) وما أشبه ذلك من المياه .

الأكراد ، ونسبهم ، ومساكنهم : وأما أجناس الأكراد وأنواعهم فقد تنازع الناس في بدئهم ؛ فمنهم من رأى أنهم من ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان ، انفردوا في قديم الزمان ، وانضافوا الى الجبال والأودية ، دعتهم الى ذلك الأنفة ، وجاوروا من هنالك من الأمم الساكنة المدن والعمائر من الأعاجم والفرس ، فخالوا عن لسانهم ، وصارت لغتهم أعجمية ؛ ولكل نوع من الأكراد لغة لهم بالكردية ، ومن الناس من رأى أنهم من مضر بن نزار ، وأنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن ، وانهم انفردوا في قديم الزمان لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان ، ومنهم من رأى أنهم من ربيعة ومضر ، وقد احتصموا في الجبال طلباً للياه والمراعي فخالوا عن اللغة العربية لما جاورهم من الأمم .

ومن الناس من أطلقهم بإمام سليمان بن داود عليها السلام حين سلب ملكه ووقع على إيمائه المناققات ، الشيطان المعروف بالجسد ، وعصم الله منه المؤمنين أن يقع عليهن ، فعلق منه المناققات ، فلما رد الله على سليمان ملكه ووضع تلك الإمام الحوامل من الشيطان ، قال : أكردوهن الى الجبال والأودية ، قربتهم أمهاتهم ، وتناكحوا ، وتناسلوا ، فذلك بدء نسب الأكراد .

ومن الناس من رأى ان الضحاك ذا الأفواه المقدم ذكره في هذا الكتاب الذي تنازعت فيه الفرس والعرب من أي الفريقين هو ، أنه خرج بكتفيه حيتان فكانتا لا تغذيان إلا بادمغة الناس ، فأفنى خلقاً

(١) في نسخة : والسباط ، وفي احدى النسخ : والهبة .

كثيراً من فارس ، واجتمعت الى حربه جماعة كثيرة وافاء أفريدون بهم^(١) وقد شالوا راية من الجلود تسميها الفرس درفش كاوان^(٢) ، فأخذ أفريدون الضحاك وقيده في جبل دنباوند^(٣) على ما ذكرنا ، وقد كان وزير الضحاك في كل يوم يذبح كبشاً ورجلاً ويخلط أدمغتهما ويطعم تينك الحيتين اللتين كانتا في كتفي الضحاك ، ويطرد من مخلص الى الجبال ، فتوحشوا وتناسلوا في تلك الجبال فهم بدء الاكراد ، وهؤلاء من نسلهم ، وتشعبوا افغاذاً ، وما ذكرنا من خبر الضحاك فالفرس لا يتناكرونه ولا أصحاب التواريخ القديمة ولا الحديثة .

وللفرس في اخبار الضحاك مع إبليس أخبار عجيبة ، وهي موجودة في كتبهم ، وتزعم الفرس ان طهومرث^(٤) المقدم ذكره في ملوك الفرس الأولى هو نوح النبي عليه السلام ، وتفسير درفش بالفارسية الفهلوية - وهي الأولى - الراية والمطرود والعلم .

وأما الترك واجناسها فقد قدمنا كثيراً من اخبارها ، وقد غلط قوم فزعموا ان الترك من ولد طوح^(٥) بن أفريدون ، وهذا غلط بيتن ؛ لأن طوح ولأه أفريدون على الترك وسلم على الروم ، وكيف توليه عليهم وهم ولده ؟ وما قلنا يدل على أن الترك من غير ولد طوح بن أفريدون ، بل لطوح في الترك عقب مشهور ، والمعظم في أجناس الترك هم التبت ، وهم من حمير على حسب ما ذكرنا أن بعض التبابعة ربهم هناك^(٦) .

وما قلنا من الاكراد فالاشهر عند الناس ، والأصح من أنسابهم ،

(٤) في نسخة : وتزعم أن ظهور المقدم ذكره .

(٥) » » : طوح .

(٦) » » : ربهم هناك .

(١) في نسخة : وأفاء أفريدون .

(٢) » » : درفش كاصان .

(٣) » » : نهارند .

أنهم من ولد ربيعة بن نزار ، فأما نوع من الأكراد - وهم الشوهجان ببلاد ما بين^(١) الكوفة والبصرة ، وهي أرض الدينور وهمدان - فلا تناكر بينهم أنهم من ولد ربيعة بن نزار بن معد ، والماجردان وهم من الكنكور ببلاد أذربيجان والهللانية والسراة وما حوى بلاد الجبال من الشادنجان واللزية والمادنجان والمزدنكان والبارسان والحالية والجابارقية والجاوانية والمستكان ومن حل بلاد الشام من الدبابلة وغيرهم - فالمشهور فيهم أنهم من مضر بن نزار ، ومنهم اليعقوبية والجورقان وهم نصارى ، وديارهم مما يلي بلاد الموصل وجبل الجودي .

وفي الأكراد من رأي الخوارج والبراءة من عثمان وعلي رضي الله عنهما .

فهذه جمل من اخبار بوادي العالم ، وقد أعرضنا عن ذكر الفوز والخارج وهم أنواع من الترك نحو بلاد غرش وبسطام وبست مما يلي بلاد سجستان وكذلك من بلاد كرمان من أرض القفص والبلوج والجت .

بعض أيام العرب ووقائعها وحروبها : قال المسعودي : فأما أيام العرب ووقائعها وحروبها فقد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ، وما كان منها في الجاهلية والاسلام ، كيوم الهبأة ، وحروب ذبيان وغطفان ، وما كان بين عيس وسائر العرب من نزار واليمن وحرب داحس والبراء ، وحرب بكر بن وائل وتغلب ، وهي حرب البسوس ، ويوم الكلاب ، ويوم خزاز ، ومقتل شاس بن زهير ، ويوم ذي قار ويوم شعب جبلة ، وما كان من بني عامر وغيرهم ، وحرب الأوس والخزرج ، وما كان بين غسان وعك .

(١) وفي نسخة : ببلاد ما هي الكوفة والبصرة .

وسنورد بعد هذا الباب جملاً من أخبار العرب الدائرة وغيرها
وتفرقها في البلاد ، ونذكر جملاً من آرائها ودياناتها في الجاهلية ، وما
ذهبت إليه في الغيلان والهواتف والقيافة والكهانة والتفرس^(١)
والصدى والهام ، وغير ذلك من شيعها ، وبالله التوفيق

ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية

وتفرقها في البلاد ، ونخبر أصحاب الفيل وعبد المطلب

وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

ديانات العرب في الجاهلية : قال المسعودي : كانت العرب في جاهليتها
فرقاً : منهم الموحد المقر بخالقه ، المصدق بالبعث والنشور ، موقناً
بأن الله يثيب المطيع ، ويماقب العاصي ، وقد تقدم ذكرنا في هذا
الكتاب وغيره من كتبنا من دعا إلى الله عز وجل ونبه أقوامه
على آياته في الفترة كقُس بن ساعدة الإيادي ورثاب الشثي ،
وبحيرا الراهب ، وكانا من عبد القيس .

وكان من العرب من أقر بالخالق ، وأثبت حدوث العالم وأقر
بالبعث والإعادة ، وأنكر الرسل ، وعكف على عبادة الأصنام ، وهم
الذين حكى الله عز وجل قولهم : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا
إِلَى اللَّهِ زُلْفَى - الآية) وهذا الصنف هم الذين حجوا إلى الأصنام
وقصدوها ، ونحروا لها البدن ، ونسكوا لها النسائك ، وأحلوا
لها وحرموا .

(١) في نسخة : والنفوس ، ولعله أصح .

ومنهم من أقر بالخالق ، وكذب بالرسول والبعث ، ومال إلى قول أهل الدهر ، وهؤلاء الذين حكى الله تعالى إلحادهم ، وخبر عن كفرهم ، بقوله تعالى : (وقالوا ما هي إلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نموتُ ونَحْيَا وما يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) ، فرد الله عليهم بقوله : (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يَظُنُّونَ) .

ومنهم من مال إلى اليهودية والنصرانية .

ومنهم المار على عَنَجَهِيَّتِهِ ، الرَّاكِب لِطَجَمَتِهِ^(١) .

وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ، ويؤمنون أنها بنات الله ؛ فكانوا يعبدونها لتشفع لهم إلى الله^(٢) ، وهم الذين أخبر الله عز وجل عنهم بقوله تعالى : (ويعملون لله البنات ، سبحانه ، ولهم ما يشتهون) وقوله تعالى : (أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ؟ ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذا قسمة ضيزى) .

عبد المطلب بن هاشم : فممن كان مقرأ بالتوحيد ، مثبتاً للوعد ، تاركاً للتقليد ، عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وقد كان حفر بئر زمزم ، وكانت مطوية ، وذلك في ملك كسرى^(٣) قباذ ، فاستخرج منها غزالي ذهب عليها الدر والجوهر ، وغير ذلك من الحلي ، وسبعة أسياف قلعية ، وسبعة أدرع سوابغ^(٤) ؛ فضرب من الأسياف باباً للكعبة ، وجعل إحدى الغزالتين صفائح ذهب في الباب ، وجعل الأخرى في الكعبة ، وكان عبد المطلب أول من أقام الرفادة والسقاية للحاج ، وكان أول من سقى الماء بمكة عذبة ، وجعل

(١) ربما كانت « لمجيتة » .
(٢) وفي نسخة : كسرى بن قباذ .
(٣) « » : وخسة أدرع سوابغ .
(٤) « » : وخسة أدرع سوابغ .

باب الكعبة مذهباً ، وفي ذلك يقول عبد المطلب :

[أعطى بلا شح ولا مشاح سقياً على رغم العدو الكاشح
بعد كنوز الحسلى والصفائح حلياً لبیت الله ذي المسارح]^(١)

وكان قد نذر إن رزقه الله عز وجل عشرة أولاد ذكور ان
يقرب احدهم لله تعالى فكان أمره - حين رزقه الله إياهم -
أن قرب أحبيهم اليه وهو عبد الله ابو النبي صلى الله عليه وسلم ،
فضرب عليه بالقداح حتى اقتداه بمائة من الإبل ، في خبر طويل .

قصة اصحاب الفيل : وقد كان أبرهة حين سار بالحبشة وأتى أنصاب
الحرم ، فنزل بالموضع المعروف بحب المحصب^(٢) ، فأتى بعبد المطلب بن
هاشم فأخبر أنه سيد مكة ، فمظمه وهابسه لاستدارة نور النبي
صلى الله عليه وسلم في جبينه ، فقال له : سلني يا عبد المطلب ، فأبى
ان يسأله إلا ابلا له ، فأمر بردها عليه وقال له : ألا تسألني الرجوع ؟
فقال : أنا رب هذه الإبل ، وللبيت رب سيمنعه منك ، وانصرف عبد
المطلب الى مكة وهو يقول :

يا أهل مكة قد وافاكم ملك مع القبول على أنبيائها الزرد^(٣)
[هذا النجاشي قد سارت كتائبه مع الليوث عليها البَيْض تتقد]
[يريد كعبتكم ، والله مانعه كمنع تبّع لما جاءها حرد]^(٤)

وأمر قريشاً ان تلتحق ببطون الأودية ورؤوس الجبال من معرة
الحبشة ، وقلد الإبل النعال وخلوها في الحرم [ووقف بباب الكعبة
وهو يقول :

١ (هذان البيتان لا يوجدان في احدى النسخ . ٢) في نسخة : عن أنبيائها الزبد .
٣ (هذه الزيادة لا توجد في احدى النسخ . ٤) في نسخة : ينجب الخضب .

يا رب لا أرجو لهم سواك يا رب فامنع منهم حماك
ان عدو البيت من عاداك فامنعهم أن يخرّبوا قراكن^(١)
ويقول :

يا رب ان العبد يمنع رحلته فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبدا محالك

فأرسل الله عليهم الطير الأبايل ، أشباه اليعاسيب ، ترميهم بحجارة
من سجيل وهو طين خلط بحجارة خرجت من البحر ، مع كل طير
ثلاثة أحجار ، فأهلكهم الله عز وجل^(٢) .

وقد ذكرنا خبر أبي رغال فيما سلف من هذا الكتاب حين دلهم
على الطريق ، وهلاكه في الطريق ، وجعلت الحبشة يومئذ تسأل
عن ثقيل بن حبيب الحثمي يدلها على الطريق^(٣) ، وثقل يسمع
كلام الحبشة ومؤالها عنه ، وقد ربح لما عنهم من البلاء ، وانفرد
من جملتهم يؤمل الخلاص ، وقد تاهوا ، فأنشأ يقول :

ألا رُدِّي جِمالَكَ يا رُدِّينَا نعمنا كم مع الإصباح عينا^(٤)
فإنك لو رأيت ولن تربه لدى جنب المحصب ما رأينا
حدث الله إذ عاينت طيراً وحصب حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن ثقيل كأن عليّ للعبشان ديناً

وقد ذكرنا ما كان منهم في هلك عيدهم فيما سلف من هذا
الكتاب ، فلما صدهم الله عز وجل عن الكعبة أنشأ عبد المطلب
يقول :

(١) هذه الزيادة لا توجد في إحدى النسخ . (٢) في نسخة : دليلها على الرجوع .
(٣) في نسخة : فأتلفهم الله عز وجل . (٤) » » : إلا ردي حتى لك .

أيها الداعي لقد أسمعني ثم ما بي عن نداءكم من صمم
 إن للبيت رباً مانعاً من يردّه بأثم يُصْطَلَمُ
 رame تبع فيمن جَنَّدَتْ حنير والحي من آل قدم^(١)
 فأنشئ عنه وفي أوداجه جارج أمسك منه بالكظم
 قلت والأشرم تردى خيله : إن ذا الأشرم غر بالحرم^(٢)
 نحن آل الله فيما قد مضى لم يزل ذلك على عهد أبترهم
 نحن دمرنا ثموداً عنوة ثم عاداً قبلها ذات الإرم
 [نعبد الله وفينا سنة صلة القربى وإيفاء الذمم]
 لم تزل لله فينا حجة يدفع الله بها عنا النقم

القول بتناسخ الارواح : قال المسعودي : وقد استدل قوم ممن ذهب
 الى الغلو في بعض المذاهب والخروج عما أوجبه قضية العقل وضرورات
 الحواس بهذا الشعر وقول عبد المطلب فيما كان منهم في قديم الزمان ،
 وأيدوا ذلك الشعر بشعر العباس بن عبد المطلب في مدحه النبي
 صلى الله عليه وسلم ، وهو ما ذكره قريم بن أوس بن حارثة بن
 لأم الطائي انه هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم
 عليه منصرفه من تبوك فأسلم ، قال : سمعت العباس بن عبد المطلب
 يقول : يا رسول الله ، إني أريد ان امتدحك ، فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : قل لا يفضض الله فاك يا عمي ، فأنشأ يقول :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يُخَصَّفُ الورق
 ثم هبطت البلاد ، لا بشر أنت ، ولا مضغة ، ولا علق
 بل حجة تركب السفين ، وقد ألجم نسرأ وأهله الغرق^(٣)

(٣) يروي : بل نقطة تركب السفين - الخ .

(١) وفي نسخة : من آل قرم .

(٢) » » : والأشرم يرمي حبة .

تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق^(١)
وأنت لما ولدت أشرقك الـ أرض ، وضأت بنورك الأفق^(٢)
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف عليها تحتها النطق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

قالوا : وهذا الخبر قد ذكره أصحاب السير والاشعار والمغازي ،
ونقلوا هذا المديح من قول العباس ، وما كان من سرور النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك واستبشاره به ، فجعلت هذه الطائفة من الغلاة ما
ذكرنا من الشعرين - شعر عبد المطلب ، وشعر العباس - دلالة لهم على
مواطن ادعوها ، وتغلغلوا إلى شبه بعيدة استخرجوها ، يمنع منها ما
تقدم من أوائل العقول ، وموجبات الفحص ، ذكر ذلك جماعة من
مصنفي كتبهم ، ومن حذاق مبرزهم ، من فرق الحمدي والعلبانية ،
وغيرهم من فرق الغلاة : منهم إسحاق بن محمد النخعي المعروف
بالأحمر في كتابه المعروف بكتاب الصراط ، وقد ذكر ذلك الفياض
ابن علي بن محمد بن الفياض في كتابه المعروف بالقسطاس في
نقضه لكتاب الصراط وذكره المعروف بالنهكي^(٢) في نقضه هذا
الكتاب المترجم بالصراط ، وهؤلاء حمدي نقضوا هذا الكتاب ، وهو
على مذهب العلبانية ، وقد أتينا على ذكر هؤلاء الحمدي والعلبانية
والمغيرة والقدرية وسائر فرق الغلاة وأصحاب التفويض والوسائط ،
واستقصينا النقض عليهم وعلى سائر من ذهب إلى القول بتناسخ
الأرواح في أنواع أشلاء الحيوان ممن ادعى الإسلام ، وغيرهم ممن سلف
من اليونانيين والهند والثنوية والمجوس واليهود والنصارى ، وذكرنا قول

(١) هكذا في إحدى النسخ : وهو الموافق لما في كتب السيرة وأدب الكاتب لابن قتيبة (٣٣٣)

- طبعة المكتبة التجارية الكبرى) ، ووقع محرفاً في إحدى النسخ هكذا :

أنت لها وارث وأشرقك الـ أرض وأورى بنورك الأفق

(٢) في نسخة : بالنهكي .

أحمد بن حائط وابن ياقوس^(١) وجعفر القاضي^(٢) ، الى من نجم في وقتنا من تقدم وتأخر الى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - ممن أحدث قولاً تفريراً على ما سلف من أصولهم ، وأبدى فيها أيّد بها ما تقدم من مذاهبهم ، مثل الحسين بن منصور المعروف بالحلاج ، وأصحاب أبي يعقوب المزابلي^(٣) ، ثم أصحاب السوق^(٤) ومن تأخر عنهم وفارقهم في أصولهم ، مثل أبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني^(٥) المعروف بابن أبي الفرائث^(٦) وغيرهم من أمم نهجهم ، وذكرنا الفرق بينهم وبين غيرهم من أصحاب الدور في هذا الوقت من يراعى وقت الظهور ، وأصحاب حجج الليل والنهار ؛ اذ كانت هؤلاء قد أثبتوا القول بالتناسخ^(٧) ، وأن الأرواح تنتقل في شيء من الأجسام الحيوانية ، وأحالوا على القديم عز وجل أن يجوز عليه شيء مما تقدم ، فلنرجع الآن الى ما كنا فيه آنفاً ، وما تغفل بنا الكلام عنه من ذكر عبد المطلب .

تنازع الناس في إيمان عبد المطلب : تنازع الناس في عبد المطلب ، فمنهم من رأى أنه كان مؤمناً موحداً ، وأنه لم يشرك بالله عز وجل ، ولا أحد من آباء النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه نقل في الأصل الطاهرة ، وأنه أخبر أنه ولد من نكاح لا من سفاح ، ومنهم من رأى ان عبد المطلب كان مشركاً ، وغيره من آباء النبي صلى الله عليه وسلم إلا من صبح إيمانه ، وهذا موضع فيه تنازع بين الإمامية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم من الفرق في النص والاختيار ، وليس كتابنا هذا

(١) في نسخة : وابن ياقوس .

(٥) وفي نسخة : اللقاني .

(٢) » : وجعفر القاضي .

(٦) » : أبي القواقع .

(٣) » : المزابلي .

(٧) » : قد أبوا القول بالتناسخ .

(٤) » : ثم أصحاب الشريعيين .

موسوماً للحجاج فنذكر حجاج كل فريق منهم .

وقد أتينا على قول كل فريق منهم وما أيد به قوله في كتابنا « المقالات في أصول الديانات » وفي كتاب « الاستبصار » ووصف أقاويل الناس في الإمامة وفي كتاب « الصفوة » أيضاً .

وكان عبد المطلب يوصي ولده بصلة الأرحام ، واطعام الطعام ، ويرغبهم ويرهبهم فعل من يراعي في المتعقب معاداً وبعثاً ونشوراً ، وجعل السقاية والرفادة الى ابنه عبد مناف - وهو ابو طالب - وأوصاه بالنبي صلى الله عليه وسلم .

اسم ابو طالب : وقد تنوزع في اسم أبي طالب : فمنهم من رأى أن اسمه عبد مناف ، على ما وصفنا ومنهم من رأى ان كنيته اسمه ، وان علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتب في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ليهود خيبر بإملاء النبي صلى الله عليه وسلم ، « وكتب علي بن أبي طالب ، [بإمقاط الألف] وقد ذكر عبد المطلب في شعره وصية أبي طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :

أوصيت مَنْ كنيته بطالب بابن الذي قد غاب ليس بائب

وقد كان أكثر العرب ممن بقي ودثّر يقر بالصانع ، ويستدل على الخالق .

تعدد اللسنة واختلاطها : وقد كان في ملك النمرود بن كوش^(١) بن حام بن نوح هيجانُ الريح التي نسفت صرح النمرود ببابل من أرض العراق ، فبات الناس ولسانهم سرياني ، وأصبحوا

(١) في نسخة : في زمان كوش بن حام بن نوح .

وقد تفرقت لغاتهم على اثنين وسبعين لساناً ، فسمي الموضع من ذلك الوقت بابل ، فصار من ذلك في ولد سام بن نوح تسعة عشر لساناً ، وفي ولد حام بن نوح ستة عشر لساناً ، وفي ولد يافث بن نوح سبعة وثلاثون لساناً على حسب ما ذكرنا في صدر هذا الكتاب ، وكان من تكلم بالعربية يعرب وجرم وعاد وحبيل وجديس وثمود وعملق وطسم ، ووبار وعبد ضخم^(١) .

مسير يعرب وحاوله باليمن : فسار يعرب بن قحطان بن عابر ابن شالخ^(٢) بن إرفخشذ بن سام بن نوح بمن تبعه من ولده وغيرهم وهو يقول^(٣) :

أنا ابن قحطان الهام الأفضل [الأيمن المعرب ذي المهمل]
يا قوم سيروا في الرعيل الأول أنا البدي باللسان المسهل
الأبين المنطق غير المشكل [حثوت والأمة في تبلبل]
[يا قوم سيروا في الرعيل الأول] نحو يمين الشمس في تمهل

فحل باليمن على ما وصفنا آنفاً من هذا الكتاب .

مسير عاد إلى الأحقاف : وسار بعده عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول :

إني أنا عاد الطويل البادي وسام جدي ابن نوح الهادي
فقد رأيتم يعرب الزيادي وسوقه الطارف والتلاد
رم ذات العباد : فحل بالأحقاف وأداني الرمل بين عمان

(١) في نسخة : وعبد بن ضخم .

(٢) » » : بن صالح بن سالم .

(٣) ما بين المعقوفين من هذا الرجز لا يوجد في إحدى النسخ .

وحضرموت واليمن ، وتفرق هؤلاء في الأرض ، فانتشر منهم ناس كثير : منهم جيرون بن سعد بن عاد حل بدمشق فمصر مصرها ، وجمع عمد الرخام والمرمر إليها ، وشيد بنيانها ، وسماها إرم ذات العماد ، وقد روي عن كعب الأحبار^(١) في إرم ذات العماد غير هذا ، وهذا الموضع بدمشق في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - سوق من أسواقها عند باب المسجد الجامع ، يعرف بجيرون ، وجيرون : هو بنيان عظيم ، كان قصر هذا الملك ، عليه أبواب من نحاس عجيبة : بعضها على ما كانت عليه ، والبعض من مسجد الجامع ، وقد ذكرنا فيما مر خبر نبي الله هود^(٢) .

ثول ثمود الحجر : وسار بعد عاد بن عوص ثود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول :

أنا الفتى الذي دعا ثودا يا قوم سيروا ودعوا التريديدا
لعلنا أن ندرك الوفودا فنلحق البادي لنا العديدا
إنا أبينا اليعرب الحميدا وعاد ما عاد الفتى الجليدا

فنزل هؤلاء الحجر إلى فرع^(٣) ، وقد تقدم ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب ، وخبر نبيهم صالح عليه السلام ، وانهم نحو وادي القرى ، بين الشام والحجاز .

مسير جدیس الى الیامة : وسار بعد ثود جدیس بن عابر بن إرم^(٤) بن سام بن نوح بولده ومن تبعه ، وهو يقول :

(١) في نسخة : وقد روي عن كتب الأخبار .

(٢) » » : خبر بني أسود .

(٣) » » : إلى قزح .

(٤) » » : جدیس بن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام .

أنا جديس والمسير المسلكا فدَتَكَ نفسي يا ثمود المهلكا
دعوتني فقد قصدت نحوكا إذ سارت العيس وأبدت شخصكا
وقد قلنا فيما سلف : إن هؤلاء الذين نزلوا اليامة .

رحلة عملاق الى مواضع مختلفة : وسار بعد جديس عملاق بن
لاوذ بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه ، وهو يقول :
لما رأيت الناس ذا تبلبل وسار منا ذو اللسان الأول
وحدثتنا في اللعاق الأول فسرت حثا بالسوام المهمل

فذل هؤلاء أكناف الحرم والتهائم ، ومنهم من سار إلى بلاد مصر
والغرب وقيل : إن هؤلاء بعض فراعنة مصر ، وقد ذكرنا قول من
ألحق العماليق وغيرهم من ذكرنا ببعض^(١) بن إسحاق بن إبراهيم
الخليل ، وزعم أنهم من ولد العيص على حسب ما ذكرنا فيما تقدم .
وقد كانت للعماليق ملوك كثيرة سلفت في مواضع من الأرض
بالشام وغيره ، وقد أتينا على أخبارهم وذكر ممالكهم وحروبهم في
كتابنا « أخبار الزمان » ، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب
قصة يوشع بن نون مع ملك العماليق ببلاد أيلة ، وهو السميع بن
هوبر ، وقد كان من بقي من العماليق انضافوا الى ملوك الروم ،
فلكتهم الروم على مشارق الشام^(٢) والغرب والجزيرة من ثغور الشام
فيما بينهم وبين فارس .

أذينة بن السميع العملاقي : فمن ملك الروم من العماليق : أذينة
ابن السميع ، الذي ذكره الأعشى في قوله :

(١) وفي نسخة : بقطور بن اسحاق بن إبراهيم الخليل .

(٢) ربما كان أصل العبارة « مشارق الشام » .

أزال أذينة عن ملكه وأخرج عن ملكه ذا يزن

وقد كان ملك بعد المماليق حسان بن أذينة بن طرب ، بن حسان ، ويقال هو الذي يعرف بأمه زبَاء .

ثم ملك عمرو بن طرب ، ويقال : هو الذي كان يعرف بأمه زبا ، وقد كان بينه وبين جذيمة الأبرش الأزدي أبي مالك^(١) حروب كثيرة ، فقتله جذيمة على ما ذكرنا ، وما كان من قتل الزباء لجذيمة وقول الشاعر :

كان عمرو بن زبأ لم يمش ملكا ولم يكن حوله الرايات تختفق
لام جذيمة من ضرساء مشعلة فيها خراشف بالنيران ترتشق

مسير طسم الى البحرين : ثم سار طسم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح بعد عملاق بن لاوذ بولده ؛ ومن تبعه وهو يقول .

إني أنا طسم وجدي سام سام بن نوح وهو الإمام
لما رأيت الأخ والأعلاما قلت لنفسي : التحقي السواما
أخاك عملاقا وذا الإقدام يافث لا كانت ولي حام

فنزله هؤلاء البحرين .

وقد كانت جميع من ذكرنا بدؤا ، وانتشروا في الأرض ، على حسب ما ذكرنا من مساكنهم ، وكثرت جدیس ، فملكها عليها الأسود بن غفار ، وكثرت طسم ، فملكها عليها عملاق^(٢) بن جدیس ، وقد ذكر عبيد بن شريفة الجرهمي حين وفد على معاوية وأخبره ان طسم بن لاوذ [بن إرم بن سام بن نوح ، وجدیس بن عابر بن]^(٣)

(٣) ما بين المعوفين ساقط من إحدى النسخ .

(١) في نسخة : بن مالك .

(٢) » » : عمليق .

سام بن نوح ، هم العرب العاربة ، وقد كان منزلهم جميعاً باليامة ، واسمها إذ ذاك جَوْ .

عمَلوق الظالم ملك طسم : وكان لطسم ملك يقال له عملوق ، وكان ظلوماً غشوماً ، لا ينهأ شيء عن هواه ، مع اصراره واقدامه على جدیس ، وتعدیه عليهم ، وقهره إياهم ، فلبثوا في ذلك دهرأ ، وهم أهل مظالم^(١) ، قد غمطوا النعمة ، وانتهكوا الحرمه ، وبلادهم أفضل البلاد ، وأكثرها خيراً ، فيها صنوف الشجر والاعناب ، وهي حدائق ملتفة ، وقصور مصطفة ، فلم يزل على ذلك حتى أتته امرأة من جدیس ، يقال لها هزيلة بنت مازن ، وزوج لها قد فارقتها ، يقال له ماشق ، فأراد قبض ولده منها^(٢) ، فأبت عليه ، فارتفعوا إلى الملك عملوق ليحكم بينهما ، فقالت المرأة : أيها الملك ، هذا الذي حملته تسعاً ، ووضعتہ دفعا ، وارضعته شفعا ، ولم أنل منه دفعا ، حتى إذا تمت أوصاله ، واستوفيت خصاله ، أراد أن يأخذني قسراً ، ويسلبني قهرأ ، ويتركني منه صفراً . قال زوجها : قد أخذت المهر كاملاً ، ولم أنل منه ثائلاً ، إلا ولداً خاملاً^(٣) ، فاقبل ما كنت فاعلاً . فأمر الملك أن يؤخذ الولد منها ويحمل في غلمانه ، فقالت هزيلة في ذلك :

أتينا أنا طسم ليحكم بيننا فأبرم حكماً في هزيلة ظالماً
لعمري لقد حكمت لا متورعاً ولا فهماً عند الحكومة عالماً
ندمت فلم أقدر على متحزج وأصبح زوجي حائر الرأي نادماً

فبلغ الملك قول هزيلة ، فغضب ، وأمر أن لا تتزوج امرأة من جدیس فتزف إلى زوجها حتى تحمل إليه ، فيفترعها قبل زوجها ،

(١) في نسخة : وهم أهل بطالة قد غمطوا النعمة .

(٢) في نسخة : ولم أنل منه

طائلاً ، إلا ولداً خاملاً .

(٣) » : قبض ولداً عنها .

فلقوا من ذلك ذلا طويلا ، ولم تزل تلك حالتهم حتى تزوجت عفيرة ،
وقيل : الشموس ، بنت غفار الجديسي^(١) أخت الأسود بن غفار^(٢) ، فلما
كانت ليلة هديها الى زوجها انطلق بها الى عملاق الملك ليطأها على
عادته ، ومعها القينات يغبين ويقلن في غنائهن :

إبدي بعملاق وقومي فاركي وبادري الصبح بأمر معجب
فما لبكر بعدكم من مذهب

فلما دخلت عفيرة على عملاق افترعها وخلي سبيلها ، فخرجت
عفيرة على قومها في دماءها شاقة جيبها عن قلبها ودبرها ، وهي تقول :
لا أحد أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس ؟

وقالت أيضا تحرض قومها جديس على طسم ، وأبت أن تمضي
الى زوجها من كلمة :

أَيَصْلَحُ ما يؤتى الى فتياتكم وأنتم رجال فيكم عدد الرمل^(٣)
أَيَصْلَحُ تمشي في الدماء فتياتكم صبيحة زغت في النساء الى البعل
فإن أنتم لا تفضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تفروا من الكحل^(٤)
ودونكم طيب العروس ؛ فلما
فقبحا وشيكاً للذي ليس دافعا ويختال يمشي بيننا مشية الفحل
فلو أننا كنا الرجال وكنتم نساء لكنا لا نقر على الذل

(١) في نسخة : الطسمي .

(٢) هكذا ورد في تاريخ الطبري (٢ : ٢٨) ووقع في إحدى النسخ : الشموس بنت عمار
أخت الأسود بن غفار ، بالخطأ في الموضعين ، وعدم الاتفاق حتى على الخطأ .

(٣) في نسخة : عدد النمل .

(٤) في نسخة : عند هذه . وفيها « لا تفضوا من الكحل » .

فموتوا كراماً ، واصبروا لعدوكم بحرب تلظى في القرام من الجزل^(١)
ولا تحزعوا للحرب يا قوم ، إنما تقوم بأقوام كرام على رجل
فيهلك فيها كل نكس مواصل ويسلم فيها ذو النجابة والفضل
وفي ذلك يقول أخوها :

جاءت تمشى طسم في خميس كالريح في هشة اليبس
يا طسم ما لقيت من جديس حقاً لك الويل فهيسي هيسي

انتقام جديس : قال : فلما سمعت جديس بذلك وغيره من قولها
اجتمعت غضباً لذلك ، فقال لهم الأسود بن غفار - وكان فيهم سيداً
مطاعاً - : يا جديس ، أطيعوني فيما آمركم به ، وأدعوكم إليه ، ففي ذلك
عز الدهر ، وذهاب الذل ، قالوا : وما ذلك ؟ قال : قد علمت أن
هؤلاء - يعني طسماً - ليسوا بأعز منكم ، ولكن 'ملك' صاحبهم عليكم
وعليهم هو الذي 'يذرعنا' إليه بالطاعة^(٢) ، ولولا ذلك ما كان له
علينا من فضل ، ولو امتنعنا منه لكان لنا النصف^(٣) ، فقالوا : قد
قبلنا قولك ، ولكن القوم أقراننا ، وأكثر عدداً وعدداً منا ،
فنخاف إن ظفروا بنا أن لا يقيلونا ، فقال : والله يا جديس لتطيعنني
فيما آمركم به وأدعوكم إليه أو لأتكنن على سيفي فأقتل به
نفسي ، قالوا : فإننا نطيعك فيما قد عزمنا عليه ، قال : إني صانع
لعملق وقومه من طسم طعاماً وداعيم إليه ، فإذا جاءوا إليه
متفضلين في الحلل والنعال^(٤) نهضنا إليهم بأسياقنا ، فانفردت أنا بالملك ،

(١) في نسخة : واضرموا لعدوكم. وفيها « تلظى بالضرام ».

(٢) » : هو الذي ودعنا له بالطاعة .

(٣) » : ولو امتنعنا منهم لكان لكم النصف .

(٤) » : منفصلين من الخيل والبغال .

وانفرد كل رجل منكم برجل منهم ، قالوا له : فافعل ما بدا لك ، واجتمع رأيهم عليه ، فقالت عفيرة لأخيها الأسود : لا تفعل هذا ؛ فإن الغدر فيه ذلة وعار ، ولكن كابدوا القوم في ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما ، قال : لا ، ولكن نمكر بهم ، فيكون ذلك أمكن لنا من نواصيهم ، وأبلغ في الانتقام منهم ، فقالت عفيرة في ذلك أشعرا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا .

ثم ان الأسود صنع طعاما كثيرا ، وأمر قومه فاخترطوا سيوفهم ودفنوها في الرمل حيث أعدوا الطعام ، ثم قال لهم : إذا أتاكم القوم يرفلون في حلبيهم^(١) فخذوا أسياقكم ثم شدوا^(٢) عليهم قبل ان يأخذوا مجالسهم ، وابدأوا بالرؤساء ؛ فانكم اذا قتلتموهم لم تبالوا بالسفلة ، ولم تكن بعد ذلك منهم حال تكرهونها ، قالوا : نفعل ما قلت .

ثم دعا الأسود بعملوق الطسمي ومن معه من رؤساء طسم باليامة ، فاسرعوا اجابة دعوة الأسود ، فلما توافقوا الى المدعاة وثبت جديس ، فاستشاروا سيوفهم من الرمل ، وشدوا على عملوق واصحابه فقتلهم حتى أفنهم عن آخرهم ، ومضوا الى ديارهم فانتهبوها ، وقال الأسود بن غفار في ذلك أشعرا يرثي بها طسما ، ويذكر بنغيها^(٣) وفعل عملوق بأخته ، يطول بذكرها الكتاب ، وقد تقدمت فيما سلف من كتبنا .

رباح الطسمي يستنجد حمير على جديس : قال : وهرب رجل من طسم - وكان اسمه رباح بن مرة الطسمي - فأتى الى حسان بن تبع الحميري ملك اليمن يومئذ فاستغاث به ، وقد كان عمدا الى جريدة

(٣) في نسخة : ويذكر نعيمها .

(١) في نسخة : يرفلون في حلبيهم .

(٢) » » : ثم تقدموا عليهم .

نخل رطبة فجعل عليها طيناً رطباً ، وحملها معه وأخرج معه كلبة ، فلما ورد على حسان كسر يد كلبته ، ونزع الطين عن الجريدة فخرجت خضراء ، ودخل الى حسان واستعاذ به ، واخبره بالذي صنعت جديس بقومه ، فقال له الملك : الله أبوك ، فمن أين مبدأك؟ قال : جئتك - أبيت اللعن ! - من أرض قريبة وقوم انتهك منهم ما لم ينتهك من أحد ، انا رباح بن مرة الطنسي ، دعتنا جديس الى مدعاة لهم فأجبناهم متفضلين في الحلل وقد أعدوا لنا السلاح عند جفانهم ، فما ذقنا الطعام حتى صرنا حطاماً ، بلا طلب دم ولا ترة سلفت ، فدونك - أبيت اللعن ! - قوماً قطعوا أرحامنا ، وسفكوا دماءنا ، قال الملك حسان : أمعك خرجت هذه الجريدة وهذه الكلبة ؟ قال : نعم ، فقال الملك : ان كنت صادقاً لقد خرجت من أرض قريبة ، ووعدته^(١) بالنصرة ، ثم نادى في حمير بالمسير ، واعلمهم بما فعل بطسم ، قالوا : من فعل هذا أبيت اللعن ؟ قال : عبيدهم ، قالوا : ما لنا في هذا من أرب ، هم اخواتنا فلا نعين بعضنا على بعض ، وهم عبيدك أيها الملك فدعهم ، فقال حسان : ما هذا بحسن ، رأيتم لو كان هذا فيكم أكان حسناً لملككم أن يهدر دماءكم ، وما علينا في الحكم الا ائنا ننصف بعضنا من بعض ، فقام فرسانهم فقالوا : أبيت اللعن الأمر أمرك ، فمرنا بما أحببت ، فأمرهم بالمسير ، فساروا وسار بهم رباح بن مرة حتى اذا صاروا من اليمامة على ثلاث قال رباح بن مرة للملك حسان : أبيت اللعن ان لي أختاً متزوجة في جديس ليس في الارض أبصر منها ، انها تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال ، وأنا اخاف ان تنذر القوم بك ، فتأمر كل واحد من أصحابك ان يقتلع شجرة من الارض فيجعلها أمامه ثم يسير .

(١) في نسخة : ووعدته النصر .

زرقاء اليمامة : فأمرهم حسان بذلك ، ففعلوا ثم ساروا ، وكان اسم أخت رباح « يمامة » بنت مرة ، فأشرفت من منظرها فقالت : يا جديس ، لقد سارت إليكم الشجر ، قالوا لها : وما ذلك ؟ قالت : أرى أشجاراً تسير ووراءها شيء ، وإني لأرى رجلاً من وراء شجرة ينهش كتفاً أو يخفض نعلاً ، فكذبوها ، وكان ذلك كما ذكرت ؛ ففعلوا عن أخذ أهبة الحرب ، ففي ذلك تقول اليمامة لجديس تحذره :

إني أرى شجراً من خلفها بشر فكيف تجتمع الأشجار والبشر ؟
 ثوروا بأجمعكم في وجهه أولهم فإن ذلك منكم فاعلموا ظفر

وأقبل الملك حسان بحمير ، حتى إذا كان من جوى على مسيرة ليلة عباً جيشه ثم صبّحها فاستباح أهلها من جديس قتلاً ، فأفناهم وسبى نساءهم وصبيانهم ، وهرب الأسود بن غفار ملكها حتى نزل بدار طيء فأجاروه من الملك وغيره ، من غير أن يعرفوه ، فيذكر أن نسله اليوم في طيء مذكور .

فلما فرغ حسان من جديس دعا باليمامة بنت مرة ، وكانت امرأة زرقاء ، فأمر فنزعت عيناها فإذا في داخلها عروق سود ، فسأها عن ذلك ، فقالت : حجر اسود يقال له الإند كنت أكتحل به فنشب إلى بصري ، وكانت هي أول من اكتحل به ، فاتخذوه بعد ذلك كحلاً ، وأمر الملك باليمامة فصلبت على باب جو ، وقال : سموها جواً باليمامة ؛ فسميت بها إلى اليوم .

مسير وبار بن أميم : قال المسعودي : ثم سار - بعد طسم بن لاوذ - وبار بن أميم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه من قومه ، فنزل بأرض وبار بالأرض المعروفة برمل عالج ، فأصابهم نقمة من الله فهلكوا لما كان من بغيهم في الأرض ، وقد قدمنا

فصلا من ذلك فيما سلف من هذا الكتاب على ما زعم الأخباريون من العرب ، وخروجهم بذلك عن حد المعقول والمعتاد ^(١) من الأمر المفهوم ، بزعمهم أن الله عز وجل حين أهلك هذه الأمة العظيمة المعروفة بوبار ^(٢) كما أهلك طسبا وجديسا وداسما وكانت ديار داسم بأرض السماوة فأهلكوا بالريح السوداء الحارة ، وداسم كانت ديارهم بالجولان وجازر ^(٣) من أرض نوى من بلاد حوران والبثنية ، وذلك بين دمشق وطبرية من أرض الشام ، وعملق وعاد وثمود ، وأن الجن كانت تسكن في ديار وبار ، وحمتها من كل من أرادها وقصد إليها من الأنس ، وأنها كانت أخصب بلاد الله عز وجل وأكثرها شجرا وأطيبها ثمرا وعنباً ونخلاً وموزاً ، وإن دنا أحد من الناس إلى تلك البلاد غالطاً أو متعمداً حثت الجن في وجهه التراب ، وسفت عليه سواقي الرمل ، واثارت عليه الزوابع ، فإن أراد الرجوع عنها خبلوه وتيهوه ، وربما قتلوه ، وهذا الموضع عند كثير من ذوي الحجا باطل ، فإذا قيل لهم : دلونا على جهته ، وقفونا على حده ، زعموا أنها من أرادها ألقى على قلبه الصرقة ، حتى كأنهم بنو إسرائيل الذين كانوا مع موسى في التيه فصدتهم الله تعالى عن الخروج ، ولم يجعل لهم سبيلا إلى أن تم فيهم مراده ، وانتهى فيهم حكمه ، وقد قال في ذلك شاعرهم يخبر بمثل ما وصفنا من قولهم في هذه الأرض المجهولة :

دعا جحفلا لا يهتدي لمقبله من اللؤم حتى يهتدي لوبار ^(٤)

(١) في نسخة : عن الحد المعقول والعناد .

(٢) في مهلك وبار يقول الراجز :

ألم تروا أرمسا وعادا
ومر دهر على وبار

(٣) في نسخة : بالجولان والجيدور من

أرض بوا وبلاد حوران والتبت .

أودى بها الليل والنهار
فهلكت جهرة وبار

(٤) في نسخة : دعا جعلا لا يهتدي لمقبله .

[وداع دعا والليل مُرْنَحٍ سدوله رجاء القرى يامسلم بن جبار]^(١)

وأقوالهم في مثل هذا كثيرة .

والعرب ممن سلف وخلف في الجاهلية والإسلام يخبرون عن هذه الأرض كإخبارهم عن وادي القرى والصَّعْثَانِ والدَّهْنَاءِ والرمل الذي يبهرن وغيرها من الأرضين التي نزلوا فيها ، ويخيمون عليها طلباً للماء والكلأ ، وزعموا أنه ليس بهذه الأرض اليوم أحد إلا الجن والإبل الوحشية ، وهي عندهم من الإبل التي قد ضربت فيها فحول الجن ، فالوحشية من نسل إبل الجن ، والعبدية والعسجدية والعمانية قد ضربت فيها الوحشية ، وفي ذلك يقول أبو هرير^(٢) :

كأني على وَحْشِيَّةٍ أو نعامٍ لها نسب في الطير وهو ظليم^(٣)

والأشعار في ذلك كثيرة .

وفي بسطنا لجوامع أخبار العرب فيما نقلته عن أسلافها - مما أمكن كونه وخرج عن حد الوجوب والجواز - خروج عن حد الإيجاز والاختصار ، وقد أثينا على ذلك فيما سلف من كتبنا .

مسير عبد ضخم للطائف : وسار بعد وبار بن أميم عبد ضخم^(٤)
ابن ارم بن نوح بولده ومن تبعه فتزلوا الطائف ، فهلك هؤلاء ببعض
غوائل الدهر ، فدثروا وذكرتهم الشمراء ، وفيهم يقول الأزدي :

وعبد ضخم إذا نسبتهم	أبيض أهل الحي بالنسب
ابتدعوا منطقاً يجمعهم	فبين الخط قحة العرب

(١) هذا البيت ساقط من إحدى النسخ .

(٢) في نسخة : زهير بن أبي سلمى الزني .

(٣) في نسخة : وهي ظليم .

(٤) في نسخة : عبد بن ضخم .

بدء الكتابة بالعربية : وذكروا أن هؤلاء أول من كتب بالعربية ، ووضع حروف المعجم ، وهي حروف أ ب ت ث ، وهي التسعة والعشرون حرفاً ^(١) ، وقد قيل غير ذلك ، على حسب تنازع الناس في بدء الكتابة .

مسير جرهم إلى مكة : وسار بعد عبد ضخم بن ارم جرهم بن قحطان بولده ومن تبعه ، وطافوا البلاد ، حتى أتوا مكة فتلوها [وفي ذلك يقول مضاض بن عمرو الجرهمي :

هذا سبيل كسبيل يعرب البادية القول المبين العرب
يا قوم سيروا عن فعال الأجنب جرهم جدي وقحطان أبي] ^(٢)

مسير أميم إلى فارس : وسار أميم بن لاوذ بن ارم بعد جرهم ابن قحطان فعزل بأرض فارس ؛ فالفرس - على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ، في باب تنازع الناس في أنساب فارس ؛ من ولد كيومرث بن أميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح ، وفي ذلك يقول بعض من تقدم من أهل الحكمة من شعراء فارس في الاسلام ^(٣) :

ابونا أميم الخير من قبل فارس وفارس أرباب الملوك ، بهم فخري
[وما عد قوم من حديث وحادث من الجهد الا ذكرنا أفضل الذكر] ^(٤)

أول امرئ بنى البيوت أميم بن لاوذ : وقد ذكر جماعة من أهل السير والأخبار أن جميع من ذكرنا من هذه القبائل كانوا أهل

(١) في نسخة : الثانية والعشرون .

(٢) جميع ما بين المعقوفين ساقط من إحدى النسخ.

(٣) في نسخة : بعد ظهور الاسلام . (٤) كذا في نسخة ، ولعله « من قدم وحادث »

خيم وبدوأ مجتمعين في مساكنهم من الأرض ، وان أميا أول من
ابتنى البنيان ، ورفع الحيطان ، وقطع الأشجار ، وسقف السقوف ،
واتخذ السطوح ، وأن ولد حام [بن نوح حلوا ببلاد الجنوب ، وأن ولد
كوش بن كنعان خاصة هم النوبة ، على حسب ما قدمنا آتقا في
باب السودان من هذا الكتاب ، وأن فخذنا من ولد كنعان بن
حام^(١) ساروا نحو بلاد افريقية وطنجة من أرض المغرب ، فنزلوها ،
وزعم هذا القائل أن البربر من ولد كنعان بن حام .

انساب البربر : وقد تنازع الناس في بدء انساب البربر ؛ فمنهم
من رأى أنهم من غسان وغيرهم من اليمن ، وأنهم تفرقوا حول
تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مأرب عندما كان من سيل
العَرم ، ومنهم من رأى أنهم من قيس عيلان ، ومنهم من رأى
غير ذلك ، وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا .

الشام بلاد كنعان : ونزل ولد كنعان بن حام - وهم الأغلب من
ولد كنعان - بلاد الشام ، فهم الكنعانيون ، وهم تعرف تلك
الديار ، فقبل بلاد كنعان .

مسير نوفير الى الهند : وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب
أخبار مصر بن حام وببصر والأنباط وسار نوفير بن فوط^(٢) بن
حام بولده ومن تبعه الى أرض الهند والسند ، وبالسند أمم لهم
أجسام طوال ، وهم على بلاد المنصورة من أرض السند ؛ فعلى هذا
القول ان الهند والسند من ولد نوفير بن فوط بن حام بن نوح ،
فولد حام في الجنوب من الأرض الاكثر منهم ، وولد يافث في

(١) هذه الزيادة لا توجد في احدى النسخ . (٢) في نسخة : بوقر بن لوط .

الشمال فيما بين الشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من الامم وتفرقها في الشرق وغيره مما يلي جبل القبح والباب والابواب .

عبادة عاد وبغبيهم ، وبغت عاد في الارض وملكها الخلجان بن الوهم^(١) ؛ فكانوا يعبدون ثلاثة أصنام ، وهي : صمود ، وصداء ، والهباء ، فبعث الله اليهم هوداً على حسب ما قدمنا ، فكذبوه ، وهو هود بن عبد الله بن رياح بن خالد بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وقد قدمنا ان قوم عاد كانوا عشرة قبائل ، وقد تقدم ذكر أسمائهم ، فدعا عليهم هود ، فمنعوا المطر ثلاث سنين ، وأجذبت الارض فلم يدر عليهم خضر^(٢) .

أصل الشرك : وقد كان من ذكرنا من الامم لا يحدد الصانع جل وعز ، ويعلمون ان نوحاً عليه السلام كان نبياً ، وأنه وفي لقومه بما وعدهم من العذاب ، إلا ان القوم دخلت عليهم شبه بعد ذلك لتركهم البحث واستعمال النظر ، ومالت نفوسهم الى الدعة ، وما تدعو اليه الطبائع من الملاذ والتقليد ، وكان في نفوسهم هيبة الصانع ، والتقرب اليه بالتماثيل وعبادتها ، لظنهم انها مقربة لهم اليه ، وكانوا مع ذلك يعظمون موضع الكعبة ، وكان موضعها على ما ذكرنا ربوة حمراء ، فوفدت عاد الى مكة يستسقون لهم ، وكان بمكة يومئذ العماليق ، فأتى الوفد مكة ، فأقبلوا على الشرب واللهو ، حتى غشيتهم^(٣) الجرادتان قبيحتا معاوية بن بكر بشعر فيه حث لهم^(٤) على ما وردوا من أجله ، وهو :

ألا يا قتل ويحك قم فبينم لعل الله يطرنا غماما

(١) في نسخة : الجلجان بن الوهم .

(٣) في نسخة : جاءتهم الجرادتان .

(٢) » : قلم يدر لهم خضر .

(٤) » : يشرحن لهم ما وردوا .

فيسقي أرض عادٍ ، إنَّ عاداً قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما^(١)
وإن الوحش تأتي أرض عاد فلا تخشى لراميمهم سهامها
وأنتم هنا فيما اشتهم نهاركم وليلكم التماما
فقبَّح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما

[ثم ان معاوية بن بكر دعا إحدى الجرادتين ففنت :

ألا يا قَيْلُ من عُوصٍ ومن عاد بن سام
وعاد كالشماريخ من الطول الكرام
سقى الله بني عاد معاً صوب الغمام]^(٢)

فاستيقظ القوم من غفلتهم ، وبأدروا الى الامتسقاء لقومهم ؛ فكان
من أمرهم في مجيء السحاب واختيارهم لما اختاروه منها ما قد
اتضح ، وفيهم يقول مرثد بن سعد من كلمة :

عصت عاد رسولهم فأمسوا عطاشاً لا تبلتهم السماء
ألا قبَّح الإله حلوم عاد فإن قلوبهم قفر هواء
[لهم صنم يقال صمود يقابله صداء والهباء]
[فبصّرنا النبي سبيل رشد فأبصرنا الهدى ونأى العماء]
[وإني موقن فاستيقنوه بأن إله هود هو العلاء]^(٢)
وأن إله هود هو إلهي على الله التوكل والرجاء
وأني لاحق بالامس هوداً وإخوته إذا حق المساء

مهلك عاد : فأرسل الله عز وجل على عاد الريح العقيم ، فخرجت

(١) وقع في نسخة : فليس يرجي * حياة الشيخ الكبير .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من إحدى النسخ .

الريح عليهم من وادٍ لهم ، فلما رأوا ذلك قالوا : (هذا عارضٌ ممطرنا) وتباشروا بذلك ، فلما سمع هود ذلك من قولهم قال : (بل هو ما استعجلتم به ، ريح فيها عذاب أليم - الآية) فأتتهم الريح يوم الأربعاء ، فلم تأت الأربعاء الثانية ومنهم سحيٌّ ، فمن أجل ذلك كره الناس يوم الأربعاء ^(١) .

وقد بينا فيما يرد من هذا الكتاب كيفية ذلك ، وكيف وقوعه من أيام الشهر في باب ذكر الشهور ، فلما شاهد هود النبي صلى الله عليه وسلم ما نال قومه ، انفرد هو ومن معه من المؤمنين ، وفي ذلك يقول الهيل بن الخليل ^(٢) .

لو أن عاداً سمِعت من هود واتبعت طريقة الرشيد
وقد أتى بالوعيد الوعيد عاداً وبالتقريب والتبديد
ما أصبحت عائرة الجدود صرعى على الآف والحدود
ساقطة الأجساد بالوصيد ماذا جنى الوفد من الوفود ؟
أحدوثه في الأبد الأبد

[وقال مهد بن سعد في شعر له :

دعائم خيفة لله هود فما نفع النذير ولا أجاؤا
فلما أن أبوا إلا عتوا أصابهم ببغيهم العذاب] ^(٣)

وقد كان الآخر من ملوكهم الخليلان ^(٤) ، وقد تقدم ذكرنا في هذا الباب لملك عاد وثمود وغيرهم ، وقيل : إن أول من ملك عاداً من الملوك عاد بن عوص [ثلثائة سنة ، ثم ملك ابن عاد بن عوص] ^(٥) .
المجحفة : قال : ولما دثرت هذه الأمم من العرب والقبائل خلعت

(١) في نسخة : فمن أجل ذلك كره أربعاء لا تدور .

(٢) » » : النهليل بن الخليل . (٤) في نسخة : الآخر من الملوك الخليلان .

(٣) ما بين المعرفين ساقط من إحدى النسخ . (٥) هذه الزيادة لا توجد في إحدى النسخ .

منهم الديار فسكنها غيرهم من الناس ، فنزل قوم من بني حنيفة
اليامة واستوطنوها ، وقد كانوا نزلوا بلاد الجحفة بين مكة
والمدينة [وقطنوها ؛ فقال شاعرهم يرثي من كان في تلك الديار :

إن طسماً وجرمها وجديسا والعماليق في السنين الخوالي
عمروا البيت رحقبة ثم ولّوا واستمرت بهم صروف الليالي
وأراك الزمان منهم ، وأضحى غيرهم ساكناً بتلك الخوالي
ورماهم ريب الزمان فأمسوا دورهم بلقع لمرّ الشمال ^(١)

وقد كان نزل بلاد الجحفة بين مكة والمدينة عييل ^(٢) بن عوص
ابن إرم بن سام بن نوح هو وولده ومن تبعه ، فهلكوا بالسيل ،
فسمي ذلك الموضع بالجحفة لإسحاقها عليهم :

يثرب : وكان يثرب بن قاتية ^(٣) بن مهليل بن إرم بن عييل
نزل بالمدينة هو وولده ومن تبعه ، فسميت به يثرب ، فهلك هؤلاء
أيضاً ببعض غوائل الدهر وآفاته ، فقال شاعرهم :

عَيْنُ جُودِي عَلَى عَيْيلٍ ، وَهَلْ يَرِ جَعَّ مَا فَاتَ قَفِضُهَا بِالسَّجَامِ ؟
عَمَّرُوا يَثْرِبًا وَلَيْسَ بِهَا سَفَرٌ وَلَا صَارْخٌ وَلَا ذُو سَنَامِ
غَرَسُوا لَيْثَهَا بِمَجْرَى مَعِينٍ ثُمَّ حَفُّوا الْفَسِيلَ بِالْأَجَامِ ^(٤)

وقد أخبر الله جلّت قدرته عنهم ، فقال : (كذبت ثمود وعاد
بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح
صرصر عاتية) .

(١) هذه الزيادة لا توجد في إحدى النسخ . (٢) في نسخة : يثرب بن قامة .
(٣) في نسخة : عبيد بن عوص . (٤) » » : ثم حفوا السبيل بالارحام .

قوم شعيب : وقد تنازع أهل الشرائع في قوم شعيب بن نويل بن رعويل^(١) بن مر بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وكان لسانه العربية ، فمنهم من رأى أنهم من العرب الدائرة ، والأمم البائدة ، وبعض من ذكرنا من الأجيال الخالية ، ومنهم من رأى أنهم من ولد المحض بن جندل بن يعصب بن مدين بن إبراهيم ، وأن شعيباً أخوهم في النسب ، وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة ومنفصلة ، فمنهم المسمى بأبي جاد^(٢) وهوز وحطي وكلن وسعفص وقرشت ، وهم على ما ذكرنا بنو المحض بن جندل ، وأحرف المجتل على أسماء هؤلاء الملوك ، وهي التسعة والعشرون حرفاً^(٣) التي يدور عليها حساب الجمل ، وقد قيل في هذه الأحرف غير ما ذكرنا من الوجوه ، على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب ، وليس كتابنا هذا موضعاً لما قاله الناس فيها ، وتنازعوا في تأويلها والمراد بها ، وكان أيجد ملك مكة وما يليها من الحجاز ، وكان هوز وحطي ملكين ببلاد وَّجَّ ، وهي أرض^(٤) الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد ، وكلن وسعفص وقرشت ملوكاً بَمَدَّين ، وقيل : ببلاد مصر ، وكان كلن على ملك مدين ، ومن الناس من رأى أنه كان ملكاً على جميع من سمينا مشاعاً متصلاً على ما ذكرنا ، وأن عذاب يوم الظلة كان في ملك كلن منهم ، وأن شعيباً دعاهم فكذبوه ، فوعدهم بعذاب يوم الظلة ، ففتح عليهم باب من السماء من نار ، وانحاز^(٥) شعيب بمن آمن معه إلى الموضع المعروف بالأيككة ، وهي غيضة نحو مدين ، فلما أحس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طلبوا شعيباً ومن آمن معه وقد أظلتهم سحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء

(١) في نسخة : شعيب بن نوفل بن رعويل بن مر بن عنقاء - الخ .
 (٢) » : بأيجد .
 (٣) » : وهي الأربعة والعشرون حرفاً . (٤) » : ونجا شعيب .
 (٥) في نسخة : وعلى أرض الطائف - الخ .

لا يجدون فيهم ألم العذاب ، فأخرجوا شعيباً ومن آمن معه من موضعهم وأزالوهم عن أماكنهم ، وتوهموا ان ذلك ينجيهم مما نزل بهم ، فجعلها الله عليهم ناراً ، فأتت عليهم [فرئت حارثة بنت كلن أباهما فقالت ، وكانت بالحجاز :

كلن هدم ركني هلكه وسط المحلة
سيد القوم أتاه الحسيف ناراً تحت ظله
كونت ناراً ، واضحت دار قومي مضمحلة ^(١)

وفي ذلك يقول المنتصر بن المنذر المديني :

ألا يا شعيب قد نطقت مقالة
وهم ملكوا أرض الحجاز وأرجها
ملوك بني حطّي وسعفص ذي الندى
وهم قطنوا البيت الحرام ورتبوا
أتيت بها عمراً وحي بني عمرو
كمثل شعاع الشمس في صورة البدر
وهو ز أرباب البنية والحجر
خطورا وساموا في المكارم والفخر ^(٢)

ولهؤلاء الملوك اخبار عجيبة من حروب وسير ، وكيفية تغلبهم على هذه الممالك وتملكهم عليها ، وابادتهم من كان فيها وعليها قبلهم من الأمم ، قد أتينا على ذكرها فيما تقدم من كتبنا في هذا المعنى مما كتبنا هذا منه عليها وبأصحت على درسها .

حضورا وتنازع الناس في انسابهم : وأما بنو حضورا وكانت أمة عظيمة ذات بطش وشدة ، فغلبت على كثير من الارض والممالك ، وقد تنازع الناس فيهم ، فمنهم من ألحقهم بمن ذكرنا من العرب البائدة

(١) لا توجد هذه الزيادة في احدى النسخ .

(٢) في نسخة : رزينا * مطورا وسادوا بالمكارم والفخر .

من سميّنا ، ومنهم من رأى انهم من ولد يافث بن نوح ، وقيل في
انسابهم غير ما ذكرنا من الوجوه ، وقد كان الله عز وجل بعث اليهم
شعيب بن مهدم بن حضورا بن عدي نبيا ناهيا عما كانوا عليه ،
وهذا غير شعيب بن فويل بن رعويل بن مر بن عنقاء بن مدين بن
ابراهيم الخليل صاحب مدين المتزوج ابنته موسى بن عمران المقدم
ذكره ، وبينها مئون من السنين ، وقد كان بين موسى بن عمران
وبين المسيح ألف نبي^(١) ، ولما بعث الى حضورا ، واشتد كفرهم جد
نبيهم شعيب بن مهدم^(٢) في دعائهم وخوفهم وتوعدهم ، فقتلوه من
بعد ظهور معجزات كانت له ودلائل أظهرها الله على يديه تدل على
صدقه وثبت حجته على قومه ، فلم يضيع الله دمه ، ولم يكذب
وعيده ، فاوحى الله تعالى الى نبي كان في عصره - وهو برخيا بن اخيا
ابن زرنائيل بن شالشان^(٣) - وكان من سبط يهوذا بن اسرائيل بن
إسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام - ان يأتي بختنصر - وكان
بالشام - وقيل : غيره من الملوك ، فيأمره ان يغزو العرب الذين لا
أغلاق لبيوتهم ، فلما أتى برخيا ذلك الملك قال له الملك ، صدقت ،
لي سبع ليال أومر في نومي بما ذكرت ، وانادى بمجيئك إلي ،
وابشر بخطابك ، ويقال لي ما امرتني به ، وان انتصر للنبي المقتول
الفريد المظلوم فسار اليهم في جنوده وغشي دارهم في عساكره ،
وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا لحربه من حيث عم الصوت
جميعهم ، وهو يقول :

سيفلب قوم غالبوا الله جهرة وان كایدوه كان أقوى وأكيدا
كذاك يضل الله من كان قلبه مريضا ومن والى النفاق وألحدا

(١) في نسخة : ألف سنة . (٣) في نسخة : برخيا بن اخيا بن روبائيل بن شالال .

(٢) » » : شعيب بن ذي مهدم .

فلما سمعوا ذلك علموا ان الامر قد نزل بهم ، فانقضت جنودهم ،
وتفرقت جموعهم ، وولت كتابهم يتراكضون ، وأخذهم السيف ،
فحصدوا أجمعين .

وقد ذكر ان في قصة هلكهم قال الله عز وجل من قائل ؛
(فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون) .

منازل حضورا : وقد تنوزع في ديارهم والموضع الذي كانوا فيه :
فمن الناس من رأى أنهم كانوا بأرض السماوة ، وأنها كانت عمائر
متصلة ذات جنان ومياه متدفقة ، وذلك بين العراق والشام إلى
حد الحجاز ، وهي الآن ديار خراب براري وقفار ، ومنهم من
رأى أن ديارهم كانت [بلاد جند قنسرين إلى تـل ماسح إلى
خناصره] ^(١) إلى بلاد سورية ، وهذه المدن في هذا الوقت مضافة
إلى أعمال حلب من بلاد قنسرين من أرض الشام .

قال المسعودي : وقد أتينا على جمل من أخبار العرب الماضية
والباقية ، وقد كان قبل ظهور الإسلام للباقي منهم مذاهب وآراء
في النفوس وتفول الغيلان والهواتف والجن ، وسنورد جملا منها
منفردة على حسب ما يقتضيه شرط الاختصار في هذا الكتاب ،
وعلى حسب ما نمي إلينا من أخبارهم ، واتصل بنا من آثارهم ،
 وذكره الناس من آرائهم ، عن الفاني والباقي منهم ، إن شاء
الله تعالى .

ذكر

ما ذهب اليه العرب في النفوس والهلام والصّفَرِ

وغير ذلك من مذاهب الجاهلية في النفوس والمريء

الاختلاف في النفس : كانت للعرب مذاهب في الجاهلية في النفوس ، وآراء ينازعون في كفياتها فمنهم من زعم أن النفس هي الدم لا غير وأن الروح الهواء الذي في باطن جسم المرء منه نفسه ، ولذلك سموا المرأة منه 'نفساء' ، لما يخرج منها من الدم ، ومن أجل ذلك تنازع فقهاء الأمصار فيما له نفس سائلة إذا سقط في الماء : هل ينجسه أم لا ؟ وقال تأبط شراً لحاله الشنفرى الأكبر وقد سأله عن قتيل قتله - كيف كانت قصته ؟ فقال : ألقته عضبا ، فسالت نفسه سكبا ، وقالوا : إن الميت لا ينبعث منه الدم ولا يوجد فيه ، بدأ في حال الحياة ، وطبيعته طبيعة الحياة والنماء مع الحرارة والرطوبة ؛ لأن كل حي فيه حرارة ورطوبة ، فإذا مات بقي اليبس والبرد ، ونفيت الحرارة ؛ وقال ابن براق من كلمة :

وكم لاقيت ذا نجب شديد تسيل به النفوس على الصدور
[إذا الحرب العوان به استهامت وحال ، فذاك يوم قمطير]^(١)

وطائفة منهم تزعم أن النفس طائر ينبسط في جسم الانسان ،

(١) هذا البيت لا يوجد في إحدى النسخ .

فإذا مات أو قتل لم يزل مطيفا به متصورا إليه في صورة طائر
يصرخ على قبره مستوحشا ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء وذكر
أصحاب الفيل :

سلط الطير والمنون عليهم فلهم في صدَى المقابر هَامُ

الهام : لأن هذا الطائر يسمونه الهام ، والواحدة هامة ، وجاء الاسلام
وهم على ذلك حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا هَامَ ولا
صَفَرَ » .

ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيرا ، ثم يكبر حتى يصير
كضرب من البوم ، وهي أبدا تتوحش وتصيح ، وتوجد أبدا في
الديار المعطلة والنواويس ، وحيث مصارع القتلى وأجساد الموتى .

ويزعمون أن الهامة لا تزال على ذلك عند ولد الميت في
محلته بفنائهم لتعلم ما يكون بعده فتخبره به ، حتى قال الصلت
ابن أمية لبنيه :

هَامِي تَخْبِرُنِي بِمَا تَسْتَشْعِرُوا فَتَجْنِبُوا الشُّعَاءَ وَالْمَكْرُوهَا (١)

وفي ذلك يقول في الإسلام قربة في ليلي الأخيلية :

ولو أن ليلي الأخيلية سَلَّمَتْ علي ودوني جندل وصفائح (٢)

لسلت تسليم البشاشة ، أو زقا إليها صدَى من جانب القبر صائح (٣)

وهذا من قولهم يدل على أن الصدى قد ينزل إلى قبورهم
ويصعد [وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ حَاتِمِ طِيءٍ بِمَا سُورِدَ خَبْرُهُ فِي

(٢) في نسخة: وفوقي تربة وصفائح.

(٣) « : أو رقى إليها .

(١) في نسخة : هَامِي تَخْبِرُنِي . وفي نسخة

أخرى : وتحيفوا الشُّعَاءَ وَالْمَكْرُوهَا .

هذا الكتاب .

أتيت لصحبك تبغي القرى لدى حُفَرِ صدحتُ هامها ^(١)

وسنذكر هذا الشعر في أخبار الحجاج بن يوسف مع ليلى الأخيلية من هذا الكتاب ، وقد قيل : إن هذه الأبيات لغير توبة في غير ليلى ، وهذا كثير في أشعارهم ومنثور كلامهم وسجعهم وخطبهم ، وغير ذلك من محاوراتهم .

تنقل الارواح : وللعرب وغيرهم من أهل الملل من سلف وخلف كلام كثير في تنقل الارواح وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا المترجم بـ « سر الحياة » وكتاب « الدعاوى » وبالله التوفيق .

ذكر

أقاويل العرب في الغيلان والتغول

وما لحق بهذا الباب

راهم في الغول : للعرب في الغيلان وتغولها أخبار ظريفة .

العرب يزعمون أن الغول يتقول لهم في الخلوات : ويظهر لخواصهم في أنواع من الصور ، فيخاطبونها ، وربما ضيفوها ^(٢) ، وقد أكثروا من ذلك في أشعارهم ، فمنها قول تأبط شرأ :

وأدهم قد جبت جلسابه كما اجتسابت الكاعب الخيلا
[على إثر ناري ينور بها فبت لها مدبراً مقبلاً] ^(٣)

(١) ما بين المعقوفين ساقط من إحدى النسخ . (٢) هذا البيت لا يوجد في إحدى النسخ .

(٣) في نسخة : وربما باضمورها .

فأصبحت والغول لي جارة فياجارتي أنت ما أهولا
وطالبتها بضمها فالتوت بوجه تغول فاستغولا
فمن كان يسأل عن جارتي فإن لها باللوى منزلا
ويزعمون أن رجلها رجلا عز (١) ، وكانوا إذا اعترضتهم الغول
في الغيافي يرتجزون ويقولون :

يا رجل عز انهقي نهيقا لن نترك السبب والطريقا (٢)

الغول تتلون وتعضل : وذلك أنها كانت تترامى لهم في الليالي
وأوقات الخلوات ، فيتوهمون أنها إنسان فيتبعونها ، فتزيلهم عن الطريق
التي هم عليها ، وتليهم . وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه ، فلم
يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد ، فإذا صبح بها على ما
وصفنا شردت عنهم في بطون الأودية ورموس الجبال

وقد ذكر جماعة من الصحابة ذلك ، منهم عمر بن الخطاب ،
رضي الله عنه ! أنه شاهد ذلك في بعض أسفاره إلى الشام ، وأن
الغول كانت تتغول له ، وأنه ضربها بسيفه ، وذلك قبل ظهور
الإسلام ، وهذا مشهور عندهم في أخبارهم .

رأي الفلاسفة : وقد حكى عن بعض المتفلسفين أن الغول حيوان
شاذ من جنس الحيوان مشوه لم تحكمه الطبيعة ، وأنه لما خرج
منفرداً في نفسه وهيبته توحش من مسكنه ، فطلب القفار ، وهو
يناسب الإنسان والحيوان البهيمي في الشكل ، وقد ذهبت طائفة من
الهند إلى أن ذلك إنما يظهر من فعل ما كان غائبا من الكواكب

(١) في نسخة : رجلا غير .

(٢) » » : لن نزل السبيل والطريقا . وفي نسخة أخرى : يا رجل غير .

عند طلوعها ، مثل الكوكب المعروف بكلب الجبار ^(١) ، وهي : الشعري العَبُور ، وأن ذلك يحدث داء في الكلاب ، وسهيل في الحمل ، والذئب في السب ^(٢) وحامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل وأشخاص تظهر في الصحاري ، وغيرها من العامر والحرائب ، فتسميه عوام الناس غولا ، وهي ثمانية وأربعون كوكبا ، وقد ذكرها بطليموس وغيره ممن تقدم وتأخر ، وقد وصف ذلك أبو معشر في كتابه المعروف بـ « المدخل الكبير إلى علم النجوم » وذكر كيفية صورة كل كوكب عند ظهوره في أنواع مختلفة .

وزعمت طائفة من الناس أن الغول اسم لكل شيء يعرض للسطار ، ويتمثل في ضروب من الصور ، ذكراً أو أنثى ، إلا أن أكثر كلامهم على أنه أنثى وقد قال أبو المطراب عبيد بن أيوب العنبري :

وحالفي الوحوش على الوفاء وتحت عهودهن وبنا البعاد
وغولا قفرة ذكراً وأنثى كأن عليها قطع النجاد
وقال آخر وهو كعب بن زهير الصحابي :

فما قدوم على حال تكون بها كما تَلَوْنُ في أثوابها الغولُ

وقد قدمنا ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا في هذا المعنى ، وإن كل كوكب من هذه يظهر في صورة مخالفة لما تقدمه من الصور يحدث في هذا العالم نوعاً من الأفعال لم ينفرد بفعله غيره من الكواكب .

(١) في نسخة : بكلب الجبار . (٢) في نسخة : وسهيل في الجمال والذئب في الذئبة .

[وكانت العرب قبل الاسلام تزعم ان الفيلان توقد بالليل
النيران للعبث ، والتحيل ، واختلال السابلة ، قال أبو المطراب :

فله در الغول ، أي رفيقة لصاحب قفر حالف وهر معبر
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت حوالي نيراناً تلوح وتزهر^(١)

قولهم في السعلاة : وقد فرقوا بين السعلاة والغول ، قال عبيد
ابن أيوب :

وساخرة مني ، ولو ان عينها رأت ما رأت عيني من الهول جنت
أبيت بسعلاة وغول بقفرة اذا الليل وارى الجن فيه أرنت
وقد وصفها بعضهم ، فقال :

وحافر العنز في ساق مدملجة^(٢)

وجفن عين خلاف الإنس بالطول

قولهم في الشياطين ونحوهم : وللناس كلام كثير في الفيلان ،
والشياطين ، والمردة ، والجن ، والقطرب ، والغدار^(٣) ، وهو نوع من
الانواع المتشيطنة ، يعرف بهذا الاسم ، يظهر في اكناف اليمن والتهائم ،
وأعالي صعيد مصر ، وانه ربما يلحق الانسان فينكحه فيتدود دبره
فيموت ، وربما يتوارى للانسان فيذعره ، فاذا أصاب الانسان ذلك
منه يقول له أهل تلك النواحي التي سمينا : أمنكوح هو أم مذعور ؟
فان قالوا منكوح يش منه ، وان كان مذعوراً أسكن روعه ،
وشجع مما ناله ، وذلك ان الانسان اذا عاين ذلك سقط مغشياً عليه ،
ومنهم من يظهر له ذلك فلا يكثرث به لشهامة قلبه وشجاعة

(١) لا يوجد ما بين المعقوفين في إحدى النسخ . (٣) في نسخة : والقرب والقذار .

(٢) في نسخة : وحافر العير في ساق مدلجة .

نفسه ، وما ذكرنا مشهور في البلاد التي سمينا ، ويمكن جميع ما قلنا مما حكيناه عما ذكرنا من أهل هذه البقاع ان يكون ضرباً من السوانح الفاسدة والخواطر الرديئة ، او غير ذلك من الآفات والأدواء المعارضة لجنس الحيوان من الناطقين وغيرهم ، والله أعلم بكيفية ذلك .

ولم نذكر في هذا الكتاب ما ذكره أهل الشرائع ، وما ذكره أهل التواريخ والمصنفون لكتب البدو ، كوهب بن منبه ، وابن إسحاق وغيرهما ، ان الله تعالى خلق الجان من نار السموم ، وخلق منه زوجته ، كما خلق حواء من آدم ، وان الجان غشياً ، فحملت منه ، وانها باضت إحدى وثلاثين بيضة ، وان بيضة من تلك البيض تفلقت عن قطربة ، وهي : أم القطارب . وان القطربة على صورة الهرة ، وان الأبالس من بيضة أخرى منهم الحارث أبو مرة ، وان مسكنهم البحور ، وأن المرادة من بيضة أخرى ، مسكنهم الجزائر ، وان الغيلان من بيضة أخرى ، مسكنهم الخلوات والقلوات ، وان السعالى من بيضة أخرى ، سكنوا الحمامات والمزابل^(١) ، وان الهوام من بيضة أخرى ، سكنوا الهواء في صورة الحيات ذوات اجنحة يطيرون هنالك ، وأن من بيضة أخرى الدواسق ، وان من بيضة أخرى الحماميص - لانا قد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا ، وتقدم من تصنيفنا ، راقينا على ذكر ما تشعب من انسابهم ، والمشهور من أسمائهم ومساكنهم من الارض والبحار ، وان كان ما ذكره أهل الشرع بما وصفنا ممكناً غير ممتنع ولا واجب ، وان كان أهل النظر والبحث والمستعملون لقضية العقل والفحص يمتنعون بما ذكرناه ، ويأبون ما وصفنا ، والمصنف حارط ليل ، فأوردنا ما قاله الناس

(١) في نسخة : ومسكنها الجبال ، وأن الوهاويس .

من أهل الشرائع وغيرهم ؛ إذ كان الواجب على كل ذي تصنيف ان
يورد جميع ما قاله أهل الفرق في معنى ما ذكرناه ، وأتينا ايضاً
على سائر ما خبرنا من الاشخاص التي هي غير مرئية من الجن
والشياطين وما قالوه في سلوك الجن في الناس في كتابنا المترجم
بكتاب : المقالات في اصول الديانات ، وبالله التوفيق .

ذكر قول

العرب في الهواتف والجنان

قال المسعودي :

فأما الهواتف فقد كانت كثرت في العرب ، واتصلت بديارهم ،
وكان أكثرها أيام مولد النبي ^(١) صلى الله عليه وسلم ، وفي أولية
مبعثه ، ومن حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وبجسم غير مرئي .

قولهم في الهواتف والجنان : قال المسعودي : وقد تنازع الناس في الهواتف
والجنان : فذكر فريق منهم أن ما تذكره العرب وتنبيء به من ذلك إنما
يعرض لها من قبل التوحد في القفار ، والتفرد في الأودية ، والسلوك
في المهامة والمروزة ^(٢) المؤحشة ؛ لأن الإنسان إذا صار في مثل
هذه الأماكن وتوحد تفكر ، وإذا هو تفكر وجلّ وجبن ، وإذا
هو جبن داخلته الظنون الكاذبة ، والأوهام المؤذية ، والسوداوية الفاسدة ،
فصورت له الأصوات ، ومثلت له الأشخاص ، وأوهمته المحال ، بنحو
ما يعرض لذوي الوسواس ، وقطنب ذلك وأسه سوء التفكير ،
وخروجه على غير نظام قوي ، أو طريق مستقيم سليم ؛ لأن المتفرد في

(١) في نسخة : أمام مولد النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) المروزة : الأرض لا شيء بها ، وجمعها مروزي ومروزيات .

القفار والمتوحد في المَرَوْرَاة^(١) مستشعر للمخاوف ، متوهم للمتآلف ،
متوقع للحنُوف ؛ لقوة الظنون الفاسدة على فكره ، وانغماسها في نفسه ،
فيتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به واعتراض الجان له .

وقد كانت العرب قبل ظهور الإسلام تقول : إن من الجن مَنْ
هو على صورة نصف الإنسان ، وأنه كان يظهر لها في أسفارها وحين
خلواتها وتسميه شَقًّا .

بين شق وعلقمة بن اصفوان ؛ وذكروا عن علقمة بن صفوان بن
أمية بن محرز الكناني جد مروان بن الحكم لأمه ، أنه خرج في
بعض الليالي يريد مالا له بمكة ، فانتهى إلى الموضع المعروف إلى
هذا الوقت بمحائط حرمان ؛ فإذا هو بشق قد ظهر له في أوصاف
ذكرها فقال شق :

علقم إني مقتول وإن لمي ما كـول
أضربهم بالمسـلول كـضرب غلام مشمول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة :

شق ، ما لي ولك اغمد عني 'منصلك'
تقتل من لا يقتلك ؟

فقال شق :

علقم ، غنيت لك كـما أبيع معقلك
فاصبر لما قد 'حم' لك

(١) وقع في إحدى النسخ : المروت ، وهو جمع مروت ، والمروت : المفازة لا نبات فيها .

فصرب كل منها صاحبه ، ففخرا ميتين ، وهذا مشهور عندهم ،
وأن علقمة بن صفوان قتله الجن .

الجن تقتل حرب بن أمية : وذكروا عن الجن بيتين من الشعر قالتها
في حرب بن أمية حين قتله الجن وهما :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

واستدلوا على أن هذا الشعر من قول الجن بأن أحداً من
الناس لا يتأتى له أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا
يلتفتع^(١) في إنشادهما ، لأن الإنسان قد ينشد^(٢) العشرين بيتاً والأكثر
والأقل أشد من هذا الشعر وأثقل منه ولا يلتفتع فيه .

من قتله الجن : ومن قتله الجن مرداس بن أبي عامر السلمى ،
وهو أبو عباس بن مرداس السلمى ، ومنهم للعريض^(٣) المغنى ، بعد
أن ظهر غناؤه وحمل عنه ، وقد كانت الجن تهته أن يغنى بأبيات
من الشعر ، ففناها^(٤) فقتلته .

قبر حاتم طيء يقري الضيف : وحدث يحيى بن عتاب^(٥) ، عن علي
ابن حرب ، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى عن منصور بن يزيد الطائي
ثم الصامتي^(٦) قال : رأيت قبر حاتم طيء ببقعة^(٧) ، وهو أعلى
جبل ، له واد يقال له الحابل^(٨) ، وإذا قدّر عظمة من بقايا قدور
حجر مكفأة في ناحية من القبر من القدور التي كان يطعم فيها

(١) في نسخة : لا يلتفتع في إنشادهما . (٥) في نسخة : يحيى بن عتاب .
(٢) » : لأن الناس قد ينشدون . (٦) » : منصور بن يزيد الطائي .
(٣) » : العريض . (٧) » : بيمة .
(٤) » : ففنى بها . (٨) » : الحامل .

الناس ، وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة ، وعلى يساره أربع جوار من حجارة ، كلهن صاحبة شَعْر منشور محتجرات على قبره كالنائحات عليه ، لم ير مثل بياض أجسامهن وجمال وجوههن ، مثلهن الجن على قبره ، ولم يكن قبل ذلك ، والجواري بالنهار كما وصفنا ، فإذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنيابة عليه ، ونحن في منازلنا نسمع ذلك ، إلى أن يطلع الفجر [فإذا طلع الفجر]^(١) سكتن وهدأن ، وربما مر المار فيراهن فيفتتن بهن فيميل إليهن عجباً بهن ؛ فإذا دنا منهن وجدهن حجارة .

وحدث يحيى بن عقاب الجوهري [قال : حدثنا علي]^(١) قال : أنبأني عبد الرحمن ابن يحيى المنذري ، عن أبي المنذر هشام الكلبي ، قال : حدثنا أبو مسكين بن جعفر بن محرز بن الوليد ، عن أبيه ، وكان مولى لأبي هريرة [قال : سمعت محمد بن أبي هريرة]^(١) يحدث قال : كان رجل يكنى أبا البختري^(٢) مر في نفر من قومه بقبر حاتم طي ، فنزلوا قريباً منه ، فبات أبو البختري يناديه : يا أبا الجعد ، أقرنا ، فقال قومه له : مهلاً ما تكلم رمةً بالية ؟ قال : إن طيئنا تزعم أنه لم ينزل به أحد قط إلا قرأه ، وناموا ، [فلما أن كان في آخر الليل قام أبو البختري مذعوراً فزعا ينادي] : وارحلتاه ، فقال له أصحابه : ما بدالك ؟ قال : خرج حاتم من قبره بالسيف ، وأنا أنظر ، حتى عقر ناقتي ، قالوا له : كذبت ، ثم نظروا إلى ناقته بين نوقهم 'مجدلة لا تنبعث' ، فقالوا له : قد والله قرأك ، فظلوا يأكلون من لحمها شواء وطبيخاً حتى أصبحوا ، ثم أردفوه ، وانطلقوا سائرين ، فإذا راكبٌ بعيرٍ يقود آخر قد لحقهم فقال : أيكم أبو

البختري ؟ فقال أبو البختري : أنا ذلك ، قال : أنا عدي بن حاتم ،
وإن حاتمًا جاءني الليلة في النوم ونحن نزول وراء هذا الجبل ،
فذكر شتمك إياه ، وأنه قرى أصحابك براحتك ، وأنشدني يقول
في شعره :

أبا البختري ، لأنت امرؤ ظلوم العشرة شامها
أتيت بصحبك تبغي القرى لدى حفرة صدحت هامها
أتبني لي الذم عند المبيت وحولك طي وانعامها ؟
فاننا سنشبع اضيافنا ونأتي المطي فنعتامها

وقد أمرني أن احملك على بعير مكان راحتك ، فدونكه .

وقد ذكر هذا سالم بن زرارة الغطفاني في مدحه عدي بن حاتم
حيث يقول :

أبوك أبو سفانة الخير لم يزل لدن شب حق مات في الخير راغباً^(١)
[به تضرب الأمثال في الشعر ميتا وكان له إذ ذاك حيا مصاحباً]^(٢)
قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به ولم يقر قبر قبله الدهر راكباً

وحدث أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم
السجستاني ، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال : سمعت شيخا من
العرب قد اتاف على المائة يقول انه خرج وافداً على بعض ملوك
بني أمية ، قال : فسرت في ليلة صهاكية حالكة كأن السماء قد
برقمت لجومها بطرائق السحاب ، وضللت الطريق ، فتولّجت واديا
لا أعرفه ، فاهمتني [نفسي بطرحها حق الصباح]^(٣) فلم آمن عريف الجن ،

(١) في نسخة : أبوك أبو سبابة الخير . (٣) هذه الجملة لا توجد في احدى النسخ .

(٢) هذا البيت لا يوجد في احدى النسخ

فقلت : أعوذ برب هذا الوادي من شره ، وأستجيره في طريقي هذا ،
وأسترشده ، فسمعت قائلاً يقول من بطن الوادي :

تيا من تجاهك تلق الكلا تسير وتامن في المسلك^(١)

قال : فتوجهت حيث أشار إلي وقد أمنت بعض الأمن ، فإذا
أنا بأقباس نار تلمع أمامي في خللها كالوجوه على قامات كالنخيل
السحيقة ، فسرت وأصبحت بأوشال - وهو ماء لكلب بقرب بركة
دمشق .

وقد ذكر الله عز وجل ذلك من فعلهم ، في كتابه فقال :
(وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ، فزادهم رهقاً) .

ذكر

ما ذهبت إليه العرب

من القيافة ، والزجر ، والعيافة ؛ والسانح ، والبارح وغير ذلك

الخلاف في القيافة وجوازها ، تنازع الناس في العيافة والقيافة وغيرها مما
ذكر : فذهبت طائفة إلى تحقيق القيافة والأخذ بها ؛ لأن الأشباه تنزع ،
وغير جائز أن يكون الولد غير مشبه لأبيه ، أو أحد من أهله من جهة
من الجهات ، ومنهم من ذهب إلى أن في الولد مواضع تلحقها القيافة
دون غيرها من الأعضاء مما لم يحلها الشبه^(٢) ، ولا توافق بينها بحد
مشارك ، وأبى آخرون ما وصفنا ؛ إذ كان الناس قد يتشابهون في حد
الانسانية وغير ذلك من الحدود ، ويفترقون في غيرها من الصور ، وليس
وجود الأغلب من الأشباه مما يوجب إلحاق الشبه بشبهه ، دون أن يخالف

(١) في نسخة : تلق الضياء منبراً .

(٢) في نسخة : مما لم يلحقها الشبه ولا واقف بينها حد مشترك .

من حيث أوجبت قضية العقل الاختلاف بالتباين .

اختصاص العرب بذلك : وهذه المعاني من خواص ما للعرب ، وما تفردت به ، دون سائر الأمم في الأغلب منها ، وإن كانت الكهانة قد وجدت في غيرها ، فإن القيافة ^(١) والزجر والتفاؤل والتطير ليس لغيرها في الأغلب من الأمور ؛ وليس هو موجوداً في سائر العرب ، وإنما هو للخاص منها الفسطين والمتدرب الظنن ^(٢) ، وإن وجد ذلك في بعض الأمم ؛ كوجود ذلك في الإفرنجية ، وما جانسها من هنالك من الأمم ؛ فيمكن أن يكون ذلك موروثاً عن العرب ، ومأخوذاً منها في سالف الدهر ؛ لأن العرب قد تنقلت في البلاد ، وتغيرت لغاتها ^(٣) ، فنسب ذلك إلى الجنس الذي قطنت بينهم العرب ، ويمكن أن تكون الإفرنجية ، ومن وجد فيها ذلك من الأمم ، أخذوه بعد ظهور الإسلام عن جاورهم من أمم العرب ، من سكن بلاد الأندلس من الأرض الكبيرة ، وإن كان ذلك قبل ظهور الإسلام فهو ما ذكرنا آنفاً ، ويمكن أن يكون الله عز وجل خص بذلك أمماً غير العرب ، كما خص العرب به ؛ إذ كان ذلك داخلاً في الإمكان ، خارجاً من باب المعتنع والواجب ، فيكون الزجر والفسال شاملاً لبعض العرب وغيرها من خواص الأمم ، كوجود النمط للبربر ^(٤) ، والنظر في الكتف ، وغير ذلك مما خص به كل جنس من الناس .

منشأ القيافة : وقد ذهبت طائفة ممن سلف ، من اهل البحث والتنقيير إلى أن القيافة : اسم مشتق من القفؤ ، وهو معنى استدلالى

(١) في نسخة : فإن القيافة .

(٣) في نسخة : وتفرقت لغاتها .

(٢) » » : والمتدرب النظير .

(٤) » » : كوجود النمط للبربر .

وأصل ذلك : أن الأشكال انفصلت في صورة أنسابها بأشياء تخص الأنواع بالتشكيل وخواص وجدت لما ^(١) به ضربت الفواصل أضرابها في وحيدات الأشخاص ، وكان التناسل على وساعه وقدر ^(٢) من الغير لما توجبه الطبيعة من اتفاق كل شيء ^(٣) في حوزته ، وصرفه إلى وجهه ، كما خصت الطبيعة كل نوع من الجنس بفصل ابنته من أغياره ، وفرقت بينه وبين أشكاله ، فكذلك أيضاً خصت أوحاد الأشخاص المنفصلة في الهيئة ، بتغير الغير من أغياره . وكذلك لا تكاد ^(٤) فنون الصور تتراءى في المرآئي لغير من أغياره ؛ وكذلك لا تكاد وإن ضمها النوع وشملتها المادة ^(٥) فالقائف يقارب بين الهيئات ، فيحكم للأقرب صورة ؛ لأن تشبيه النسل أقرب من تشبيه النوع . وكذلك تشبيه الشخص إلى النوع أقرب منه إلى الجنس ؛ لأن النوع والشخص ضمها حدان مشتركان ، وإنما ضم الجنس واحد فهو أصل القيافة عند هذه الطائفة ، وهو ضرب من ضروب البحث ، وإلحاق النظر في الأغلب بنظيره ، من حيث تساويها من حيث ذكرنا في قضية العقل ، وهو القياس بعينه ، وليس هذا الاستدلال من كلام أحد من فقهاء القائسين ولا غيرهم من المسلمين ، وإنما هذا الكلام انتزعناه من كلام طائفة من الفلاسفة المتقدمين ؛ فيجب أن يكون نظر القائف على قول هذه الطائفة إلى القَدَم ؛ لأنها نهاية الشكل وغاية الهيئة ، والولد لو خالف صورة أبيه في كنه أفعاله ، وبأينه في سائر شكله في الأغلب يوافقه في القَدَم ؛ لأن النسل لا بد له من تخصيص قوته بشيء يميزه من غيره ويُبينه من سواه ،

(١) في نسخة : انفصلت في صور انسابها بأشياء تختص الأنواع بالشكل بخواص وحيدة لها به ضربت الفواصل أجزاءها في وحيدات الأشخاص .

(٢) في نسخة : على تشابه وفرز .

(٣) » » : من اتفاق كل شكل في حوزته .

(٤) » » : وكذلك لا يكاد يرى فنون الصور تتوازي في احد وان ضمها النوع وشملها النسل .

ولذلك وجدوا الطول في أزد شَنُوءة ، ولذلك صار الجفاء والفظ في الروم ، وأصحاب الأجيال ، والأكثر من أهل الشام^(١) وأوباش مصر ، واللؤم في الخزر وأهل حران من بلاد ديار بكر^(٢) ، والشع بفارس ، واللؤم على الطعام بأصفهان ، وصار تفرطح الرجلين وقطس الأنوف في السودان ، والطرب في الزنج خاصة .

وهذا الذي وصفنا عند هذه الطائفة من أسرار الطبيعة ، وخواص تأثير الأشخاص العلوية ، والأجسام السماوية ، وقد تقصينا هذا الشأن على كاله في كتابنا في الأسرار الطبيعية وخواص تأثير الأشخاص العلوية والغرائب الفلسفية في كتابنا في الرؤوس السبعية في أنواع السياسات المدنية وملكها الطبيعية وفي كتاب الاسترجاع في الكلام على من زعم أن العالم متغير جوهره إلى الظلمة ، وأن النور فيه غريب مختار ، وأن ستة أنفس كانوا نوراً بلا أجساد : شيث بن آدم ، وزرادشت ، والمسيح ، ويونس ، واثنتان لا يمكن ذكرهما ، وأن النور والظلمة قديمان ، وأنها لا يُرَيَّان إلا غير ممتزجين^(٣) وأن الأشياء لا تعمل إلا في جوهرها ثم امتزجا من تلقاء أنفسهما ، من غير داخل عليها ولا مكره أكرهها ، وهذا الخلف من الكلام والفاسد من المقال ، [وأعجب من هذا القول قول زرادشت نبي المجوس : إن القديم تعالى ذكره طالت وَحَدَّتْهُ فَطَالَتْ فكرته ، فلما ان طالت فكرته ، واشتدت وَحَشَتُهُ ، توالد الهَمُّ منه ، وهو الشيطان ، من تلك الوحشة التي ولدتها تلك الفكرة ونتجتها الوحدة ، وأن الله عز وجل لو كان قادراً على إفناء الهَمِّ منه لما ضرب له أجلاً ، ولا أجلاً له أمراً يغوي عباده ، ويفسد بلاده . وهذا هو المُحَال

(٢) في نسخة : من بلاد ديار مصر .

(١) في نسخة : من أغنام الشام .
(٣) » » : وأنها لم يَزَالَا ممتزجين .

بمعينه ، والتناقض بنفسه ، وعجب آخر من الآراء من قول بولص :
 إن المسيح عليه السلام هو الذي أرسله ، وإن المسيح إنسان وإله ؛
 لأنه إله صار إنساناً ، وإنسان صار إلهاً ، وقد أتينا على جمل
 من متناقضات أهل الآراء ، في أثناء ما تقدم من كتبنا ، وإنما
 تشعب بنا الكلام إلى هذا النوع ، وتغلغل بنا القول إلى هذا
 المعنى ، لأنه من جنس ما كنا فيه ، لكن عند ذكرنا لما أودعناه
 كتاب الاسترجاع والإبانة عن غرض فيه ^(١) .

فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه من هذا الكتاب :

الزجر : وحدث المنقري عن المتبي ، قال : وقف عبّيد الراعي
 ذات يوم مع ركب بفيثغاء فقراً ^(٢) ، وكانوا يريدون استقصاد رجل
 من تميم ؛ إذ صنعت طبشاء سود منكرة ، ثم اعترضت الركب
 مقصرة في حفرها ^(٣) ، واقفة على شأنها ، فأنكر ذلك عبّيد
 الراعي ، ولم ينتبه له أصحابه ، فقال عبّيد :

ألم تدر ما قال الأطباء السوانح ؟ أطفن أمام الركب والركب رائح ؟
 فكرّ الذي لم يعرف الزجر منهم وأيقن قلبي أنهم نوائح
 ثم شارفوا مقصدهم ، فالفّوا الرئيس قد نهشته أفعى ، فأتت عليه .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : وهذا من غريب الزجر ،
 وذلك أن السانح مَرَجُوءٌ عند العرب ، والبارح : هو الخوف ،
 وأظن عبّيداً إنما زجر الأطباء في حالة رجوعها ، ووصف الحال

(١) مكذا ورد في الأصل . والمقطع كله مضطرب المعنى .

(٢) في نسخة : ركب من ثقيف على نفر .

(٣) » » : محصرة في حصرها واقفة على شاربها .

الأول في شعره ، كما أن من شرط الواصف أن يبدأ بهوادي الأسباب^(١) فيوضح عنها ، فهذا زجر عبيد الراعي في شعره .

اختصاص بعض العرب ببعض هذه الأمور : ويقال : إن الكهانة لليمن^(٢) ، والزجر لبني أسد ، والقيافة لبني مدلج وأحياء مضر ابن نزار بن معد ، لما كان من فعل بني نزار الأربعة في مسيرهم نحو الأفعى الجرهمي ، ووصفهم الجمل الشارد ، على ما ذكرنا ، وذلك منهم قيافة ؛ فمن هنالك تفرقت القيافة من أحياء مضر على حسب ما تغفل في العروق وتزع ، وأهل المياه أكهن ، وأهل البر الفائح أقنوف^(٣) ، وبأرض الجفار^(٤) - وهي بلاد الرمل بين بلاد مصر وأرض الشام - أناس من العرب في تلك الجفار يتناول الإنسان من تمر نخلم فيغيب عنهم السنين ولم يروه ولا شاهده ، فإن رأوه بعد مدة علموا أنه الآخذ لتمرهم ، ولا يكادون يخطئون ، وهذا من فعلهم مشهور ، ولا يكاد تخفى عليهم أقدام أي الناس هم .

ورأيت بهذه الأرض أناساً قد رتبهم ولالة المنازل يطوفون في هذا الرمل ، يعرفون بالقصاص ، يقصون آثار الناس وغيرهم ، فيخبرون ولالة المنازل أي الناس هم ممن طرق تلك البلاد ، وهم لم يروه ، بل رأوا آثار أقدامهم ، وهذا معنى لطيف وحسن دقيق .

القيافة : وقد قففت القافة بقريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الفار ، حتى أتت باب الفار على حجر صلد وصخر صم وجبال لا رمل عليها ولا طين ولا تراب تتبين عليه الأقدام ، فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان

(١) في نسخة : بهوادي الأسباب . (٢) في نسخة : ر أهل العروق أكهن ، وأهل الجبال أقوف .

(٢) » » : إن الكهانة لليمن . (٤) » » : وبأرض الجفاء .

من نسج العنكبوت وما سَفَتَ عليه الرياح ، وما لحق القائف من الحيرة ، وقوله : إلى هنا انتهت الأقدام ، ومعه الجماعة من قريش ، لا يرون على الصلد ما يرى ولا على الصَّفْوَان ما يشاهد ، وأبصارهم سليمة ، والآفات عنها مرتفعة ، والموانع زائلة ، ولولا أن هنالك لطيفة لا يتساوى الناس في علمها ، ولا يتفقون بالأبصار إحصاء إدراكها ، لما استأثر بذلك طائفة دون أخرى ، وأهل الجبال والقفار والدَّهَاس^(١) أَرْجَرُوا وأَعْرَفُوا .

القيافة عند أهل الشرع ، وقد ذهب قوم من أهل الشريعة ، من فقهاء الأمصار وغيرهم ممن سلف ، إلى الحكم بالقيافة ؛ استدلالاً على شرف القيافة ، وعظم خطرهما ، وكبر محلها ، وتحقيق فضلها ؛ لتمجيد النبي صلى الله عليه وسلم منها ، وتصديقه محرزاً المدلجى .

وقد أنكر جماعة من فقهاء الأمصار ، ممن سلف وخلف ، الحكم بالقيافة ، والدليل على فساد الحكم بها إلحاق^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم الولدَ بأبيه حين شك فيه لعدم التشابه ، فقال : يا رسول الله ، إن امرأتى وضعت غلاماً وإنه لأسود ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مقرباً إلى فهمه وقصداً منه لفساد علته التي قصدها وشك من أجلها في ولده « فهل لك من إبل » ؟ قال : نعم ، قال : « فما ألوانها » ؟ قال : حُمْرٌ ، قال : « فهل فيها من أوزق » ؟ قال : نعم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « فمن أين ذلك ؟ لعل عرقاً نزع^(٣) » ، وقوله صلى الله عليه وسلم في قصة

(١) في نسخة : والرهاس .

(٢) « : للدلائل الدالة على فساد الحكم فيها ، وإلحاق النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) « : فمن أين ذلك ؟ قال : لعل عرقاً نزع ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فلهل عرقاً نزع .

شريك بن سحيم^(١) « إن جاءت به على النعت المكروه ، فهو للذي رميت به » فلما جاءت به على النعت المكروه وَجَدَ التشابه بينه وبين من رميت به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لولا حكم الله لكان لي ولك شأن ، فألحق الولد مع عدم الشبه هنالك ، ولم يلحق بالشبه هنا ، ولم يجعله حكماً ، وقضى بوجود الفراش وثبوت النص على فساد الحكم بالتشابه .

وهذا باب قَصَدْنَا فيه هذا الكلام ، وإنما ذكرنا هذا الفصل لنذكر الحكم بضده من القيافة ، وهذا باب يطول فيه الخطب ، ويكثر في معانيه الشرح ؛ لغموضه ولطيفه^(٢) ، وقد ذكرنا وجه الكلام في ذلك وما ذهبت إليه كل فرقة من الناس ممن سلف وخلف في كتابنا المترجم بـ « كتاب الرؤوس السبعة في الإحاطة بسياسة العالم وأسراره » [وهو كتاب مشهور مستوعب]^(٣) .

ذكر الكهانة ، وما قيل في ذلك

وما اتصل بهذا الباب مما يراه الناس^(٤)

وحده النفس الناطقة

أصل ادعاء علم الغيب : تنازع الناس في الكهانة ؛ فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم إلى التكهن ، وكانوا يدعون العلوم من الغيوب ، فادعى صنف منهم أن نفوسهم قد صَفَّتْ فهي مطلعة على أسرار الطبيعة ، وعلى ما تريد أن يكون منها ؛ لأن صور الأشياء

(١) في نسخة : شريك بن أميمة ، وفي نسخة أخرى « شريك بن سمنعة » .

(٢) « : لغموضه ولطف الكلام فيه .

(٣) لا توجد هذه العبارة في إحدى النسخ . (٤) في نسخة : مما يراه الناس .

عندهم في النفس الكلية ، وصنف منهم ادعى أن الأرواح المنفردة - وهي الجن - تخبرهم بالأشياء قبل كونها ، وأن أرواحهم كانت قد صفت ، حتى صارت لتلك الأرواح من الجن متفقة ^(١) .

وذهب قوم من النصارى أن السيد المسيح إنما كان يعلم الغائبات من الأمور ، ويخبر عن الأشياء قبل كونها ؛ لأنه كانت فيه نفس عالمة بالغيب ، ولو كانت تلك النفس في غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم بالغيب ، ولا أمة خلت إلا وقد كان فيها كهانة ، ولم يكن الأوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانات ، وشهر فيهم أن فيثاغورس كان يعلم علوماً من الغيب وضروباً من الوحي ؛ لصفاء نفسه وتجردها من أدران هذا العالم ^(٢) ، والصابئة تذهب إلى أن أوريبايس الأول وأوريبايس ^(٣) الثاني - وهما : هرمس ، وأغاثيمون - كانوا يعلمون الغيب ؛ ولذلك كانوا أنبياء عند الصابئة ، ومنعوا أن تكون الجن أخبرت من ذكرنا بشيء من ضروب الغيب ، لكن صفت نفوسهم حتى اطلعوا على ما استتر عن غيرهم من جنسهم .

وطائفة ذهبت إلى أن التكهن سبب نفساني لطيف يتولد من صفاء مزاج الطباع ، وقوة النفس ، ولطافة الحس .

وذكر كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه ، وأن الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على السنة الكهان فيؤدون إلى الناس الأخبار ، بحسب ما يرد إليهم ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه فقال : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً)

(١) في نسخة : موافقة . (٢) في نسخة : أوريبايس وأوريبايس وأوريبايس الثاني .

(٣) » » : من أدناس هذا العالم .

إلى آخر القصة ، وقوله تعالى : (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وقوله تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم - الآية) والشياطين والجن لا تعلم الغيب ، وإنما ذلك لاستراقها السمع مما تسمع من الملائكة بظاهر قوله عز وجل (فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) .

وطائفة ذهبت إلى أن وجه سبب الكهانة من الوحي الفلكي^(١) ، وأن ذلك يكون في المولد عند ثبوت عطارده على شرفه ، وأما ما عداه من الكواكب المدبرات من النيرين والخسة إذا كانت في عقد متساوية^(٢) وأرباع متكافئة ومناظر متوازية وجب لصاحب المولد التمكن والإخبار بالكائنات قبل حدوثها ؛ لاشراف هذه الأشراف الكوكبية ، ومن هؤلاء من أوجب كون ذلك في القرائات الكبار .

وذهب كثير من تقدم وتأخر أن علة ذلك علل نفسانية ، وأن النفس إذا قويت وزادت قهرت الطبيعة ، وأبانت للانسان كل سر لطيف^(٣) ، وسخرته بكل معنى شريف ، وغاصت بلطافتها في انتخاب المعاني اللطيفة البديعة^(٤) فاقتنصتها وأبرزتها على الكمال ، وكشفت هذه الطائفة وجه اعتلاها فيما ذكرنا ؛ فإنهم قالوا : رأينا الانسان ينسب إلى قسمين ، وهما النفس والجسد ، ووجدنا الجسد مواتا لا حركة له ولا حس إلا بالنفس ، وكان الميت لا يعلم شيئا ولا يؤدبه^(٥) ؛ فوجب أن يكون العلم للنفس ، والنفوس

(١) في نسخة : من الوجه الفلكي .
(٢) » : في عقود متساوية .
(٣) » : وأباحت للانسان كل سر الطبيعة . (٥) في نسخة : ولا يورده .
(٤) في نسخة : وعاصت بلطافتها في كثائف المعاني البعيدة فاتنصتها وأبرزتها على الكمال .

طبقات : منها الصافي وهي النفس الناطقة ، ومنها الكدر ،
وهي النفس الحسية والنفس النزاعية والنفس المتخيلة^(١) ، ومنها ما
قوته في الإنسان أزيد من قوة الجسم ، ومنها ما قوة الجسم أزيد
منه ، فلما كانت النسبة النورية للإنسان إلى النفس كانت تهدي
الإنسان إلى استخراج الغيب وعلم الآتي ، وكانت فطنته وظنونه
أبعث وأعم ، فإذا كانت النفس في غاية البروز ونهاية الخلوص
وكانت تامة النور وكاملة الشعاع كان توجهها في دراية الغائب بحسب
ما عليه نفوس الكهنة ، وبهذا وجد الكهان على هذه السبيل من
نقصان الأجسام وتشويه الخلق ، كما اتصل بنا عن شق وسطيح وسملقة
وزوبعة وسديف بن هوماس^(٢) وطريفة الكاهنة وعمران أخي
مزيقياء وحارثة وجهينة^(٣) وكاهنة باهلة وأشباههم من الكهان .

العرافة وبعض العرافين : وأما العراف - وهو دون الكاهن -
فمثل الأبلق الأزدي ، والأجلح^(٤) الدهري ، وعروة بن زيد
الأزدي ، ورباح بن عجلة^(٥) عراف اليمامة الذي قال فيه عروة :

جعلتُ لِعِرافِ اليمامة حكمه وعِرافِ نجد إن هما شَفِيانِي

وكهند صاحب المستبر ، وكان في نهاية التقدم في العرافة .

الكهانة في العرب : والكهانة أصلها نفسي ، لأنها لطيفة باقية ومقارنة
لأعجاز باهرة ، وهي تكون في العرب على الأكثر وفي غيرهم على
وجه الندرة ؛ لأنه شيء يتولد على صفاء المزاج الطبيعي ، وقوة مادة
نور النفس ، وإذا أنت اعتبرت أوطانها^(٦) رأيتها متعلقة بعفة النفس

(١) في نسخة : البراعية والنفس المجلية .

(٤) في نسخة : والأخيلج .

(٢) » » : وسديف بن هوماس .

(٥) » » : ورباح بن كحلة .

(٣) » » : وحارثة بنت جهينة .

(٦) » » : أقطانها .

وقمع شرها بكثرة الوحدة وإدمان التفرد وشدة الوحشة من الناس وقلة الأنس بهم ، وذلك أن النفس إذا هي تفردت فكرت ، وإذا هي فكرت تعدت ^(١) [وإذا تعدت] هطلَ عليها سُحُبُ العلم النفسي ، فنظرت بالعين النورية ، ولحظت بالنور الثاقب ، ومضت على الشريعة المستوية ، فأخبرت عن الأشياء على ما هي به وعليه وربما قويت النفس في الإنسان فأشرفت به على دراية الغائبات قبل ورودها .

وكان كبار اليونانيين ينعمون هذه الطائفة بالروحانية ، ويقولون : إن النفس إذا هي زادت ^(٢) وكانت أكبر جزء في الإنسان تهتت ^(٣) إلى استخراج البدائع والأخبار المستترات ، واستدلوا على ذلك أن الإنسان إذا قوي فكره وزادت مواد نفسه وخاطره فكر في الطارئ قبل وروده فعلم صورته فيكون وروده إلى حال على ما تصوره وهكذا النفس أيضاً إذا تهذبت كانت الرؤيا في النوم صادقة وفي الزمان موجودة .

الرؤيا وأسبابها : وقد تنازع الناس في الرؤيا ، والسبب الموقع لها وماهيتها وكيفية وقوعها ، فقال فريق : إن النوم هو اشتغال النفس عن الأمور الظاهرة بملاقة حوادث باطنة فيها ، وذلك على وجهين : أحدهما معروف بالعين قائم بالصفة في خواطر تحدث في النفس معاني تعبها وتفرق بينها ، فتشغل به عن استعمال الظاهر ، والباطن فيه يؤدي إليه الخواس الخمس فتبطل الخواس عن الإدراك إلى الحاس أعني الروح لا اشتغال الروح عن استعمالها ، وإذا وجب بطلانها سمي

(١) في نسخة : بعدت ، وسقط منها ما بين المعرفين .

(٢) » » : إذ هي أدت . (٣) في نسخة : تهذبت .

نوماً عرضياً ، لأنه ليس النوم الكلي الذي يعم الأطفال والمجانز والشيخوخ الذين خرجوا من موقع السرور أو مخافة الشر ، وكذلك نوم الليل على ما وصفنا ، والوجه الآخر - وهو النوم الكلي الذي يعم الأطفال والمجانز والطبقات الحيوانية ذوات الفكر وغيرها - وهي طبيعة توجبها الخلقة في وقته ضرورة كما يوجب الجوع في وقته ضرورة ؛ لأن الجوع عند أهل صناعة الطب علة ، وهي الموجبة تحديد^(١) الكبد من الفراغ من الأغذية .

ومنهم من رأى أن النفس تدرك صورة الأشياء على ضربين : أحدهما حس والآخر فكر ؛ فالصورة المحسوسة^(٢) لا تدركها إلا في هيئتها ؛ فإذا تخلص عنها عندها كان إدراكها مفرداً من طبيعتها ؛ فيكون فكر الإنسان ما لم يتم تابعا^(٣) للحس ، حتى إذا نام فعدمت النفس الحواس كلها كانت تلك الصورة التي أخذتها من أعيان الأشياء فيها قائمة كأنها محسوسة ؛ لأن الحس بها في أعيانها كان قبل استيلائها بالفكر ضعيفا ، فلما ارتفع الحس قوي الفكر فصار يُصَوَّر الأشياء كأنها محسوسة يخطر على بال النائم منها كما يخطر على باله إذا كان يقظان الشيء الذي قد كان أنيسه ، وليس لذلك نظام ، وإنما هو ما اتفق ؛ فلذلك يرى الإنسان كأنه يطير وليس بطائر ، وإنما يرى صورة الطيران مفردة كما يعلمها إذ غابت ؛ ولكن فكره فيها تقوى حتى كأنها معاينة له ، فأما ما يراه النائم من الأشياء التي تدل على ما يريد فلإنما ذلك لأن النفس عالمة بالصور ، فإذا خلصت في المنام من شوائب الأجسام أشرفت على ما تريد أن ينالها ،

(٣) في نسخة : مانعا للحس .

(١) في نسخة : لتحذير .

(٢) » » : المحسوسة .

وهي عالمة أنها في حال اليقظة لا يمكنها معرفة ذلك فتتخيل خيالات تدل بها على تلك الأشياء التي تريد أن تكون ، حتى إذا انتبهت تذكرت تلك الخيالات وتلك الأشياء ؛ فمن كانت نفسه صافية لم تكذب رؤياه تكذب ومن كانت نفسه كدرة كانت تكذب كثيراً ، ثم ما بين الكدرة والصافية وسائط ، على حسب مراتبها من الصفاء والكدر يكون صدق ما تخيلته وكذبه .

وقال فريق آخر : إذا بطل استعمال النفس للحواس ظاهراً لم يبطل استعمالها في نفسها ، ولم يبطل استعمال قواها ؛ فتنتقل في الأماكن ، وتشاهد الأشخاص بالقوة الروحانية التي ليست بجسم ، لا بالقوة الجسمية الغليظة ، وذلك أن القوة الجسدانية لا تدرك إلا بمشاركة وملابسة الأشياء^(١) : إما باتصال كاتصال اللون من الملون وإما بانفصال كاتفصال الجسم من الأماكن ، والروح تدرك المتصل والمنفصل جميعاً ، لا بمشاركة الجسد الذي يوجب الحاجة إلى قرب المدرك .

ومنهم من رأى أن النوم هو اجتماع الدم وجريانه إلى الكبد .
ومنهم من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدوء الروح .
ومنهم من زعم أن ما يحده الإنسان في نومه من الخواطر إنما هو من عمل الأغذية والأطعمة والطبائع .

ومنهم من رأى أن بعض الرؤيا من الملك وبعضها من الشيطان ، واعتلّ هؤلاء بقوله تعالى : « إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا » .

(١) في نسخة : وملابسة الأشياء .

وَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى أَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ إِحْدَى وَسْتَيْنِ جُزْءٍ مِنَ النَّبْوَةِ ،
وَتَنَازَعَ هَؤُلَاءِ فِي كَيْفِيَةِ ذَلِكَ الْجُزْءِ وَمَاهِيَّتِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ الْحَسَّاسَ هُوَ غَيْرُ هَذَا الْجِسْمِ
الْمَرْتِي وَأَنَّهُ يَخْرُجُ عَنِ الْبَدَنِ فِي حَالِ النَّوْمِ فَيُشَاهِدُ الْعَالَمَ
وَيَرَى الْمَلَائِكَةَ ، عَلَى حَسَبِ صِفَائِهِ ، وَاعْتَمَلُ هَؤُلَاءِ وَغَيْرُهُمْ -
مَنْ ذَهَبَ إِلَى نَحْوِ هَذَا الْمَعْنَى - بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ
حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا » إِلَى قَوْلِهِ « إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى » .

وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْمُتَطَبِّينَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْأَحْلَامَ مِنَ
الْأَخْلَاطِ ، وَتَرَى بِقَدْرِ مَزَاجِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَقُوَّتَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ
تَشْتَغِلُ أَجْسَادُهُمْ مِنَ الْمَرَّةِ الصَّفْرَاءِ يَرَوْنَ فِي مَنَامِهِمُ النَّيْرَانَ وَالنَّوَارِيسَ
وَدُخَانًا وَمَصَابِيحَ وَبَيْوَاتًا تَحْتَرِقُ وَمَدَائِنَ تَلْتَهَبُ بِالنَّارِ وَنَحْوَ ذَلِكَ وَمَا
أَشْبَهَهُ ، وَالْغَالِبُ عَلَى مَنْ كَانَ مَزَاجُهُ الْبَلَقَمُ أَنْ يَرَى بِحُورًا وَأَنْهَارًا
وَعِيُونًا وَأَحْوَاضًا وَغُدْرَانًا وَمِيَاهًا كَثِيرَةً وَأَمْوَاجًا ، وَيَرَى كَأَنَّهُ يَسْبَحُ
أَوْ يَصِيدُ سَمَكًا وَنَحْوَ ذَلِكَ وَمَا قَارَبَهُ ، وَالْغَالِبُ عَلَى مَنْ كَانَ مَزَاجُهُ
السُّودَاءُ أَنْ يَرَى فِي مَنَامِهِ أَجْدَاثًا وَقُبُورًا وَأَمْوَاتًا مَكْفَنِينَ بِسَوَادٍ
وَبُكَاءَ ، وَنُوحًا وَرَنِينَ وَصَرَائِحًا وَأَشْيَاءَ مَفْزَعَةً وَأَمْوَرًا مَفْظَعَةً وَفِيلَةً
وَأَسُودًا ، وَالْغَالِبُ عَلَى مَنْ كَانَ مَزَاجُهُ الدَّمُ أَنْ يَرَى خَمْرًا وَنَبِيذًا
وَرِيَّاحِينَ وَلُعْبًا وَقَصْفًا وَعَزْفًا وَأَنْوَاعَ الْمَلَاهِي وَالرَّقْصِ وَالسُّكْرِ وَالْفَرَحِ
وَالسُّرُورِ وَالثِّيَابِ وَالْمُصَبَّغَاتِ مِنَ الْحُمْرَةِ وَغَيْرِهَا وَمَا لَحِقَ بِهَذَا الْبَابِ
بِمَا وَصَفْنَا مِنْ أَنْوَاعِ السُّرُورِ .

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُتَطَبِّينَ فِي أَنَّ الضَّحْكَ وَاللَّعِبَ - عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ -
مِنْ أَنْوَاعِ السُّرُورِ مِنَ الدَّمِ ، وَأَنَّ كُلَّ حُزْنٍ وَخَوْفٍ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ
مَعَانِيهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَرَّةِ السُّودَاءِ ، وَاحْتَجَّجُوا بِضُرُوبٍ مِنَ الْإِحْتِجَاجَاتِ ؛

فهذه جملتها ، وقد أوضحنا هذا في كتابنا « الرؤيا والكمال »^(١) وفي كتاب « طب النفوس » فلا وجه لإطنابنا في هذا الموضع من كتابنا هذا ؛ إذ كان هذا الكتاب كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر .

وإنما تغفل بنا الكلام لما تشعب من مذاهبهم في إخبارنا عنهم ، ولم نعرض في هذا الكتاب لما ذهب إليه الناس في تحديد النفس ، وما قاله أفلاطون في تحديده للنفس إن النفس جوهر محرك^(٢) للبدن ، وما حده صاحب المنطق أن حدد النفس كمال الجسم الطبيعي ، وحدها من وجه آخر أنه حي بالقوة ، ولا للفرق بين النفس والروح ؛ لأن الفرق بينها أن الروح جسم والنفس لا جسم ، وأن الروح يحويه البدن ، وأن النفس لا يحويها البدن ، وأن الروح إذا فارق البدن بطل والنفس تبطل أفعالها في البدن ، ولا تبطل هي في ذاتها ، والنفس تحرك البدن وتقبل الحس ، وقد ذكر أفلاطون في كتاب السياسة المدنية نهر البستات وما يلحق الإنسان من صفات النفس الداخلة على النفس الناطقة ، وذكر أفلاطون في كتابه إلى طيماوس^(٣) ، وفي كتاب فاردون^(٤) ، وكيفية مقتل سقراط الحكيم وما تكلم في ذلك في النفس والصورة .

وقد تكلم الناس في طبقات النفوس وصفاتها من أصحاب الاثنين^(٥) وغيرهم من الفلاسفة ، ثم تنازع أهل الإسلام في ماهية^(٦) الإنسان الحساس الدراك المأمور المنهي ، وما قالته المتصوفة وأصحاب المعارف والدعاوى في طبقات النفوس من النفس المطمئنة ، والنفس

(١) في نسخة : في كتاب النهى والكمال . (٤) في نسخة : فارون .

(٢) » » : جوهر ليس بمحرك للبدن . (٥) » » : من أصحاب الألسن وغيرهم .

(٣) » » : طساويس . (٦) » » : في هيئة الإنسان الحساس .

اللوامة ، والنفس الأمارة بالسوء ، وغير ذلك مما ذهب إليه اليهود والنصارى والمجوس والصابئة ، وغير ذلك مما قد أتينا على إيضاحه في كتاب « سر الحياة » وغيره من كتبنا .

سطيح وشق الكاهنان : وقد كان سَطِيحُ الكاهن - وهو ربيع ابن ربيعة بن مسعود بن مازن ذئب^(١) بن عدي بن مازن بن غسان - يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب ، لا عظم فيه إلا جمجمة الرأس ، وكانت إذا لمست باليد يلين عظمها ، وكان شق ابن [مصعب بن شكران بن أترك بن قيس بن] عنقر بن أنمار بن ربيعة ابن نزار معه^(٢) في عصر واحد ، وكان فيها جرة^(٣) الكهانة ، وكذلك سملقة^(٤) وزوبعة كانا في عصر واحد ، والله أعلم .

ذكر

جمل من أخبار الكهات ، وسيل العَرم-

وتفرق الأزد في البلدان

قال المسعودي : قد ذكرنا جملا من الكهانة والقيافة والزَّجْر والبارح والسانح فلنذكر الآن لمعا من أخبار الكهان ، وتفرق ولد سبأ في البلدان .

(١) في نسخة : دغير .

(٢) » : هكذا ورد في أصول الكتاب نسب سطيح وشق الكاهنين مع سقوط ما بين المعقوفين في نسب شق من إحدى النسخ ، وفيها « عقر » والذي في سيرة ابن هشام (ج ١ ص ١١) أن اسم سطيح وبيع بن ربيعت بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن ، وأن شقا ابن صعب بن يشكر بن أفرك بن قصر بن عبق بن أنمار بن اراش ، بغير خلاف في نسب سطيح ، ومع خلاف كثير في أسماء آباء شق . ولم نشأ أن نغير في حروف الأصل بما يتوافق مع رواية السيرة ، لأن العلماء لا يتفقون على ضبط هذه الأسماء وترتيبها .

(٣) في نسخة : وكانت معها جرة الكهانة . (٤) في نسخة : سملقة .

السد وبانيه ومكانه : ولم يزل ولد قحطان في أطيب عيش إلى أن هلك سبأ ، وكان القوم بعد مضي سبأ قداولتهم الأعصار قرناً بعد قرن ، إلى أن أرسل الله عليهم سيل العرم وذلك أن الرياسة انتهت فيهم إلى عمرو بن [عمرو^(١) مزيقياء - وهو عمرو بن] عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن كهلان بن سبأ وذلك ببلاد مازن من أرض اليمن^(٢) ، وهي بلاد سبأ التي ذكر الله في القرآن ، أنه أرسل على أهلها سيل العرم ، وهو السد ، وكان فرسخاً في فرسخ ، بناء لقمان الأكبر العادي - وهو لقمان بن عاد ابن عاد^(٣) - وقد ذكرنا خبره وخبر غيره ممن كان عمرهم منهم عمر النور ، وهذا السد هو الذي كان يرد عنهم السيل فيما سلف من الدهر إذا حان أن ينشئ أموالهم ، فخرقهم الله كل ممزق ، وباعد بين أسفارهم ، والناس في قصة هلكهم يختلفون ، وفي سياقة أخبارهم يتباينون .

وصف بلاد سبأ : وذكر أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن ، وأثرها ، وأغدقها ، وأكثرها جناتاً وغيظاناً^(٤) ، وأفسحها مروجاً ، مع بنيان حسن وشجر مصفوف^(٥) ، ومساكب للماء متكاثفة ، وأنهار وأزهار متفرقة ، وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحالة ، وفي العرض مثل ذلك ، وأن الراكب والمار كان يسير في تلك الجنان^(٦) من أولها إلى أن ينتهي

(١) ما بين المعوقين ساقط من إحدى النسخ . (٤) في نسخة : وأكثرها جناتاً وغيظاناً .
(٢) في نسخة : وذلك ببلاد مأرب من أرض اليمن . (٥) » » : بين بنيان وجسر مقيم وشجر
(٣) » » : لقمان بن عاد بن عادياً . موصوف .

(٦) في نسخة : في تلك الجبال .

الى آخرها لا تواجه الشمس ولا تعارضه ؛ لاستتار الأرض بالعمارة
 الشجرية ، واستيلائها عليها ، وإحاطتها بها ، وكان أهلها في أطيب عيش
 وأرفهيه ، وأهنأ حال ، وأرغد قرى ، وفي نهاية الخصب ، وطيب
 الهواء ، وصفاء الفضاء ، وتدفق الماء ، وقوة الشوكة ، واجتماع الكلمة ،
 ونهاية المملكة ، وكانت بلادهم في الأرض مثلاً ، وكانوا على طريقة
 حسنة من اتباع شريف الاخلاق ، وطلاب الإفضال على القاصد والسفر^(١)
 بحسب الامكان وما توجبه القدرة من الحال ، فكثروا على ما شاء الله
 من الاعصار ، لا يعاندهم ملك الا قصموه ، ولا يوافيهم جبار في جيش
 إلا كسروه ، فذلت لهم البلاد ، وأذعن لطاعتهم العباد ، فصاروا
 تاج الأرض . وكانت المياه التي هي اكثر ما يرد الى أرض سبأ تظهر
 من مخراق من الحجر الصلبد والحديد من ذلك السد والجبال ، طول
 المخراق فيما وصفنا فرسخ ، وكان وراء السد والجبال أنهار عظام ،
 وكان في هذا المخراق الآخذ من تلك الانهار ثلاثون نقباً مستديرة
 في استدارة الذراع طولاً وعرضاً مدورة على أحسن هندسة وأكمل
 تقدير ، وكانت المياه تخرج من تلك الانقاب في مجاريها حتى تأتي
 الجنان فترويها سقياً ، وتعم شرب القوم ، وقد كانت أرض سبأ قبل
 ما وصفنا من العمارة والخصب يركبها السيل من تلك المياه ، وكان
 ملك القوم في ذلك الزمان يقرب الحكماء ، ويدنيهم ، ويؤثرهم ، ويحسن
 اليهم ، فجمعهم من أقطار الأرض للالتجاء الى رأيهم ، والأخذ من
 محض عقولهم ، فشاورهم في دفع ذلك السيل وحصره ، وذلك أنه كان
 ينحدر من أعالي الجبل هابطاً على رأسه حتى يهلك الزرع ويسوق
 من حملته البناء^(٢) ، فأجمع القوم رأيهم على عمل مصارف له الى براري
 تقذف به الى البحر ، وأخبروا الملك ان الماء اذا حفرت المصارف

(١) في نسخة : ويسوق في جفائه البناء .

(٢) في نسخة : عل القاعد والسافر .

الهابطة طلبها ، وانحدر فيها ، ولم يتراكم حتى يعلو الجبال ؛ لأن في طباع الماء طلاب الخفض^(١) ، فحفر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف وتدفق الى تلك الجهة واتخذوا السد^(٢) في الموضع الذي كان فيه بدء جريان الماء من الجبل الى الجبل ، وجعلوا فيه المخراق على ما وصفنا آنفاً ، ثم اجتذبوا من تلك المياه نهرا مرسلًا ومقدارا معلوماً ينتهي في جريانه الى المخراق ، ثم ينبعث الماء منه الى تلك الانقاب ، وهي الثلاثون مخراقاً الصغار التي قدمنا ذكرها ، وكانت البلاد عامرة على ما وصفنا آنفاً .

مبدأ التهدم : ثم ان تلك الامم بادت ومرت عليها السنوات ، وضربها الدهر بضرباته وطعنتها بكثلكه ، وعمل الماء في أصول ذلك المخراق ، وأضعفه بمر السنين عليه وتدفق الماء حوله ، وقد قيل في المثل : إذا أثر ثواتر الماء على الحجر الصلد فما ظنك بسيل يتدفق على حديد وحجر مصنوع ؟

فلما سكنت أبناء قحطان ما وصفنا من هذه الديار وتغلبت على من كان فيها من القحطان لم تعلم الآفة من انحطام السد والمخراق وضعفه ، فغلب الماء عند تنامي السد والبنيان ، في الضعف عنه ، على السد والمخراق والبنيان ، فقذف به في جريه ورمى به في تياره وذلك إبان زيادة الماء ، واستولى الماء على تلك الديار والجنان والعمائر والبنيان ، حتى انقرض سكان تلك الأرض ، وزالوا عن تلك المواطن ، فهذه جملة من أخبار سيل العرم وبلاد سبأ .

العرم : ولا خلاف بين ذوي الدراية^(٣) منهم ، أن العرم هو المسناة

(٣) في نسخة : الرواية .

(١) في نسخة : طلب الخفض .

(٢) » » : وانحدر السيل .

التي قد أحكموا عملها لتكون حاجزا بين ضياعهم وبين السيل ،
ففجرتة فارة ، ليكون ذلك أظهر في الأعجوبة ، كما أغار الله تعالى
ماء الطوفان من جوف كتثور ، ليكون أثبت في العبرة وأؤكد في
الحجة ، ولا يتناكر أحلاف قحطان من أهل تلك الديار إلى هذا
الوقت ما كان من العرم ؛ لاستفاضته فيهم ، وشهرته عندهم .

مفاخرة عند السفاح بين قحطاني وعدناني : وقد فخر بعض أولاد
قحطان في مجلس السفاح بمناقب قحطان من حمير وكهلان على ولد نزار ،
وخالد بن صفوان وغيره من نزار بن معد منصتون هيبة^(١) للسفاح
لأن أخواله من قحطان ، فقال السفاح لخالد بن صفوان : ألا تنطق
وقد غمرتكم قحطان بشرفها وعلت عليكم^(٢) بتقديم مناقبها ؟ فقال
خالد : ماذا أقول لقوم ليس فيهم إلا دابغ جلد ، أو فاسج برد ،
أو سائس قرد ، أو راكب عرد ، أغرقتهم فارة ، وملكتهم امرأة ،
ودل عليهم هدهد ، ثم مر في ذمهم إلى أن انتهى إلى ما كان من
قصتهم وتملك الحبشة^(٣) وما كان من استنقاذ^(٤) الفرس إياهم على
حسب ما قدمنا آنفاً .

العرم في شعر العرب : وقد ذكروا في أشعارهم العرم ، وما كان
لسبأ وأرض مأرب ، وأن مأرب ريمة^(٥) للملك الذي كان يملك على
هذه البلدة وأن هذا الاسم وقع على هذا البلد فاشتهر به وصار ريمة
له ، وقال الشاعر :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

(١) في نسخة : يسطون بأية السفاح . (٢) في نسخة : في ملك الحبشة .
(٣) » » : وغلبت عليكم . (٤) » » : واستعباد الفرس إياهم .

وقد قيل : إن مأرب رِسْمَةٌ لقصر هذا الملك في صدر الزمن ،
قال أبو الطَّمَحَان في ذلك :

ألم تروا مأرباً ما كان أحصنه وما حوالبه من سور وبنيان ؟
ظل العبادي يسقى فوق قلته ولم يهب ريب دهر رِجْدٌ تَخَوَّان
حتى تناوله من بعد ما هجموا يرقى إليه على أسباب كتان

وقد ذكر الأعشى في شعره ما وصفناه حيث يقول في كلمته :

ففي ذاك للمؤتسي أسوة بمأرب عفى عليها العَرم
رخام بناه لهم حير إذا جاء ماؤُهُم لم يَرم
فأغنى الحروث وأغنامها على ساعة ماؤُهُم قد قسم
[فطار القيول وغيالها بها في فيافي سراب يطم]
وكانوا بذلك حَقِبةً فقال بهم جارف منهمدم
فطاروا سراعاً وما يقدمو ن منه لشرب صي فطم

طول العمر وعمر النصور : وقد ذكرنا في كتابنا « أخبار
الزمان » الملك الذي طال عمره وحسنت سيرته ، وأنه بنى هذا
السد الذي هو المسناة ، وأن عمره انتهى على عمر النصور ، عند
ذكرنا لطول الأعمار ، وقد أكرت العرب في صفة طول عمر النسر ،
وضربت به الأمثال ، وبلَّبَدٍ ، وبصحة بدن الغراب ؛ فمن ذلك ما
ذكره الخزرجي ^(١) في شعره عند ذكره لطول عمر مُعَاذ بن مسلم
ابن رجاء مولى القَعْقَعِ بن حكيم ^(٢) من قوله فيه عند ذكره سنه
وهرمه ، وهو :

(١) في نسخة : الخارجي . (٢) في نسخة : القمقاع بن حكم .

ان معاذ بن مسلم رجل قد ضجّ من طول عمره الأبد^(١)
 [قد شاب رأس الزمان واختضب الدهر وأثواب عمره جدد]^(٢)
 يا نسر لقمان كم تعيش ؟ وم تلبس ثوب الحياة يا لبّد ؟
 قد أصبحت دار حير خربت وأنت فيها كأنك الوتد
 تسأل غربانها إذا حجّلت كيف يكون الصداع والرمد

علة طول الأعمار ونقصها : وقد قدمنا فيما سلف في مواضع من هذا الكتاب ما قالت الأوائل في علة طول الأعمار وقصرها ، وعظم الأجسام في بدء الأمر^(٣) ، وتناقصها على مرور الأعصار ومضي الدهور ، وأن الله تبارك وتعالى لما بدأ الخلق كانت الطبيعة التي جعلها الله جبلّة للأجسام^(٤) في تمام الكثرة ونهاية القوة والكمال ، والطبيعة إذا كانت ثامة القوة كانت الأعمار أطول ، والأجسام أقوى ؛ لأن طرق الموت الطاريء يكون بانحلال قوى^(٥) الطبيعة ، فلما كانت القوة أتم ، كانت الأعمار أزيد ، وكان العالم في أولية شأنه تام العمر ، ثم لم يزل ينقص أولا فأولا لنقصان المادة ، فتتقص الأجسام والأعمار مع نقصان المادة ، حتى يكون آخر مائة الطبيعة في تناهي النقص في الأجسام والأعمار .

وقد أبى^(٦) ما ذكرنا من عظم أجسام الناطقين في صدور الزمان كثير من أهل النظر والبحث ممن تأخر ، وزعموا أن تأثيرهم في بنيانهم وما ظهر في الأرض من أعمالهم يدل على صغر أجسامهم ، وأنها كانت كأجسامنا ، لما شاهدوه من مساكنهم وأبوابهم وممراتهم فيما

(١) في الأصول « قد صح في طول عمره الأبد » . (٤) في نسخة : للإسلام .
 (٢) سقط هذا البيت من إحدى النسخ . (٥) » : باعلال قوى الطبيعة .
 (٣) في نسخة : بدء الدهر . (٦) » : وقد أتى على ما ذكره .

أحدثوه من البنيان ، وأهياكل والديار والمساكن في سائر الأرض ، كديار ثمود ونحتها المساكن في الجبال ، وحفرها في الصخر الصلد بيوتا صفاراً وأبواباً لطافاً ، وكذلك أرض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الأرض في الشرق والغرب ، وهذا باب إن أكثرنا القول فيه طال ، وإن أطنبنا في صفته كثر ، فلنرجع الآن إلى ما عنه عدلنا ومن صفته خرجنا من ذكر سبأ ومأرب ، وما كان من الملك في ذلك الوقت وهو عمرو بن عامر .

عود للذكر سبأ : وكان للملك عمرو بن عامر المقدم ذكره في هذا الباب أخ كاهن عقيم ، يقال له عمران ، وكان لعمرو كاهنة من أهله من حمير ^(١) يقال لها طريقة الخير ^(٢) .

فكان أول شيء وقع بمأرب وعرف من سيل العرم أن عمران الكاهن أخا عمرو رأى في كهنته أن قومه سوف يمزقون كل ممزق ويباعد بين أسفارهم ، فذكر ذلك لأخيه عمرو ، وهو الملك مزيقياء الذي كانت محنة القوم في أيام ملكه ، والله أعلم بكيفية ذلك .

طريقة الكاهنة : وبيننا طريقة الكاهنة ذلت يوم نائمة إذ رأت فيما يرى النائم ، أن سحابة غشيت أرضهم وأرعدت وأبرقت ثم صعقت فأحرقت ما وقعت عليه ، ووقعت إلى الأرض ، فلم تقع على شيء إلا أحرقته ، ففزعت طريقة لذلك ، وزعرت ذعراً شديداً ، وانتبعت ^(٣) وهي تقول : ما رأيت مثل اليوم ، قد أذهب عني النوم ، رأيت غيا أبرق ، وارعد طويلاً ثم أصعق ، فما وقع على شيء إلا أحرق ، فما

(١) في نسخة : وكان لعمرو زوجة كاهنة من أهل ردمان من حمير .
(٢) كذا في معجم البلدان (١ : ٢٥٥) ووقع في الأصول « طريقة الخير » .
(٣) في نسخة : وأنت الملك عمرا وهي تقول .

بعد هذا إلا الفرق ، فلما رأوا ما داخلها من الرعب خفضوها ^(١) وسكنوا من جأشها حتى سكنت ، ثم ان عمرو بن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جاريتان له فبلغ ذلك طريفة ، فأسرعت نحوه ، وأمرت وصيفاً لها يقال له سنان أن يتبعها ، فلما برزت من باب بيتها عارضها ثلاث مناجد منتصبات على أرجلهن واضمات ايديهن على أعينهن ، وهي دواب تشبه اليرابيع يكن بأرض اليمن ، فلما رأتهن طريفة وضعت يدها على عينها وقعدت ، وقالت لوصيفها : إذا ذهبت هذه المناجد عنا فأعلمني ، فلما ذهبت أعلمها ، فانطلقت مسرعة ، فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها عمرو وثبتت من الماء سلحفاة ، فوقعت على الطريق على ظهرها وجعلت تريد الانقلاب فلا تستطيع ، فاستعين بذنبها وتحتو الثراب على بطنها وجنبها وتقذف بالبول ، فلما رأتها طريفة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلحفاة إلى الماء مضت طريفة إلى ان دخلت على عمرو الحديقة حين انتصف النهار في ساعة شديد حرها ، فإذا الشجر يتكفأ من غير ريح ، فنقذت ^(٢) حتى دخلت على عمرو ومعه جاريتان له على الفراش ، فلما رآها استحيا منها ، وأمر الجاريتين فنزلتا عن الفراش ، ثم قال لها : هلمي يا طريفة إلى الفراش ، فتكهننت وقالت : والنور والظلماء ، والأرض والسماء ، إن الشجر لتألف ^(٣) وسيعود ^(٤) الماء لما كان في الدهر السالف ، قال عمرو : من تخبرك بهذا ؟ قالت : أخبرني المناجد ، بسنين شدائد ، يقطع فيها الولد والوالد ^(٥) ، قال : ما تقولين ؟ قالت : أقول : قول النذمان لهفاً ، قد رأيت سلحفاة ،

(١) في نسخة : حفظوها . (٢) في نسخة : وليعودن الماء كما كان .

(٣) » » : فقدت حتى دخلت على عمرو . (٤) » » : الوالد الواحد .

(٥) » » : لهالك

تجرف التراب جرفاً ، وتقفذ بالبول قذفاً ، فدخلت الحديقة فإذا
الشجر يتكفأ ، قال عمرو : وما ترين ذلك ؟ قالت : هي داهية
ركيمة ^(١) ، ومصائب عظيمة ، لأمر جسيمة ^(٢) ، قال : وما هي ؟
ويلك ! قالت : أجل إن لي الويل ، وما لك فيها من نيل ، فلي ولك
الويل ، بما يحيي به السيل ، فالقى عمرو نفسه على الفراش وقال :
ما هذا يا طريفة ؟ قالت : هو خطب جليل ، وحزن طويل ، وخلف
قليل ، والقليل خير من تركه ، قال عمرو : وما علامة ذلك ؟ قالت :
تذهب إلى السد فإذا رأيت جرداً يكثر بيديه في السد الحفر ،
ويقلب برجليه من الجبل الصخر ، فاعلم ان النقر عقر ^(٣) ، وانه وقع
الامر ، قال : وما هذا الامر الذي يقع ؟ قالت : وعد من الله نزل ،
وباطل بطل ، ونكال بنا نزل ، فنبيرك يا عمرو فليكن الشكل ،
فانطلق عمرو إلى السد يحرسه ، فإذا الجرذ يقلب برجليه صخرة
ما يقلبها خمسون رجلاً فرجع إلى طريفة فأخبرها الخبر وهو يقول :

أبصرت أمراً عادني منه ألم وهاج لي من هوله برح السقم
من جرذ كفعل خنزير الأجم أو تيس مرم من أفريق النغم
يسحب صغراً من جلاميد العرم له مخالب وأنياب قضم
ما فاته سحلا من الصخر قصم كأنما يرعى حظيراً من سلم

فقالت له طريفة : إن من علامة ما ذكرت لك أن تجلس في
مجلسك بين الجنتين ، ثم تأمر بزجاجة فتوضع بين يديك ، فإنها
ستمتلئ بين يديك من تراب البطحاء من سهلة الوادي ورملة ،
وقد علمت أن الجنان مظلة ما يدخلها شمس ولا ريح ، فأمر

(٣) في نسخة : أن العفر حفر .

(١) في نسخة : داهية كبيرة .

(٢) » : بأمر جسيمة .

عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه ، فلم يمكث إلا قليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء ، فذهب عمرو إلى طريفة فأخبرها بذلك ، وقال : متى ترين هلاك السد ؟ قالت فيما بينك وبين السبع السنين^(١) ، قال ففي أيها يكون ؟ قالت : لا يعلم ذلك إلا الله تعالى ، ولو علمه أحد لعلمته ، ولا يأتي عليك ليلة فيما بينك وبين السبع السنين^(٢) ، إلا ظننت هلاكه في غدها أو في تلك الليلة .

عمرو بن عامر يتحيل للخروج من بلاده : ورأى عمرو في النوم سيل العرم ، وقيل له : إن آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت في سَعَفِ النخل ، فذهب إلى^(٣) كَرْبِ النخل وسعفه فوجد الحصباء قد ظهرت فيها ، فعلم أن ذلك واقع بهم ، وأن بلادهم ستخرب ، فكتّم ذلك وأخفاه ، وأجمع أن يبيع كل شيء له بأرض سبأ ، ويخرج منها هو وولده ، ثم خشي أن يستنكر الناس ذلك ، فصنع طعاماً وأمر بإيسل فنحرت ، وبَغَمَ فذبحت ، وُضِعَ طعاماً واسماً ثم بعث إلى أهل مأرب أن عمرأ صنع يوم مجد وذكّر فأحضروا طعامه ، ثم دعا ابناً له يقال له مالك ، ويقال : بل كان يتما في حجره ، فقال : إذا جلستُ أطعم الطعام الناس فاجلس عندي ونازعني الحديث ، وارده علي ، وافعل بي مثل ما أفعله بك ، وجاء أهل مأرب ، فلما جلسوا أطعم الناس ، وجلس عنده الذي أمره بما أمره به ، فجعل ينازعه الحديث ، ويرد عليه ، فضرب عمرو وجهه وشتمه ، فصنع الصبي بعمرو مثل ما صنع به ، فقام عمرو وصاح : واذلّاه ! يوم فخر عمرو ومجده يضربُ وجهه صبي^(٤) ، وحلف ليقتلنّه ، فلم يزالوا بعمرو حتى

(٣) في نسخة : شتمه صبي وضرب وجهه .

(١) في نسخة : السبعين سنة .

(٢) » » : سرب النخل .

تركه [ففي ذلك قال حاجر الأزدي :

يارب لطمة غدر قد سخنت بها بكف عمروالقي بالغدر قد غرقت ^(١)

ثم قال : والله لا أقيم ببلد صنع هذا بي فيه ، ولأبيعن عقاري فيه وأموالي ، فقال الناس بعضهم لبعض : اغتتموا غصبه عمرو ، واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى ، فابتاع الناس منه جميع ما له بأرض مأرب ، وفشا بعض حديثه فيها بلغه من شأن سيل العرم ، فخرج ثاس من الأزدي وباعوا أموالهم ، فلما أكتثروا البيع استنكر ذلك الناس ، فأمسكوا بأيديهم عن الشراء فلما اجتمعت إلى عمرو بن عامر أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم ، فقال أخوه عمران الكاهن : قد رأيت أنكم ستعزقون كل حمزق ، ويبياعد بين أسفاركم ، وإني أصف لكم البلدان فاختراروا أيها شتم ، فمن أعجبه منكم صفة بلد فليصر إليها ^(٢) ، من كان منكم ذا هم بميد وجل شديد [ومزاد جديد] فليلق بقصر عمان المشيد ، [فكان الذين تزلوه أزد عمان] ^(٣) قال : ومن كان منكم ذا هم غير بميد ، وجل غير شديد ومزاد غير جديد فليلق بالشعب من كرود ^(٤) ، قال : وهي أرض همدان ، فليحق به وادعة ^(٥) ابن عمرو ، فانتسبوا فيهم ، وقال الكاهن : ومن كان منكم ذا حاجة ووطر وسياسة ونظر ، وصبر على أزومات الدهر ، فليحق ببطن ممر ، وكان الذين سكنوه خزاعة سميت بذلك لانخزاعها في ذلك الموضع عن كان معها من الناس ، وهم بنو عمرو بن كحي ، فتخزعت هنالك إلى هذه الغاية ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :

(١) لا يوجد هذا البيت في إحدى النسخ . (٤) في نسخة : من كرد .

(٢) في نسخة : فليصر إليه . (٥) » » : وادعة .

(٣) سقط ما بين المعوقين من إحدى النسخ ، وفيها » وحمل شديد » .

وَلَمَّا هَبَطْنَا بطنَ مَرٍّ تَخَزَّعَتْ خِزَاعَةُ مَنَا فِي مَلُوكِ كِرَاكِرٍ^(١)

فِي شَمْرِ لَهُ طَوِيلٌ وَمَالِكٌ وَأَسْلَمٌ وَمَلِكَانٌ بَنُو قَصِي بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو مَزْيَقِيَاءَ^(٢) ، وَقَالَ الْكَاهِنُ : وَمَنْ كَانَ يَرِيدُ الرَّاسِيَّاتِ فِي الرَّحْلِ^(٣) ، الْمَطْعَمَاتِ فِي الْمَحَلِّ ، فَلْيَلْحَقْ بِبَثْرِبِ ذَاتِ النَّخْلِ ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ ، وَكَانَ الَّذِينَ سَكَنُوهَا الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ابْنَا حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ابْنِ عَمْرِو مَزْيَقِيَاءَ^(٢) . قَالَ الْكَاهِنُ : وَمَنْ كَانَ يَرِيدُ الْحُمْرَ وَالْخَمِيرَ ، وَالْدِيْبَاجَ وَالْحَرِيرَ ، وَالْأَمْرَ وَالتَّدْبِيرَ ، فَلْيَلْحَقْ بِبَصْرَى وَحَفِيرَ ، وَهِيَ أَرْضُ الشَّامِ فَكَانَ الَّذِينَ سَكَنُوهَا غَسَّانٌ ، قَالَ الْكَاهِنُ : وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الثِّيَابَ الرَّقَاقَ وَالْخِيُولَ الْعَتَاقَ وَالْكَنْزَ وَالْأَرْزَاقَ ، فَلْيَلْحَقْ بِالْعِرَاقِ ، وَكَانَ الَّذِينَ لَحِقُوا بِالْعِرَاقِ مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ فِهْمٍ الْأَزْدِيُّ وَوَلَدُهُ ، وَمَنْ كَانَ بِالْحِيرَةِ مِنْ غَسَّانٍ ، عَلَى حَسَبِ مَا قَدَمْنَا آتَيْنَا فِيهَا سَلَفٌ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ : وَأَمَّا أَبِي فَكَانَ يَقُولُ : إِنَّمَا نَزَلَ بِالْحِيرَةِ مِنْ غَسَّانٍ مَعَ تَبَعٍ بِمَدَّةِ هَذَا بَرِّمَانٍ .

ثُمَّ خَرَجَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ مَزْيَقِيَاءَ^(٢) وَوَلَدُهُ ، مِنْ مَأْرَبَ ، وَخَرَجَ مِنْ كَانَ بِمَأْرَبَ مِنَ الْأَزْدِ يَرِيدُونَ أَرْضًا تَجْمَعُ فِيهَا ، فَفَارَقَهُمْ وَادَعَا بَنِي عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ مَزْيَقِيَاءَ فَسَكَنُوا هَمْدَانَ ، وَتَخَلَّفَ مَالِكُ بْنُ الْيَمَانِ بْنِ فِهْمٍ^(٤) بَنِي عَدِيِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَازِنَ بْنِ الْأَزْدِ ، وَكَانَ بَعْدَهُمْ بِمَأْرَبَ مُلَكًا إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا كَانَ فِي الْهَلَاكِ ، ثُمَّ سَارُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَنْجِرَانَ تَخَلَّفَ أَبُو حَارِثَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ مَزْيَقِيَاءَ

(١) فِي نَسْخَةٍ : فِي بَطْنِ كِرَاكِرٍ .
(٢) » » : ابْنُ عَمْرِو بْنِ مَزْيَقِيَاءَ .
(٣) فِي نَسْخَةٍ : الرَّاسِيَّاتِ فِي الرَّحْلِ .
(٤) فِي نَسْخَةٍ : مَالِكُ بْنُ الْيَمَانِ بْنِ جَهْمٍ .

ودعبل^(١) بن كعب بن أبي حارثة فانتسبوا في مذحج ، قال أبو المنذر : ويقال : إن أبا حارثة هو جد الحارث بن كعب بن أبي حذيفة الذي بنجران ، والله أعلم .

ثم سار عمرو بن عامر حتى إذا كان بين السراة^(٢) ومكة أقام هنالك أناس من بني نصر من الأزد ، وأقام معهم عمران بن عامر الكاهن أخو عمرو بن عامر مزيقياء ، وعدي بن حارثة بن عمرو مزيقياء ، وسار عمرو بن عامر وبنو مازن حتى نزلوا بين بلاد الأشعرين وعكّ على ماء يقال له غسان بين واديين ، يقال لهما زبيد ورمع ، وهما مما يلي صدورهما بين صعيد يقال له : صعيد الحسك^(٣) ، وبين الجبال التي تدفع به في زبيد ورمع ، فأقاموا على غسان ، وشربوا منه ، فسموا غسان ، وغلب على أسمائهم ، فلا يعرفون إلا به ، قال شاعرهم :

إما سألت فإنا معشر نجيب الأزد نسبتنا والماء غسان

والذين سموا غسان من بني مازن الأوس والخزرج ، ابنا [حارثة ابن ثعلبة ابن عمرو مزيقياء ، وجفثنة بن عمرو مزيقياء ، والحارث وعوف وكعب ومالك بنو عمرو مزيقيا ، والنوم وعدي ابنا حارثة ابن]^(٤) ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد .

وللقوم أخبار في تفرقهم ، ومن دخل منهم في معد بن عدنان وما كان بينهم من الحروب إلى أن ظفرت بهم بنو معد ، فأخرجتهم

(١) في نسخة : ورعيل .

(٣) في نسخة : صعيد الحبيك .

(٢) » » : حتى إذا كان بأدنى المسناة ومكة . (٤) ما بين المعقوفين ساقط من إحدى النسخ

إلى أن لحقوا بالسراة - والسراة جبل الأزدي الذي هم به يقال لهم السراة ، ويقال له : الحجاز ، وإنما سمي السراة من هذا الجبل ظهره ، فيقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة السراة ، فأقاموا به وكانوا في سهل وجبل وما قاربه ؛ وهو جبل على تخوم الشام ، وفرز بينه وبين الحجاز مما يلي أعمال دمشق والأردن وبلاد فلسطين ويلاقي جبل موسى .

عبادة أهل مارب وصنعهم مع رسلهم : وقد كان أهل مارب يعبدون الشمس ، فبعث الله اليهم رسلًا يدعونهم إلى الله ، ويزجرونهم عما هم عليه ، ويذكرونهم آلاء الله ونعمته عليهم ، فبحمدوا قولهم ، وردوا كلامهم ، وأنكروا أن يكون الله عليهم نعمة ، وقالوا لهم : إن كنتم رسلًا فادعوا الله أن يسلبنا ما أنعم به علينا ، ويذهب عنا ما أعطانا ، وفي ذلك تقول امرأة منهم كافرة :

إن كان ما نصبح في ظلاله من ربكم فليطلق بـإله
إليه عنا وإلى عياله

[فأجابتها امرأة مؤمنة ، فقالت :

لولا الإله لم يكن عيالنا ولم يسع عيالنا أموالنا
هو الذي يجيبنا سؤالنا ويكشف الغم إذا ما هالنا^(١)

[فدعت عليهم الرسل^(١) فأرسل الله عليهم سيل العرم ، فهدم سدم وغشي الماء أرضهم ، فأهلك شجرهم وأباد خضرأهم ، وأزال أموالهم وأنعامهم ، فأتوا رسلهم فقالوا : ادعوا الله أن يخلف علينا

(١) ما بين المعقوفين لا يوجد في إحدى النسخ .

نعمتنا ، ويُخصِّب بلادنا ، ويرد علينا ما شرد من أنعامنا ، ونعطيك مَوْتًا أن لا تشرك بالله شيئاً ، فسألت الرسل ربها ، فأجابهم إلى ذلك ، وأعطاهم ما سألوا ، فاخصبت بلادهم ، واتسعت عيائهم إلى أرض فلسطين والشام : قرى ومنازل وأسواقاً ، فأتتهم رسلهم ، فقالوا : موعدهم ان تؤمنوا بالله ، فأبوا إلا طغياناً وكفراً ، فمزقهم الله كل ممزق ، وباعد بين أسفارهم .

قال المسعودي : وإذ قد ذكرنا جملاً من أخبار السد وبلاد مأرب ، وعمرو ابن عامر ، وغير ذلك مما تقدم ذكره في هذا الباب ، فلنرجع الآن إلى أخبار الكهان .

أول كهانة سطيح الفسافي : وكان أول ما تكهن به سطيح الفسافي انه كان نائماً في ليلة سهاكية مظلمة مع اخوته في لحاف ، والحي 'خلوْف' ، إذ زعق من بينهم ورنٌ وتأوه ، وقال : والضياء والشفق ، والظلام والغسق ، ليطلقنكم ما طرق ، قالوا : ما طرق يا سطيح ؟ قال : ما طرق إلا الأجلح ، حين مرى الليل البهيم الأفلح ، وولام بسرذح ، قالوا : وما علامة ذلك يا سطيح ؟ قال : أمر يسد النقرة ، ذو حبة في الوجرة ، وحررة بعد سحرة ، في ليلة قرة ، فانصرفوا عن قوله ، واستهانوا بأمره ، وتعاصفت مدود من اودية هناك ، ففاجأتهم في ليلة باردة قرة كما ذكر ، فساقت الأنعام والمواشي ، وكادت ان تذهب بعامتهم .

ولسطيح الكاهن ولشق بن صعب^(١) أخبار كثيرة عجيبة : منها رؤيا تبع الحميري في أن. بجمرة^(٢) خرجت من ظلمة ، فوقعت

(١) في نسخة : بن مصعب .

(٢) » » : في أن جمعة .

بأرض تُهمّة ، أكلت منها كل ذات جمجمة ، وما فسرناه له في ذلك ، وكذلك خبر سطيح وعبد المسيح في رؤيا الموبدان ، وارتجاج الإيوان ، وخبر سملقة وزوبعة ، وما كان من أمرهما ، وخبر شأن الظلم والشجرة ، وما كان بين عك وغسان من الحرب في رقعة اللبن وحلاوته وثخنه ^(١) ، ونزول غسان أعلى الوادي ، وعك في أسفله ، وما كان في ذلك من القيافة بينهم في طلوع الشمس وغروبها على إيلهم ، وخبر السموأل بن حسان ^(٢) بن عاديا ، وما كان من أمره ، وأمر خازن الكاهن ^(٣) ، وما قاله حين طرقه ليلاً ، وانقياده إلى ذمته ، وما كان من العير الأقمر ^(٤) ، والظلم الأحمر ، والفرس الأشقر ، والجلل الأزور ^(٥) ، والشيخ الاحقر ^(٦) . وغير ذلك مما ذكرناه فيما سلف من كتبنا ، في « أخبار الزمان » والكتاب الاوسط . والله اعلم .

(١) في نسخة : وخلاوته وثجنه .
 (٢) » » : السموأل بن حنا .
 (٣) » » : مازن الكاهن .
 (٤) في نسخة : العنز الأقمر .
 (٥) » » : الجلل الأورق .
 (٦) » » : والشيخ الأسدي .

ذكر

سني العرب والعجم وشهورها
وما اتفق^(١) منها ، وما اختلف

قال المسعودي : عدة الشهور^(٢) عند العرب وسائر العجم
اثنا عشر شهراً .

فلنذكر الآن سني وشهور وأيام ما اشتهر أهله من جل الأمم ،
وم العرب والفرس والروم والسريانيون والقبط ؛ إذ كان قول
اليونانيين في ذلك [هو ما ذهبت إليه الروم ، ولم نعرض لوصف
قول الهند في السنين والشهور والأيام وما ذهبوا إليه في ذلك]^(٣)
من حسابهم ، ومن تبعهم على ذلك من أهل الصين وكثير من
الممالك والأمم ؛ إذ كان في ذلك خروج عما عليه الجمهور والمعهود
بين الناس ، ونجعل المبتدأ بذكر سني وشهور القبط ؛ لموافقتها
السريانيين ثم نعقب بعد ذلك بذكر شهور السريانيين وموافقتها لشهور
الروم . ثم تتبع ذلك بذكر سني العرب وشهورها وأيامها ، ثم
نعقب بعد ذلك بذكر سني الفرس وشهورها وأيامها^(٤) ولأية علة
استحق عندها تسمية كل شهر منها وكل يوم ، وما قالته العرب في
تسمية الليالي ، وجعل من ذكر أفعال الشمس والقمر وتأثيرهما في هذا
العالم في الجماد والنبات والحيوان ، وغير ذلك مما يقف عليه المتأمل عند
قراءته - إن شاء الله تعالى - على ما يريد ، والله تعالى ولي التوفيق .

(١) في نسخة : وما اتفق بها .

(٢) » » : عدد الشهور .

(٣) ما بين المعرفين ساقط من إحدى النسخ .

ذكر

شهور القبط والسريانيين

والخلاف في أسمائها وجل من التاريخ

شهور القبط ومقابلها من شهور السريان : اول شهور القبط :
توت ، وهو أيلول . وبابه ، وهو تشرين الاول . وهانور ، وهو تشرين
الثاني . وكيهك ، وهو كانون الاول . وطوبه ، وهو كانون الثاني .
وأمشير ، وهو شباط . وبرمهات ، وهو آذار . وبرموده ، وهو نيسان .
وبشنس ، وهو أيار . وبؤونه ، وهو حزيران . وأبيب ، وهو تموز .
ومسرى ، وهو آب .

وللقبط بعد هذا خمسة ايام لواحق ، تدعى العمياء^(١) ، تزيدها
على ما سمينا من شهورها ، وهي ثلثائة يوم وستون يوماً ، فتصير
السنة ثلثائة وخمسة وستين يوماً .

سنة القبط : وأول يوم من السنة عند القبط هو اليوم التاسع
والعشرون من آب ، وعدة كل شهر منها ثلاثون يوماً ، وكانت أيام
السنة ثلثائة وخمسة وستين يوماً كعدة ايام^(٢) سنة الفرس [وكانت
شهور القبط فيما مضى توافق اوائلها شهور الفرس]^(٣) فكان أول
توت اول آذرماه ، ثم كل شهر كذلك على هذا الوصف الى آخر سنة
القبط آخر آذرماه ، وهذا الحساب بعينه موجود في كتب الزيجات

(١) لا توجد هذه العبارة في احدى النسخ .

(٢) في نسخة : تدعى العمائر .

(٣) » » : بعد أيام سنة الفرس .

في النجوم ، وأهل مصر وسائر القبط في هذا الوقت - وهم سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - يستعملون في حسابهم في الشهور غير ما قدمنا ، وذلك أنهم زادوا في أيام السنة ربع يوم على مذهب السريانيين^(١) والروم فصارت شهورهم مخالفة لشهور الفرس وموافقة لشهور السريانيين والروم في عدد أيام السنة ، وتاريخ القبط في كتاب المجسطي من أول السنة التي ملك فيها البخت نصر وكانت أولها يوم الأربعاء .

مبدأ التواريخ : وأما تاريخ القبط في كتاب زيح بطليموس ، فمن أول سنة ملك فيلقوس^(٢) وكان أولها يوم الأحد ، والتباين الذي بين تاريخ البخت نصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلثمائة وتسع وتسعون^(٣) سنة فارسية وثلاثة أشهر ، والذي بين تاريخ فيلقوس^(٢) وتاريخ يزدجرد تسعمائة وخمس وخمسون سنة وثلاثة أشهر ، وبين تاريخ الإسكندر وتاريخ يزدجرد تسعمائة واثنان وأربعون سنة من سني الروم ومائتان وتسعة وخمسون يوماً ، وبين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة من الأيام ثلاثة آلاف وستمائة وأربعة وعشرون يوماً ، فأول هذه التواريخ تاريخ البخت نصر ، ثم تاريخ فيلقوس^(٢) ثم تاريخ ابنه الإسكندر ، ثم تاريخ الهجرة ثم تاريخ يزدجرد .

أوائل كل تاريخ : وتاريخ العرب من أول السنة التي هاجر فيها النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، وكانت أولها يوم الخميس .

وتاريخ الفرس من أول السنة التي ملك فيها يزدجرد بن شهريار

(١) في نسخة : على مذهب اليونانيين والروم . (٢) في نسخة : وتسع وسبعون سنة .

(٢) » » : فيلقوس .

بن كسرى ابرويز ، وكان اولها يوم الثلاثاء .

وتاريخ الروم والسريانيين من اول السنة من ملك الاسكندر ،
وكان اولها يوم الاثنين ، والله تعالى اعلم بحقيقة ذلك .

ذكر

شهور السريانيين

ووصف موافقتها لشهور العرب

وعدة ايام السنة ومعرفة الأنواء

شهورهم وايام كل شهر : فأول ذلك ان ايام السنة ثلثائة وخمسة
وستون يوماً وربع يوم ، وهي مختلفة في العدد : فنيسان ثلاثون
يوماً ، وأيار أحد وثلاثون يوماً ، وحزيران ثلاثون يوماً ، ولثمان عشرة
ليلة منه رجوع الشمس هابطة من الشمال^(١) على ما اوجبه حساب
الهند وهو اطول يوم في السنة وليلته اقصر ليلة ، وتموز احد وثلاثون
يوماً ، وآب احد وثلاثون يوماً ، قاندا انسلخ آب ذهب الحر ، قال
محمد بن عبد الملك الزيات :

بَرَدَ الماء وطاب الليل والتدُّ الشراب

ومضى عنك حزيراً ن وتموزُ وآب

وأيلول ثلاثون يوماً ، ولخمس منه عيد زكريا ، ولعشر منه تطلع
الصرفة فينصرف الحر ، ولثلاث عشرة منه عيد الصليب ، وهو اليوم
الرابع عشر منه ، وفي هذا اليوم تفتح الترع بمصر على حسب ما

(١) في نسخة : من السماء .

ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ولثام عشرين^(١) منه ، يستوي الليل والنهار ، وقال ابو نوح^(٢) :

مضى ايلول وارتفع الحرور وأخبت نارها الشعري العبور^(٣)

سر تسمية المهرجان : وتشرين الاول احد وثلاثون يوماً ، وفيه يكون المهرجان ، وبين النيروز والمهرجان مائة وتسعة وستون يوماً ، وعند الفرس في معنى المهرجان انه كان لهم ملك في قديم الزمان من ملوك الفرس ، قد عم ظلمه خواص الناس وعوامهم ، وكان يسمى مهر ، وكانت الشهور تسمى بأسماء الملوك ، فقل مهرماه ، ومعنى ماه : هو الشهر ، وأن ذلك الملك طال عمره واشتدت وطأته ؛ فمات في النصف من هذا الشهر ، وهو مهرماه ، فسمي ذلك اليوم الذي مات فيه « مهرجان » وتفسيره نفس مهر ذهبت ؛ لأن الفرس تقدم في لغتها ما تؤخره العرب في كلامها ، وهذه اللغة الفهلوية ، وهي الفارسية الاولى ، وأهل المروآت بالعراق وغيرها من مدن^(٤) المعجم يجعلون هذا اليوم اول يوم من الشتاء ، فتقير فيه الفرش والآلات وكثيراً من الملابس ، ولخمس منه - وهو تشرين الاول - عيد كنيسة القيامة ببيت المقدس ، وفي هذا اليوم تجتمع النصارى من سائر الارض ، وتنزل عليهم نار من السماء ، فيسرج هناك الشمع ، ويجمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر الى العيد ، ويقتلع فيه ورق الزيتون ، ويكون للنصارى فيه اقاصيص ، ولهذه النار حيلة لطيفة وسر عظيم ، وقد ذكرنا وجه الحيلة في ذلك في كتابنا المترجم بـ « كتاب القضايا والتجارب » وتشرين الثاني ثلاثون يوماً ، وكانون الاول^(٥) ثلاثون يوماً ، ولتسع عشرة منه

(١) في نسخة : ولثاني عشرة منه . (٤) في نسخة : وكانون الأول أحد وثلاثون

(٢) » » : وأذكت نارها الشعري العبور . يوماً ، ولسبع عشرة منه - الخ .

(٣) » » : من مدن الشام ،

يكون النهار تسع ساعات ونصفاً وربعا ، وهو منتهى قصره ، والليل أربع عشرة ساعة وربعا ، وهو منتهى طوله ، وليلة الخامس والعشرين منه ميلاد المسيح عليه السلام ، وكانون الثاني احد وثلاثون يوماً ، وأول يوم منه القلندس^(١) ، فيكون فيه بالشام لأهله عيد يوقدون في ليلته النيران ، ويظهرون الافراح ، لا سيما بمدينة انطاكية ، وما يكون في كنيسة القسيان بها من القداس عندهم ، وكذلك بسائر الشام وبيت المقدس ومصر وأرض النصرانية كلها ، وما يظهر اهل دين النصرانية بأنطاكية من الفرح والسرور وإيقاد النيران والمآكل والمشارب ، ويساعدهم على ذلك عوام الناس وكثير من خواصهم ، وذلك ان مدينة انطاكية بها كرسي البطريرك المعظم عندهم في ديانتهم ، وان النصرانية تسمى انطاكية مدينة الله ، ويسمونها ايضاً مدينة الملك ، وأم المدن ، لأن بُدُوَ ظهور النصرانية كان فيها .

بطارقة البصارى : والبطارقة عند النصرانية أربعة : أولهم صاحب مدينة رومية ، ثم الثاني وهو صاحب مدينة قسطنطينية ، وهي أقسس^(٢) ، وأسمها القديم يوزنطيا ، ثم الثالث وهو صاحب الاسكندرية من أرض مصر ، ثم الرابع وهو صاحب انطاكية ، ورومية وانطاكية لبطرس ، فبدثوا برومية لأنها لبطرس ، ثم ختموا بانطاكية لأنها له ، وتمظيا [لبولس] ، وقد أحدثوا كرسيًا ببيت المقدس ، ولم يكن هذا متقدماً ، وإنما هو يحدث ، وكان لإيليا وهو بيت المقدس أسقف [ولكورة لد من أرض فلسطين] .

مشهور كنائسهم : وبأنطاكية أيضاً كنيسة [بولس] ، وتعرف بأنطاكية بدير البراغيث وهي بما يلي باب فارس ، وبها أيضاً كنيسة أخرى تدعى أشمونيت [، وبها عيد عظيم للنصرانية وكذلك بها كنيسة بربارا

(١) في نسخة : الغطاس . (٢) في نسخة : وهي أحسن .

وكنيسة مريم [وهي كنيسة مدورة ، وبنيانها من إحدى عجائب العالم في التشييد والرفعة ، وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان أقتلع من هذه الكنيسة عمدا عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق] حملت في البحر إلى ساحل دمشق [، وبقي الأكثر من هذه الكنيسة إلى هذا الوقت .

وقد كان الملك من ملوك الروم [مع اليهود] بأنطاكية خبر عجيب في كنيسة أشمونيت^(١) وكانت خارج السور من أنطاكية ، وهي في أيدي اليهود ، فعوضت اليهود دار الملك بأنطاكية [بدلاً من كنيسة اشمونيت ، وهذه الدار التي كانت دار الملك] تعرف في هذا الوقت بدار اليهود ، ولليهود حيلة احتالوها حين خرجت الكنيسة من أيديهم ، حتى قتلوا من النصرانية خلقاً عظيماً من شر خشب فيها وغير ذلك .

وقدما أخبار بطرس وبولس وما كان من أمرهما بمدينة رومية وغيرهما من تلاميذ المسيح وتفرقهم في البلاد ، وذكرنا قصة الملك الذي بنى مدينة انطاكية ، وهو المعروف بأنطيوخس^(٢) ، وتفسير ذلك بحوطة الحوائط ، وكان اسم أنطاكية بالرومية على اسمه أنطيوخس ، فلما ورد المسلمون وافتتحوها حذفت الأحرف إلا الألف والنون والطاء .

وفي تاريخ النصارى الملكية وغيرها من أهل دين النصرانية يكون لمولد المسيح الى وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - تسعمائة سنة وأربعون سنة ، وتكون سنة الاسكندر الفاً ومائتين وخمساً وثمانين^(٣) ، ويكون من الإسكندر الى المسيح ثلثمائة سنة

(١) في نسخة : استوست ، في المرتين . (٢) في نسخة : وخمأ وخمسين .

(٢) » » : بأفطنحس .

وتسع وستون^(١) .

هذا ما وجد في تاريخ الملكية في كنيسة القسيان بمدينة أنطاكية ،
وسنذكر بعد هذا الموضع جملاً من التاريخ في باب نفرد له لذلك ،
إن شاء الله تعالى .

عود إلى الشهور وأيامها : فلنرجع الآن إلى وصف حساب الشهور :
شباط ثمانية وعشرون يوماً وربيع ثلاث سنين متوالية ، والرابعة كبيسة
فيكون تسعاً وعشرين يوماً ، وتكون السنة ثلثمائة وستة وستين يوماً ،
ولسبعة منه تسقط الجمرة الأولى ، وهي الجبهة ، ولأربع عشرة منه
تسقط الجمرة الثانية ، وهي [الزبرة ولإحدى وعشرين منه تسقط
الجمرة الثالثة ، وهي [الصرفة ، وينصرف البرد ، وثلاثة أيام من آخره
أيام المعجوز ، وأذار أحد وثلاثون يوماً ، ولأربعة من أوله تتم أيام
المعجوز ، والعرب تسمي هذه السبعة الأيام : صَنًا ، وصَنْبَرًا ، ووَبْرًا ،
وآمرا ، وهَوْمَرًا ، ومعلًا ، ومطفًىء الجمر ، قال بعض العرب في أسماء
أيام المعجوز :

كسع الشتاء بسبعة 'غَبْرٍ صَنٍ وصَنْبِرٍ وبالويز
[وبآمر وأخيه مؤتمر وملل ومطفًىء الجمر]
فإذا انقضت أيام شَتَوَتْنَا أيام صادرة عن القر
كسع الشتاء 'موليًا هربًا وأتتك واقدة من الحر

ولخمس عشرة من أذار يستوي الليل والنهار ، وتحل الشمس الحمل ،
وهذا اليوم تحويل سنة العالم ، قال أبو نُوَّاس^(٢) :

أما ترى الشمس حَلَّتِ الحملًا وطاب وَرَنُ الزمان واعتدلا

(٢) في نسخة : أبو فراس .

(١) في نسخة : وتسع سنين .

وغنت الطير بعد عجمتها واستوفت الحمر حولها كملاً
واكتست الأرض من زخارفها وشقي نبات تخالها حلاًلاً
فاشرب على جدّة الزمان فقد أصبح وجه الزمان مقتبلاً
وليس بحلول الشمس المحل تستوفي الحمر سنة ، وإنما أراد بحلولها
قربها من الحول والقوة .

شهور الروم :

قال المسعودي : وأما شهور الروم فهي موافقة لشهور السريانيين
في العدد ، وذلك أن أول شهور الروم يواربوس^(١) ، وهو كانون الثاني ،
وقد قدمنا أن في أول يوم منه يكون القلندس^(٢) ، وشباط
فبراير يوس^(٣) ، وآذار مارتبوس ، ونيسان إبريائيس^(٤) ، وأيار مايوس ،
وحزيران يونيوس ، وتموز يوليوس ، وآب أغسطس ، وأيلول^(٥) سبتمبر ،
وتشرين الأول أكتوبر^(٦) ، وتشرين الثاني نونبر^(٧) ، وكانون الأول دسمبر^(٨) .

(١) في نسخة : بنوار خوس .

(٢) » » : الفطاس .

(٣) » » : فراخاويس .

(٤) » » : إبريلوس .

(٥) في نسخة : سطر بوس .

(٦) » » : أفريطيوس .

(٧) » » : فوبرطس .

(٨) » » : دجرونوس .

ذكر

شهور الفرس

أسماء الشهور وعدة أيامها : [شهور الفرس] كلها ثلاثون يوماً ، فأولها فروردینماه^(١) ، وأول يوم منه النيروز ، وبينه وبين المهرجانات مائة وأربعة وسبعون يوماً^(٢) ، والثاني أردیبهشت ماه ، وخردادماه ، وتیرماه ، وتیمروز عید المهرجان ، ومردادماه ، وشهر یرماه ، ومهرماه ، ويوم السادس عشر منه المهرجان ، وأبانماه فيه أبان روز عید أبان كاه ، وفي آخره خمسة أيام الفرویدجان ، وآذرماه ، وأول يوم منه يخرج الكوسج فيه راكباً بغاله بالعراق وأرض فارس ، ولا يعرف ما وصفنا إلا بالعراق وأرض المعجم ، وأهل الشام والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك ، ويطعم مدة من الأيام الجوز والثوم واللحم السمين ، وما عدا ذلك من الأطعمة الحارة والأشربة المسخنة الدافعة للبرد ، فيظهر طارداً للبرد ، فيصب عليه الماء البارد ، فلا يجد لذلك شيئاً من ألمه ، ويصبح بالفارسية كرما كرما ، [يعني الحر الحر] وهذا وقت عيد الأعاجم : يطربون فيه ، ويظهرون السرور ، وكذلك في أوقات كثيرة من فصول السنة ، ودوران الأذرخش ، ودينماه ، وبهمنماه ، وإسفندار مزماه ؛ فذلك ثلثائه وخمسة وستون يوماً ، والله أعلم .

(١) في نسخة : فرودري .

(٢) » : مائة وأربعة وتسعون يوماً ، وفي نسخة أخرى « مائة وأربعة وسبعون يوماً » وقد سبق أن بينها « مائة وتسعة وستين يوماً » .

ذكر أيام الفرس

أسماء أيام الفرس : وهي ^(١) هرمز وبهمن وأرديبهشت ، وشهرير ،
واسفندارمز ، وخرداد ومرداد وديبادر وآذر وأبان وخوروماه وتير وجوش
ودبر ومهر ودمل ، وأسروش ، وفروردين وبهرام ، ورام ، وفيه يقول الشاعر :

باكر بنا لذة المدام في يوم سبت ويوم رام
شريطي فيه ان تراني وقت الضحى فاطر الكلام

وباد ، وديبادين ، وآذر ، وأشتاد ، وأسمان ، وداماد ، ومار ، وسفند ، وأنيران .
فأما أيامهم المعروفة بالفردوجان فهي أهندكاه أسميهاه مشركاه
مشروكاه كاساه .

وكانت العرب تسمي ^(٢) هذه الايام الخمسة : الحرير ، والهبير ،
وقالب الفهر ^(٣) ، وحافل الضرع ، ومذحرج البعر ^(٤) .

كيس الفرس : وكانت الفرس تكبس في كل مائة وعشرين سنة
شراً ، وإنما أخروا ذلك الى مائة وعشرين سنة ، لأن أيامهم كانت
سعوداً ونحوساً - فكرهوا ان يكبسوا في كل اربع سنين يوماً ،
فتنتقل بذلك أيام السعود الى أيام النحوس ، ولا يكون السيروز ^(٥)
اول يوم من الشهر ، والله تعالى اعلم .

(١) في أسماء هذه الأيام اختلاف ليس باليسير . وقد اخترنا ما في إحدى النسخ ، ولم ننبه
على اختلاف الواقع في كل اسم اكتفاء بهذه الإشارة ، اذ يعتقد أن بعضها محرف
عن بعض .
(٢) في نسخة : وحافل الطمن ومذحرج البعر .
(٣) في نسخة : ولا يكون السيروز أول يوم الشهر .
(٤) » » : ولا يكون السيروز أول يوم الشهر .
(٥) في نسخة : وقالب الفهر .

ذكر

سني العرب وشهورها

وتسمية ايامها ولياليها

اسماء الشهور : شهور الأهلة : اولها المحرم ، وأيامها ثلثائة وأربعمائة وخمسون يوماً تنقص عن السرياني احد عشر يوماً وربيع يوم ، فتفرق في كل ثلاث وثلثين سنة ، فتتسلخ تلك السنة العربية ولا يكون فيها نيروز ، وقد كانت العرب في الجاهلية تكبس في كل ثلاث سنين شهراً وتسميه النسيء وهو التأخير ، وقد ذم الله تبارك وتعالى فعلهم بقوله : (إنما النسيء زيادة في الكفر) ورسمت العرب الشهور فبدأت بالمحرم ، لأنه اول السنة ، وإنما سمته المحرم لتحريمها الحرب والفارات فيه ، وصفر بالأسواق التي كانت باليمن تسمى الصفرية ، وكانوا يمتارون منها ، ومن تخلف عنها هلك جوعاً ، وقال ثابتة ذبيان :

اني نهيت بني ذبيان عن افق وعن ترفهم في كل أصفار^(١)

وقيل : إنما سمي الصفر لأن المدن كانت تخلو فيه من أهلها بخروجهم الى الحرب ، وهو مأخوذ من قولهم : صَفِرَتِ الدار منهم ، اذا خلت ، وربيع ، وربيع ؛ لارتباع الناس والدواب فيها ، فإن قيل : قد توجد الدواب ترتبع^(٢) في غير هذا الوقت ، قيل : قد يمكن ان يكون هذا الاسم لزمها في ذلك الوقت فاستمر تعريفها

(١) في نسخة : عن أقر ، وفيها « وعن تربهم » .

(٢) « » : تربع في غير هذا .

بذلك مع انتقال الزمان واختلافه ، وجمادى وجمادى ؛ لجمود الماء فيها
في الزمان الذي سميت به هذه الشهور ؛ لأنهم لم يعلموا ان الحر
والبرد يدوران فتنتقل أوقات ذلك ، ورجب ؛ لخوفهم اياه ، يقال :
رَجَبْتُ الشيء ، اذا خفته ، وأنشد :

فلا تَهَيَّبْنِهَا ولا تَرَجِبْهَا

وشعبان ؛ لتشعبهم إلى ميَاههم وطلب الغارات ، ورمضان ؛ لشدة
حر الرَّمضاء فيه ذلك الوقت ، والوجه الآخر أنه إمسم من أسماء الله
تعالى ذكره ، ولا يجوز أن يقال رمضان ، وإنما يقال : شهر رمضان ،
وشوال ؛ لأن الإبل كانت تشول في ذلك الوقت بأذنانها من شهوة
الضراب ، تشاءمت به العرب ، ولذلك كرهت التزويج فيه ، وذو
القعدة ؛ لعودهم فيه عن الحرب والغارات ، وذو الحجة ؛ لأن
الحج فيه .

الاشهر الحرم : والاشهر الحرم هي : المحرم ، ورجب ، وذو القعدة
وذو الحجة .

شهور الحج : وأشهر الحج : شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذي
الحجة ، والأيام المعلومات العشر ، والأيام المعدودات أيام التشريق ،
والتعجيل باتفاق غير جائز إلا في اليوم الثالث من يوم النحر ،
فدل ذلك على أن أولها ثاني يوم النحر ، ولو كان يوم النحر من
المعدودات كان يوم التعجيل في ثلاثة أيام ، وهذا خلاف القرآن ؛
لإخبار الله تعالى أن التعجيل في يومين من المعدودات ، وإذا كانت
المعدودات ما وصفنا ، صح أن المعلومات منها ، والذبح في يوم النحر
ذبح في المعلومات لكونه منها .

ولا تمنع بين العرب أن يقول القائل « أتيتك في الشهر » ،
والإتيان إنما كان في بعضه ، و « جئتك في اليوم » ، والجهي في
بعض أوقاته ، ولا يصام يوم النحر ، ولا يوم الفطر ، ولا أيام منى ،
لفرض ولا تطوع ؛ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، ولم
يخص فرضاً من تطوع بالنهي ، فالواجب الامتناع على ما وصفنا .

وقد ذكر عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم « نهى
عن صيام ثلاثة أيام التشريق » ، وفي جميع ما ذكرنا من المعلومات
والمعدودات ، والصيام في أيام التشريق خلاف بين الناس ، وأيام
التشريق أولها ثاني النحر ، وآخرها اليوم الثالث عشر من ذي
الحجة إلى العصر .

تسمية أيام التشريق : قال المسعودي : وقد اختلف الناس في علة
تسميتها أيام التشريق ، وهي أيام مئسى ولياليها ، فقالت طائفة :
إنما سميت أيام التشريق لأنهم كانوا يذبحون الذبائح بمنى ويشترقون
اللحم في الشمس ، وقال آخرون : إنما سميت أيام [التشريق لأن
أهل مكة وغيرهم يشترقون منصرفين إلى أوطانهم ، وفيه قول آخر ،
وهو أنها إنما سميت أيام التشريق ^(١) لأنهم كانوا يخرجون بمنى وغيرها
كالمزدلفة إلى مصليات لهم في فضاء من الأرض فيسمونها المشارق ،
واحدها مشراق ، يسبحون ويدعون ، فسميت بذلك أيام التشريق ،
وفيه قول آخر ، وهو أن طائفة زعمت أنه مأخوذ من ذبح البهائم
وهو التشريق ^(٢) ، وقالوا : إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن
الضحية بالمشرفة ، يعني المشقوقة الأذنين بالطول ، فهي أيام التشريق
والناس في التشريق من أهل الآراء والنحل كلام كثير لا يحتمله

كتابنا هذا ، وإنما ذكرنا ما أوردناه لتغلغل الكلام بنا إليه واتصاله بما قدمناه ، وإن كان كلاماً يلحق بالفقه .

الأيام النحسات : والأيام النحسات : كل أربعاء يوافق أربعاً من الشهر ، مثل أربع خلون ، وأربع عشرة نلت ، وأربع عشرة بقيت وأربع وعشرين ، وأربع بقين .

أسماء الأيام عند العرب قديماً : وأما أسماء الأيام فأولها الأحد ، وإنما سمي بذلك لأنه أول يوم خلقه الله من الزمان ، وبذلك نطقت التوراة ، وقد قدمنا في صدر هذا الكتاب ما في الأيام من بدء الخلق ، والاثنين ، وسمي لأنه ثان ، والثلاثاء ، وسمي لأنه ثالث ، والأربعاء لأنه رابع ، والخميس لأنه خامس ، والجمعة لان الخلق اجتمعوا فيه ، والسبت لان الخلق انقطع فيه وخلق في آخره آدم ، وهو مأخوذ من قولهم : نعل سيثية ، إذا كانت مقطوعة الشعر ويقال : سَبَتْ شعره ، إذا قطعه ، وكانت العرب تسميها في الجاهلية : الأحد أول ، والاثنين أهون ، والثلاثاء جبار ، والأربعاء دبار ، والخميس مؤنس ، والجمعة عروبة ، والسبت شيار [قال شاعرهم :

أؤمل أن أعيش وأن يومي باول أو بأهون أو جبار
أو المردى دبار فإنت افته فمؤنس أو عروبة أو شيار

أسماء الشهور عند العرب قديماً : وكانوا يسمون الشهور : المحرم نائق ، وصفر ثقيل ، ثم طليق ، ناجر ، أسلخ^(١) اميخ^(٢) ، احلك ، كسع ، زاهر ، برك^(٣) ، حرف ، نمس ، وهو ذو الحجة .

(١) في نسخة : سماح . (٢) في نسخة : أمنيح . (٣) في نسخة : برط .

الازمنة الاربعة : وقد اختلف العرب في اسماء الازمنة الاربعة : فرعت طائفة منها ان اولها الوسمي ، وهو الخريف ، ثم الشتاء ، ثم الصيف ، ثم القيظ ، ومنهم من يعد الاول من فصول السنة الربيع ، وهو الاشهر والأعم ، والعرب تقول : خرّفنا في بلد كذا ، وشتونا في بلد كذا ، وعربنا في بلد كذا ، وصيفنا في بلد كذا .

شهور الروم مرسومة على فصول السنة دون شهور العرب : وشهور العرب ليست مرتبة على فصول السنة ولا على حساب سنة الشمس بل المهرم وغيره من الشهور العربية قد يقع ثارة في الربيع وثارة في غيره من فصول السنة .

وشهور الروم مرسومة على ما يوافق فصول السنة التي تقطع فيها الشمس بروج الفلك عن آخرها ، ومقادير أيام كل شهر منها ولياليه في الطول والقصر وظهور ما يظهر فيه من النجوم الثابتة للأبصار واستتار ما يستتر منها على عمر الدهور والسنين وهي اثنا عشر شهراً على حسب ما ذكرنا أن أولها تشرين إلى أيلول ؛ فكل فصل من السنة أربعة شهور معلومة^(١) من هذه الاثني عشر شهراً غير حائلة ولا منتقلة انتقال الشهور العربية ، ولكل برج منها شهر ، فأيلول وتشرين وتشرين لسلطان السوداء ، وكانون وكانون وشباط لسلطان البلغم ، وأذار ونيسان وأيار لسلطان الدم ، وحزيران وتموز وآب لسلطان الصفراء ، فأيلول لبرج السنبلة ، وتشرين الاول لبرج الميزان ، وتشرين الآخر لبرج العقرب ، وكانون الاول برجه القوس ، وكانون الآخر برجه الجدي ، وشباط برجه الدلو ، وأذار برجه الحوت ، ونيسان برجه الحمل ، وأيار برجه الثور ، وحزيران

(١) كذا ، ولعله « ثلاثة شهور » .

برجه الجوزاء ، وتموز برجه السرطان ، وآب برجه الاسد .
قال المسعودي : ومنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من
الكلام في الطبائع وفصول السنة ، وما يلائم ذلك من المآكل
والمشارب وغير ذلك مما لحق بهذا الباب . إن شاء الله تعالى ،
والله ولي التوفيق .

ذكر

قول العرب في ليالي الشهور القمرية وغيرها

كانت العرب تخبر عن القمر في كل ليلة من الشهور على حسب
ما هو به من الضياء وغيره على طريق المسألة والجواب ؛ فتقول :
قيل للقمر : ما أنت ابن ليلة ؟ قال : رضاع سخيلة ، حل أهلها
برميعة ، قيل : فما أنت للبنتين ؟ قال : حديث أمتين ، ذواتي
إفك ومين^(١) ، قيل : فما أنت لثلاث ؟ قال : حديث فتيات ،
يحتمن من شتات ، وقيل : قليل الثبات^(٢) ، قيل : فما أنت لأربع ؟
قال : غنمة رقع ، غير جائع ولا مريض^(٣) ، قيل : فما أنت لخمس ؟
قال : حديث وأنس ، قيل : فما أنت لست ؟ قال : مروبىة ،
قيل : فما أنت لسبع ؟ قال تصفر في الشفع ، وقيل : دلجة^(٤) ،
الضبع ، قيل : فما أنت لثمان ؟ قال : قمر أصبحان ، وقيل :

(١) في نسخة : حديث مشيق ، ذر أقل وليق .

(٢) » : قليل اللبث .

(٣) » : غنمة ربع ، غير رابع ولا مروع .

(٤) » : قال : نصف في السبع . وقيل : حلجة للضبع .

رَغِيفِ اقْتَسَمَهُ أَخْوَانٌ ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لَتَسْعَ ؟ قَالَ : تَلْتَقِطُ فِي
 الْجَرْعِ ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لِعَشْرِ ؟ قَالَ : مُحَقٌّ لِلْفَجْرِ ، قِيلَ : فَمَا
 أَنْتَ لِإِحْدَى عَشْرَةٍ ؟ قَالَ : أَرَى مَسَاءً وَأَرَى بَكْرَةً ، قِيلَ :
 فَمَا أَنْتَ لِاثْنَيْ عَشْرَةٍ ؟ قَالَ : مُوَفِّقٌ لِلسَّيْرِ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ ،
 قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لثَلَاثَ عَشْرَةٍ ؟ قَالَ : قَمَرٌ بَاهِرٌ ، يُعْشِي عَيْنَ النَّاظِرِ ،
 قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لِأَرْبَعِ عَشْرَةٍ ؟ قَالَ : مُقْتَبِسُ الشَّبَابِ ، أَضِيءُ
 بَيْنَ السَّحَابِ^(١) ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لِحَمْسِ عَشْرَةٍ ؟ قَالَ : تَمُّ التَّامِ ،
 وَنَفَدَتِ الْيَافِ ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لِسِتِ عَشْرَةٍ ؟ قَالَ : نَاقِصُ الْخَلْقِ ،
 فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لِسَبْعِ عَشْرَةٍ ؟ قَالَ : رَكْبُ
 الْفَقِيرِ الْفَقْرِ ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لثَمَانِ عَشْرَةٍ ؟ قَالَ : قَلِيلُ الْبَقَاءِ ،
 سَرِيعُ الْفَنَاءِ ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لَتِسْعِ عَشْرَةٍ ؟ قَالَ : بَطِيءُ
 الطَّلُوعِ ، مِنْ الْخُشُوعِ ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لِعِشْرِينَ ؟ قَالَ : أَطْلَعُ
 سَحْرَةً ، وَأَرَى بَكْرَةً ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لِإِحْدَى وَعِشْرِينَ ؟ قَالَ :
 لَا أَطِيلُ السَّرَى ، إِلَّا رَيْثًا أَرَى ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لِاثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ ؟
 قَالَ : مَسْمُوعُ خُطْبٍ ، وَلَيْثُ حَرْبٍ ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لثَلَاثِ
 وَعِشْرِينَ ؟ قَالَ : كَالْقَبَسِ ، أَطْلَعُ فِي الْغُلَسِ ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ
 لِأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ ؟ قَالَ : أَطْلَعُ فِي قَسَمَةٍ ، وَلَا أَجْلِي ظِلْمَةٌ ، قِيلَ :
 فَمَا أَنْتَ لِحَمْسِ وَعِشْرِينَ ؟ قَالَ : أَنَا فِي تِلْكَ اللَّيَالِي ، لَا قَمَرٌ وَلَا
 هِلَالٌ ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لِسِتِ وَعِشْرِينَ ؟ قَالَ : دَنَا الْأَجَلُ ،
 وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لِسَبْعِ وَعِشْرِينَ ؟ قَالَ : دَنَا مَا
 دَنَا ، فَلَيْسَ فِي مَنْ سَنًا ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لثَمَانِ وَعِشْرِينَ ؟ قَالَ :
 أَطْلَعُ بِكْرًا ، وَلَا أَرَى ظَهْرًا ، قِيلَ : فَمَا أَنْتَ لَتِسْعِ وَعِشْرِينَ ؟

(١) فِي نَسْخَةٍ : أَضِيءُ مِثْلَ السَّحَابِ .

قال : أسبق شعاع الشمس ، ولا أطيل المجلس ، قيل : فما أنت لثلاثين ؟ قال : هلال مستقبل سريع الاغل .

تقسيم الليالي ثلاثاً وثلاثاً واسم كل ثلاث : وكانت العرب تسمي الثلاث الاولى من ليالي الشهر ، فتقول : ثلاث غرر ، والثلاث التي تليها ثلاث سمّر ، والثلاث التي تليها ثلاث زهر ، والثلاث التي تليها ثلاث درر ، والثلاث التي تليها ثلاث قمر ، وثلاث بيض ، وتقول في النصف الثاني من الشهر في الثلاث الاول ثلاث درع ، وفي الثلاث التي تليها ثلاث ظلم ، وفي الثلاث التي تليها ثلاث حناديس ، وفي الثلاث التي تليها ثلاث دوايري ، وفي الثلاث التي تليها ثلاث محاق ، وقيل في وجه آخر من الروايات : إنه يقال لليالي الشهر: ثلاث هلال ، وثلاث قمر ، وست نقل ، وثلاث بيض ، وثلاث درع ، وثلاث بهم^(١) ، وست حناديس ، وليلتان داريتان^(٢) ، وليلة محاق .

أسماء الهلال والليالي : قال المسعودي : فأما ما ذهب اليه العرب في تسمية القمر فإنها تسميه في ليلة طلوعه هلالاً ، وما لم يستدر فهو هلال ، ثم تسميه قرناً إذا ما استدار ، وإذا ما حجب وأضاء فهو قمير ، قال شاعرهم^(٣) :

وقمير بدّا ابن خمس وعشرين له قالت الفتاتان قوما

ثم يستوي لثلاث عشرة منه ، وهي ليلة السواء ، ثم ليلة البدر لاربعة عشرة ، ويقال : غلام بدر ، إذا امتلأ شباباً قبل

(٣) » » : قال عمرو بن أبي ربيعة ، وصوابه عمرو بن أبي ربيعة .

(١) في نسخة : هنا « وثلاث ظلم » .

(٢) » » : وليلتان داريتان .

أن يحتمل ، ويقال : عين حذرة بدره^(١) ، إذا كانت حديدة
كعين الفرس ، والليالي البيض ثلاث عشرة ليلة وأربع عشرة وخمس
عشرة ، والليالي الدرع هي التي تسود صدورها وتبيض سائرها ،
والحاق إذا ما طلعت عليه الشمس ، والسواد حين يستتر فيكون
خلف الشمس ، ويقال : قد حجب القمر ، إذا استدار بخط رقيق
من غير أن يغلف ، ويقال : أفتق القمر إذا أصابته فرجة من
السحاب فخرج [وأفتق علينا فأبصرنا الطريق]^(٢) وكل سواد من
الليل حندس ، والليالي الزهر ، الليالي البيض [والزهرة : البياض]^(٣)
والله الموفق للصواب .

ذكر

القول في تأثير النيرين في هذا العالم

وجمّل مما قيل في ذلك
وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

قال المسعودي :

ذهب الحكماء جميعاً من اليونانيين وغيرهم إلى أن أفعال القمر في
الجواهر التي قلنا^(٣) عظيمة ، إلا أنها أقصر من أفعال الشمس ، وهو
الثاني بعدها ، وذلك أن الشهور به تكون ، وعلى حسب حركته يجري
أمرها ، وأفعاله ترى أعظم وأبين في حيوان البحر خاصة ، وهو
ينمي النبات وغيره ، ويعظم البحار^(٤) ، ويسمن الحيوان ، ويلزم

(١) في نسخة : عين حذرة قمره .

(٢) زيادة في إحدى النسخ .

(٣) في نسخة : التي قبلنا .

(٤) » » : ويعظم الثمار .

النساء الطمث أزمانا محدودة .

تصور الجنين في الرحم : قال المسعودي رحمه الله : وقد تنازع الناس في كيفية تصور الجنين في الرحم .

فذهب قوم من اهل القدم إلى ان في المنى قوة تصور الجنين إما منه وإما من دم الطمث .

وذهب قوم إلى ان في الرحم قالباً يتصور فيه الجنين ، وقد ذكر جالينوس في كتابه عن بقراط ان مقام المنى مقام الفاعل والمفعول في تصور الجنين .

وقال صاحب المنطق : ان ذلك بمنزلة الفاعل ، وإن الجنين يتصور في دم الطمث من المنى ، قال : والمنى يعطي الدم مثل الحركة ، ثم يستحيل ريحاً فيخرج من الرحم ، وزعم جالينوس ان الجنين يكون من المنى ، وقد يجذب^(١) إليه الدم الذي هو الطمث ، والروح من العروق والشريانات فيكون من المنى ، ومن ذلك الدم الذي يجذبه ومن الريح الذي يصير اليه من الشريانات . قال : وكون الجنين بمنزلة كون النبات ، والطبيعة تصوره من المنى والدم ، وتعمل الطبيعة في الجنين ما تفعله في النبات لأن بذر النباتات يحنج إلى ارض لينال منها ما يفتدي به ، فالجنين إلى الرحم ، والنبات يرسل عروقه من الاصول لي جذب بها [من الأرض غذاءه ، وللجنين في المشيمة شريانات ، والعروق نظير لذلك]^(٢) وهي اصول الجنين ، وبذر النبات ينبت منه سوق ، ومن السوق أغصان كبار ، ثم من هذه الاغصان أغصان أخرى تنفرع أولاً حتى تنتهي إلى الاقاصي ، ونظير ذلك يوجد في

(١) في نسخة : وقد يحدث .

(٢) زياد في احدى النسخ .

الجنين ؛ فتجد السوق^(١) في بدئه ثلاثة من كل واحد من الاغصان الاصول ، وهي : الشريان الاعظم ، والعرق الأجوف ، والنخاع ، ثم تجد كل واحد من هذه تتشعب منه شعب كالأغصان المنقسمة الى اغصان اخر حتى ينتهي الى الاطراف ، ثم قال بعد ذلك : ان المني هو المحرك لنفسه ، وإن الجنين يكون من الرجل والمرأة ودم الطمث .

وحكى جالينوس عن أنبندقلس^(٢) ان اجزاء الولد منقسمة في مني الذكر والانثى وان شهوة الجماع تسوق هذه الاجزاء الى الالتئام^(٣) ، وهذا موجود في كتاب انبندقلس^(٢) الكبير وفيما ذكره من مذهبه في كيفية تركيب العالم واتصال النفس بعالمها وغير ذلك .

وقد ذهب قوم من اهل القدم الى ان ذلك هو اجزاء تخرج من اعضاء الانسان لطيفة من جنس سائر اعضاء الانسان ، فتتصب في الرحم ، فيتغذى منه وينمو ، فيكون من ذلك الجنين .

يشبه الولد اباه وأهل بيت أبيه : ومنهم من رأى ان هذه الاجزاء الواردة من سائر اعضاء الذكر تقاربها مواد من الرحم ومن ماء المرأة عند اجتماعها فيكون الجنين من ذلك ؛ فمن ذلك صار الولد يشبه اباه في الاغلب من سائر الاعضاء ويشاكله واهل بيت أبيه ، ولهذا وقع الشبه بين البنين والآباء في الأغلب من تشابه الأعضاء ، ومن هنا أدركت القيافة إلحاق النسب عند الشبه والشك في النسب ، وذلك على قول من رأى إلحاق النسب بالقيافة من الفقهاء^(٤) ، وقد تقدم الكلام في هذا المعنى فيما سلف من هذا الكتاب في باب القيافة .

والناس في كيفية تصور الجنين في الرحم وما بدؤه وما عنصره

(١) في نسخة : فتجد العرق . (٢) في نسخة : تسبق هذه الاجزاء الى أن لا ينام .

(٢) » : عن أبيه بليس . (٤) » : من القافة .

وكيفية تقلبه من النطفة الى العلقه ومن العلقه الى المضغة الى استكمال شكله كلام كثير ؛ منهم اصحاب الاثنين^(١) وغيرهم ممن تقدم وتأخر ، اعرضنا عن ذكر ذلك ؛ اذ كان فيه خروج عما اليه قصدنا في هذا الباب .

قال المسعودي رحمه الله : والذي يقضي على سائر ما تقدم وصفه وينقطع علم العقول عنده ، هو ما أخبره به الباري عز وجل في كتابه بقوله : « هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء ، لا إله الا هو العزيز الحكيم » ولم يخبر عن كيفية وقوع ذلك وما سبب مواده ، بل استأثر بعلمه ، وأبدى الدلالة بظهور حكمته دالة على توحيده واتقانه لما أظهر لعباده من حكمته ثم اخبر عن المبدأ الذي خلقهم منه فقال : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » وقال عز وجل : « يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ؛ لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد الى أرذل العمر - الآية » .

الاختلاف في تأثير النيرين : قال المسعودي : وللناس ممن سلف من الأوائل وخلف من الشرعيين كلام كثير في كيفية افعال النيرين وتأثيرها في هذا العالم ، وما قالوه في ذلك ، وما خصوا به كل واحد منها وافردوه ، وما ذهبوا اليه من فعل الثاني منها وهو القمر ، وما يظهر من تأثيره في الجزر والمد في بحر الصين والهند والحبش واليمن على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب ، وكذلك فعله في المعادن وادمغة الحيوان والبيض وسائر النبات ، وما يظهر من

(١) في نسخة : منهم اصحاب الانبيق .

الزيادات فيه عند امتلائه والنقص عند نقصانه ، وما يكون من
بحرانات المرضى في اليوم السابع من العلة والرابع عشر والحادي
والعشرين [والثامن والعشرين]^(١) لأن للقمر أربعة أشكال هي أثبت
صوره ، فيه شكل التنصيف ، وشكل التام ، وشكل التنصيف عن^(٢)
التام ، وشكل المحاق ، ولكل شكل من هذه سبعة أيام ؛ لأنه في سبع
ليالي يتنصف ، وفي الرابعة عشرة يتم ، وفي الحادية والعشرين يتنصف وفي
الثامنة والعشرين يتمحق ، فكذلك البحرانات ، وعند هذه الطائفة يصح في
السابع والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين ويصح أيضاً في
تنصيفات هذه ، إذ كانت هذه الاشكال أثبت أشكال الشيء المنقسم ،
وقد خالف هؤلاء خلق كثير ممن ذهب الى غير هذا القول ، وان
ذلك من قبل الاخلاط وغير ذلك من الطبائع الاربع وغيرها مما
قد اتينا على ايضاحه في كتابنا المترجم بكتاب « الزلف » وفي كتاب
« المباديء والتراكيب » وغير ذلك في كيفية تأثير الشمس والقمر .

كروية السماء والارض : وأما الدلائل على ان السماء على مثال
الكرة وتدويرها بجميع ما فيها من الكواكب كدورة الكرة ، وأن
الارض بجميع اجزائها من البر والبحر على مثال الكرة ، وأن كرة
الارض مثبتة في وسط السماء كالمركز^(٣) ، وقدرها عند قدر السماء
قدر النقطة في الدائرة صغيراً ، ووصف الربع المسكون من الارض ،
وما يعرض فيه من دور الفلك واختلاف الليل والنهار ووصف
خواص هذا الربع المسكون من الارض ووصف المواضع التي تطلع
الشمس فيها شهوراً لا تغرب وتغرب شهوراً لا تطلع ، فقد اتينا على

(٣) في نسخة : كالكرة .

(١) زيادة في احدى النسخ .

(٢) في نسخة : عند التام .

وصف جميع ذلك وما اتضح عليه وانتصب من البراهين ، وما قاله الناس في ذلك في كتابنا المترجم بكتاب « اخبار الزمان » ، وما اوضحنا فيه من هيئة الافلاك والكواكب ، وأن الارض مع ما وصفنا تدويرها موضوعة في جوف الفلك كالمحّة في البيضة ، والنسيم جاذب ايضاً لما في ابدان الخلق من الخفة ، والارض جاذبة لما في ابدانهم من الثقل ؛ إذ كانت الارض بمنزلة حجر المغناطيس الذي يجذب بطبعه الحديد ، وأن الارض مقسومة نصفين ، وبينها خط الاستواء ، وهو بين المشرق الى المغرب وهذا عندهم هو طول الارض ؛ لأنه اكبر خط في كرة الارض كما ان منطقة البروج اكبر خط في الفلك ، وعرض الارض من القطب الجنوبي الى القطب الشمالي الذي تدور حوله بنات نعش ، وان استدارة الارض في خط الاستواء ست وثلاثون درجة ، والدرجة خمسة وعشرون فرسخاً ، والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع ، والذراع اثنان وأربعون اصبعاً ، والأصبع ست سجات [وتسعان]^(١) مصفوفة بعضها الى بعض ، يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ .

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب ذكر الارض والبحار ومبادئ الانهار مقدار الميل والذراع الاسود ، وإنما نذكر في كل موضع من هذا الكتاب ما يسنح لنا ونجده في كتب الناس ، فننقل ذلك عنهم على ما وجدناه في كتبهم ، لا أنا نقطع على صحته ، اذ كان ما يذهب اليه في مقدار الميل من الاذرع ، والذراع من الاصابع ، هو ما بيناه آنفاً في باب ذكر الارض والبحار .

وبين خط الاستواء وكل واحد من القطبين تسعون درجة ، واستدارتها عرضاً مثل ذلك ، وزعم هؤلاء ان العبارة في الارض بعد

(١) لا توجد هذه الكلمة في احدى النسخ .

خط الاستواء اربع وعشرون درجة ، وأن الباقي قد عمه البحر^(١) الكبير ، وأن الخلق على الربع الشمالي من الارض ، والربع الجنوبي خراب لشدة الحر فيه ، والنصف الباقي من الارض لا ساكن فيه ، وكل ربع من الشمال والجنوب سبعة اقاليم ، وقد ذكرناها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الارض والاقاليم السبعة ، وأن عدد المدن عند صاحب^(٢) كتاب الجغرافيا أربعة آلاف مدينة ومائتا مدينة ، فأما قبلة أهل المشرق والمغرب واليمن والجنوبي^(٣) ، فقد ذكرنا جملا من ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » .

وقد حرر^(٤) ذلك في كتابه أبو حنيفة الدينوري ، وقد سلب ذلك ابن قتيبة ونقله الى كتبه نقلا ، وجعله عن نفسه ، وقد فعل ذلك في كثير من كتب أبي حنيفة الدينوري ، هذا ، وكان أبو حنيفة هذا ذا محل من العلم كبير ، ولبطليموس في كتاب المجسطي ، وغيره ممن تقدم ، ثم لمن طرأ بعد ظهور الإسلام - مثل الكندي ، وابن المنجم^(٥) ، وأحمد بن الطيب ، وما شاء الله ، وأبي معشر ، والحوارزمي^(٦) ، ومحمد بن كثير الفرغاني ، فيما ذكره في كتابه الفصول^(٧) الثلاثين ، وثابت بن 'قرّة' ، والتبريزي^(٨) ، ومحمد بن جابر البتاني ، وغير هؤلاء ممن قد عني بعلوم الهيئة - علوم كثيرة في هذا المعنى ، وإنما ننقل من ذلك الى هذا الكتاب لمعاً ، طلباً للاختصار والإيجاز ، وبالله التوفيق .

(١) في نسخة : قد غمره البحر الكبير . (٥) في نسخة : وبني المنجم .
(٢) في نسخة : على عهد صاحب كتاب جغرافيا . (٦) » : وأبي معشر الحوارزمي .
(٣) » : والجنوبي . (٧) » : في كتابه في الاصول الثلاثين .
(٤) » : وقد جرد ذلك . (٨) » : والسديدي .

ذكر

أرباع العالم ، والطبائع

وما خص به كل جزء منه من الشرق والغرب واليمين والجنوبي^(١)
والأهوية ، وغير ذلك من سلطان الكواكب
وما لحق بهذا الباب واتصل بهذا المعنى

قال المسعودي :

الطبائع الأربع : فأما الطبائع الأربعة : فالتار حارة يابسة وهي
الطبيعة الأولى/والطبيعة الثانية : باردة رطبة ، وهي الماء ،
والطبيعة الثالثة : الهواء ، وهو حار رطب ، والطبيعة الرابعة :
الأرض ، وهي باردة يابسة ، فائتتان منها تذهبان الصعداء ،
وهما : النار ، والهواء ، واقتتان ترسغان سقلا ، وهما : الأرض ،
والماء ، والعالم أربعة أجزاء : فالشرق الربع الأول ، وجميع ما
فيه حار رطب مثل الهواء والدم ، وهذا الربع^(٢) ريحه الجنوب ،
وله من الساعات الأولى والثانية والثالثة ، وله من قوى البدن قوة
الطبيعة الهاضمة^(٣) ، ومن المذاقات حظه الحلاوة ، وله من الكواكب :
القمر ، والزهرة ، وله من البروج : الحمل ، والثور ، والجوزاء .
وللحكمة في هذا خطب طويل في وصف هذه الأرباع منها
جُمَل^(٤) فيما مضى وما يأتي . والمغرب : وهو الربع الثاني ،

(١) في نسخة : والجدي . (٢) في نسخة : وله من قوى البدن القوة الهاضمة .

(٣) » » : والربيع ريحه الجنوب . (٤) » » : هذه جمل منها ما مضى وما يأتي .

وجميع ما فيه بارد رطب مثل الماء والبلغم^(١) ، والشتاء ورياحه :
الدَّبُورُ ، وله من الساعات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة ،
وله من المذاقات : المالح ، وما شابه ذلك . وله من القوى :
القوة الدافعة . وله من الكواكب : المشتري ، وعطارد . ومن
البروج : الجدي ، والدلو ، والحوت . والجزء الثالث^(٢) : التيمن ،
وجميع ما فيه حار يابس مثل المِرَّة الصفراء . والصيف ، ورياحه :
الضَّبَا . وله من الساعات الرابعة والخامسة والسادسة من النهار .
وله من قوى البدن القوة النفسانية والحيوانية ، وله من المذاقات :
المرارة ، وله من الكواكب : المريخ ، والشمس ، ومن البروج :
السرطان والسنبلة ، والميزان^(٣) ، والجزء الرابع هو الجنوبي ، جميع
ما فيه بارد يابس ، مثل الأرض والمرّة السوداء ، والخريف ورياحه
الشمال وله من الساعات : السابعة والثامنة والتاسعة ، وله من قوى
البدن القوة الماسكة ، ومن الطعوم والمذاقات : والعَفْصُ ، وله
من الكواكب : زُحَل ، وله من البروج الميزان ، والعقرب ،
والقوس ، والأرض بعد ما رصفناه تنهاياً في الهيئة ، وتختلف في التأثير
على مقادير الخطوط ، فإذا بعد الخط كان التأثير بخلاف ما هو
إذا قرب ؛ لموجبات متنافية متغايرة ، وأفضل المواضع من المسكون
ما تطرح الشمس ضوء شعاعها إليه ، وإلى الإقليم الرابع ينتهي
عند هذه الطائفة شعاعها في صفوه وارتفاع كدره ؛ لأن شعاع
الشمس يهبط متساوياً إلى هذا الموضع وهو العراق .

علة عدم مكنى بعض الأرض : قال المسعودي : والمواضع التي

(١) في نسخة : رطب الماء واللبن في الشتاء .

(٢) في نسخة : السرطان والأسد
والسنبلة والجدي .

(٣) » » وهو الربع الثالث .

لا تسكن عند هذه الطائفة عدمت السكنى لعلتين : إحداهما إفراط الحر وإحراق الشمس وكثرة قواثر شعاعها على تلك الأرضين حتى قد جعلتها كَلْسِيَّة^(١) وأغاضت مياهها لكثرة التنشيف ، والعلّة الأخرى بُعْدُ الشمس عن الإقليم ، وارتفاعها عن حوزاته ، فاكتنف تلك الأرضين البرد ، واستولى عليها القر والجمد^(٢) فزاد إفراط البرد في الجو حتى أزال حسن الاعتدال ورفع فضيلة النشف ، فلم تلبث الحرارة في الأجسام ، ولم تظهر الرطوبة في إنماء الحيوان هنالك ؛ فصارت تلك البلاد قاعا صفصفا من الحيوان والنبات ، وهذه البلدان التي تراها مفرطة الحرارة والبرودة هي تناسب ما ذكرنا من هذه الديار البلاقع .

ولهذه الطائفة كلام كثير في فناء العالم ونقصه^(٣) وعَوْدِهِ جديداً ، وذكروا أن السلطان في هذا الوقت السبيلة وهو سبعة آلاف سنة ، وذلك عمر هذا العالم البشري ، وقد ساعد السبيلة المشتري في التدبير ، وإن نهاية العالم في كثرة قطع الكوكب المدبر المسافة التامة بالقوى ، فإذا استكمل قطع^(٤) المسافة التي ذكرها في الفلك فهنالك يقع النفاذ ويكون الدثور بالعالم ، والكواكب إذا كملت ماها من كَرٍّ ودَوَّر عاد التدبير إلى الأول منها ، وعادت أشخاص كل عالم وصوره مع اجتماع المواد التي كانت له في حال^(٥) حركة تأثير الكوكب الذي كان التدبير إليه ، وهكذا عند هؤلاء يجري شأن العالم سرمداً .

مدة سلطان الكوكب : وزعموا أن سلطان الحمل اثنا عشر ألف

(١) في نسخة : جعلتها يابسة .

(٢) في نسخة : ولفظه .

(٣) في نسخة : والجهد .

(٤) في نسخة : استكمل وبلغ المسافة .

(٥) في نسخة : في حد حركة تأثير الكوكب .

سنة وسلطان الثور احدى عشرة ألف سنة ، وسلطان الجوزاء عشرة آلاف سنة ، وسلطان السرطان تسعة آلاف سنة ، وسلطان الاسد ثمانية آلاف سنة ، وسلطان السنبلة سبعة آلاف سنة ، وسلطان الميزان ستة آلاف سنة ، وسلطان العقرب خمسة آلاف سنة ، وسلطان القوس أربعة آلاف سنة ، وسلطان الجدي ثلاثة آلاف سنة ، وسلطان الدلو الفا سنة ، وسلطان الحوت الف سنة ، فجميع ذلك ثمانية وسبعون الف سنة ، وعند ذلك هو انقضاء العالم ونقض ما فيه ورجوعه إلى كونه .

وتكلم هؤلاء في الجن الذين كانوا في الارض قبل خلق الله آدم واستخلافه في الارض ، وأن المتولي لهم كوكب من الكواكب النارية .

وتكلم كلا الفريقين في أوج الشمس عند انفصالها إلى البروج الجنوبية وما يحدث في العالم في كون الشمال جنوباً والجنوب شمالاً وتحول العامر غامراً والغامر عامراً ، على حسب ما ذكرنا في كتابنا المترجم بكتاب « الزلف » .

اجناس الاجسام : وقد ذهب غير هؤلاء ممن تقدم من الأوائل إلى أن التي وجد بها سائر الموجودات كالاول والثواني والثالث على قدر مراتبها في العقل ، النفس والصورة والهيولى ، وأنها المبادئ على حسب ما رتبناه وقدمناه في كتاب « الزلف » فما عدا ما وصفنا فهي الاجسام ، وأجناسها ستة : الجسم السماوي والجسم الارضي والحيواني الناطق ، والحيواني غير الناطق ، والنبات ، والاجسام الحجرية وهي المعدنية ، والاستقصات الاربعة وهي النار والهواء والماء والارض .

وتكلم هؤلاء فيما يخص كل واحد مما ذكرنا مما لا يحتمله كتابنا هذا ؛

اذ كان فيه خروج عن الفرض الميتم فيه ، وقد اتينا على بسط ذلك في كتاب « الرؤوس السبعية » في باب السياسة المدنية ، وعدد أجزائها وعللها الطبيعية ^(١) وهل ملك تلك المدينة جزء من أجزائها أو من غيرها ؟ وإليه نهاية اجزائها على حسب ما ذكره فرفوريوس ^(٢) في كتابه في وصف منازعة افلاطون وأرسطاطاليس في ذلك .

فأما علة كون الشتاء بأرض الهند في الحالة التي يكون الصيف بها عندنا ، والحالة التي يكون فيها عندنا الشتاء يكون الصيف عندهم فقد ذكرنا علة ذلك ووجه البرهان عليه ، وأن ذلك للشمس في قربها وبعدما ، وكذلك علة تكون السودان في بعض البقاع من الارض دون بعض ، وتقلل شعورهم ، وغير ذلك من مشهور اوصافهم ، وعلة تكون البيضان في بعض البقاع دون بعض وتقطر ألوان الصقالبه وشقرتهم وصهوبة شعورهم ، وما لحق الترك من استرخاء مفاصلهم وتعرج أسواقهم ^(٤) ولين عظامهم حتى ان احدهم ليرمي بالنشاب من خلف كرميه من قدام فيصير وجهه قفاه وقفاه وجهه ؛ ومطاطعة فقارات الظهور لهم على ذلك ، وكون الحمرة في وجوههم عند تكامل الحرارة في الوجه على الاغلب من كونها وارتقاعها ؛ لغلبة البرد على اجسامهم وقد اتينا بحمد الله على شرح ذلك ؛ وما انتظم من الدلائل الدالة على مصداق ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا في هذه المعاني المقدم ذكرها . ولم نتعرض لذكر ما لم يصح عندنا في العالم وجوده حساً ولا خبراً قاطعاً للعذر ولا دفعاً للرّيب ومزيلاً للشك كأخبار العامة في كون النسناس ، وأن وجوههم على نصف وجوه الناس ، وأنهم ذوو أنياب ^(٥) ،

(١) في نسخة : وملتها الطبيعة .

(٢) » » : فرفوريوس .

(٣) » » : قد ذكرنا .

(٤) في نسخة : سيقانهم .

(٥) » » : ذوو الباب .

وقولهم في عَنَقَاء مُغْرِب . وقد زعم كثير من الناس ان الحيوان الناطق ثلاثة أجناس : ناس ، ونسناس ، ونسانس ، وهذا محال من القول : لأن النسناس اذا وقع هذا الاسم على السفلة من الناس والرذال وقد قال الحسن : ذهب الناس وبقي النسناس ، وقال الشاعر :

ذهب الناس فاستقلوا ، وصرنا خلفاً في اراذل النسناس

اراد به ما وصفنا : اي ذهب الناس وبقي مَنْ لا خير فيه . وقد ذهب كثير من الناس الى ان الجن نوعان : اعلام وأشدم الجن ، وأخفضهم وأضعفهم الجن ، وأنشد الراجز :

مختلف كنجرتهم جنٌ وجن^(١)

وهذا التفصيل بين الجنين من الجن لم يرد به خبر ، ولا صح به أثر ، وانما ذلك من توهم الاعراب على حسب ما بيناه آنفاً . النسناس : وقد غلب على كثير من العوام الاخبار عن معرفة النسناس وصحة وجوده في العالم كالأخبار عن وجوده في الصين وغيرها من الممالك النائية والامصار القاصية فبعضهم يخبر عن وجودهم في المشرق ، وبعضهم في المغرب ، فأهل المشرق يذكرون كونها بالمغرب ، وأهل المغرب يذكرون انها بالمشرق ، وكذلك كل صقع من البلاد يُشير سكانه^(٢) الى ان النسناس فيما بعد عنهم من البلاد ونأى من الديار .

وقد رووا في ذلك خبراً مخرجه من طريق الآحاد ان ذلك في بلاد حضرموت من أرض الشحر ، وهو ما ذكره^(٣) عبدالله بن سعيد ابن كثير بن عفير المصري ، عن ابيه عن يعقوب بن الحارث بن نجيم^(٤) ،

(١) في نسخة : مختلف سحرهم جن وجن . (٢) في نسخة : ما ذكرناه عن عبدالله بن كثير .

(٣) » » : يسير سلطانه . (٤) » » : يعقوب بن عرث بن لحيم .

عن شبيب بن شيبة بن الحارث التميمي ، قال : قدمت الشَّحْر فنزلت على رأسها^(١) ، فتذاكرنا النسناس ، فقال : صيدوا لنا منها ، فلما ان رجعت اليه مع بعض اعوانه المهريين إذ انا بنسناس منها ، فقال لي النسناس : انا بالله وبك ، فقلت لهم : خلوه ، فخلوه ، فلما حضر الغداء قال : هل اصطدتم منها شيئا ؟ قالوا : نعم ، ولكن خلاه ضيفك ، قال : استعدوا فلما خارجون في قنصه ، فلما خرجنا الى ذلك في الشَّحْر^(٢) خرج منها واحد يعدو وله وجه كوجه الانسان وشعرات في ذقنه ، ومثل الثدي في صدره ، ومثل رجلي الانسان رجلاه ، وقد ألظَّ به كلبان ، وهو يقول :

الويل لي مما به دهاني دهري من الهموم والأحزان
قفا قليلا أيها الكلبان واستمعا قولي وصدَّقاني^(٣)
إنكما حين تحارباني الفيتاني حضرا عنياني^(٤)
لولا سباتي ما ملكتاني حق تموتا أو تفسارقاني^(٥)
لست بنحوار ولا جبار ولا بنكس رَعِش الجنان
لكن قضاء الملك الرحمن يُنزلُ ذا القوة والسلطان^(٦)

قال : فالتقيا به فأخذاه ، ويزعمون انهم ذبحوا منها نسناسا ، فقال قائل منها : سبحان الله ، ما اشد حمرة دمه ! فذبحوه ايضا ، فقال نسناس آخر من شجرة : كان يأكل السماق ، قال : فقالوا نسناس آخر خذوه ، فأخذوه وذبحوه ، فقالوا : لو سكت هذا لم يعلم بمكانه ، فقال نسناس من شجرة اخرى : انا صميت^(٧) قالوا : نسناس ، خذوه فأخذوه ،

(١) في نسخة : على رئيسها .
(٢) في نسخة : فلما خرجنا الى ذلك السرح .
(٣) » : أيها الركبان .
(٤) » : حين تجاربان . وفي احدى النسخ : حضر ايماني .
(٥) في نسخة : لو في شباني ما ملكتاني .
(٦) » : القدرة والسلطان .
(٧) » : انا صميت .

فذبجوه فقال نسناس من شجرة اخرى : يا لسان احفظ رأسك ، فقالوا : نسناس خذوه ، فأخذوه ، وزعم من روى هذا الخبر أن المهرة تصطادها في بلادها وتأكلها .

قال المسعودي : ووجدت أهل الشحر من بلاد حضرموت وساحلها- وهي الأحساء مدينة على الشاطئ من ارض الاحقاف ، وهي أرض الرمل وغيرها مما اتصل بهذه الديار من ارض اليمن وغيرها من عمان وأرض المهرة - يستطرفون اخبار النسناس إذا ما حدثوها ، ويتمجبون من وصفه ، ويتوهمون انه ببعض بقاع الارض مما قد نأى عنهم وبعد ، كسماع غيرهم من أهل البلاد بذلك عنهم ، وهذا يدل على عدم كونه في العالم ، وإنما ذلك من هموس العامة واختلاطها^(١) ، كما وقع لهم في خبر عنقاء مشرب وهذا يدل على عدم كونه في العالم ورووا فيه حديثاً عجزوه الى ابن عباس ، ونحن لم نحل وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك مما اتصل به بهذا النوع من الحيوان الغريب النادر في العالم من طريق العقل ؛ فإن ذلك غير ممتنع في القدرة ، ولكن أتحلنا ذلك لان الخبر القاطع للعذر لم يرد بصحة وجود ذلك في العالم ، وهذا باب داخل في حيز الممكن الجائز خارج عن باب الممتنع والواجب ، ويحتمل هذه الانواع من الحيوان النادر ذكرها كالنسناس والعنقاء والعرابد وما اتصل بهذا المعنى ان تكون انواعاً من الحيوان اخرجتها الطبيعة من القوة الى الفعل^(٢) ولم تحكمه ولم يتأت فيه الصنع^(٣) كتأنيه في غيره من الحيوان ، فبقي شاذاً فريداً متوحشاً نادراً في العالم طالباً للبقاع النائية من البر مبائناً لسائر

(١) في نسخة : وأخلطها .

(٢) » » : من القدرة الى الفعل .

(٣) في نسخة : ولم يتأت فيه الطبع .

انواع الحيوان من الناطقين وغيرهم ؛ للضدية التي فيه لغيره مما قد أحكمته الطبيعة ، وعدم المشاكلة والمناسبة التي بينه وبين غيره من أجناس الحيوان وانواعه ، على حسب ما قدمنا في باب الغيلان فيما سلف من هذا الكتاب ، وفي الاكثر من هذا خروج عن الغرض الذي اليه قصدنا في هذا الكتاب .

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من الاخبار عن زعم أن المتوكل أمر حنين بن إسحاق^(١) - او غيره من اهل عصره من عني بهذا الشأن من الحكماء - ان يتأتى له ويحتال في حمل النسناس والعربد من أرض اليمامة ، وأن 'حنينا'^(٢) حمل له شيئا من ذلك ، وقد أتينا على شرح هذا الخبر فيمن أرسل الى اليمامة في حمل العربد والى بلاد الشحر في حمل النسناس في كتابنا « أخبار الزمان » والله تعالى أعلم بصحة هذا الخبر ، وليس لنا في ذلك الا النقل ، وأن نعزوه الى راويه ، وهو المقلد بعلم ذلك فيما حكاه ورواه ؛ فننظمه على حسب ما يتأتى لنا نظمه في الموضع المستحق له ، والله ولي التوفيق برحمته .

وأما ما ذكروه عن ابن عباس فهو خبر يتصل بخبر خالد بن سنان العبسي ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب خبر خالد بن سنان العبسي ، وأنه ذكر أنه كان في الفترة بين عيسى وعهد عليها الصلاة والسلام ، وذكرنا خبره مع النار وإطفائه لها .

العنقاء : فلنذكر الآن خبر العنقاء على حسب ما روه ، فلا بد من اعادة خبر خالد لذكرنا العنقاء واتصال^(٢) الخبرين ، ونخرج هذه

(١) في نسخة : حسين بن اسحاق . (٢) في نسخة : واتساع الخبرين .

الاخبار كلها عن ابن عفير .

حدث الحسن بن إبراهيم قال : حدثنا محمد بن عبدالله المروزي ، قال :
حدثنا أسد بن سعيد بن كثير بن عفير عن ابيه عن جده كثير ،
عن جد ابيه عفير^(١) عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « ان الله خلق طائراً في الزمان الاول من احسن
الطير ، وجعل فيه من كل حُسن^(٢) قسطاً ، وخلق وجهه على مثال
وجوه الناس ، وكان في اجنحته كل لون حَسَنٍ من الريش ، وخلق
له اربعة اجنحة من كل جانب منه ، وخلق له يدين فيها مخالب ،
وله منقار على صفة منقار العقاب غليظ الاصل ، وجعل له انثى^(٣) على
مثاله ، وسماها بالعنقاء ، وأوحى الله تعالى الى موسى بن عمران :
اني خلقت طائراً عجيبة خلقته ذكراً وأنثى ، وجعلت رزقه في وحش
بيت المقدس ، وآمنتك بها ؛ ليكونا بما فضلت به بني اسرائيل ،
فلم يزالا يتناسلان حتى كثر نسلها ، وأدخل الله موسى وبني اسرائيل
في التيه فمكثوا فيه اربعين سنة حتى مات موسى وهرون في التيه
وجميع من كان مع موسى من بني اسرائيل ، وكانوا ستمائة الف ،
وخلّفهم نسلهم في التيه ، ثم أخرجهم الله تعالى من التيه مع يوشع
ابن نون تليد موسى ووصيه ، فانتقل ذلك الطائر فوق بنجد والحجاز
في بلاد قيس عيلان ، ولم يزل هنالك يأكل من الوحوش ويبأكل
الصبيان وغير ذلك من البهائم الى ان ظهر نبي من بني عبس بسين
عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم يقال له خالد بن سنان ، فشكا
اليه الناس ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان ، فدعا الله عليها ان يقطع

(١) في نسخة : أسد بن سعيد بن كثير بن عفير عن عكرمة .

(٢) في نسخة : من كل جنس . (٣) في نسخة : أبناء على مثاله ، وسماها .

نسلها فقطع الله نسلها فبقيت صورتها تحكي في البُسْطِ وغير ذلك .

وقد ذهب جماعة من ذوي الروايات^(١) الى ان قول الناس في امثالهم « عنقاء مُغْرِب » انما هو للأمر العجيب النادر وقوعه ، وقولهم « جاء فلان بعنقاء مُغْرِب » يريدون أنه جاء بأمر عجيب ، قال شاعرهم :

وَصَبَّحَهُم بِالْجَيْشِ عَنْقَاءُ مَغْرِب

وَالْعَنْقُ : السَّرعَة .

خالد بن سنان العبسي : قال ابن عباس : وكان خالد بن سنان نبي بني عبس مبشراً^(٢) برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما حضرته الوفاة قال لقومه : اذا انا مت فادفنوني في حفرة من هذه الاحقاف ، وهي تلون عظام من الرمل ، واحرسوا قبري أياماً ، فإذا رأيتم حماراً أشهب أبتى يدور حول الحفنة الذي فيه قبري أياماً فاجتمعوا ثم انبشوا قبري وأخرجوني الى شفير القبر ، واحضروا لي كاتباً ومعه ما يكتب فيه حتى أمني عليكم ما يكون وما يحدث الى يوم القيامة ، قال : فرصدوا قبره بعد وفاته ثلاثاً ثم ثلاثاً ثم ثلاثاً ، فإذا الحمار يرعى حول الحفنة قريباً من قبره واجتمعوا عليه لينبشوه كما أمرهم ، فحضر ولده وشهروا سيوفهم ، وقالوا : والله لا تركنا احداً ينبشه ، أتريدون أن نغير بذلك غداً وتقول لنا العرب : هؤلاء ولد المنبوش ؟ فانصرفوا عنه وتركوه ، قال ابن عباس : ووردت ابنة له عبوز قد

(١) في نسخة : من ذوي الدراية .

(٢) في نسخة : مبشراً برسول الله .

عمرت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فتلقاها بخير وأكرمها وأسلمت ،
وقال لها : « مرحباً بابنة نبي ضيعه امله » . قال شاعر بني عبس :

بني خالد لو أنكم إذ حضرتم نبشتم عن الميت المغيب في القبر
لأبقى عليكم آل عبس ذخيرة من العلم لا تبلى على سالف الدهر

وقد رويت عن ابن عفير أخبار كثيرة في هذا المعنى وأشباهه من
فنون الأخبار من أخبار بني إسرائيل وغيرها .

خلق الخيل : منها خبر خلق الخيل ، وهو ما حدث به الحسن بن
ابراهيم الشعبي القاضي ، قال : حدثنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله
المروزي قال : حدثنا أبو الحارث أسد بن سميد بن كثير بن عفير ،
عن أبيه ، عن جده كثير ، عن جد أبيه عفير قال : قال عكرمة :
أخبرني مولاي ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إن الله لما أراد أن يخلق الخيل أوحى الى الريح الجنوبي^(١) : إني
خالق منك خلقاً فاجتمعى ، فاجتمعت ، فأمر جبريل فأخذ منها قبضة
ثم قال الله : هذه قبضتي ، قال : ثم خلق الله منها فرساً كميئاً ، ثم
قال الله : خلقتك فرساً ، وجعلتك عربياً ، وفضلتك على سائر ما
خلقته من البهائم بسعة الرزق ، والغنائم تقاد على ظهرك ، والخير معقود
بناصيتك ، ثم أرسله ، فسهل ، فقال الله : باركت فيك ، بصهيلك أربع
المشركين ، وأملأ مسامعهم ، وأزلزل أقدامهم ، ثم وسمه بغرة وتحجيل ،
فلما خلق الله آدم قال : يا آدم ، أخبرني أي الدابتين أحب إليك
الفرس أو البراق ؟ قال : وصورة البراق على صورة البغل ، لا ذكر ولا
أنثى ، فقال آدم : يا رب ، اخترت أحسنها وجهاً ، فاختر الفرس ،

(١) في نسخة : ربيع الجنوب .

فقال الله : يا آدم اخترت عزك وعز ولدك باقياً ما بقوا واخلدوا «
قال ابن عباس : فذلك الوسم فيه وفي ولده الى يوم القيامة ، يعني
الغرة والتعجيل .

قال المسعودي رحمه الله : وقد ذكر عيسى بن هبة المصري في
كتابه المترجم بكتاب « الحلائب والجلائب » وذكره لكل حلبة
أجريت فيها الخيل في الجاهلية والإسلام : ان سليمان بن داود زوّد
أناساً من الأزدي فرساً يصيدون عليه ، فسمي زاد الراكب ، وكذلك
ذكر ابن دريد في كتاب الخيل وغيره .

وللناس في الخيل أخبار عظيمة كثيرة قد أتينا على ذكرها في
السالف من كتبنا .

ولولا أن المصنف حارط ليل لذكره في تصنيفه من كل نوع
لما ذكرنا هذه الأخبار ؛ إذ الناس من أهل العلم والدراية في قبول
الأخبار على وجوه .

الكلام على الأخبار : وقد ذهبت طائفة الى أن الأخبار التي تقطع
العدر وتوجب العلم والعمل هي أخبار الاستفاضة : ما رواه الكافة
عن الكافة . وأن ما عدا ذلك فغير واجب قبوله .

وذهب الجمهور من فقهاء الأمصار إلى قبول خبر الاستفاضة ،
وهو خبر التواتر ، وأنه يوجب العلم والعمل ، وأوجبوا العمل بخبر
الواحد ، وزعموا أنه موجب للعمل دون العلم بأوصاف ذكرها .
ومن الناس من ذهب الى غير هذه الوجوه في قبول الأخبار من
الضرورة وغيرها^(١) .

(١) في نسخة : في فنون الأخبار من الضرورة وغيرها .

وما ذكرناه من حديث النسناس والعنقاء وخلق الخيل فغير داخل في اخبار التواتر الموجبة للعمل واللاحقة بما أوجب العمل دون العلم، ولا بالأخبار المضطربة لسامعها الى قبولها عند ورودها واعتقاد صحتها عن مخبرها، وهذا النوع من الأخبار قد قدمنا أنها في حيز الجائز الممكن الذي ليس بواجب ولا ممتنع، وهي لاحقة بالاسرائيليات من الاخبار والاخبار عن عجائب البحار. ولولا ما قدمنا آنفاً من اشتراطنا على أنفسنا الاختصار والإيجاز لذكرنا ما اتصل بهذا المعنى من الأخبار بما رواه اصحاب الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهم حملة السنن ونقلة الآثار، بما لا يتناكرونه، ويعرفونه ولا يدفعونه.

أمثلة من الاخبار، مثل حديث القرد الذي كان في السفينة في عهد بني اسرائيل مع رجل كان يبيع الخمر لأهل السفينة ويشتوب الخمر بالماء، وأنه جمع من ذلك دراهم كثيرة، وأن القرد قبض على الكيس الذي كانت فيه الدراهم وصعد على الدقل، وهو صاري المركب ويدعى بالعراق الدقل، فعل الكيس ولم يزل يرمي درهماً إلى الماء ودرهماً إلى السفينة، حتى قسم ذلك نصفين.

ومثل ما روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك قد رواه عن فاطمة بنت قيس عدة من الصحابة وهو خبر تميم الداري، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عنه أنه أخبره أنه ركب البحر في جماعة من بني عمه في سفينة، فأضل بهم البحر^(١) وألقاهم إلى جزيرة فخرجوا من السفينة إلى الجزيرة فنظروا إلى دابة عظيمة قد نشرت شعرها، فقالوا لها: ايتها الدابة، ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة التي أخرج آخر الزمان، وذكروا

(١) في نسخة: فاعتل بهم البحر.

عنها كلاماً غير هذا ، وأنها قالت : عليكم بصاحب القصر ، فنظروا فإذا هم بقصر من حاله ووصفه هكذا ، وإذا هم برجل بالحديد والقيود مُسَكَّل إلى عمود من حديد وصفة وجهه هكذا ، وأنه خاطبهم وساء لهم ، وأنه الدجال ، وأنه أخبرهم يحمل من الملاحم ، وأنه لا يدخل مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما ذكر في هذا الحديث وغيره مما ورد من الأخبار في معناه ، وهذا باب كبير يتسع وصفه ويمتد شرحه .

عود إلى ذكر أرباع العالم والطبائع : ثم رجع بنا القول إلى ما كنا فيه آنفاً من ذكر أرباع العالم والطبائع ، وما اتصل بهذا المعنى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الكلام في الطبائع وغيرها مما ينبه على عظم هذا الباب وبسوطه ، وقد زعم جماعة ممن تقدم وتأخر من الأطباء ومصنفي الكتب في الطبيعيات وغيرها أن للطعام ثلاثة انقسامات : أما الأول فهي المعدة فإن المعدة تهضم الطعام فتأخذ قوته فيصير مثل ماء الكشك ، ثم تدفعه إلى الكبد ، ثم يدفعه الكبد في العروق إلى جميع الجسد كاندفاع الماء من النهر إلى السواقي والمشارب ، فتتضمه أعضاء الجسد التالية ، فتصيره إلى شبهها اللحم لحماً والشحم شحماً ، وكذلك العروق والعصب وما سوى ذلك ، وأن أقتارها إذا استوت ، استوت أقدار القوى ، وإذا استوت القوى استوى الجسد واعتدل ويصح بإذن الله تعالى .

فصول السنة وأثر كل منها : وأن الزمان أربعة فصول : الصيف ، والخريف ، والشتاء ، والربيع ؛ فالصيف يقوي المرة الصفراء ويكثر احتياجها ، والخريف يقوي السوداء ، والشتاء يقوي البلغم ، والربيع

يقوى الدم .

ثم ينقسم عمر الانسان أربعة أقسام : الصبا وفيه يقوى الدم ، والشباب وفيه تقوى المرة الصفراء ، والكهولة وفيها تقوى السوداء ، والشيخوخة وفيها يقوى البلغم .

وأن البلدان أيضاً تنقسم على أربعة^(١) أقسام : المشرق وطبيعته الحرارة والرطوبة ، وفيه يقوى الدم ، والجنوب^(٢) وطبيعته البرودة واليبس ، وفيه تقوى المرة السوداء ، والغرب وطبيعته البرودة والرطوبة وفيه يقوى البلغم ، واليمين وطبيعته الحرارة واليبس ، وفيه تقوى المرة الصفراء ، وأن بنية الأصول من الجسد ربما كانت مستوية معتدلة الاختلاط وربما كان أحد الاختلاط ! أغلب في البنية فتظهر قوته بأعلامه حتى يكون مقوياً لذلك الخلط إذا هاج .

وقد قال أبقراط : ينبغي أن يكون كل شيء في هذا العالم مقدرًا على سبعة أجزاء ، فالنجوم سبعة ، والأقاليم سبعة والأيام سبعة ، وأسنان الناس سبعة : أولها طفل ، ثم صبي إلى أربع عشرة سنة ، ثم غلام إلى إحدى وعشرين سنة ، ثم شاب ما دام يشب ويقبل الزيادة إلى خمس وثلاثين سنة ، ثم كهل إلى الأربعين^(٣) ، ثم شيخ إلى سبع وأربعين سنة ، ثم هرم إلى آخر العمر .

الهواء وأثره في الانسان والحيوان : وجميع تغير أحوال الحيوان من الناطقين وغيرهم فمن الهواء يكون ذلك .

(١) ترك في إحدى النسخ ذكر المغرب فلم يعرض له ، وترك ذكر الشمال أيضاً ، ثم ذكر تأثير ربيع الجنوب والشمال مقعماً في تضاعيف الكلام ، مما يدعو إلى توهم أنه المتروك .

(٢) في نسخة : والجدي .

(٣) في نسخة : ثم كهل إلى تسع وأربعين سنة ، ثم شيخ ، ثم هرم .

وقد قال الحكيم أبقراط : ان تغير حالات الهواء هو الذي يغير حالات الناس : مرة الى الغضب ، ومرة الى السكون ، والى الهم والسرور وغير ذلك ، واذا استوت حالات الهواء استوت حالات الناس وأخلاقهم .

وقال : ان قوى النفس تابعة لمزاجات الأبدان ، ومزاجات الأبدان تابعة لتصرف الهواء : اذا برد مرة وسخن^(١) أخرى خرج الزرع نضيجاً ومرة غير نضيج ، ومرة قليلاً ومرة كثيراً ، ومرة حاراً ومرة بارداً ؛ فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم ، واذا اعتدل الهواء واستوى خرج الزرع معتدلاً ، فاعتدل بذلك الصور والمزاجات .

الاستدلال بالاقاليم على تأثير الهواء : فأما علة تشابه صور الترك فانه لما استوى هواء بلدانهم في البرد استوت صورهم وتشابهت ، وكذلك أهل مصر لما استوت أهواؤهم تشابهت صورهم ، ولما كان الغالب على هواء الترك البرد وعجزت الحرارة عن تنشيف رطوبات ابدانهم كثرت شحومهم ، ولانت ابدانهم ، وتشبهوا بالنساء في كثير من اخلاقهم ، فضعفت شهوة الجماع فيهم ، وقل ولدهم ، لبرد مزاجهم ، وللرطوبة الغالبة عليهم . وقد يكون ضعف الشهوة ايضاً لكثرة ركوب الخيل . وكذلك نساؤهم : لما سمحت ابدانهم ورطبت ضعفت ارحامهن عن جذب الزرع اليها .

وأما حمرة الوانهم فللبرد كما ذكرنا ؛ لأن البياض اذا الحت عليه البرودة صار الى الحمرة ، وبيان ذلك ان اطراف الأصابع والشفة والأنف اذا اصابها برد شديد احمرت .

وذكر الحكيم أبقراط ان في بعض البلدان من الجنوب بلدة

(١) في نسخة : اذا برد مرة وسكن أخرى .

كثيرة الأمطار كثيرة النبات والعشب ، وأن اشجارها ذاهبة في الهواء ، ومياها عذبة ودواها عظيمة ، وهي خصبة ؛ لأن تلك البلاد لم يلحقها حر الشمس ، ولم يلحقها يبس البرد ، فأجسام أهلها عظيمة ، وصورهم جميلة ، واخلاقهم كريمة ؛ فهم - في صورهم وقاماتهم واعتدال طبائعهم - يشبهون باعتدال زمان الربيع ، غير أنهم اصحاب دعة لا يحتملون الشدائد والكد .

وقال أبقراط في معنى ما وصفنا وما إليه قصدنا ، من بيان الأهوية وتأثيرها في الحيوان والنبات : ان الروح المطبوعة فيها هي التي تجذب الهواء إلينا ، وان الرياح تقلب الحيوان من حال الى حال ، وتصرفه من حر الى برد ، ومن يابس الى رطوبة ، ومن سرور الى حزن ، وكما تغير ما في البيوت من بزر أو عسل أو فضة أو شراب أو سمن فتسخنها مرة وتبردها أخرى وترطبها مرة وتيبسها أخرى ، وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها ، واذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شيء ، فمن تقدم وعرف احوال الأزمنة وتغيرها والدلائل التي فيها عرف السبب الأعظم من أسباب العلم ، وتقدم في حفظ^(١) صحة الأبدان .

أثر الجنوب : وقال أيضا ان الجنوب : اذا هبت اذابت الهواء وبردته ، وسخنت البحار والانهار ، وكل شيء فيه رطوبة ، وتغير لون كل شيء وحالاته ، وهي ترخي الأبدان والعصب ، وتورث الكسل ، وتحدث ثقلا في السماع ، وغشاوة في البصر لأنها تحلل المرة ، وتنزل الرطوبة الى أصل العصب الذي يكون فيه الحس .

(١) في نسخة : من أسباب العالم وتقدم في صحة الأبدان .

أثر الشمال : وأما الشمال فإنها تصلب^(١) الأبدان ، وتصح الأدمغة ، وتحسن اللون ، وتصفى الحواس ، وتقوي الشهوة والحركة ، غير أنها تحرك السعال ووجع الصدر .

وقد زعم بعض من تأخر في الإسلام من الحكماء أن الجنوب إذا هب بأرض العراق تغير الورد ، وتناثر الورق ، وتشقق القنبيط ، وسخن الماء ، واسترخت الأبدان ، وتكدر الهواء ، قال : وذلك شبه ما قاله أبقراط : إن الصيف أوبأ من الشتاء ؛ لأنه يسخن الأبدان فيرخيها ويضعف قواها ، وإن أهل العراق يكون الرجل منهم قائماً في فراشه فيحسن بهوبها ، وإنه إذا هبت الشمال برودة الخاتم في إصبعه واتسع لانضمام البدن^(٢) بها ، وإذا هبت الجنوب سخن الخاتم وضاق ، واسترخى البدن ، وحدث فيه الكسل ، وهذا يحده سائر من بالعراق ممن له حس إذا صرف همه إلى تأمل ذلك ، وكذلك يحده من تأمل ما وصفناه في سائر الأمصار في بقاع الأرض والبلدان ، وإن كان ذلك بالعراق أظهر لعموم الاعتدال .

الرياح الأربعة : ثم قال الحكيم أبقراط في معنى ما ذكرناه : إن الرياح العامة أربعة : أحداها تهب من جهة المشرق ، وهي القبول ، والثانية تهب من المغرب ، وهي الدبور ، والثالثة من التيمن ، وهي الجنوب ، والرابعة من التيسر^(٣) ، وهي الشمال .

فأما الريح التي تهب في بلد دون بلد فإنها تسمى الريح البلدية .

قال المسعودي : وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من

(١) في نسخة : فإنها تطب الأبدان . (٣) في نسخة : والرابعة من الجدي .

(٢) » » : لأنه يضر البدن بها .

الأخبار عن الأرض والبحار ، وكثير من الممالك والبلدان ، وذكرنا في هذا الباب جوامع من الأخبار عن الطبائع والأهوية والبلدان وأرباع الأرض من العامر والنامر ، وغير ذلك مما تقدم ذكره وانتظم تصنيفه واتسّق بحمد الله إرادته ؛ فرأينا أن نختم هذا الباب بجوامع من مساحات الممالك ، وما بينها من البعد والقرب ، على حسب ما حكاه الفزاري صاحب كتاب الزيج والقصيدة في هيئة النجوم والفلك .

مساحات الممالك وما بينها من مسافة : زعم الفزاري أن عمل أمير المؤمنين من كَرْغَانة وأقصى خراسان إلى طَنْجَة بالمغرب ثلاثة آلاف وسبعمئة فرسخ ، والعرض من باب الأبواب إلى جدة ستمائة فرسخ ومن الباب إلى بغداد ثلثمائة فرسخ ، ومن مكة إلى جدة اثنان وثلاثون ميلاً .

عمل الصين من المشرق أحد وثلاثون ألف فرسخ في أحد عشر ألف فرسخ .

عمل الهند في المشرق أحد عشر ألف فرسخ في سبعة آلاف فرسخ .

عمل التبت خمسمائة فرسخ في مائتين وثلاثين فرسخاً .

عمل كابلشاه^(١) أربعمائة فرسخ في ستين فرسخاً .

عمل التفرغز^(٢) بالترك ألف فرسخ في خمسمائة فرسخ .

عمل الترك لحاقان سبعمائة فرسخ في خمسمائة فرسخ .

عمل الخزر واللان سبعمائة فرسخ في خمسمائة فرسخ .

عمل برجان ألف وخمسمائة فرسخ في ثلثمائة فرسخ .

عمل الصقالبة ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ في أربعمائة فرسخ^(٣)

(١) في نسخة : ما ينشاه

(٢) في نسخة : البلفار .

(٣) في نسخة : سبعمائة فرسخ .

وعشرين فرسخا .

عمل الروم بقسطنطينية خمسة آلاف فرسخ في اربعمئة وعشرين فرسخا .

عمل رومية الروم ثلاثة آلاف فرسخ في سبعمئة فرسخ .
عمل الاندلس لعبد الرحمن بن معاوية ثلثمائة فرسخ في ثمانين فرسخا .

عمل ادريس الفاطمي الف ومائتا فرسخ في مائة وعشرين فرسخا .
عمل ساحل سجلماسة لبني المنتصر اربعمئة فرسخ في ثمانين فرسخا .
عمل أنبيه ألفان وخمسمئة فرسخ في مئمة فرسخ .
عمل غانة بلاد الذهب ألف فرسخ في ثمانين فرسخا .

عمل ورام مائتا فرسخ في ثمانين فرسخا .
عمل نخلة مائة فرسخ وعشرون فرسخا في ستين فرسخا .

عمل واح ستون فرسخا في أربعين فرسخا .
عمل البجة مائتا فرسخ في ثمانين فرسخا .
عمل النجاشي ألف وخمسمئة فرسخ في أربعمئة فرسخ .

عمل الزنج بالمشرق سبعة آلاف ومئمة فرسخ في خمسمئة فرسخ .
عمل أسطولا لأحمد بن المنتصر اربعمئة فرسخ في مائتين وخمسين فرسخا .

فذلك الطول اثنان وسبعون ألفا وأربعمئة وثمانون فرسخا ،
والعرض خمسة وعشرون ألفا ومائتان وخمسون فرسخا .

وأما الكلام في وصف أصول الطب ، وهل ذلك مأخوذ من طريق الرياضة والقياس أم من غيره ، ووصف تنازع الناس في ذلك ؛

فلم نتعرض لإيراده في هذا الباب ، وإن كان متعلقاً ومتصلاً بالكلام في الطبائع وجمل المعاني المذكورة في هذا الباب ؛ لأننا قد أوردناه فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار الواصلين على إيضاح جرى بحضرته ، وقد حضر مجلسه حنين بن إسحاق وابن ماسويه وبختيشوع وميخائيل وغيرهم من الفلاسفة والمتطبيين ، فأغنى ذلك عن إيراده في هذا الباب ، ولولا أن الكتاب يردُّ على أغراض مختلفة من الناس لما 'م' عليه من اختلاف الطبائع والتباين في المراد لما ذكرنا بعض ما نورد فيه من أنواع العلوم وفنون الأخبار ، وقد يلحق الإنسان الملل لقراءته ما لا تهوى نفسه فينتقل منه إلى غيره ، فجمعنا فيه من سائر ما يحتاج الناس من ذوي المعرفة إلى علمه ، ولما تغفل بنا الكلام في نظمته وتشعبه واتصاله بغيره من المعاني مما لم يتقدم ذكره ، وقد أتينا على مبسوط سائر ما ذكرناه على الاتساع والإيضاح في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، والله تعالى أعلم .

ذكر

البيوت المعظمة ، والهياكل المشرقة

وبيوت النيران والأصنام

وذكر الكواكب ، وغير ذلك من عجائب العالم

عبادة الهند واتخاذهم الاصنام : قال المسعودي : كان كثير من أهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف يعتقدون أن الله عز وجل جسم ، وأن الملائكة أجسام لها أقدار ، وأن الله تعالى وملائكته احتجبوا بالسماء ، فدعاهم ذلك إلى أن اتخذوا تماثيل وأصناما على صورة البارئ عز وجل ، وبعضها على صورة الملائكة : مختلفة القدود والأشكال ، ومنها على صورة الإنسان وعلى خلافها من الصور ، يعبدونها ، وقربوا لها القرابين ، ونذروا لها النذور ؛ لشبهها عندهم بالبارئ وقربها منه ، فاقاموا على ذلك برهة من الزمان وجلة من الأعصار .

عبادتهم الكواكب واتخاذهم أصناما لها : حق نبههم بعض حكمائهم على أن الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام المرئية إلى الله تعالى ، وأنها حية ناطقة ، وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله ، وأن كل ما يحدث في هذا العالم فإنما هو على قدر ما تجري به الكواكب عن أمر الله ، فمظموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم ، فكثروا على ذلك دهرأ ، فلما رأوا الكواكب تخفى بالنهار وفي بعض أوقات الليل

لما يعرض في الجو من السوائر أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصناما وتماثيل على صورها وأشكالها ، فجعلوا لها أصناما وتماثيل بعدد الكواكب الكبار المشهورة وكل صنف منهم يعظم كوكبا منها ، ويقرب لها نوعا من القرбан خلاف ما للآخر ، على أنهم إذا عظموا ما صوروا من الأصنام تحركت لهم الأجسام العلوية من السبعة بكل ما يريدون ، وبنوا لكل صنم بيتا وهيكلًا مفرداً ، وسموا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب .

وقد ذهب قوم الى ان البيت الحرام هو بيت زُحَل ، وإنما طال عندهم بقاء هذا البيت على مرور الدهور معظما في سائر الاعصار لانه بيت زُحَل ، وأن زحل تولاه ، لان زحل من شأنه البقاء والثبوت ، فما كان له فغير زائل ولا دائر ، وعن التعظيم غير حائل ، وذكروا امورا أعرضنا عن ذكرها لشناعة وصفها .

بوداسف أول الصابئة : ولما طال عليهم العهد عبدوا الاصنام على أنها تقرهم الى الله ، وألفوا عبادة ^(١) الكواكب ، فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر بوداسف بأرض الهند وكان هنديا ، وقد كان بوداسف خرج من أرض الهند الى السند ، ثم سار الى بلاد سجستان وبلاد زابلستان ، وهي بلاد فيروز بن كبك ، ثم دخل السند ثم الى كرمات ، فتنبأ وزعم أنه رسول الله وأنه واسطة بين الله وبين خلقه ، وأتى أرض فارس ، وذلك في اوائل ملك طهمورث ^(٢) ملك فارس ، وقيل : ذلك في ملك جم ، وهو أول من أظهر مذاهب الصابئة على حسب ما قدمنا آنفاً فيما سلف من هذا الكتاب ، وقد كان بوداسف أمر

(١) في نسخة : وألفوا عبادة الكواكب . (٢) في نسخة : طيموت .

الناس بالزهد في هذا العالم والاشتغال بما علا من العوالم ؛ إذ كاث من هنالك بدء النفوس ، واليها يقع الصدر من هذا العالم .

وجدد يوداسف عند الناس عبادة الاصنام ، والسجود لها ، لشبهه ذكرها ، وقرب لمقولهم عبادتها بضروب من الحيل والخدع .

جم أول من دعا الى عبادة النار : وذكر ذوو الخبرة بشأن هذا العالم واختبار ملوكهم أن نجم الملك أول من عظم النار ، ودعا الناس الى تعظيمها ، وقال : انها تشبه ضوء الشمس والكواكب ؛ لان النور عنده أفضل من الظلمة ، وجعل للنور مراقب .

ثم تنازع هؤلاء بعده ، فمظثم كل فريق منهم ما يرون تعظيمه من الأسماء^(١) تقريباً الى الله بذلك ثم تنازعوا برهة من الزمان .

عمرو بن لحي أظهر الأصنام بمكة : ونشأ عمرو بن لحي فساد قومه بمكة^(٢) ، واستولى على أسر البيت ، ثم سار الى مدينة البلقاء من عمل دمشق من أرض الشام ، فرأى قوماً يعبدون الاصنام ، فسألهم عنها ، فقالوا : هذه أرباب نتخذها ، نستنصر بها فننصر ، ونستقي بها فنسقى ، وكل ما نسألهم نعطى^(٣) ، فطلب منهم صنما يدعونه هبل^(٤) ، فسار به الى مكة ونصبه على الكعبة ومعه إساف وثائلة ، ودعا الناس الى تعظيمها وعبادتها ، ففعلوا ذلك ، الى ان أظهر الله الاسلام وبعث محمداً عليه السلام ؛ فطهر البلاد ، وأنقذ العباد .

البيت الحرام : وقد قال هؤلاء : إن البيت الحرام من البيوت السبعة المعظمة المتخذة على اسماء الكواكب من النيرين والخمسة .

(٣) في نسخة: وكل من سألها يعطى .

(٤) » » : فدفعوا اليه هبل .

(١) في نسخة : من الأشياء .

(٢) » » : فسار بقومه الى مكة .

بيت للمجوس بأصبهان : وبيت ثان معظم على رأس جبل بأصبهان يقال له مارس ، وكانت فيه أصنام الى ان اخرجها منه يستأسف الملك لما تمجس وجعله بيت ناره ، وذلك على ثلاثة فراسخ من اصبهان ، وهذا البيت معظم عند المجوس^(١) الى هذه الغاية .

بيت بالهند : والبيت الثالث يدعى مندوسان^(٢) ببلاد الهند وهذا البيت تعظمه الهند وله قرابين تقرب ، وفيه احجار المغناطيس الجاذبة والدافعة والمنفرة من أوصاف لا يسعنا الاخبار عنها ؛ فمن اراد أن يبحث عن ذكرها فليبحث ، فإنه بيت مشهور ببلاد الهند .

بيت البرامكة ببلخ : والبيت الرابع هو النوبهار الذي بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر ، وكان من يلي سدائته تعظمه الملوك في ذلك الصقع ، وتنقاد الى امره وترجع الى حكمه ، وتحمل اليه الاموال . وكانت عليه وقوف ، وكان الموكل بسدائته يدعى البرمك . وهو سمى عامة لكل من يلي سدائته ، ومن أجل ذلك سميت البرامكة ؛ لان خالده بن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت ، وكان بنيان هذا البيت من أعلى البنيان تشييداً ، وكان تنصب على أعلاه الرماح عليها شقائق الحرير الأخضر طول الشقة مائة ذراع فما دونها قد نصب لذلك رماح وخشب تدفع قوة الريح بما عليها من الحرير ، فيقال والله أعلم : ان الريح خطفت يوماً بعض تلك الشقاق ورمته به ، فأصيب على مسافة خمسين فرسخاً ، وقيل أكثر من تلك المسافة ، وهذا يدل على زيادته في الجو وتشيد بنيانه ، وكان الحيز^(٣) المحيط بهذا البنيان أميالاً لم تذكرها ؛ اذ كان أمر ذلك

(١) في نسخة : عند اليهود . (٢) في نسخة : وكانت مسافة البحر المحيط بهذا البنيان .

(٣) » » : سندرساب .

مشهوراً من وصف علو السور وعرضه .

قال المسعودي : وقد ذكر بعض أهل الرواية والتنقيص^(١) أنه قرأ على باب النوبهار ببلخ كتاباً بالفارسية ترجمته « قال بوداسف : ابواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصال : عقل ، وصبر ، ومال » وإذا تحته بالعربية « كذب بوداسف ، الواجب على الحر إذا كان معه واحدة من هذه الثلاث الحصال أن لا يلزم باب السلطان » .

غمدان بصنعاء : والبيت الخامس بيت 'غمدان' الذي بمدينة صنعاء من بلاد اليمن ، وكان الضحاك بناءه^(٢) على اسم الزهرة ، وخربّه عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ فهو في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - خراب قد هدم قصار تلاً عظيماً ، وقد كان الوزير علي بن عيسى بن الجراح - حين نفي الى اليمن وصار الى صنعاء - بنى فيه سقاية وحفر فيه بئراً .

ورأيت غمدان ردماً وتلاً عظيماً قد انهدم بنيانه ، وصار جبل تراب كأنه لم يكن ، وقد كان أسعد بن يعفر صاحب قلعة كحلان النازل بها وصاحب مخاليف اليمن في هذا الوقت ، وهو المعظم في اليمن ، أراد أن يبني غمدان ، فأشار عليه يحيى بن الحسين الحسني أن لا يتعرض لشيء من ذلك ، إذ كان بناؤه على يدي غلام يخرج من أرض سبا وأرض مارب يؤثر في صقع من هذا العالم تأثيراً عظيماً .

(١) في نسخة : الدراية والتنقيص .

(٢) قوله « وكان الضحاك بناءه » قال الجحد : وغمدان كعثمان ، قصر باليمن بناء يشرح بأربعة وجوه : أحمر وأبيض وأصفر وأخضر ، وبني داخله قصراً بسبعة صفوف بين كل سقفين أربعون ذراعاً ، وقوله « يشرح » هو ليشرح بكسر اللام وفتح الياء وسكون الشين .

وقد ذكر هذا البيت جد أمية بن أبي الصلت وقيل : هو أبو الصلت أمية ، واسمه ربعة^(١) في مدحه لسيف بن ذي يزن ، وقيل : ان الممدوح بهذا الشعر معديكرب بن سيف حيث يقول :

اشربْ هنيئاً عليك التاجُ مُرتفعاً برأس غمدان داراً منك بخلا

وكان أبو أمية جاهلياً ، وهو القائل في أصحاب الفيل :

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا بَيِّنَاتٌ ۖ مَا يُبَارِي بَيْنَ إِلَّا كَفُورٌ
 غَلَبَ الْفِيلَ بِالْمُغَمَّسِ حَتَّى ظَلَّ يَجِبُرُ كَأَنَّهُ مَعْقُورٌ ^(٢)
 حَوْلَهُ مِنْ شَبَابٍ كَيِّنْدَةٍ فَتِيَا نٌ ۖ مَلَاوِيثٌ فِي الْحُرُوبِ صَقُورٌ
 وَاضِعًا خَلْفَهُ الْجُرَارَ كَمَا قَطُرٌ صَخْرٌ ۖ مِنْ جَانِبٍ مَحْشُورٌ

وقد قيل : ان ملوك اليمن كانوا اذا قعدوا في اعلى هذا البنيان بالليل واشتعلت الشموع رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام^(٣) .

بيت بفرغانة بخراسان : والبيت السادس كاوسان ، بناء كاوس^(٤)
الملك بناء عجيبا على اسم المدير الاعظم من الاجسام السماوية وهو
الشمس ، بمدينة فرغانة من مداخل خراسان ، وخربه المعتمد بالله ،
ولهدمه هذا البيت خبر طريف قد ائينا على ذكره في كتاب

(١) ووقع في نسخة أخرى : وقد ذكر هذا البيت جد أمية بن أبي الصلت أخو أمية واسمه ربيعة ، والذي في سيرة ابن اسحاق « قال ابن اسحاق : قال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي ، قال ابن هشام : وتروى لأمية بن أبي الصلت »

(٢) المفسر - كمظم ومحدث - موضع بطريق الطائف فيه قبر أبي رغال دليل أبرهة ويرجم ، قاله الجهد . ووقع في إحدى النسخ : ظل يخبر .

(٣) في نسخة : رثى ذلك على مسيرة أيام كثيرة .

(٤) : کارشان شاه ، پناه کارش الملک .

« أخبار الزمان » .

بيوت بالصين : والبيت السابع بأعالي بلاد الصين ، بناء ولد عامور ابن سوبل^(١) بن يافث بن نوح ، وأفرده لليلة الأولى ؛ اذ كان منشأ هذا الملك ومبدأه وباعث الأنوار اليه ، وقيل : إنما بناه بعض ملوك الترك في قديم الزمان وجعله سبعة أبيات في كل بيت منها سبع كَوَيّ يقابل كل كوة صورة منصوبة على صورة كوكب من الخمسة والنيرين من أنواع الجواهر المضافة الى تأثير تلك الكواكب ، من ياقوت او عقيق او زمرد على اختلاف ألوان الجواهر ، ولهم في هذا الهيكل سر يسرونه في بلاد الصين ، بما قد زخرف لهم فيه القول وزينه لهم الشيطان ، ولهم في هذا الهيكل علوم في اتصال الاجسام السماوية وأفعالها بعالم الكون الذي تحدثه ، وما يحدث فيه من الحركات والأفعال عند تحرك الاجسام السماوية ، وقد قرب ذلك الى عقولهم : بأن جعل لهم مثالا من الشاهد يدل على ما غاب عنهم من فعل الاجسام السماوية في هذا العالم ، وهو خشب^(٢) الديباج الذي ينسج به ؛ فبضرب من حركات الصانع بذلك الخشب والخيوط الإبريسم تحدث ضروب من الحركات ، فإذا اتصلت أفعاله وتواترت حركاته من النسج للثوب الديباج تمت الصورة فيه ؛ فبضرب من الحركات يظهر جناح طائر ، وبآخر رأسه ، وبآخر رجلاه ؛ فلا يزال كذلك حتى تتم الصورة على حسب مراد الصانع لها ؛ فجعلوا هذا المثال واتصال الإبريسم بآلة النسج وما يحدثه الصانع في ذلك من الأفعال مثالا لما ذكرنا من الكواكب العلوية ، وهي الاجسام السماوية ، فبضرب من الحركات ظهر في العالم الطائر وبضرب آخر بيضة وبضرب آخر

(١) في نسخة : عامور بن سوبل .

(٢) في نسخة « وهو على حسب الذي نسج فيه بنصب من حركات الطبائع بتلك الخشب » .

فرخ ، وكذلك سائر ما يحدث في العالم ، ويسكن ويتحرك ويوجد
 ويعدم ، ويتصل وينفصل ، ويجتمع ويفترق ، ويزيد وينقص ، من جماد
 أو نبات أو حيوان ناطق أو غير ناطق ، فلأنما يحدث عن حركات
 الكواكب على حسب ما وصفنا من نسج الديباج وغيره من الصنائع ،
 وأهل صناعة النجوم لا يتناكرون أن يقولوا : أعطته الزهرة كذا ،
 وأعطاه المريخ كذا ، كالشجرة وصهوبة الشعر ، وأعطاه زحل خفة
 العارضين وجُحوظ العينين ، وأعطاه عطارد دقة الصنعة ، وأعطاه
 المشتري الحياء والعلم والدين ، وأعطته الشمس كذا ، وأعطاه القمر
 كذا ، وهذا باب يكثر القول فيه ويتسع وصف مذاهب الناس فيه
 وما قالوه في بابه .

ذكر

البيوت المعظمة عند اليونانيين

البيوت المضاف بناؤها إلى مَنْ سلف من اليونانيين ثلاثة بيوت :

بيت انطاكية : فبيت منها كان بانطاكية من ارض الشام ، على
 جبل بها داخل المدينة ، والسور محيط بها ^(١) ، وقد جعل المسلمون
 في موضعه مرقباً لينذروهم مَنْ قد رُتّب فيه من الرجال بالروم
 إذا وردوا من البر والبحر ، وكانوا يعظمونه ، ويقربون فيه القرابين ؛
 فحرب عند مجيء الإسلام ، وقد قيل : إن قسطنطين الأكبر بن
 هيلاني ^(٢) الملكة المظاهرة لدين النصرانية هو المخرب لهذا البيت ،
 وكانت فيه الأصنام والتماثيل من الذهب والفضة وأنواع الجواهر ،

(١) في نسخة : والسور محيط به .

(٢) في نسخة : بن هيلاني .

وقد قيل : إن هذا البيت هو بيت بمدينة أنطاكية على يسرة الجامع اليوم ، وكان هيكلا عظيما ، والصابئة تزعم أن الذي بناه سقلابيوس ^(١) ، وهو في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - سوق يعرف بسوق الجزارين ^(٢) ، وقد كان ثابت بن قرة ابن كراتي ^(٣) ، الصابئي الحراتي - حين وافى المعتضد بالله في سنة تسع وثمانين ومائتين في طلب وصيف الخادم - أتى هذا الهيكل وعظمه ، وأخبر من شأنه ما وصفنا .

الاهرام بمصر : والبيت الثاني من بيوت اليونانيين هو بعض تلك الأهرام التي ببلاد مصر وهو يرى من القسطنطاط على أميال منها .

بيت المقدس : والبيت الثالث هو بيت المقدس ، على ما زعم القوم ، وأهل الشريعة إنما تخبر أن داود عليه السلام بناه ، وأتمه سليمان بعد وفاة أبيه ، والمجوس تزعم أن الذي بناء الضحاك ، وأنه سيكون له في المستقبل من الزمان خطب طويل ، ويقعد فيه ملك عظيم ، وذلك عند ظهور شوبين ^(٤) على بقرة من صفتها كذا ، ومعه من الناس كذا من العدد ، وأقاصيص تدعيها المجوس في هذا المعنى واختلاط طويل ننزه كتابنا عن ذكره ، والله تعالى ولي التوفيق .

(١) في نسخة : سقلاينوس . (٢) في نسخة : بن كراتي .

(٣) » » : يعرف بسوق الحراتين الزرادين . (٤) » » : عند ظهور موسى .

ذكر

البيوت المعظمة عند أوائل الروم

بيت قرطاجنة : كانت البيوت المعظمة عند أوائل الروم قبل ظهور دين النصرانية بيت ببلاد المغرب بمدينة قرطاجنة - وهي تونس - من وراء بلاد القيروان ، وهي من أرض الإفرنجية ، وبني على اسم الزهرة بأنواع من الرخام .

بيت بافرنجية : والبيت الثاني بإفرنجية ، وهو بيت عظيم عندهم .

بيت مقدونية : والبيت الثالث عندهم بمقدونية^(١) ، وأمره مشهور في التشييد ، وما كان من خبره بمقدونية ، وقد أتينا على أخباره وأخبار غيره فيما سلف من كتبنا ، والله تعالى أعلم .

ذكر

البيوت المعظمة عند الصقالبة

البيت الاول : كانت في ديار الصقالبة بيوت تعظمها : منها بيت كان لهم في^(٢) الجبل الذي ذكرت الفلاسفة أنه أحد جبال العالم العالية ، وهذا البيت له خبر في كيفية بنائه ، وترتيب أنواع احجاره ، واختلاف ألوانه^(٣) ، والمخاريق المصنوعة له فيه على أعلاه ، وما من

(١) في نسخة : بمقدونية .

(٢) في نسخة : كان لهم في هذا الجبل .

(٣) في نسخة : واختلاف ألوانها .

مطلع الشمس في تلك التحاريق المصنوعة ، وما أودع فيه من الجواهر والآثار المرسومة فيه ، الدالة على الكائنات المستقبلية ، وما تنذر به تلك^(١) الجواهر من الاحداث قبل كونها ، وظهور أصوات من أعاليه لهم ، وما كان يلحقهم عند سماع ذلك .

البيت الثاني : وبيت اتخذه بعض ملوكهم على الجبل الأسود ، تحيط به مياه عجيبة ذوات ألوان وطعوم مختلفة عامة المنافع ، وكان لهم فيه صنم عظيم على صورة رجل قد^(٢) انحنى على نفسه ، وهو شيخ بيده عصا يحرك به عظام الموتى من النواويس ، وتحت رجله اليمنى صور أنواع من النمل ، وتحت الاخرى غرابيب سود من صور الغداف^(٣) وغيرها ، وصور عجيبة لأنواع من الأحابيش والزنج .

البيت الثالث : وبيت آخر على جبل لهم يحيط به خليج من البحر قد بُنيَ بأحجار المرجان الأحمر ، وأحجار الزمرد الأخضر ، في وسطه قبة عظيمة ، تحتها صنم عظيم أعضاؤه من جواهر أربعة : زمرد أخضر^(٤) ، وياقوت أحمر ، وعقيق أصفر ، وبلور أبيض ، ورأسه من الذهب الأحمر ، وبإزائه صنم آخر على صورة جارية ، وكان يقرب له^(٥) قرابين ودخن ، وكان ينسب هذا البيت الى حكيم كان لهم في قديم الزمان ، وقد أتيينا على خبره ، وما كان من أمره بأرض الصقالبة ، وما أحدث فيهم من الدكوك^(٦) والحيل والتحاريق المصطنعة التي اجتذب بها قلوبهم ، وملك نفوسهم ، واسترق بها عقولهم مع شراسة أخلاق

(١) في نسخة : وما تدل به تلك الجواهر .

(٢) » » : رجل قد اتخذ على هيئة شيخ بيده عصا .

(٣) الغداف - كغراب - غراب النقيظ ، والنسر الكثير الريش ، جمع غدفان ، قاله الجهد .

(٤) في نسخة : زبرجد أخضر .

(٥) كذا في الاصول .

(٦) في نسخة : من الذبول والحيل .

الصقالبة واختلاف طبائعهم ، فيما سلف من كتبنا ، والله تعالى ولي التوفيق .

ذكر

البيوت المعظمة ، والهياكل المشرفة ^(١)

للصابئة وغيرها ، وغير ذلك مما لحق بهذا الباب
واتصل بهذا المعنى

هيكل العقل والعلة الاولى : للصابئة من الحرايين هياكل على اسماء الجواهر العقلية والكواكب ؛ فمن ذلك الهيكل العلة الاولى ، وهيكل العقل ، وما أدري أنساروا إلى العقل الاول أم الثاني ، وقد ذكر صاحب المنطق في كتابه في المقالة الثالثة من كتاب النفس العقل الاول الفعال ، والعقل الثاني ، وذكر ذلك تاسطيس ^(٢) في كتابه في شرح كتاب النفس الذي عمله صاحب المنطق ، وقد ذكر العقل الاول والثاني الاسكندر الافروديسي ^(٣) في مقالة أفردهما في ذلك قد ترجمها اسحاق بن حنين .

جملة من هياكلهم : ومن هياكل الصابئة هيكل السلسلة ^(٤) وهيكل الصورة ، وهيكل النفس ، وهذه 'مدورات الشكل' وهيكل زحل مسدس ، وهيكل المشتري مثلث ، وهيكل المريخ مربع مستطيل ، وهيكل الشمس مربع ، وهيكل عطارد مثلث الشكل ، وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع مستطيل ، وهيكل القمر مثنى الشكل ،

(١) في نسخة : ذكر بيوت معظمة وهياكل شريفة . (٢) في نسخة : والافروديس .

(٢) » » : معيطوس . (٤) » » : هيكل السنبلة .

وللصابئة فيما ذكرنا رموز وأسرار يخفونها .

وقد حكى رجل من ملكية النصارى من أهل حرّان يعرف بالحارث بن سبطاط^(١) للصابئة الحرانين أشياء ذكرها من قرابين يقربونها من الحيوان ودخن للكواكب يبخرون بها وغير ذلك مما امتنعنا عن ذكره مخافة التطويل .

والذي بقي من هياكلهم المعظمة في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - بيت لهم بمدينة حران في باب الرقة يعرف بمغليتيّا^(٢) ، وهو هيكل آزر أبي ابراهيم الخليل عليه السلام عندهم ، وللقوم في آزر وابنه ابراهيم كلام كثير ليس كتابنا هذا موضعاً له ، ولابن عيشون^(٣) الحرائي القاضي - وكان ذا فهم ومعرفة ، وتوفي بعد الثلثمائة - قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب الحرانين المعروفين بالصابئة ، ذكر فيها هذا البيت وما تحته من السراذيب الاربعة المتخذة لأنواع صور الأصنام التي جعلت مثالا للأجسام السماوية وما ارتفع من ذلك من الأشخاص العلوية ، وأسرار هذه الأصنام ، وكيفية ايرادهم لأطفالهم الى هذه السراذيب وعرضهم لهم على هذه الأصنام ، وما يحدث ذلك في ألوان صبيانهم من الاستحالة الى الصفرة وغيرها لما يسمعون من ظهور أنواع الأصوات وفنون اللغات من تلك الأصنام والأشخاص ، بحيل قد اتخذت ومنافيع قد عملت : تقف السدنة من وراء جدر فتتكلم بأنواع من الكلام ، فتجري الأصوات في تلك المنافيع والمخاريق والمنافذ الى تلك الصور الموحدة والأصنام المشخصة ، فيظهر منها نطق على حسب ما قد عمل في قديم الزمان ، فيصطادون به العقول ،

(١) في نسخة : بالحارث بن سبطاط . (٢) في نسخة : ولابن عيشون .

(٣) » » : يعرف بمغليتيّا .

وتسترق بها الرقاب ، ويقام بها الملك والممالك ، وما ذكر في هذه
العصيدة قوله :

إن نفيس المجائب بيت لهم في سرادب
تعبد فيه الكواكب أصنامهم خلف غائب

ولهذه الطائفة المعروفة بالخرانيين والصابئة فلاسفة ، إلا أنهم من
حشوية الفلاسفة ، وعوامهم مباينون لخواص حكمائهم^(١) في مذاهبهم ،
وانما أضفناهم الى الفلاسفة اضافة سبب لا اضافة حكمة ، لأنهم يونانية
وليس كل اليونانيين فلاسفة ، انما الفلاسفة حكماءهم .

ورأيت على باب مجمع الصابئة بمدينة حران مكتوباً على مدقة
الباب بالسريانية قولاً لأفلاطون فسرهُ مالك بن عقبون^(٢) وغيره منهم
وهو من عرف ذاته قاله ، وقد قال أفلاطون « الانسان نبات
سماوي ، والدليل على هذا أنه شبيه شجرة منكوسة أصلها الى
السماء وفروعها في الأرض ، ولأفلاطون وغيره من سلك طريقه في
النفس الناطقة كلام كثير في هل النفس في البدن أو البدن في
النفس ، كالشمس أهي في الدار أو الدار في الشمس ، وهذا قول
يتغلغل بنا الكلام فيه الى الكلام في تنقل الارواح في أنواع الصور .

القول في تنقل الارواح : وقد تنازع أهل هذه الآراء من قصد
هذه المقالة في النقلة على وجهين ، فطائفة من الفلاسفة القدماء
اليونانيين والهند - ممن لم يثبت كلاماً منزلاً ولا نبياً مرسلًا منهم
أفلاطون ومن يمم طريقهم - حكى عنهم أنهم زعموا أن النفس جوهر

(١) في نسخة : مضافون لخواص حكمائهم اضافة سبب .

(٢) » » : مالك بن عقنون .

ليست بجسم ، وأنها حية عالمة مميزة لأجل ذاتها وجوهرها ، وأنها هي المدبرة للأجسام المركبة من طبائع الأرض المتضادة ، وغرضها في ذلك أن تقيمها^(١) على العدل وما تتم به السياسة المستقيمة والنظام المنسوق^(٢) وتردها من الحركة المضطربة الى المنتظمة .

وزعموا أنها قلذ وتآلم وتموت ، وموتها عندهم انتقالها من جسد الى جسد بتدبير ، وبطلان ذلك الشخص الذي فسد ووصف بالموت ، لأن شخصها يفسد ، ولأن جوهرها ينتقل .

وزعموا أنها عالمة بذاتها وجوهرها عالمة بالمعقولات من ذاتها وجوهرها وفيها قبول علم المحسوسات من جهة الحس .

ولأفلاطون وغيره في هذه المعاني كلام يطول ذكره ، ويعجز عن وصفه وإظهاره لاعتياصه وغموضه ، وكذلك صاحب المنطق وفيثاغورس وغيرهما من الفلاسفة ممن تقدم وتأخر ؛ لأن الطالب لعلم هذه الأشياء والإحاطة بفهمها وبلوغ غايتها لا يدرك ذلك ، لما نصبوا من الكتب ، ورتبوا من التصنيف للعلوم المؤدية الى معرفة علومهم وأغراضهم التي اليها قصدوا في كتبهم وهي معرفة الالفاظ الخمس ، وهي : الجنس ، والفصل ، والنوع ، والخاصة ، والعرض ، ثم معرفة المقولات ، وهي عشرة : الجوهر ، والكمية ، والكيفية ، والإضافة - وهي النسبة - وهذه أربع بسائط ، والست الأخر مركبات ، وهي : الزمان ، والمكان ، والجدة - وهي الملك - والوضع ، والفاعل ، والمنفعل ، ثم ما يعد ذلك مما يترقى فيه الطالب الى أن ينتهي الى علم ما بعد الطبيعة من معرفة الاول والثاني .

(١) في نسخة : تقيمها مقام العدل . (٢) في نسخة : والنظام غير المفسد .

عود الى الكلام عن الصابئة : ثم رجع بنا الإخبار عن مذاهب الصابئة من الحرائين ، وذكر من أخبر عن مذاهبهم وكشف عن أحوالهم .

فمن ذلك كتاب رأيته لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي الفيلسوف صاحب كتاب « المنصوري » في الطب وغيره ، ذكر فيه مذاهب الصابئة الحرائين منهم ، دون من خالفهم من الصابئة ، وهم الكنياريون^(١) ، وذكر أشياء يطول ذكرها ويقبح عند كثير من الناس وصفها ، أعرضنا عن حكايتها ؛ إذ كان في ذلك خروج عن حد الغرض من كتابنا إلى وصف الآراء والديانات .

وقد خاطبت مالك بن عقبة^(٢) وغيره منهم بشيء مما ذكرنا وغيره مما عنه كتبنا ، فمنهم من اعترف ببعضه ؛ وأنكر بعضاً من ذكر القرابين وغيره من الآراء ، مثل فعلهم بالثور الأسود ؛ فإنه يضرب وجهه بالملح إذا شدت عيناه ثم يذبح ؛ ويبرأعي كل عضو من أعضائه وما يظهر منه من الحركات والاختلاج على ما يدل ذلك من أحوال السنة وغير ذلك من أسرارهم ومخالاتهم^(٣) ، وأحوال قرابينهم .

قال المسعودي : وقد ذكر جماعة - ممن له تأمل بشأن أمور هذا العالم والبحث عن أخباره - بأن بأقاصي بلاد الصين هيكلاً مدوراً له سبعة أبواب ، في داخله قبة مسبعة عظيمة الشأن عالية السمك ، في أعالي القبة شبه الجوهرة يزيد على رأس العجل قضيء منه جميع أقطار ذلك الهيكل ، وأن جماعة من الملوك حاولوا أخذ تلك الجوهرة فلم يَدْنُ أحد منها على مقدار عشرة أذرع الاخر ميتاً ،

(١) في نسخة : وهم الكنياريون . (٢) في نسخة : وخبائهم .

(٣) » » : وقد خاطب مالك بن عقبة .

وإن حاول أحد منهم أخذ هذه الجوهرة بشيء من الآلات الطوال كالرماح وغيرها ، وانتهت الى هذا المقدار من الذرّع انعكست وتعطلت ، وإن رميت بشيء كان كذلك ، فليس شيء من الحيل يؤدي الى تناولها بوجه ولا بسبب ، وإن تعرض لشيء من هدم هذا الهيكل مات من يروم ذلك ، وهذا عند جماعة من أهل الخبرة لقوة دافعة منفردة قد عملت من أنواع الاحجار المغناطيسية ، وفي هذا الهيكل بشر مسبعة الرأس متى أكب الانسان على رأس البشر إكباباً متمكناً تهوّر في البشر فصار في أسفلها . على أم رأسه ، وعلى رأس هذه البشر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم أراه بقلم المسند ه هذه بشر تؤدي الى مخزن الكتب وتاريخ الدنيا وعلوم السماء وما كان فيها مضى من الدهر وما يكون فيما يأتي منه ، وتؤدي هذه البشر ايضاً الى خزائن رغائب هذا العالم ، لا يعمل الى الوصول اليها والاقتراس منها إلا من وازت قدرته قدرتنا ، واتصل علمه بعلمنا ، وصارت حكمته كحكمتنا ، فمن قدر على الوصول الى هذا المخزن فليعلم أنه قد وازانا ، ومن عجز عن الوصول الى ما وصفنا فليعلم أنا أشد منه بأساً ، وأقوى حكمة ، وأكثر علماً ، وأثقب دراية ، وأتم عناية ، ، والارض التي عليها هذا الهيكل والقبة وفيها البشر أرض حجرية صلبة ، عالية من الارض كالجبل الشامخ لا ترام قلعته ولا يتأتى نقب ما تحته ، فإذا أدرك البصر ذلك الهيكل والقبة والبشر وقع للرائي عند رؤيته ذلك جزع وحزن واجتذاب للقلب اليه وحنين على إفساده ، وتأسف على إفساد شيء منه أو هدمه ، والله أعلم بذلك .

ذكر الاخبار

عن بيوت النيران ، وغيرها

راهم في النار والنور : فأما بيوت النيران ومن رسمها من ملوك
الفرس الأولى والثانية فأول ما يحكى ذلك عنه أفريدون الملك ،
وذلك أنه وجد ثاراً يعظمها أهلها ، وهم معتكفون على عبادتها ،
فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم في عبادتها ، فأخبروه بأشياء
اجتذبت نفسه إلى عبادتها ، وأنها واسطة بين الله وبين خلقه ، وأنها
من جنس الآلهة النورية ، وأشياء ذكروها أعرضنا عن ذكرها
لاعتياصها ، وذلك أنهم جعلوا للنور مراتب ، وفرقوا بين طبع النار
والنور ، وأن الحيوان يجتذب فيحرق نفسه كالفرأش الطائر بالليل ؛
فما لطف يطرح نفسه في السراج فيحرقها ، وغير ذلك مما يقع في
صيد الليالي من الغزلان والطيور والوحوش ، وكظهور الحيتان من الماء
إذا قربت من السراج في الزوارق ، كما يصطاد ببلاد البصرة السمك
في الليل يظهر من الماء طاقياً حتى يقع في جوف المركب والشرج
قد جعلت حواليه ، وأن النور صلاح هذا العالم ، وشرف النار على
الظلمة ومضادته لها ، ومرتببة الماء وزيادته على النار بإطفائه ومضادته
لها وأنه أصل لكل حي ومبدأ لكل قائم .

أماكن بيوت النيران : فلما أخبر أفريدون بما ذكرنا أمر بحمل
جزء منها إلى خراسان ، فاتخذ لها بيتاً بطوس واتخذ بيتاً آخر بمدينة

بُنْخَارَا يقال له بردسورة وبني آخر من بيوت النار بسجستان يقال له كراكركان اتخذ بهمن بن إسفنديار بن يستاسف ، وبیت آخر ببِلاد الشيز والران وكان فيه أصنام فأخرجها أنو شروان ، وقيل : إن أنو شروان صادف هذا البيت وفيه نار عظيمة فنقلها الى الموضع المعروف بالبركة ، وبیت آخر للنار يقال له كوسجة بناه كيخسرو الملك ، وقد كان بقومس بيت للنار معظم لا يدري مَنْ بناه يقال له جريش^(١) . ويقال : إن الإسكندر لما غلب عليها تركها ولم يطفئها ويقال : انه كان في ذلك الموضع فيما مضى مدينة عظيمة عجيبة البناء فيها بيت كبير عجيب الهيئة فيه أصنام فأخربت تلك المدينة بما فيها من البيوت ، ثم بني بعد ذلك بيت وجعلت فيه تلك النار ، وبیت آخر يسمى كنجدة بناه سیاوخس بن كاوس الجبار ، وذلك في زمان لبثه بشرق الصين مما يلي البركنند^(٢) ، وبیت نار بمدينة أرجان من أرض فارس اتخذ في أيام بهراسف .

زرادشت والبيوت التي اتخذها : وهذه البيوت العشرة كانت قبل ظهور زرادشت بن اسبيان نبي المجوس ، ثم اتخذ زرادشت بن اسبيان بعد ذلك بيوت النيران ، وكان مما اتخذ بيت بمدينة نيسابور من بلاد خراسان ، وبیت آخر بمدينة نسا والبيضاء من أرض فارس ، وقد كان زرادشت أمر يستاسف الملك أن يطلب ناراً كان يعظمها جَمَّ الملك فطلبت فوجدت بمدينة خوارزم ، فنقلها بعد ذلك يستاسف الى مدينة درايجرد من أرض فارس وكورها بهذا البيت ، وهذه النار تسمى في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - آزر جوى^(٣) ، وتفسير ذلك نار النهر ، وذلك أن آزر أحد أسماء النار وجوى

أحد أسماء النهر بالفارسية الأولى ، والمجوس تعظم هذه النار ما لا تعظم غيرها من النيران والبيوت .

وذكرت الفرس أن كيخسرو لما خرج غازيا إلى الترك سار إلى خوارزم ، فمر على تلك النار ، فلما وجدها عظمتها وسجد لها ، ويقال : أن أنوشروان هو الذي نقلها إلى الكاريان ، فلما ظهر الإسلام تخوفت المجوس أن يطفئها المسلمون ، فتركوا بعضها بالكاريان ، ونقلوا بعضها إلى نسا والبيضاء من كورة فارس ، لتبقى أحداها أن طفت الأخرى .

بيت باسطخر : وللفرس بيت نار بإسطخر فارس تعظمه المجوس ، وكان في قديم الزمان فأخرجته حامية بنت يمين بن اسفنديار وجعلته بيت نار ، ثم نقلت عنه النار فتخرب ، والناس في وقتنا هذا يذكرون أنه مسجد سليمان بن داود ، وبه يعرف وقد دخلته ، وهو على نحو فرسخ من مدينة إسطخر ، قرأت بنيانا عجيبا ، وهيكل عظيم ، وأساطين صخر عجيبة ، على أعلاها صور من الصخر طريفة ، من الخيل وغيرها من الحيوان عظيمة القدر والأشكال ، يحيط بذلك حيز عظيم وسور منيع من الحجر ، وفيه صور لأشخاص قد تشكلت واتقنت صورها ، يزعم من جاور هذا الموضع أنها صور الأنبياء ، وهو في سفح جبل والريح غير خارجة من ذلك الهيكل في ليل ولا نهار ، ولها هبوب ودوي ، يذكر من هنالك من المسلمين أن سليمان بن داود عليها السلام ، حبس الريح في ذلك الموضع ، وأنه كان يتغدى ببعلبك من أرض الشام ، ويتعشى في هذا المسجد ، وينزل بينها بمدينة تدمر وملعبها المتخذ فيها ، ومدينة تدمر في البرية بين العراق ودمشق وحمص من أرض الشام يكون منها إلى

الشام نحو خمسة أيام أو ستة ، وهي بنيان عجيب من الحجر ، وكذلك الملعب الذي فيها ، وفيها خلق من الناس من العرب من قعطان .

بيت بسابور : وفي مدينة سابور من أرض فارس بيت للنار معظم عندهم ، اتخذها دارا ابن دارا .

بيت بجور : وفي مدينة جور من أرض فارس - وهو البلد الذي يحمل منه ماء الورد الجوري وإليه يضاف - بيت للنار ، بناه أردشير بن بابك ، وقد رأيت ، وهو على ساعة منها على عين هناك عجيبة ، وله عيد ، وهو أحد متزهات فارس ، وفي وسط مدينة جور بنیان كان معظمه الفرس يقال له الطربال^(١) أخربه المسلمون ، وبين جور ومدينة كوار عشرة فراسخ ، وبها يعمل ماء الورد الكواري وإليها يضاف ، وهذا الماء الورد المعمول بجور وكوار أطيب ماء ورد يعمل في العالم ؛ لصحة التربة وصفاء الهواء ، وفي ألوان سكان هذه البلاد حمرة في بياض ليست لغيرهم من أهل الأمصار ومن كوار إلى مدينة شيراز - وهي قصبة فارس - عشرة فراسخ ، ولجور وكوار وشيراز وغيرها من كور فارس أخبار ، ولما فيها من البنيان أقاصيص يطول ذكرها قد دوتها الفرس ، وكذلك ما كان بأرض فارس من الموضع المعروف بماء النار ، وقد بني عليه هيكل .

وكان كورش الملك - حين ولد المسيح عليه السلام - بعث ثلاثة أنفس : دفع إلى أحدهم صرة من لبنان ، وإلى آخر صرة من مر ، وإلى آخر صرة من تبر ، وسيرهم يهتدون بنجم ووصفه لهم ، فساروا حتى انتهوا إلى السيد المسيح وأمه مريم بأرض الشام ، والنصارى

(١) في نسخة : البرمال .

تغلو في قصة هؤلاء النفر ، وهذا الخبر موجود في الانجيل ، وإن هذا الملك كورش نظر إلى نجم قد طلع بمولد المسيح عيسى ، فكانوا إذا ساروا سار معهم ذلك النجم ، وإذا وقفوا وقف بوقوفهم ، وقد أتينا في كتابنا « أخبار الزمان » على شرح هذا الخبر ، وما قالت فيه المجوس والنصارى ، وخبر الرُّغفان التي دفعتها إليهم مريم ، وما كان من الرسل وجعلهم الخبز تحت الصخرة وغَوَّصَها في الأرض ، وذلك بفارس ، وكيف حفر عليها إلى الماء^(١) وأنها وجدت وقد صارت شلتي نار على وجه الأرض تتقدان ، وغير ذلك مما قيل في هذا الخبر .

بيوت أخرى : وقد كان أردشير بنى بيتاً آخر يقال له بارنوا ، وفي اليوم الثاني من غلبته على فارس ، وبيت نار على خليج القسطنطينية من بلاد الروم ، بناء سابور بن أردشير بن بابل - وهو سابور الجنود - حين نزل على هذا الخليج ، وحاصر القسطنطينية في عساكره ، فلم يزل هذا البيت هنالك إلى خلافة المهدي ، فخرّب ، وله خبر عجيب ، وكان سابور الجنود اشترط على الروم بناء هذا البيت وعمارته عند حصاره القسطنطينية ، وكان مسيره في جيوش فارس وغيرها من الترك وملوك الأمم ، فسمي سابور الجنود ؛ لكثرة من تبعه من الجنود .

حصن الحضرة : وقد كان سابور لما سار إلى بلاد الجزيرة^(٢) عدل عن طريقه فتزل الحصن المعروف بالحضر ، وقد كانت هذا الحصن للساطرون بن اسيطرون ملك السريانيين في رستاق يقال له أياجر

(١) في نسخة : وكيف حصر عليها الماء .

(٢) في نسخة : إلى بلاد الحيرة .

من بلاد الموصل ، وقد ذكرته الشعراء ؛ لعظم ملكه وكثرة جيوشه وحسن بنائه لهذا الحصن المعروف بالحضر ، فمن ذكره منهم أبو دؤاد^(١) جارية بن حجاج الايادي بقوله :

وأرى الموت قد تدلى من الحضر على ربّ أهله الساطرون
ولقد كان آمناً للدواهي ذا ثراء وجوهر مكنون

قول في نسب النعمان بن المنذر : وقد قيل : إن النعمان بن المنذر من ولد الساطرون بن اسيطرون يقال : هو النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن الساطرون بن اسيطرون ، والساطرون وأسيطرون هذه ألقاب ، وهم ملوك ملكوا على السريانيين . ثم تملك تلك الديار بعد من ذكرنا من أفنهم الدهر الضيزن بن جبلة ، وجبلة أمه^(٢) وهو الضيزن بن معاوية ملكاً على قومه من تدرخ بن مالك بن فهم بن تيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهو الضيزن ابن معاوية ابن العبيد^(٣) بن حرام بن سعد بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وكان كثير الجنود ، مهادناً للروم ، متحيزاً إليهم ، يغير رجاله على العراق والسواد ، وكان في نفس سابور عليهم ذلك ، فلما نزل على حصنه تحصن الضيزن في الحصن ، فأقام سابور عليه شهراً لا يجد سبيلاً إلى فتحه ، ولا يتأتى له حيلة في دخوله ، فنظرت

(١) في نسخة: أبو داود بن خمران بن حجاج الايادي .

(٢) والذي في معجم ياقوت (٢٩٠ : ٣) « الضيزن بن جبلة أحد الأحلاف » وفيه أنه « الضيزن بن معاوية بن عبيد بن الاحرام بن عمرو بن النخع بن سليح بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة » .

(٣) نسخة في : معاوية بن العتيك .

النضيرة بنت الضيزن يوماً وقد أشرفت من الحصن إلى سابور فهويته وأعجبها جماله ، وكان من أجل الناس وأمدتهم قامة ، فأرسلت إليه : إن أنت ضمنت لي أن تتزوجني وتفضلني على نسائك دلتك على فتح هذا الحصن ، فضمن لها ذلك ، فأرسلت إليه : ائت الثرثار - وهو نهر في أعلاه - فانثر فيه تبناً ثم اتبعه ، فانظر أين يدخل فأدخل الرجال منه ، فإن ذلك المكان يقضي إلى الحصن ، ففعل ذلك سابور ، فلم يشعر أهل الحصن إلا واصحاب سابور معهم في الحصن ، وقد عمدت النضيرة فسقت أباهما الخمر حتى أسكرته طمعاً في تزويج سابور بإياها ، وأمر سابور بهدم الحصن بعد أن قتل الضيزن ومن معه ، وعرض سابور بالنضيرة بنت الضيزن فباتت مسهدة ، فقال لها سابور : ما لك لا تنامين ؟ قالت : إن جنني يتجافى عن فراشك ، قال : ولم فوالله ما نامت الملوك على ألين منه وأوطأ وإن حشوه لزغب النعام ؟ فلما أصبح سابور نظر فإذا ورقة آس بين عكنها ، فتناولها فكاد بطنها أن يدمى ، فقال لها : ويحك ! بم كان أبواك يغذيانك ؟ فقالت : بالزبد والملح والثلج والشهد وصفو الخمر ، فقال لها سابور : إني لجدير أن لا أستبقيك بعد إهلاك أبريك وقومك ، وكانت حالتك عندهم الحالة التي تصفين ، فأمر بها فربطت بغدائرهما إلى فرسين جوحين ، ثم خلى سبيلهما ، فقطعاهما ، ففي هذا الملك المقتول ومن كان معه في الحصن يقول حري بن الدهماء^(١) العبسي :

ألم يحزنك والانباء تنمي بما لاقت سراة بني العبيد
ومصرع ضيزن وبني أبيه وأحلاف الكئائب من تزيد

(١) وفي نسخة : جدي بن الدهمي ، وفي ياقوت « الجدي بن الدهاش ».

أُتِهم بالفيول مجلات وبالأبطال سابور الجنود
فهم من بروج الحصن صخراً كأن بناءه زبرُ الحديد
وفي قتل سابور للنضيرة بنت الضيزن وما كان منها من القدر
بأبيها وقومها وارشاد سابور الى دخول الحصن يقول عدي بن زيد
العبادي :

والحضر 'صبت' عليه دلهية من قصره قد أبدت ساكنها^(١)
ربيعة لم توثق والدها حينها إذ أضاع راقبها
وأسلت أهلها ليلتها تظن أن الرئيس خاطبها
وكان حظ العروس إذ جسر الصبح دماء تجري سبائبها
والشعر في هذه القصة كثير .

رحلة من بيوت النار : وبأرض العراق بيت للشار بالقرب من مدينة
السلام ، بنته بوران بنت كسرى أبرويز الملكة في الموضع المعروف
بأستنيا .

وبيوت النيران كثيرة مما بنته الجوس بالعراق وأرض فارس
وكرمان وسجستان وخراسان وطبرستان والجبال وأذربيجان والران ،
وفي الهند والسند والصين ، أعرضنا عن ذكرها ، وإنما ذكرنا ما
اشتهر منها .

بيت بعل : والهياكل المعظمة عند اليونانيين وغيرهم كثيرة : مثل
بيت بعل ، وهو الصنم الذي ذكره الله عز وجل بقوله : (أتدعون

(١) وفي نسخة : من قصره أبدت مناكبها ، وفي سيرة ابن اسحاق « من فوق أيدي
مناكبها » وفي ياقوت « شديدة أيد مناكبها » .

بعلا وتذرون أحسن الخالقين ؟) وهو بمدينة بعلبك من أعمال دمشق من كورة سنير ، وقد كانت اليونانية اختارت لهذا الهيكل قطعة من الأرض بين جبل لبنان وجبل سنير فاتخذته موضعاً للأصنام ، وهما بيتان عظيمان أحدهما أقدم من الآخر ، فيها من النقوش العجيبة المحفورة في الحجر الذي لا يتأتى حفر مثله في الخشب مع علو سمكها وعظم أحجارها ، وطول أساطينها ، ووسع فتحها ، وعجيب بنيانها ، وقد أتينا على خبر هذه الهياكل وما كان من خبر المقتل على رأس ابنة الملك وما نال أهل هذه المدينة من سفك الدماء .

جيرون بدمشق : وهيكل عظيم البنيان في مدينة دمشق ، وهو المعروف بجيرون ، وقد ذكرنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب وأن بانيه جيرون بن سعد العادي ، ونقل إليه عمه الرخام ، وإنه إرم ذات العماد المذكورة في القرآن ، إلا ما ذكر^(١) عن كعب الأحبار حين دخل على معاوية بن أبي سفيان وسأله عن خبرها وذكر عجيب بنيانها من الذهب والفضة والمسك والزعفران وأنه يدخلها رجل من العرب يتيه له جملان فيخرج في طلبها فيقع إليها ، وذكر حلية الرجل ، ثم التفت في مجلس معاوية فقال : هذا هو الرجل ، وكان الأعرابي قد دخلها يطلب ما كند من إبله ؛ فأجاز معاوية كعباً ، وتبين صدق مقالته وإيضاح برهانه ، فإن كان هذا الخبر عن كعب حقاً في هذه المدينة فهو حسن ، وهو خبر يدخله الفساد من جهات من النقل وغيره ، وهو من صنعة القصاص .

وقد تنازع الناس في هذه المدينة ، وأين هي ؟ ولم يصح عند كثير من الأخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية بأخبار

(١) في نسخة : لا ما ذكر عن كعب .

الماضين وسير الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين فيها ، إلا خبر عبيد بن شريفة وأخباره إياه عما سلف من الأيام ، وما كان فيها من الكوائن والحوادث وتشعب الأنساب ، وكتاب عبيد بن شريفة متداول في أيدي الناس مشهور .

كتاب ألف ليلة وليلة :

وقد ذكر كثير من الناس ممن له معرفة بأخبارهم أن هذه أخبار موضوع من خرافات مصنوعة ، نظمها من تقرب للملوك بروايتها ، وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة بها ، وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية ، وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب هزار أفسانة ، وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية ألف خرافة ، والخرافة بالفارسية يقال لها أفسانة ، والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة ، وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتهما ، وهما شيرزاد ودينازاد ، ومثل كتاب فرزة وسياس وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء ، ومثل كتاب السندباد ، وغيرها من الكتب في هذا المعنى .

أصل مسجد دمشق : وقد كان مسجد دمشق قبل ظهور النصرانية ميكلاً عظيماً فيه التماثيل والأصنام على رأس منارته تماثيل منصوبة ، وقد كان بني على اسم المشتري وطالع سعد ، ثم ظهرت النصرانية فجعلته كنيسة ، وظهر الإسلام فجعل مسجداً ، واحكم بناءه الوليد بن عبد الملك ، والصوامع منه لم تغير ، وهي منائر الأذان إلى هذا الوقت .

البريص بدمشق : وقد كان بدمشق أيضاً بناء عجيب يقال له البريص وهو مبقى إلى هذا الوقت في وسطها ، وكان يجري فيه

الحجر في قديم الزمان ، وقد ذكرته الشعراء في مدحها لمالك غسان
من مأرب وغيرهم .

الديماس بانطاكية ، وهيكل أنطاكية يعرف بالديماس ، على يمين
مسجدها الجامع ، مبني بالآجر العادي والحجر ، عظيم البنيان ، وفي كل
سنة يدخل القمر عند طلوعه من باب من أبوابه ، ومن أعاليه
في بعض الأهل الصيفية ، وقد ذكر أن هذا الديماس من بناء الفرس
حين ملكت أنطاكية ، وأنه بيت ثار لها .
بعض عجائب الدنيا :

قال المسعودي : وقد ذكر أبو معشر النجم في كتابه المترجم
بـ « كتاب الألف » الهياكل والبنيان العظيم الذي يحدث بناؤه في
العالم في كل ألف عام ، وكذلك ذكره ابن المازيار تلميذ أبي معشر
في كتابه « المنتخب من كتاب الألف » وقد ذكر غيرها من تقدم
عصرها ومن تأخر عنها كثيراً من البنيان والعجائب في الأرض ،
وقد أعرضنا عن ذكرها ، وذكر السد الأعظم - وهو سد يأجوج
ومأجوج - وقد تنازع الناس في كيفية بنائه كتنازعهم في إرم ذات
العماد على ما ذكرنا آنفاً ، وكيفية بناء الأهرام الذي بأرض مصر
وما عليها من الكتابة المرسومة ، وما بصعيد مصر من الشبراكبي
المصنوعة ، وبغير أرض الصعيد من بلاد مصر ، وأخبار مدينة العقاب ،
وما ذكر الناس فيها ، وكونها في وهاد مصر وأنها في جهة الواحات
بما يلي المغرب والحبشة ، وخبر العمود الذي ينزل منه الماء في فصل
من السنة بأرض عاد ، وأخبار النمل الذي على قدر الذباب
والكلاب ، وقصة أرض الذهب التي حذاء سجلماسة من أرض المغرب ،
ومن هنالك من وراء النهر العظيم ، ومبايعتهم من غير مشاهدتهم ولا
مخاطبتهم ، وتركهم المتاع ، وغدو الناس إلى أمتعتهم فيجدون أعمدة

الذهب وقد تركت إلى جنب كل متاع من تلك الأمتعة ، فإن شاء مالك المتاع اختار الذهب وترك المتاع ، وإن شاء أخذ متاعه وترك الذهب ، وإن أحب الزيادة ترك الذهب والمتاع ، وهذا مشهور بأرض المغرب بسجلماسة ، ومنها يحمل التجار الأمتعة إلى ساحل هذا النهر ، وهو نهر عظيم واسع الماء ، وكذلك بأقاصي خراسان مما يلي بلاد الترك من أقاصي ديارهم أمة ، تتبايع على مثل هذا الوصف من غير مخاطبة ولا مشاهدة ، وهم هنالك على نهر عظيم أيضاً ، وخبر البشر المعطلة والقصر المشيد ، وذاك ببلاد الشحر من بلاد الأحقاف بين اليمن وحضرموت ، والبشر وما فيها من الخرق واتصالها بالقرى والفضاء من أعلاها وأسفلها وما قاله الناس في تأويل هذه الآية فيها ، وهل المراد بالقصر والبشر هذا القصر والبناء أم غيره ؟ وأخبار مخالفين اليمن ، وهي القلاع والحصون كقلعة نخل وغيرها ، وأخبار مدينة رومية وكيفية بنائها وما حوته من عجيب الهياكل والكنائس والعمود الذي عليه السودانية من النحاس وما يحمل إليها من الزيتون في أيامه بالشام وغيره ، ويحمل ذلك الطائر المعروف بالسودانية في مخالبه ومنقاره ، فيطرحونه في تلك السودانية النحاس ، فيكثر زيتون رومية وزيتها من ذلك ، على حسب ما ذكرنا في أخبار الطلسمات عن بليزوس وغيره في كتابنا « أخبار الزمان » ، ثم أخبار البيوت السبعة التي ببلاد الأندلس وخبر مدينة الصفر وقبة الرصاص التي بمغاز الأندلس ، وما كان من خبر الملوك السالفة فيها وتعدد الوصول إليها ، ثم ما كان من أمر صاحب عبد الملك بن مروان في نزوله عليها ، وما تهافت فيه المسلمون عند الطلوع على سورها ، وأخبارهم عن أنفسهم أنهم وصلوا إلى نعيم الدنيا والآخرة ، وخبر المدينة التي أسوارها من الصفر على ساحل البحر الحبشي في

أطراف مفاوز الهند ، وما كان من أخبار ملوك الهند وعدم وصولهم إليها ، وما يجري من وادي الرمل نحوها ، وما ببلاد الهند من الهياكل المتخذة للأصنام التي على صورة البدرية المتقدم ظهورها في قديم الزمان بارض الهند ، وخبر الهيكل المعظم الذي ببلاد الهند المعروف بالأدري ، وهذا عند الهند يقصد من البلدان الشاسعة ، وله بلد قد وقف عليه وحوله ألف مقصورة فيها جوارح لم تنظر لتعظيم هذا الصنم من الهند ، وخبر الهيكل الذي فيه الصنم ببلاد المولتان على نهر مهران من أرض السند ، وخبر سندات كسرى ببلاد قرماسين من أعمال الدينور من ماء الكوفة ، وكثير من أخبار العالم وخواص بقاعه وأبنيته وجباله ، وبدائع ما فيه من الخلق من الحيوان وغيره ، مما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا ، وكذلك ما خص به كل بلد من أنواع الفواكه دون غيره من البلدان ، في الإسلام وغيره من الممالك ، وما بات به أهل كل بلد من اللباس والاختلاق دون غيرهم ، وما انفردوا به من أنواع الأغذية والمأكول والمشرب والشيم ، وعجائب كل بلد ، وذكرنا أخبار البحار وما قيل في اتصال بعضها ببعض وتغلغل مياهها ، وما يحدث في كل بحر منها من الآفات وما فيه من الجواهر دون غيره من البحار ، كتكوّن المرجان ببحر المغرب ، وعدمه من غيره ، ووجود اللؤلؤ في البحر الحبشي دون غيره .

محاولات قديمة لوصل بحر الروم بالبحر الأحمر : وقد كان بعض من ملوك من الروم حفرَ بين القلزم وبحر الروم طريقاً فلم يتأت له ذلك ؛ لارتفاع القلزم ، وانخفاض بحر الروم ، وأن الله عز وجل قد جعل ذلك حاجزاً على حسب ما أخبر في كتابه ، والموضع الذي حفره ببحر القلزم ، يعرف بذنب التمساح على ميل من مدينة القلزم ،

عليه قنطرة عظيمة يجتاز عليها من يريد الحج من مصر ، وأجرى خليجاً من هذا البحر الى موضع يعرف بالهامة ضيعة لعمد بن علي الماذراني^(١) من أرض مصر في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - فلم يتأت له اتصال ما بين بحر الروم وبحر القازم .

وحفر خليجاً آخر مما يلي بلاد تنيس ودمياط وبحيرتها ، ويعرف هذا الخليج بالزبر والحبية ، واستمر الماء في هذا الخليج من بحر الروم وبحيرة تنيس الى موضع يعرف بنعنعان حتى اتصل بنحو بلاد الهامة ، فكانت المراكب تدخل من بحر الروم الى نحو من هذه القرية ، ومن بحر القازم في خليج ذنب التمساح فيقتابع ارباب المراكب ويقرب حمل ما في كل بحر الى آخر ، ثم ارتدم ذلك على تطاول الدهور ، وملأته السواني من الرمل وغيره .

وقد رام الرشيد أن يوصل بين هذين البحرين مما يلي النيل من اعالي مصبه من نحو بلاد الحبشة وأقاصي صعيد مصر ؛ فلم تتأت له قسمة ماء النيل ، فرام ذلك مما يلي بلاد القراما نحو بلاد تنيس ، على أن يكون مصب بحر القازم الى البحر الرومي ، فقال يحيى بن خالد : يخطف الروم الناس من المسجد الحرام والطواف ، وذلك ان مراكبهم تنتهي من بحر الروم الى بحر الحجاز ، فتطرح سراياها مما يلي جدة ، فيخطف الناس من المسجد الحرام ومكة والمدينة على ما ذكرنا ، فامتنع من ذلك .

وقد حكى عن عمرو بن العاص - حين كان بمصر - أنه رام ذلك ؛ فمنعه منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك لما وصفنا من فعل

(١) في نسخة : : صنعه محمد بن علي الحراني .

الروم وسراياهم ، وذلك في حال ما افتتحها عمرو بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وآثار الحفر بين هذين البحرين فيما ذكرنا من المواضع والخلجان بيينة ، على حسب ما شرعت فيه الملوك السالفة طلباً لعمارة الأرض ، وخصب البلاد ، وعيش الناس بالأقوات ، وأن يحمل الى كل بلد ما ليس فيه من الاقوات وغيرها من ضرور المتافع وضرور المرافق ، والله تعالى أعلم .

ذكر

جامع التاريخ

من بدء العالم إلى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما لحق بهذا الباب

بعض قول الطبيعيين : قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا جملاً من
تباين الناس في بدء العالم ، ممن أثبت حدوثه ونشأه ، وما جرت الآراء
بهم فيه إلى جهات شتى ، وقد أخبرنا أنهم طوائف الهند وفرق من
اليونانيين ، ومن وافقهم على القول بالقدم من الفلكيين والطبيين ،
وما اوردته الفلكية من قولها : إن الحركة الصانعة للأشخاص المحيطة
فيها الأرواح متى قطعت المسافة التي بين العقدة التي ابتدأت منها ،
حتى تنتهي إليه راجعة ، ثم تنفصل عنها - أعادت كل ما بدأت به
أولاً كهيئته وأشخصاصه وصورة وضروب أشكاله ؛ إذ كانت العلة
والسبب اللذين بوجودهما توجد الأشياء قد وُجداً عوداً كما وجدنا بدءاً ،
فوجب ظهور الأشياء متى عادت إلى المبدأ الذي كان عنه الصُّدْر ،
ثم ما تعقب هذا القول من قول الطبيعيين . إن علة كون الأشياء
الجسمانية والنفسانية من قبل حركات الطبائع واختلاطها ؛ لأن الطبيعة
عندهم تحركت في بدوها واختلطت فأظهر الحيوان والنبات وسائر
الموجودات في العالم ، وجعلت لها أصلاً من التناسل ، لما عجزت عن
تبقية الأشخاص وعدلت إلى النسل ، وإن الطبائع تنقل من مركب
إلى بسيط ، ومن بسيط إلى مركب ، حتى إذا أدى المركب كنه ما

فيه عادت الأشياء إلى البسيط ، وابتدأ الكون ماراً على طريقه ؛ لأن الذي أوجبه أولاً قد وجد ، فحقه أن يوجد منه بوجود المعنى الذي أوجده ، فظهر ذلك الظهور ، كالنبات في الربيع ، وتحرك قوته تحت الثرى ، وذلك أن الشمس تبلغ في الربيع إلى رأس الحمل ، بادئة في شرفها ، آخذة في ممرها ، وهي العلة الكبرى في إحياء النبات ويأخذ الثمر في الظهور من الشجر بادئاً كما كان ظاهراً بالمثال الأول الذي قد باد في الشتاء ويبسه وبرده ، لأن علة الكون الحرارة والرطوبة وعلة الفساد البرد واليبس ، فإذا انتقلت الأشياء من الحرارة والرطوبة إلى البرد واليبوسة فارقت الكون المتمم ودخلت الفساد ، فإذا انتهى بها الفساد إلى غايته وأوصلها إلى نهايته عاقبها الكون بوصول الشمس إلى رأس الحمل ، فبدأ بها كمادته في إنشائها ، وأبرزها من خساسة الفساد إلى نقاسة الكون ، ولو كانت الحواس تضبط شأن الأجسام وتحيط بانتقالها من حال إلى حال لشاهدت ممرها في دائرة الزمان ، مبتدئة من رتبة ، راجعة إليها ، مشكلة في محيط الدائرة بأشكال توافق بعضها ، والشكول مختلفة باختلاف العلل ، متفرقة كاختلاف الأسباب ، وفي هذا القول من هذه الطائفة ما صرح بالقول بالقدم وأبان عنه .

دليل على حدوث العالم : وقضية الفحص توجب أن الأشياء الموجودة غير خالية من إحدى المتزلتين : إما أن يكون بدء وانتهاء ، وإما أن يكون بلا بدء ولا انتهاء ، فإن كان بلا بدء ولا انتهاء فواجب أن تكون أجزاؤها وأبعضها غير متناهية ، وواجب أن يكون الزمان غير عاد لها ولا حاصر لجميعها وقد وجدنا التناهي والابتداء في أجزائها وأبعضها على الدوام ، وأنا

في كل يوم جديد نعاين خلقاً جديداً ، وصوراً في العالم لم تكن وصوراً
بأدنة قد كانت . متائلة ، وفي هذا ما يدل على حصر الأشياء ووقوعها
في غاية انتهاء صورها ، وواجب أن للأشياء بدءاً وانتهاءً ، وبطل وهم
المتوهم أن الأشياء بلا نهاية ؛ وإن ليس لها ابتداء ولا غاية ، وذلك
باطل ومحال فاسد ، ولو وجب أن تكون الأشياء الموجودة بلا بدء
ولا نهاية لوجب أن لا يزول شيء من مركزه ، ولا يتحول عن رتبته ،
ولبطلت الاستعالة ، وسقطت المضادة ، وهذا مستحيل ، ولو وجب أن
تكون الأشياء على غير نهاية ، لما كان لقولنا اليوم وأمس وغداً
معنى ؛ لأن هذه الأزمان تعد ما هو بالنهاية ، ويوجد في حوزتها
إيجاد ما لم يكن وإدخالها في حوزتها ما هو كائن .

وفيا ذكرنا ما أوضح عن ثقل شأن المعاني ، ودل على حدوث
الاجسام ، وهذه الدلالة مأخوذة من الحس ، ومستظهرة^(١) للعقول
والبعث .

المحدث للعالم : إذ قد وضح ان الأشياء 'محدثّة' لكونها بعد أن لم
تكن فلا بد لها من محدث هو بخلافها لا شكل له ولا مثل ؛ لأن
العقل لا يقيم لشيء مثلاً حتى يعلم له قدراً ووزناً ، ويعادله بمثله
وشكله ، وتعالى جل وعز من لا تعبّر عن ذاته اللفات ، وتعجز
العقول أن تحصره بالصفات ، وتدركه بالإشارات ، أو يكون ذا
غايات ونهايات .

قال المسعودي : فلنرجع الآن الى الكلام في حصر تاريخ العالم
ووصف أقاويل الطوائف في ذلك المعنى ؛ لأننا انما ذكرنا الكلام في

(١) في نسخة : ومضطرة في العقل والبحث .

حدوث العالم لما ذكرنا قول من قال بقدمه ودل على ازليته ، وقد تقدم ذكرنا لقول الهند في ذلك فيما سلف من هذا الكتاب .

عصر الدنيا : وأما اليهود فإنهم زعموا ان عمر الدنيا ستة^(١) آلاف سنة وأخذوا في ذلك مأخذاً شرعياً ، وذهبت النصارى الى ان عمر العالم ما ذهبت اليه اليهود ، وأما الصائفة من الخرافيين والكهاريين^(٢) فقد ذكرنا قولهم في ذلك في جملة قول اليونانيين ، وأما المجوس فإنهم ذهبوا في ذلك الى حد غير^(٣) معلوم من نفاذ قوة الهرمند وكيدده ، وهو الشيطان ، ومنهم من ذهب في ذلك الى نحو ما ذهب اليه أصحاب الاثني في المزاج والخلاص^(٤) ، وأن العالم سيعود بدءاً متخلصاً من الشرور والآفات .

وزعمت المجوس أن من وقت زرادشت بن أسبيانت نبيهم الى الاسكندر مائتين وثمانين سنة ، وملك الاسكندر ست سنين ، ومن ملك الاسكندر الى ملك أردشير خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة ، ومن ملك أردشير الى الهجرة خمسمائة سنة وأربع وستون سنة ؛ فذلك من هبوط آدم الى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة سنة وست وعشرون سنة ؛ منها من هبوط آدم عليه السلام الى الطوفان ألفان ومائتان وست وخمسون سنة ، ومن الطوفان الى مولد إبراهيم الخليل عليه السلام ألف وتسع وسبعون سنة ، ومن مولد إبراهيم الى ظهور موسى بعد ثمانين سنة خلت من عمر موسى ابن عمران - وهو وقت خروجه ببني اسرائيل ، من مصر الى التيه - خمسمائة وخمس وستون سنة ، ومن خروجهم الى سنة أربع من ملك

(١) في نسخة : سبعة آلاف سنة .

(٣) » » : الى حد معلوم .

(٢) » » : والكتابين .

(٤) في نسخة : أصحاب الأنيس والجلال .

سليمان بن داود - عليه السلام ! - وذلك وقت ابتدائه في بناء بيت المقدس - مئة وست وثلاثون سنة ، ومن بناء بيت المقدس الى ملك الاسكندر سبعمائة وسبع عشرة سنة ، ومن ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ، ومن مولد المسيح الى مولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وإحدى وعشرون سنة ، وبين أن رفع الله المسيح ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، الى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وست وأربعون سنة ، وبين مبعث المسيح وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وأربع وتسعون سنة ، وكانت وفاة نبينا صلى الله عليه وسلم في سنة تسعمائة وخمس وثلاثين سنة من سني ذي القرنين ، ومن داود الى محمد صلى الله عليه وسلم ألف سنة وسبعمائة سنة وستين سنة وأربعين سنة ، ومن ابراهيم الى محمد صلى الله عليه وسلم ألف سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وستة أشهر وعشرة أيام ، ومن نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وعشرة أيام فعلى هذا القول جميع جملة التاريخ ، من هبوط آدم الى الأرض ، الى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، أربعة آلاف سنة وثمانمائة سنة وأحدى عشرة سنة وستة أشهر وعشرة أيام ، فجملة التاريخ من هبوط آدم الى الأرض الى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، من خلافة المتقي بالله ونزوله الرقة من ديار مصر - خمسة آلاف سنة ومائة وست وخمسون سنة .

وقد ذكرنا جملا من التاريخ فيما سلف من هذا الكتاب فلم نعد منه ما تقدم .

وللمجوس في التواريخ أقاصيص يطول ذكرها ، وعود الملك إليهم

والى غيرهم من الطوائف السالفة في بدو العالم وفنائهم ، ومن قال منهم ببقائه ، وأن لا بدء له ولا نهاية ، ومن ذهب منهم الى ان له انتهاء ولا بدء له ، وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن الإعادة في هذا الكتاب ؛ لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والإيجاز والتنبيه على ما سلف لنا من الكتب .

رأي اهل النظر من المسلمين : وقد ذهب جماعة من اهل البحث والنظر من اهل الاسلام الى أن الدلالة قد قامت على حدوث العالم وكونه بعد أن لم يكن ، وأن المحدث له الخالق البارئ جل وعز ، أحدثه لا من شيء ، ويبعثه لا من شيء في الآخرة ليصح بذلك وعده ووعيده ، إذ كان الصادق في وعده ووعيده لا مبدل لكلماته ، وأن اول العالم من لدن آدم ، وقد غاب عنا حصر السنين وإحصاؤها ، وتنازع الناس في بدء التاريخ ، والكتاب لم يخبر بحصر أوقاته ولا بيّن عن كميته ولا أعداد سنه فيما مضى ، وليس علم ذلك مما تهجم عليه الآراء ، ولا تحصره أقضية العقول وموجبات الفحص وضرورات الحواس عند مذاكرتها لمحوساتها ، فكيف توجب (١) أن يوقت عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة ، والله عز وجل يقول وقد ذكر الأجيال ومن ضمه الهلاك : « وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقرونًا بين ذلك كثيراً » ، والله تعالى ذكره لا يقول الكثير إلا في الشيء الحقيقي الكثير ، وأعلمنا في كتابه خلقه آدم وما كان من أمره وأمر الأنبياء بعده ، وأخبر عن شأن بدء الخلق ، ولم يخبرنا بمقدار ذلك فنقف عليه كوقوفنا عندما أخبرنا به ، ولا سيما مع علمنا أن المدى (٢) بيننا وبينه متفاوت ، وأن الارض كثرت بها المدن

(١) في نسخة : فكيف يحوز أن يوقت - الخ .

(٢) » » : أن البدء

والملوك والمعائب ، فلا نحصر ما لم يحصره الله عز وجل ، ولا نقبل من اليهود ما اوردته ؛ لنطق القرآن أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتُمون الحق وهم يعلمون ، ونقيهم النبوات^(١) وجحدهم ما أوتوا به من الآيات بما اظهره الله عز وجل على يدي عيسى بن مريم من المعجزات ، وعلى يدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من البراهين الباهرات والدلائل والعلامات ، والله عز وجل يخبرنا بما أهلك من الأمم لما كان من فعلهم وكفرهم برهم ، قال الله عز وجل : (الحاقة ما الحاقة ؟ وما ادراك ما الحاقة ؟ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) إلى قوله : (فهل ترى لهم من باقية ؟) ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم « كذب النسابون » وأمر أن ينسب إلى معد^(٢) ونهى أن يتجاوز بالنسب إلى ما فوق ذلك ؛ لعله بما مضى من الأعصار الحالية والأمم الفانية ، ولولا أن النفوس إلى الطارف أحن ، وبالنواذر أشغف ، وإلى قصار الأحاديث أميل وبها أكلف ، لذكرنا من أخبار المتقدمين وسير الملوك الغابرين ما لم نذكره في هذا الكتاب ، ولكن ذكرنا فيه ما قرب تناوله تلويحاً بالقول دون الايضاح والشرح ؛ إذ كان مَعُولُنَا في جميع ذلك على ما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا ، وإذا علم الله عز وجل موقع النية ووجد القصد أعان على السلامة من كل مخوف .

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من كل فن من العلوم وكل باب من

(١) » : ودفعهم النبوات .

(٢) المؤلف ذكر معداً ، وإنما هو عدنان ، كما ذكر في كثير من مصنفات التاريخ والحديث ، والاجماع على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوزوه .

الآداب - على حسب الطاقة ومبلغ الاجتهاد والاختصار والإيجاز -
لمعاً سيعرفها^(١) من تأمل ، وينبه بها مَنْ رآها .

وإذ قد ذكرنا جوامع ما يحتاج المبتدي والمنتهي من علوم العالم
وأخباره ؛ فلنذكر الآن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولده ،
ومبعثه ، وهجرته ، ووفاته ، وأيام الخلفاء والملوك ؛ عصرأً فعصرأً ، إلى
وقتنا هذا ، ولم نعرض في كتابنا هذا لكثير من الأخبار ، بل لوحنا
بالقول بها تخوفاً من الإطالة ووقوع الملل ، إذ ليس ينبغي للعاقل
أن يحمل البنية^(٢) على ما ليس في طاقتها ، ويسوم النفس ما ليس
في جيلتها ، وإنما الألفاظ على قدر المعاني فكثيرها لكثيرها ،
وقليلها لقليلها ، وهذا باب كبير ؛ وبعضه ينوب عن بعض ، والجزء
منه يوهمك الكل ، والله تعالى ولي التوفيق .

(١) » : يشعر فيها من تأمله وينبه عليها من رآها .

(٢) » : أن يحمل لسانه ما ليس في طاقتها ، محرفاً

ذكر

مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسبه

وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

تقديم : قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا بدء التاريخ في أخبار العالم^(١) وأخبار الأنبياء والملوك وعجائب البر والبحر ، وجوامع التاريخ للفرس والروم والقيبط وشهور الروم والقيبط ، وما كان من مولد النبي صلى الله عليه وسلم إلى مبعثه ، و ' آمل ' قبل رسالته ، وما دما في هذا الكتاب من كان بينه وبين المسيح من أهل الفترة فلندرك الآن مولده ؛ إذ كان الطاهر المطهر الأغر الأزهر ، الذي اتسعت أعلام نبوته ، وتواترت دلائل رسالته ، ونطقت الشهادات له قبل بعثته .

نسبه الشريف : وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن نابخور ابن سود بن يعرب بن شجب بن ثابت بن اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن بن تارح وهو آذر بن نابخور بن ساروخ بن أرعواء بن فالع ابن عابر بن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح بن ملئك بن متوشلح

(١) في نسخة : في خلق العالم .

ابن أخنوخ بن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام^(١).

وهذا ما في نسخة ابن هشام في كتاب المقازي والسير عن ابن إسحاق ، والنسخ مختلفة الأسماء في النسب من تزار .

الخلاف في نسب معد بن عدنان : وفي نسخة أن تزارا بن معد بن عدنان بن أدد بن سام بن يشجب بن يعرب بن الهيميسع بن صانوع بن يامد بن قيدير بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح بن فاختور بن أرعواء بن أمروح بن فالغ بن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح بن متوشلخ بن أخنوخ بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم .

وفي رواية ابن الأعرابي عن هشام بن محمد الكلبي : هو تزار ابن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهيميسع بن نبت بن سلامان بن قيدير بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل بن تارح بن فاختور بن أرعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام .

وفي التوراة أن آدم عليه السلام عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة ؛ فيجب والله أعلم أن آدم عليه السلام كان عند مولد لمك - وهو أبو نوح النبي عليه السلام - ابن ثمانمائة سنة وأربع وستين سنة ، وشيث ابن سبعمائة وأربع وأربعين سنة ؛ فيجب على هذا الوصف

(١) الأسماء من بعد عدنان فيها اختلاف كثير في العدة والضبط ، انظر سيرة ابن هشام الجزء الأول .

الجزء الثاني ، ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه
من الحساب أن مولد نوح عليه السلام كان بعد وفاة آدم بمائة وستة
وعشرين سنة .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم - على حسب ما ذكرنا من
نَهْيِهِ - أن يتجاوز عن معد ؛ فقد ثبت أن نتوقف في النسب
على معد ، وقد اختلف أهل النسب على ما ذكرنا ، فالواجب
الوقف عند أمره عليه السلام ونهيه .

قال المسمودي : وقد وجدت نسب معد بن عدنان في
السفر الذي أثبتته باروخ بن ثاريا كاتب أرميا^(١) النبي صلى الله
عليه وسلم أن معداً ابنُ عدنان ابن أد بن الهميسع بن سلامان
ابن عوص بن برو بن متساويل بن أبي العوام بن ناسل بن حرا
ابن يلدارم بن بدلان بن كالح بن ناجم بن ناخور بن ماحي بن
عسقي بن عنف بن عبيد بن الرعاء بن حمران بن يسن بن هري
ابن بحري بن يلخي بن أزعوا بن عنفاء بن حسان بن عيسى بن
أقتاد بن إيهام بن معصر بن ناجب بن رزاح بن سمي بن مر بن
عوص بن عوام بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه
السلام^(٢) .

وقد كان لأرمياء مع معد بن عدنان أخبار يطول ذكرها ،
وما كان من أمرها بالشام ، وقد أتينا على ذكر ذلك فيما سلف
من كتبنا ، وإنما ذكرنا هذا النسب من هذا الوجه ليعلم تنازع
الناس في ذلك .

(١) » » : كاتب أمر النبي ، تعريف .

(٢) وكما اختلف النسابون في عدد هذه الأسماء وألفاظها اختلفت نسخ هذا الكتاب اختلافاً
كثيراً ، وقد أثبتنا -١- في إحدى النسخ .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تجاوز معد ؛ لعله من تباعد الأنساب وكثرة الآراء في طول هذه المدة والأعصار .

كنية الرسول : وكنيته صلى الله عليه وسلم : أبو القاسم ، وفي ذلك بقول الشاعر :

لله من قد برأ صفوة^(١) وصفوة الخلق بنو هاشم^(٢)
وصفوة الصفوة من هاشم محمد للنور أبو القاسم

اسمائه . وهو محمد ، وأحمد ، والمأحي الذي يحو الله به الذنوب والعاقب ، والحائر الذي يحشر الله الناس على عقبه ، صلى الله عليه وسلم .

مولده : وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل ، وكان بين عام الفيل وعام الفِجَارِ عشرون سنة ، والفِجَارُ^(٢) حرب كانت بين قيس عيلان وبني كنانة ، استحلوا فيها القتال في الأشهر الحرم ، فسميت الفِجَارُ ، وكنانة : ابن خديجة بن مدركة ، وهو عمرو ، بن الياس ، مصر بن نزار ، وكان ولد^(٣) إلياس عمراً وعامراً وعميراً^(٣) ،

(١) برا : أصله أ ، وممه خلق ، فسيل الحمزة بقلبها ألفاً .

(٢) قال الجوهري . « الفجار : يوم من أيام العرب ، وهي أربعة أشهر كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس بن عيلان في الجاهلية ، وكانت الدبرة على قيس ، وإنما سميت قريش هذه الحرب فجاراً لأنها كانت في الأشهر الحرم ، فلما قاتلوا فيها قالوا : قد فجارنا ، فسميت فجاراً . »

(٣) قوله « وكان ولد الياس » الخ قال المحدث : « وولد إلياس بن مصر عمراً وهو مدركة وعامراً وهو طابخة وعميراً وهو قعدة ، وهم خندف كزبرج وهي ليلى بنت حلوان بن عمران ، وكان الياس حرج في حمة فعمرت ابنة من رنب ، فخرج إليها عمرو فأدركها ، وخرج عامر فتصيدا وطبخها . انقمع عمير في الحب . » وخربت أمهم تسرع ، فقال لها الياس : أين تخدفين ؟ فقالت : ما زلت أحنف في أثركم ، فلقبوا مدركة وطابخة وقعدة وخندف . »

فعمرو هو 'مدركة' ، وعامر هو طابخة ، وعير هو قعدة ، وكانت أمهم ليلى بنت 'حلوآن بن عمران بن إلخاف بن قضاعة وهي خندف' ؛ فغلب على من ذكرنا الألقاب ، ونسب ولد إلياس إلى أمهم خندف ، وفي ذلك يقول 'قصي' بن كلاب بن مرة :

إني لدى الحرب وحي وأبي عند تناديهم بآل وهب
معدم الصولة عالي النسب أمي خندف وإلياس أبي^(١)

بطون قريش : وقريش خمسة وعشرون بطناً ، وهم : بنو هاشم بن عبد مناف ، بنو المطلب بن عبد مناف ، بنو الحارث بن عبد المطلب ، بنو أمية بن عبد شمس ، بنو نوفل بن عبد مناف ، بنو الحارث ابن فهر ، بنو أسد بن عبد العزى ، بنو عبد الدار بن 'قصي' - وهم حجة الكعبة - بنو زهرة بن كلاب ، بنو ثيم بن مرة ، بنو مخزوم ، بنو يقظة ، بنو مرة ، بنو عدي بن كعب ، بنو سهيم ، بنو ملح ، وإلى هنا تنتهي قريش البطاح على حسب ما قدمناه فيما سلف من هذا الكتاب ، بنو مالك بن حنبل ، بنو مغيط بن عامر ابن لؤي ، بنو نزار بن عامر بنو سامة بن لؤي ، بنو الأدرم ، وهو كيثم بن غالب ، بنو محارب بن فهر ، بنو الحارث بن عبد الله ابن كنانة ، بنو عائدة ، وهو خزيمة بن لؤي ، بنو نباتة ، وهو سعد ابن لؤي ، ومن بني ملك إلى آخر القبائل في قريش الظواهر على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ، عند ذكرنا للمطيين وغيرهم من قريش .

حلف الفضول : وكان من حروب الفِجَار ما ذكرنا للمتفاخرين
بالعشائر والتكاثر ، وانتهى الفِجَار في شوال ، وكان حلف الفضول بعد
منصرفهم من الفِجَار ، فقال بعضهم :

نحن كُنَّا الملوكة من آل نجد وحماة الزمان عند الذمار^(١)
ومنعنا الحِجُونَ من كل حي ومنعنا الفِجَار يوم الفِجَار

وفي ذلك قال خدّاش بن زهير العامري :

فلا توعديني بالفِجَار فإنه أحلّ ببطحاء الحِجُونَ المخازيا

سبب حلف الفضول : وقد كان الحِلْفُ في ذي القعدة بسبب
رجل من زبيد من اليمن ، وكان باع سلعة له من العاص بن وائل
السهمي ، فمطّله بالثمن حتى يش ، فعلا جبل أبي قبيس ، وقريش
في مجالسها حول الكعبة ، فنادى بشعر يصف فيه ظلّامته ، رافعاً
صوته منادياً يقول :

يا للرجال مظلوم بضاعته ببطن مكة نادى الحي والنفر^(٢)
إن الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدير

فمشت قريش بعضها الى بعض ، وكان أول من سمى في ذلك الزبير
ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، واجتمعت قبائل قريش في
دار الندوة ، وكانت للحلّ والعقد ، وكان ممن اجتمع بها من قريش
بنو هاشم بن عبد مناف ، وبنو المطلب بن عبد مناف ، وزهرة بن
كلاب ، وتيم بن مرة ، وبنو الحارث بن فهر ، فاتفقوا على أنهم

(١) في نسخة : وحماة الذمار عند الدمار .

(٢) في رواية « ببطن مكة نائي الحي والنفر » وهو الصواب .

يتصفون المظلوم من الظالم ، فساروا إلى دار عبد الله بن جدعان ، فتحالفوا هنالك ؛ ففي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب :

حلفت لنعقدن حلفاً عليهم وإن كنا جميعاً أهل دار
نسميه الفضول إذا عقدنا يعزبه الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالي البيت أنا أباة الضيم نهجر كل عار

وقد قدمنا في كتابنا الأوسط أخبار الأحلاف والفجارات الأربعة :
فجار الرجل ، أو فجار بدر^(١) بن معشر ، وفجار القرد^(٢) ، وفجار
المرأة ، والفجار الرابع هو فجار البراض ، وبين الفجار الرابع الذي كان
فيه القتال ، وبين بنيان الكعبة خمس عشرة سنة ، وكان من
حضور النبي صلى الله عليه وسلم ومشاهدته الفجار الرابع إلى أن
خرج إلى الشام في تجارة خديجة ، ونظر نسطور الراهب إليه وهو في
صومعته ، والنبي صلى الله عليه وسلم مع ميسرة ، وقد أظلمت غمامة ،
فقال : هذا نبي ، وهذا آخر الأنبياء - أربع سنين ، وتسعة أشهر ،
ومئة أيام ، وإلى أن تزوج خديجة بنت خويلد شهران ، وأربعة
وعشرون يوماً ، وإلى أن شهد بنيان الكعبة ، وحضر منازعة قريش
في وضع الحجر الأسود عشر سنين .

قريش تبني الكعبة : وقد كان السيل هدم الكعبة فسرق منها
لما انهدمت غزال من الذهب وحلي وجواهر ، فنقضتها قريش ، وكان

(١) في نسخة : وفجار زيد بن معشر ، والتصويب عن إحدى النسخ لما في الأغاني (١٩ : ٧٤ بولاق)
(٢) » » : وفجار ألف رد ، وفجار المرأة ، ولا معنى له ، وأثبتنا ما في إحدى
النسخ ، وانظر الأغاني ، واعلم أن الفجارات التي ذكرها المؤلف أربعة ، وهي أيام الفجار
الأول ، وربما عد آخر ما ذكره هو يوماً من أيام الفجار الثاني . تفصيل ذلك في الأغاني
(١٩ : ٧٤ وما بعدها طبع بولاق .

في حيطانها 'صور كثيرة بأنواع من الأصباغ عجيبة : منها صورة إبراهيم الخليل في يده الأزام ، ويقابلها صورة إسماعيل ابنه على فرس 'يمييز بالناس 'مفيضاً ، والفاروق قائم على وفد من الناس يقسم فيهم ، وبعد هذه الصور صور كثير من أولادهم إلى قصي بن كلاب وغيرهم ، في نحو من ستين صورة مع كل واحد من تلك الصور إله 'ساحبها ، وكيفية عبادته ، وما اسنهر من عمله .

وضع الحجر الأبدى لما بنى قريش الكعبة ورفعت سمكها وتأتى لها ما أرادت في بديانها من الخشب الذي ابتاعوه من السفينة التي رمى بها البحر إلى ساحلهم ، التي بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر إلى الحبشة ، لتبنى هنالك له كنيسة ، وانتهوا إلى موضع الحجر على ما ذكرنا وتنازعوا أيهم يضعه ، فاتفقوا أن يرضوا بأول من يطلع عليهم من باب بني شيبه ، فكان أول من ظهر لأبصارهم النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك الباب ، وكانوا يعرفونه بالأمين ؛ لوقاره وهدنه وصدق اللهجه ، واجتنابه القاذورات والأدناس ، فحكموه فيما تنازعوا فيه ، وانقادوا إلى قضائه ، فبسط ما كان عليه من رداء ، وقيل : كساء طاروني ، وأخذ عليه الصلاة والسلام الحجر فوضعه في وسطه ، ثم قال لأربعة رجال من بني - وهم أهل الرياسة فيهم ، والزعماء منهم ، وهم : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم ، وقيس بن عدي السهمي - ليأخذ كل واحد منهم يجنب من حنات هذا الرداء ، فشالوه حتى ارتفع عن الأرض ، وأدنوه من موضعه ، فأخذ عليه الصلاة والسلام الحجر

ووضعه في مكانه وقريش كلها حضور ، وكان ذلك أول ما ظهر من فعله وفضائله وأحكامه .

فقال قائل ممن حضر من قريش متعجباً من فعلهم وانقيادهم إلى أصفرهم سنأ : واعجباً لقوم أهل شرف ورياسة وشيوخ وكهول عمدوا إلى أصفرهم سنأ ، وأقلهم مالاً ، فجعلوه عليهم رئيساً وحاكماً ! أما اللات والعزى ليفوقنهم سبقاً ، وليقسمن بينهم حظوظاً وجدوداً وليكوننَّ له بعد هذا اليوم شأن ونبأ عظيم . وقد تنوزع في هذا القائل : فمن الناس من رأى أنه إبليس ظهر في ذلك اليوم في جمعهم في صورة رجل من قريش كان قد مات ، وزعموا أن اللات والعزى أحيتاه لذلك المشهد ، ومنهم من رأى أنه بعض رجالهم وحكماهم ومن كان له فطنة .

كسوة الكعبة : فلما استتمت قريش بناء الكعبة كستها أردية الزعماء ، وهي الوصائل ، وأعادوا الصور التي كانت مصورة في الكعبة ، وأتقنوا شكل ذلك وإحكامه .

وكان أبو طالب حاضراً ، فلما سمع هذا الكلام من هذا القائل في النبي صلى الله عليه وسلم ، وما يكون من أمره في المستقبل ، أنشأ يقول :

إن لنا أوله وآخره في الحكم العدل الذي لا ننكره
وقد جهدنا جهدنا ليفمره وقد عهدنا أوله وآخره
فإن يكن حقاً ففينا أكثره

وكان من بناء الكعبة إلى أن بعثه الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين ، ومن مولده إلى يوم مبعثه أربعون سنة ويوم .

تحديد المولد : والذي صح من مولده عليه الصلاة والسلام أنه كان بعد قدوم أصحاب الفيل مكة بخمسين يوماً ، وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم ، سنة ثمانمائة واثنين وثمانين من عهد ذي القرنين ، وكان قدوم أبرهة مكة لسبع عشرة خلت من المحرم ولست عشرة ومائتين من تاريخ العرب ، الذي أوله حجة الفدر ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان .

وكان مولده عليه الصلاة والسلام لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة بمكة ، في دار ابن يوسف ، ثم بعد ذلك بنتها الخيزران أم الهادي والرشيد مسجداً وكان أبوه عبدالله غائباً بأرض الشام ، فانصرف مريضاً ، فمات بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمله ، وقد تنوزع في ذلك : فمنهم من قال : إنه مات بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بشهر ، ومنهم من قال : إنه مات في السنة الثانية من مولده .

نسب أمه عليه السلام : وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب .

وفي السنة الأولى من مولده دُفع إلى حليلة بنت عبد الله بن الحارث ترضعه ، وفي السنة الثانية من كونه في بني سعد كان أبو عبد الله يقول :

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان أعينه بالبيت ذي الأركان
وفي رواية أن عبد المطلب قال :

لاهم رب الراكب المسافر يحمي قلب بخير طائر
تنح عن طريقه الفواجر وحيه برصد الطواهر
واحبس كل حلف فاجر في درج الريح والأعاصر

أحداث قبل النبوة : وفي السنة الرابعة من مولده شق الملك بطنه ، واستخرجوا قلبه ، فشقاه وأخرجوا منه علقة سوداء ، ثم غسلوا بطنه وقلبه بالثلج ، وقال أحدهما لصاحبه : زينه بعشرة من أمته ، فوزنه ، فرجح ، ثم ما زال يزيد حتى بلغ الألف ، فقال : والله لو وزنته بأمته لوزنها .

وفي السنة الخامسة ردته إلى أمه مرضعته حليلة ؛ وقيل : في مستهل السادسة وبين ذلك وبين عام الفيل خمس سنين وشهران وعشرة أيام .

وفي السنة السابعة من مولده خرجت به أمه إلى أخواله تزورهم ، فتوفيت بالأبواء ، وقدمت به أم أيمن إلى مكة بعد خامسة من موت أمه .

وفي السنة الثامنة من مولده توفي جده عبد المطلب ، وضمه عمه أبو طالب إليه ، وكان في حبه ، وخرج مع عمه إلى الشام ، وله ثلاث عشرة سنة ، ثم خرج في تجارة لخديجة بنت خويلد إلى الشام مع غلامها ميسرة وهو ابن خمس وعشرين سنة . قال المسعودي : وقد أتينا على مبسوط هذا الباب ، في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط .

ذكر

مبعثه صلى الله عليه وسلم

وما جاء في ذلك إلى هجرته

ثم بعث الله رسوله ، وأكرمه بما اختصه به من نبوته ، بعد بنيان الكعبة بخمس سنين على ما قدمنا آنفاً ، وهو ابن أربعين سنة كاملة ؛ فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وأخفى أمره

ثلاث سنين ، ونكح خديجة بنت خويلد وله خمس وعشرون سنة ، وأنزل عليه بمكة من القرآن اثنتان وثمانون سورة ، ونزل تمام بعضها بالمدينة ، وأول ما نزل عليه من القرآن (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، ، وأناه جبريل صلى الله عليه وسلم في ليلة السبت ، ثم في ليلة الأحد ، وخاطبه بالرسالة في يوم الاثنين ، وذلك بحراء ، وهو أول موضع نزل فيه القرآن ، وخاطبه بأول السورة إلى قوله تعالى « علم الإنسان ما لم يعلم ، ونزل تمامها بعد ذلك ، وخوطف بفرض الصلوات ركعتين ركعتين ، ثم أمر بإتمامها بعد ذلك ، وأقرت ركعتين في السفر وزيد في صلاة الحضر .

تحديد المبعث : وكان مبعثه صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين سنة من ملك كسرى أبرويز ، وذلك على رأس مائتي سنة من يوم التحالف بالربذة ، وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام ، وقد ذكر مثل هذا عن بعض حكماء العرب في صدر الإسلام ممن قرأ الكتب السالفة على حسب ما استخرج منها ، وفي ذلك يقول في أرجوزة طويلة :

في رأس عشرة من السنين إلى ثلاث حصلت يقين
والمائة المحدودة التمام إلى ألوف سدست نظام
أرسله الله لنا رسولا وكان فينا هادي السبيل

اسلام علي بن أبي طالب : وقد تنوزع في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وإسلامه ، فذهب كثير من الناس إلى أنه لم يشرك بالله شيئا فيستأنف الإسلام ، بل كان تابعا للنبي صلى الله عليه وسلم في جميع أفعاله مقتديا به ، وبلغ وهو على ذلك ، وأن الله عصمه وسدده ووقفه لتبعيته لنبيه عليه السلام ؛ لأنها كانتا غير مضطرين

ولا مجبورين على فعل الطاعات ، بل مختارين قادرين ، فاختارا طاعة الرب ، وموافقة أمره ، واجتناب منهياته ، ومنهم من رأى أنه أول من آمن ، وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله عز وجل : « وأنذر عشيرتك الأقربين » ، وكان بدؤه بعلي إذ كان أقرب الناس إليه وأتبعهم له ، ومنهم من رأى غير ما وصفنا وهذا موضع قد تنازع الناس فيه من الشيعة ، وقد احتج كل فريق لقوله بمن قال بالنص في الإمامة والاختيار ، وأرضى كل فريق كيفية إسلامه ومقدار سفيه وقد أثبتنا على الكلام في ذلك على الشرح والإيضاح في كتابنا المترجم به « كتاب الصفوة في الإمامة » وفي كتاب « الاستبصار » وفي كتاب « الزاهي » وغيره من كتبنا في هذا المعنى .

اسلام أبي بكر ومن أسلم بإسلامه : ثم أسلم أبو بكر رضي الله عنه ، ودعا قومه إلى الإسلام ، فأسلم على يديه عثمان بن عفان ، والزبير ابن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ؛ فجاء بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، فهؤلاء نفر سبقوا الناس بالإيمان ، وقد قال بعض من تقدم من الشعراء في صدر الإسلام يذكرهم :

فيا سائلي عن خيار العباد ، صادفت ذا العلم والخبرة
خيار العباد جميعاً قريش وخير قريش ذوو الهجرة
وخير ذوي الهجرة السابقون ثمانية وحدهم نصره
علي وعثمان ثم الزبير وطلحة ، واثنان من زهرة
وشيخان قد جاورا أحدا وجاورا قبراها قبره
فمن كان بعدهما فآخرأ فلا تذكروا عندهم فخره

الخلاص في أول من أسلم : وقد اختلف في أول من أسلم : فمنهم

من رأى أن أبا بكر الصديق كان أول الناس إسلاماً ، وأسبقهم
إيماناً ، ثم بلال بن حمامة ، ثم عمرو بن عبسة ، ومنهم مَنْ
ذهب إلى أن أول من أسلم من النساء خديجة ، ومن الرجال
علي ، ومنهم من رأى أن أول من أسلم زيد بن حارثة حبيب
النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم خديجة ، ثم علي كرم الله وجهه ، وقد
ذكرنا ما اجتبتنا من القول في ذلك فيما قدمنا ذكره من كتبنا
في هذا المعنى ، والله تعالى ولي التوفيق .

ذكر

هجرته ، وجوامع بما كان في أيامه

صلى الله عليه وسلم
إلى وقت وفاته

تقدمة : أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة ،
وفرض عليه الجهاد ، وذلك في سنة إحدى من سني الهجرة ،
وهي السنة التي نزل فيها الأذان ، وكانت سنة أربع عشرة من
المبعث .

وكان ابن عباس يقول : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ابن أربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر
عشراً ، وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة .

تحديد المهجر : وكانت سنة إحدى من الهجرة ، وهي سنة اثنتين
وثلاثين من ملك كسرى أبرويز ، وسنة تسع من ملك هرقل ملك
النصرانية ، وسنة تسعمائة وثلاث وثلاثين من ملك الإسكندر
المقدوني .

كيف فعل في الهجرة ؟ قال المسعودي : وقد ذكرنا في الكتاب الأوسط كيفية فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خروجه من مكة ودخوله الفار واستنجار علي له الإبل ، ونومه على فراشه ؛ فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد الله بن أريقط الديلمي دليل لهم على الطريق ، ولم يكن مسلماً ، وكان مقام علي بن أبي طالب بعده بمكة ثلاثة أيام إلى أن أدّى ما أمر بأدائه ، ثم لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم .

دخول المدينة : وكان دخوله عليه الصلاة والسلام إلى المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول ، فأقام بها عشر سنين كوامل ، وكان نزوله عليه الصلاة والسلام في حال موافاته المدينة بقباء على سعد بن خبيثة وابتنى المسجد ، وكان مقامه بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وسار يوم الجمعة ارتفاع النهار ، وأتته الأنصار حياً حياً يسأله كل فريق منهم النزول عليه ، ويتعلقون بزمام راحلته وهي تجذبه ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « دخلوا عنها فإنها مأمورة » ، حتى أدركته الصلاة في بني سالم ، فصلّى بهم يوم الجمعة ، وكانت تلك أول جمعة صليت في الإسلام ، وهذا موضع تنازع الفقهاء في العدد الذي تتم بهم صلاة الجمعة : فذهب الشافعي في آخرين معه إلى أن الجمعة لا تجب إقامتها حتى يكون عدد المصلين أربعين فصاعداً ، وأقل من ذلك لا يحزى ، وخالفه غيره من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم ، وكانت صلاته في بطن الوادي المعروف بوادي رانثوناء إلى هذه الغاية ، ثم استوى على ناقته ، فسارت لا تمعرج على شيء ، ولا يردّها راداً ، حتى أتت إلى موضع مسجده عليه الصلاة والسلام ، والموضع يومئذ لغلامين يتيمين من بني النجار ، فبركت ، ثم

سارت فمضت غير بعيد ، ثم عادت إلى مبركها فبركت واطمأنت ،
والنبي صلى الله عليه وسلم يراعي أحكام الباري فيه ، وتوفيقه له ، فنزل
عنها ، وسار إلى منزل أبي أيوب الأنصاري - وهو خالد بن كليب
ابن ثعلبة بن عوف بن سحيم بن مالك بن النجار - فأقام في
منزله شهراً حتى ابتنى المسجد من بعد ابتياعه الموضع ، وأحدثت
به الأنصار ، واشتد سرورهم به ، وأظهروا التأسف على ما فاتهم من
نصرتيه ، وفي ذلك يقول صرمة بن أبي أنس أحد بني عدي بن
النجار من قصيدة :

ثَوَى فِي قَرِيشٍ بَضْعَ عَشْرَةِ حِجَّةٍ	يُذَكِّرُ لَا يَلْقَى صَدِيقاً مَوَاتِيَا
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ	فَلَمْ يَرِ مِنْ يَوْفِي وَلَمْ يَرِ دَاعِيَا
فَلَمَّا أَتَانَا أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ	وَأَصْبَحَ مَسْرُوراً بِطَيِّبَةِ رَاضِيَا
وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِداً	بَعِيداً ، وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ دَانِيَا
بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ فِي كُلِّ مَلَكْنَا	وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَغَى وَالتَّاسِيَا
وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ	وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْحَقِّ رَائِيَا
نَعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ	جَمِيعاً ، وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبُ الْمَصَافِيَا

فافترض صيام شهر رمضان ، وحولت القبلة إلى الكعبة بعد
قدومه بثمانية عشر شهراً ، وقد قيل : إنه أنزل عليه بالمدينة من القرآن
اثنتان وثلاثون سورة .

علته ووفاته : ثم قبضه الله يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت
من ربيع الأول ستة عشر في الساعة التي دخل فيها المدينة ، في
منزل عائشة رضي الله عنها ، وكانت عله اثني عشر يوماً .

غزواته : وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم بنفسه ستاً وعشرين
غزوة ، ومنهم من رأى أنها سبع وعشرون ، الأولون جعلوا منصرف
النبي صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى وادي القرى غزوة واحدة ،

والذين جعلوها سبعاً وعشرين جعلوا غزوة خيبر مفردة ووادي القرى منصرفة إليها غزوة أخرى غير خيبر ؛ فوقع التنازع في أعداد الغزوات من هذا الوجه ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح الله خيبر انصرف منها إلى وادي القرى من غير أن يأتي المدينة .

وتقييبها ، وكان أول غزواته صلى الله عليه وسلم من المدينة بنفسه إلى ودّان ، وهي المعروفة بغزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط إلى فاحشة رَضَوَى ، ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى ، وكان خروجه طلباً لكرز بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، وهي بدر الثانية التي قُتل فيها صناديد قريش وأشرافها وأسر من أسر من زعمائهم ، ثم غزوة بني سُليم حتى بلغ الموضع المعروف بالكدر ماء لبني سُليم ، ثم غزوة السويق طلباً لأبي سفيان بن حرب فبلغ فيها الموضع المعروف بقرقرة الكدّر ، ثم غزوة غطفان إلى نجد وتعرف هذه الغزوة بغزوة ذي أمر ، ثم غزوة بجران وهو موضع بالحجاز من فوق الفرع ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حراء الأسد ، ثم غزوة بني النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نجد ، ثم غزوة بدر الأخيرة ، ثم غزوة بومة الجندل ، ثم غزوة المُرَيْسِع ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني الحيات بن هذيل بن مدركة ، ثم غزوة ذي قرد ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصدّه المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم اعتمر عليه السلام عمرة القضاء ، ثم فتح مكة ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك .

قاتل منها في تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف ، وتبوك .

قول الواقدي في غزواته : هذا قول محمد بن إسحاق ، فأما ما

ذهب إليه الواقدي فإنه وافق ابن إسحاق في قتال النبي صلى الله عليه وسلم في هذه التسع الغزوات ، وزاد أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل في غزاة وادي القرى ، وذلك أن غلامه المعروف بمدعم رمي بسهم فقتل ، وقاتل في يوم الغابة فقتل من المشركين ستة نفر ، وقتل يومئذ محرز بن نضلة ، ففي قول الواقدي أنه قاتل في إحدى عشرة غزوة ، وفي قول ابن إسحاق في تسع ، فقتاله في التسع باتفاق منها ، وزاد الواقدي على ما ذكرنا .

وقد قيل : إن أول غزوة غزاها عليه السلام ذات العشرة . سراياه وبعوثه : وقد تنازع من سلف من أهل السير والأخبار في عدة سراياه وبعوثه : فقال قوم : إن عدة سراياه وبعوثه بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله خمس وثلاثون بعثاً وسرية ، وذكر محمد بن جرير الطبري في كتابه في التاريخ قال : حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمرو الواقدي : كانت سرايا النبي صلى الله عليه وسلم ثمانياً وأربعين سرية ، وقيل : إن سراياه صلى الله عليه وسلم وبعوثه كانت ستة وستين .

مشاهير الأحداث : وقبض صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة على حسب ما تقدم في صدر هذا الباب من قول ابن عباس ، ولم يخلف من الولد إلا فاطمة عليها السلام ، وتوفيت بعده بأربعين يوماً ، وقيل : سبعين يوماً ، وقيل غير ذلك .

وكان تزوج علي بن أبي طالب لفاطمة عليها السلام بعد سنة مضت من الهجرة ، وقيل أقل من ذلك .

وكانت أول امرأة تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وكانت وفاتها في شوال بعد مبعثه بثلاث سنين .

واسري به وهو ابن إحدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوماً .

وكانت وفاة عمه أبي طالب - واسمه عبد مناف بن عبد المطلب - بعد وفاة خديجة بثلاثة أيام ، وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر ، وقد قيل إن أبا طالب اسم له .

وتزوج بعد وفاة خديجة بسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل .

وتزوج بعائشة رضي الله عنها قبل الهجرة بستين ، وقيل : تزوجها بعد وفاة خديجة ، ودخل بها بعد الهجرة بسبعة أشهر وتسعة أيام ، وقد أئينا على ذكر سائر أزواجه في الكتاب الأوسط ، فأغنى ذلك عن إعادته .

روى جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : إن الله عز وجل أدب محمداً صلى الله عليه وسلم فأحسن تأديبه ، فقال « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » ، فلما كان كذلك قال الله تعالى « وإنك لعلى خلق عظيم » ، فلما قبل من الله فوض إليه فقال « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ، وكان يضمن على الله الجنة ، فأجيز له ذلك .

وكان عدة من تزوج من النساء خمس عشرة : دخل بإحدى عشرة منهن ، ولم يدخل بأربع ، وقبض عليه السلام عن تسع .

النزاع في عمره عليه الصلاة والسلام : قال المسعودي : وقد تنوزع في مقدار عمره عليه السلام ، وقد قدمنا ما روي في ذلك عن ابن عباس ، وهو ما ذكره حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس ، وقد روي عن أبي هريرة مثل قول ابن عباس ، وذكر عن

يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وأقام بمكة عشراً ، وبالمدينة عشراً ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وكذلك ذكر عن عائشة قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقد روي عن ابن عباس من وجه آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين سنة ، وكذلك ذكر ابن هشام قال : حدثنا علي بن زيد ، عن يوسف ابن مهران ، عن ابن عباس ، وذكر قتادة عن الحسن عن دغفل - يعني ابن حنظلة - أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن خمس وستين ، وقد قيل : إنه قبض وهو ابن ستين ، وذكر ذلك عن ابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير ، وذكر حماد قال : أخبرنا عمرو ابن دينار ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، ومات وهو ابن ستين ، وذكر شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال : حدثني عائشة رضي الله عنها وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث وهو ابن أربعين سنة ، فلبث بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، وقبض وهو ابن ستين ، صلى الله عليه وسلم .

وفاة النبي ودفنه :

وانما حكي لنا هذا الخلاف ليعلم من نظر في كتابنا هذا أنا لم نغفل شيئاً مما قالوه ، ولا تركنا شيئاً ذكروه ، الا ذكرنا منه ما تأتى لنا ذكره وأشارنا إليه ، ميلاً إلى الاختصار وطلباً للايجاز ، والذي وجدنا عليه آل محمد عليه الصلاة والسلام أنه قبض ابن ثلاث وستين سنة ، ولما غسل عليه الصلاة والسلام كفن في ثلاثة اثناب ثوبين صحاريين وثوب حبرة أدرج فيها إدراجاً ، ونزل في قبره علي بن أبي طالب والفضل وقثم ابنا العباس وشقران مولى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر في مقدار الشباب للكفن غير ما ذكرنا ، والله أعلم بكيفية ذلك .
ولنرجع الآن الى ذكر لمع من أموره وأخبار كانت من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم .

ذكر

أمور وأحوال من مولده الى وفاته

صلى الله عليه وسلم

تقدمة : وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكر مولده عليه السلام ومبعثه ووفاته جوامع يكتفي بها العالم المستبصر ، ويتنبه بها الطالب المسترشد ، وذكرنا جملاً من الكوائن والأحداث في تضاعيف ذلك ، وأفردنا هذا الباب لذكر ترتيب جل من السنين من مولده الى وفاته ، وجل أحداث وكوائن كانت في أيامه ؛ ليقرب تناول ذلك على مريده ، ويسهل مأخذه على الطالب له ، وإن كنا قد أتينا على لمع من مبسوط هذا الباب فيما تقدمه من الأبواب إن شاء الله تعالى .

السنة الاولى من مولده : ففي أول سنة من مولده دفع الى حليلة بنت عبدالله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن فاصر ابن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

السنة الخامسة : وفي السنة الخامسة من مولده رده حليلة الى أمه ، على حسب ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب .

السنة السادسة : وفي السنة السادسة أخرجته أمه إلى أخواله زائرة فتوفيت بالأبواء بين مكة والمدينة ، ونمي ذلك الى أم أيمن ،

فخرجت اليه ، وقدمت به الى مكة ، وكانت مولاة له قد ورثها عن أمه .

خروجه الى الشام : وفي السنة التاسعة خرج مع عمه أبي طالب الى الشام ، وقيل : إنه خرج مع عمه أبي طالب الى الشام وله ثلاث عشرة سنة ، وقد كان أبو طالب أخا عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه وأمه ؛ فلذلك كفل بأمر النبي صلى الله عليه وسلم من بين سائر إخوته - وهم : العباس ، وحمة ، والزبير ، وحجل ، والمقوم ، وضرار ، والحارث ، وأبو لهب - وهم عشرة بنو عبد المطلب ، وكان لعبد المطلب ستة عشر ولداً : عشرة ذكور ، وهم من سميناء ، وست إناث ، وهن : عاتكة ، وصفية ، وأميمة ، والبيضاء ، وبرة ، وأروى ، ولم يسلم منهن إلا صفية أم الزبير بن العوام ، وقد تنوزع في أروى : فمنهم من قال : إنها أسلمت ومنهم من خالف ذلك .

وفي خروجه عليه السلام مع عمه في هذه السنة نظر اليه بجيرا الراهب ، وأوصاهم بمراعاته من اليهود فإنهم أعداؤه لعلمهم بما يكون من نبوته على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لخبر بجيرا الراهب وما كان من إخباره بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك في باب أهل الفترة من كان بين المسيح ومحمد عليها السلام .

شهوده الفجار : وقد قدمنا أنه عليه السلام شهد يوم حرب الفجار ، وذلك في سنة إحدى وعشرين ، وأنها حرب كانت بين قريش وقيس عيلان ، فيما سلف من هذا الكتاب وغيره ، وأنها إنما سميت بهذا الاسم الذي هو الفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم ، وكانت لقيس على قريش ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما شاهدها صارت لقريش على قيس ، وكان على قريش يومئذ عبد الله بن

بُعدُعان التيمي* ، وكان نخاساً في الجاهلية بياعاً للجواري ، وكانت هذه إحدى الدلائل المندرة بنبوته عليه السلام والتمن بمحضوره .

ست وعشرين : وفي سنة ست وعشرين كان تزويجه بخديجة بنت خويلد ، وهي يومئذ بنت أربعين ، وقيل في سنها غير هذا .

ست وثلاثين : وفي سنة ست وثلاثين بنت قريش الكعبة ، وراضت به ، فوضع الحجر على حسب ما قدمنا .

أحدى وأربعين : وفي سنة إحدى وأربعين بعثه الله نبياً ورسولاً الى كافة الناس ، وذلك يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول ، على حسب تنازع الناس في تاريخ مبثه عليه السلام .

ست وأربعين : وفي سنة ست وأربعين كان حصار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وبني هاشم وبني عبد المطلب في الشعب .

سنة خمسين : وفي سنة خمسين كان خروجه عليه السلام ومن تبعه من الشعب .

وفي هذه السنة كانت وفاة خديجة زوجته وفيها كان خروجه الى الطائف على حسب ما ذكرنا .

أحدى وخمسين : وفي سنة إحدى وخمسين كان الإسراء به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس ، على حسب ما نطق به التنزيل .

أربع وخمسين : وفي سنة أربع وخمسين كانت هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، وفيها بنى صلى الله عليه وسلم مسجده ،

وفيها دخل بعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها وهي ابنة تسع ، وتزوج بها قبل الهجرة وهي بنت سبع ، وقيل : انه تزوجها وهي

بنت ست سنين ، وبني بها في المدينة بعد الهجرة بسبعة أشهر ، وقيل عن عائشة : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهي

بنت ثمان عشرة سنة ، وكانت وفاتها سنة ثمان وخمسين من الهجرة ، بالمدينة ، وصلى عليها أبو هريرة في أيام معاوية بن أبي سفيان وقد قاربت السبعين وفيها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأذان ، وأرى عبد الله بن زيد كيفية الأذان في منامه ، وفيها كان تزوج علي بن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من التنازع في التاريخ .

اثنيتين من الهجرة : وفي سنة اثنتين من الهجرة افترض على المؤمنين صوم شهر رمضان ، وفي هذه السنة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوجه الى الكعبة ، وفيها توفيت ابنته رقية ، وفي آخر هذه السنة - وهي سنة اثنتين من الهجرة - كان دخول علي بن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها كانت وقعة بدر وذلك في يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان .

ثلاث من الهجرة : وفي سنة ثلاث كان تزويجه بزينب بنت خزيمة ، وكانت وفاتها بعد شهرين ، وفي هذه السنة كان تزويجه بحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وفيها كان تزويج عثمان بن عفان بأم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها كان مولد الحسن ابن علي بن أبي طالب على ما في ذلك من التنازع في التاريخ ، وفيها كانت غزوة أحد ، وفي هذه السنة استشهد حمزة بن عبد المطلب .

اربع من الهجرة : وفي سنة أربع كانت غزوته المعروفة بذات الرقاع ، وفي هذه الغزاة صلى صلاة الخوف بالناس ، على حسب ما ذكر في كيفية ذلك من التنازع ، وفيها كان تزويجه بأم سلمة بنت أبي أمية ، وفيها كانت غزوته إلى اليهود من بني النضير وامتنعوا منه بحصونهم ، فقطعوا نخلمهم وشجرهم ، وأضرموا النار عليهم ، فلم

رأى ذلك صالحهم ، وفيها كانت غزوته إلى بني المصطلق ، وفيها - وهي سنة أربع - كان مولد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، وقد قيل إن مولد فاطمة رضي الله تعالى عنها كان قبل الهجرة بثمان سنين .

خمس من الهجرة : وفي سنة خمس كانت غزوة الخندق وما كان فيها من حفر الخندق ، وفيها غزا اليهود من بني قُرَيْظَةَ ، وكان من أمرهم ما قد شهر ، وفيها كان تزويجه بزينب بنت جحش ، وفيها كان تقولُ أهل الإفك على عائشة رضي الله تعالى عنها .

ست من الهجرة : وفي سنة ست كان استسقاؤه عليه السلام لما لحق الناس من الضر والجذب ، وفيها اعتمر عمرته المعروفة بعمرة الحديبية وواعد المشركين ، وفيها أخذَ فداءً ، وفيها تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان ، ووجهه بالرسول إلى كسرى وقبصر ، وكان فيها ادأؤه لكتابة جؤيرية بنت الحارث وتزويجه بها .

سبع من الهجرة : وفي سنة سبع غزا خيبر فافتتحها ، واصطفى صفية بنت يحيى بن أخطب لنفسه ، وفيها تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية خالة عبدالله بن عباس في سفره حين اعتمر عمرة القضاء ، على ما ذكر من التنازع في نكاحه لها ، وفي حال حاله نكحها أم في حال إحرامه ؟ وما قال الفقهاء في ذلك ، وتنازع الناس في نكاح المحرم ، وفيها كان قدوم حاطب بن أبي بلتعة من مصر من عند المقوقس ملكها ، ومعه مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك من هدايا المقوقس إليه ، وفيها كان قدوم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة ومعه أولاده وزوجته ، وغيرهم من المسلمين من كان بأرض الحبشة .

ثمان من الهجرة : وفي سنة ثمان استشهد جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبدالله بن رَوَاحَة ، بأرض مؤتة من أرض البَلْتَقَاء من أرض الشام وأعمال دمشق في وقتهم مع الروم ، وفيها كانت وفاة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : غير ذلك من التاريخ .

فتح مكة : وفي سنة ثمان كان افتتاح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، وقد تنازع الناس في فتحها ، أصلحاً كان أم عَنُوة ؟ وفيها كُسِّرَتِ الأصنام ، وهدمت العُزَيُّ ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل بكم ؟ » قالوا : خيراً أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : « انزعَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاء » ، وفيها غزا غزوة حُنَيْن ، وكان على هَوَازِن مَالِك بن عوف النَّضْرِي ومعه دَرِيد بن الصَّمَّة ، وفيها كانت غزوة الطائف ، وفيها كان إعطاؤه للمؤلفة قلوبهم ، وفيهم أبو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية وفيها كان مولد إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية .

تسع من الهجرة : وفي سنة تسع حج أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس ، وقرأ علي بن أبي طالب عليهم سورة براءة ، وأمر أن لا يحج مشرك ، وأنه لا يطوف بالبيت عُرْيَان ، وفيها كانت وفاة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عشر من الهجرة : وفي سنة عشر حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، وقال : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » ، وفيها كانت وفاة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام ، وقيل غير ذلك ، وفيها كان بعثه عليه السلام بعلي إلى اليمن ، وأحرم كالأحرام

النبي صلى الله عليه وسلم .

أحدى عشرة من الهجرة : وفي سنة إحدى عشرة كانت وفاته صلى الله عليه وسلم ، على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب قبل هذا الباب من ذكر وفاته ومقدار عمره وما قسالة الناس في ذلك ، وفيها كانت وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من تنازع الناس في مقدار عمرها ، ومدة بقائها بعد أبيها ، ومن الذي صلى عليها : العباس بن عبد المطلب أم بعلها علي ؟ ولما قبضت جزع عليها بعلها علي جزعاً شديداً واشتد بكاءه وظهر أنينه وحنينه وقال في ذلك :

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الممات قليل

وإن افتقادي فاطما بعد أحمد دليلٌ علي أن لا يدوم خليل

أولاده عليه السلام : وكل أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة خلا إبراهيم : ولد له صلى الله عليه وسلم القاسم ، وبه كان يكنى ، وكان أكبر بنيه سناً ، ورقية وأم كلثوم ، وكانتا تحت عتبة وعتبة ابني أبي لهب عمه فطلقتهما لخبر يطول ذكره ، فتزوجها عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة ، وزينب وكانت تحت أبي العاص ابن الربيع ، وفرق الإسلام بينهما ، ثم أسلم فردها عليه بالنكاح الأول ، وهذا موضع خلاف بين أهل العلم في كيفية رده عليه السلام لزينب علي أبي العاص ، وولدت من أبي العاص أمامة ، وتزوجها علي بعد موت فاطمة عليها السلام .

وولد له عليه الصلاة والسلام بعد ما بعث عبد الله وهو الطيب والطاهر ، الثلاثة الأسماء له ؛ لأنه ولد في الإسلام ، وفاطمة ، وإبراهيم . وقد أتينا في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط على ما كان في سنة سنة من مولده عليه السلام الى مبعثه ، ومن مبعثه الى

هجرته ، ومن هجرته إلى وفاته ، ومن وفاته إلى وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - وما كان في ذلك من المغازي والفتوح والأسرار والبعوث والطرائق والأحداث ، وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً منبهين بذلك على ما سلف من كتبنا ، ومذكرين لما تقدم من تصنيفنا ، وبالله التوفيق .

ذكر

ما بدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام

بما لم يحفظ قبله عن أحد من الأنام

تقدمة : قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله المسعودي : بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، ومبشراً للناس أجمعين ، وقرنه الله بالآيات ، والبراهين النيرات ، وأتى بالقرآن المعجز ، فتحدثي به قوماً وهم الغاية في الفصاحة ، والنهاية في البلاغة ، وأولو العلم باللغة والمعرفة ، بأنواع الكلام من الرسائل والخطب والسجع ، والمُتَقَفِّي والمتنور والمنظوم والأشعار في المكارم وفي الحث والزجر والتعريض والإغراء والوعيد والمدح والتهجين ، فقرع به أسماعهم ، وأعجز به أذهانهم وقبَّح به أفعالهم ، وذم به آراءهم وسفَّه به أحلامهم وأزال به دياناتهم ، وأبطل به سنتهم ؛ ثم أخبر عن عجزهم مع تظاهرهم أن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، مع كونه عربياً مبيناً .

وقد تنازع الناس في نظم القرآن وإعجازه ، وليس الغرض من هذا الكتاب وصف أقاويل المختلفين ، والإخبار عن كلام المتنازعين ؛ إذ كان كتاب خبر ، لا كتاب بحث ونظر .

آثم الله الحكمة : ثبت عنه عليه السلام بالعلم الموروث ، ونقل إلينا

لِبَاقِي عَنِ الْمَاضِي مِنْ بَعْدِ قِيَامِ الْأَدْلَةِ عَلَى صِدْقِهِ ، وَمَا أُورِدَ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ وَالْدَّلَائِلِ وَالْعَلَامَاتِ الَّتِي أَظْهَرَهَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ لِيُؤَدِّيَ رِسَالَاتَ رَبِّهِ إِلَى خَلْقِهِ - أَنَّهُ قَالَ : أُوتِيَتْ جَوَامِيعُ الْكَلَمِ ، وَقَالَ : اخْتَصِرْ لِي الْكَلَامَ ، مَخْبِراً عَمَّا أُوتِيَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْبَيَانِ غَيْرِ الْقُرْآنِ الْمَعْجَزِ ، وَهُوَ مَا أُوتِيَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالنُّطْقِ الْبَسِيرِ ، وَالْكَلَامِ الْقَصِيرِ الْمَقِيدِ لِلْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ وَالْوُجُوهِ الْمُتَفَرِّقَةِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَتَمَامِ الْمَصْلَحَةِ .

وَكَانَ كَلَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ الْمَقَالِ وَأَوْجَزَهُ ؛ لِقِلَّةِ أَلْفَاظِهِ ، وَكَثْرَةِ مَعَانِيهِ .

مِنْ مَوْجِزِ كَلَامِهِ : فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عِنْدَ عَرْضِهِ لِنَفْسِهِ عَلَى الْقِبَائِلِ بِهَيْكَةِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعَلِيٌّ ، وَوُقُوفُهُ عَلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وَتَقَدُّمُ أَبِي بَكْرٍ إِلَيْهِمْ ، وَمَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ دَغْفَلٍ مِنَ الْكَلَامِ فِي النَّسَبِ « الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ » ، وَهَذَا عَمَّا تَبَيَّنَ إِلَيْهِ مِنَ الْكَلَامِ وَلَمْ يَصِفْ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنَامِ .

ثُمَّ إِنْخِبَارُهُ عَنِ الْحَرْبِ وَقَوْلُهُ « الْحَرْبُ خُدْعَةٌ » ، فَعَلِمَ بِهَذَا اللَّفْظِ الْبَسِيرِ وَالْكَلَامِ الْوَجِيزِ أَنَّ آخِرَ مَكَايِدِ الْحَرْبِ الْقِتَالُ بِالسَّيْفِ ؛ إِذَا كَانَ بَدْوُهَا خُدْعَةً ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهَذَا يَعْرِفُهُ كُلُّ ذِي رَأْيٍ صَحِيحٍ وَذِي رِيَاةٍ وَسِيَاسَةٍ .

ثُمَّ قَالَ : « الْعَائِدُ فِي هَيْبَتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَبِيلِهِ » ، زَاجِراً بِهَذَا الْقَوْلِ لِلْوَاهِبِ أَنْ يَسْتَرْجِعَ شَيْئاً وَهَبَهُ ؛ إِذَا كَانَ الْقِيَمُ لَا يَرْجِعُ فِيهِ مَنْ قَاءَهُ . وَلِلنَّاسِ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَلَامٌ كَثِيرٌ وَخُطْبٌ طَوِيلٌ ، وَإِنَّمَا الْغَرَضُ فِيمَا نَذَكُرُ إِيرَادُ كَلَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوَصْفُ قَوْلِهِ الَّذِي لَمْ يَتَقَدَّمْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ .

وَقَوْلُهُ « احْشُوا فِي وَجُوهِ الْمَدَاحِينَ الْقُرَابِ » ، الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا كَذَبَ الْمَادِحُ ، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا شَكَرَ الْإِنْسَانُ غَيْرَهُ بِمَا

أولاه أو وصفه بما هو فيه ، أو قال ما له أن يقول أن يُحْتَشَى في وجهه التراب ، ولو كان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ، إذا ما مدح أحد أحداً ؛ إذ كان هذا النهي عموماً للصادق والكاذب ، وأن يحشى في وجه الجميع التراب ، وهذا خلاف ما جاء به التنزيل حيث يقول عز وجل مخبراً عن نبيه يوسف وقوله للملك : (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) فقد مدح نفسه ووصف حاله .

وجميع ما يذكر في هذا الباب مستفيض في السير والأخبار متعارف عند العلماء ، متداول بين الحكماء ، يتمثل به كثير من الناس ، وتستعمل العوام كثيراً منه في ألفاظها ، وتورده في أمثالها وخطاباتها ، والأكثر منهم لا يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أول من تكلم به ، وسبق إلى إيرادها .

وقال عليه الصلاة والسلام : مَطْلُ الْغَنَى ظَلَمٌ ، ومن أتبع على مليء فليتبّع ، وقوله : الأرواح جنود مجندة ؛ فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ، رأس الحكمة معرفة الله . يا خيل الله اركبي وأبشري بالجنة . الآن حمي الوطيس . لا يتططح فيها عزّان . لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتقين . لا يحني على المرء إلا يده . ليس الخبر كالمعاينة . الشديد من غلب نفسه . بورك لأمتي في بكورها . ساقى القوم آخرهم شرباً . المجالس بالأمانات . لو بنى جبل على جبل لذلك الباغي منها ، أبدأ بمن تعمل مات حتف أنفه ، يريد بذلك الفجأة وأنه مات من غير علة ولا حالٍ أوجبت ولا سبب من أسباب الموت تقدمت . لا تزال أمتي بخير ما لم ترّ الأمانة مغفراً والزكاة مغرمًا . قيدوا العلم بالكتابة . خير المال عين ساهرة لعين فائمة . المسلم امرأة المسلم . رحم الله من قال خيراً فغم أو سكّت عن شر فسلم . المرء كثير بأخيه . اليد العليا خير من اليد السفلى . ترك الشر

صدقة . فضل العلم خير من فضل العباداة . الغنى غنى النفس .
الأعمال بالنيات . أي داء ادوا من البخل ؟ الحياء خير كله . الخيل
معقود بنواصيها الخير . السعيد من وعظ بغيره . عدة المؤمن كأخذ
باليد . إن من الشعر لحكمة ومن البيان لسكران . عفو الملوك بقاء
للملك . ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء . المكر والخديعة
في النار . المرء مع من أحب ، وله ما اكتسب . ليس منا من لم يرحم
صغيرنا ويعرف حق كبيرنا . المستشار مؤتمن . من قتل دون ماله
فهو شهيد . لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث . الدال على الخير
كفعله . الندم توبة . الولد للفراش وللعاهر الحجر . كل معروف
صدقة . لا يشكر الله من لا يشكر الناس . لا يؤوي الضالة إلا
ضال . حبك الشيء يعمي ويصم . السفر قطعة من العذاب ، وقوله
للأنصار : انكم لتقتلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع ، وقوله :
المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً .
الرجل أحق بصدره بجلسه وصدره بدابته . الناس معادن كعادن الذهب
والفضة . الظلم ظلمات يوم القيامة . تمام التبعة المصافحة . جبيت
النفوس على حب من أحسن إليها . أمنك من أعتبك . ما نقص مال
من صدقة . التائب من الذنب كمن لا ذنب له . الشاهد يرى ما لا
يرى الغائب . خذ حقلك في عفاف واف أو غير واف . أعطوا
الأجير أجرته قبل أن يخف عرقه : أهل المعروف في الدنيا أهل
المعروف يوم القيامة الجنة تحت ظلال السيوف . ليس بمؤمن من
خاف جاره بوائقه . اتقوا النار ولو بشق تمرة . أعروا النساء
يلزمن الحجاب . الكلمة الطيبة صدقة . لا خير لك في صعبة من لا
يرى لك مثل ما يرى لنفسه . الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .
ما أملك تاجر صدق ؟ الدعاء سلاح المؤمن . خير الأمور أوسطها .

إذا أتاكم الزائر فأكرموه . اشفعوا تحمدوا أو تؤجروا الأيمان
 الصبر والسباحة . أفضلكم أفضلكم معرفة ما هلك امرؤ عن مشورة . ما
 عال امرؤ اقتصد . ما هلك امرؤ عرف قدره . شر العمى عمى
 القلب . الكذب بجانب للإيمان . ما قل وكفى خير مما كثر وألهى .
 من أثنى فقد كفى . قلة الحياء كفر . المؤمنون هينون لينون شر
 الندامة يوم القيامة . شر المعذرة عند الموت . أقبلوا عثرات الكرام .
 اطلبوا الخير عند صباح الوجوه . الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله
 مستعملكم فيها ينظر كيف تعملون . انتظار الفرج عبادة . كادت
 الفاقة أن تكون كفراً . لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة . في كل عام
 تزدلون . زر غباً تزدد حباً . للصحة والفراغ نعمتان مغبون فيها
 كثير من الناس ، أو قال : جميع الناس ، يقول : لا يلقى الله أحداً
 إلا نادماً : من عمل خيراً قال يا ليتني ازهدت ، ومن عمل غير ذلك
 قال يا ليتني قصرت ، وهذا مثل قوله : إياكم والتسويق وطول
 الأمل ، فإنه كان سبباً لحلاك الأمم . وقوله ليس منا من غشنا ، وهذا
 القول يحتمل معاني كثيرة : منها أن يكون إخباراً أن من غش
 المسلمين ، على حسب الحال في الوقت أن بعض أهل الكتاب ، أو
 المنافقين أخبر عنه بما كان من فعله ، ويحتمل أن يكون على طريق
 الزجر والنهي عن الغش ، وقد قيل غير ذلك ، الله أعلم ، مثل ما
 روى عنه أبو مسعود البصري أنه قال : يبى على وجه الأرض
 بعد مائة ، أحد إلا مات ، فاستفاضت هذه الرواية عن أبي مسعود
 عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فجزع الأكثر ، فأفضى ذلك إلى علي
 رضي الله عنه ، فقال : صدق أبو مسعود فيما قال وذهب عنه المراد
 بذلك ، وإنما مراد النبي صلى الله عليه وسلم ، أن لا يبقى على وجه
 الأرض أحد بعد رأس مائة ، ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم

إلا مات وقوله : استعينوا على أموركم بالكتاب ، وعلى قضاء حوائجكم بالامرار .

ذكر بعض من جمع موجز لقوال الرسول عليه السلام : قال المسعودي : وقد جمع كثير من تقدم ومن شاهدهاء كثيراً من ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم فأوردوها في كتبهم ، وذكروها في تصنيفهم ، وقد أفرده أبو محمد بن الحسن بن دريد لذلك كتاباً ترجمه بكتاب « المجتبى » يذكر فيه جملاً من ألفاظه صلى الله عليه وسلم ، وكذلك ذكر أبو إسحاق الزجاجي النحوي صاحب أبي العباس المبرد ، وأبو عبد الله بنفطويه ، وجعفر بن محمد بن حمدان الموصلي ، وغير هؤلاء من تقدمهم وتأخر عنهم ، أوردنا من ذلك في هذا الكتاب ما سهل إirاده وتأتي لنا ذكره ، على حسب الحاجة إليه واستحقاق الموضع له ، وإن كنا قد أنبأنا على جميع ما يحتاج إليه في هذه المعاني فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا فأغنى ذلك عن إعادتها ، والله تعالى ولي التوفيق .

باب ذكر خلافة أبي بكر الصديق

رضي الله تعالى عنه

موجز : قال المسعودي : ثم بايع الناس أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، في سقيفة بني ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري ، في يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفي أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، مستوفياً لعمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا اتفاق في سائر الروايات على ما ذكرنا ، وكان مولد أبي بكر بعد الفيل بثلاث سنين ، وكانت ولايته

سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ، ودفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأسه على كتف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كذلك قالت عائشة ، وقد قيل : إن أبا بكر كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملاً من أيامهم ومقادير ولايتهم ، وكذلك نفرد فيما يرد في هذا الكتاب - بعد ذكرنا لأيام بني أمية وبني العباس - باباً نذكر فيه جامع التاريخ الثاني من الهجرة إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - في خلافة أبي إسحاق المتقي لله ، أو بعد ذلك من الأوقات إلى حيث ينتهي بنا التصنيف ، وما ذكره أصحاب الزيجات في النجوم ، وما أرتخوه في مقادير السنين والشهور والأيام ، والخلاف بينهم وبين تاريخ أصحاب السير والأخبار ، وكتب التاريخ من الاخباريين وغيرهم ، إذ كان التفاوت بين الفريقين بيّناً ، ومُعَوِّناً في ذلك على ما ذكره أصحاب الزيجات .

ذكر

نسبه ، ولع من أخباره وسيره

نسبه : كان اسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله بن عثمان ، وهو أبو قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب ، وفي مرة يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقبه عتيق ؛ لبشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه أنه عتيق الله من النار ، فسمي يومئذ عتيقاً وهو الصحيح وقيل : إنما سمي عتيقاً لعتق أمهاته ، واستخلف وأبوه في الحياة .

صفاته : وكان أزهد الناس ، وأكثرهم تواضعاً في أخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وكان لبسه في خلافته الشملة والعباءة .

تواضعه وزهده ونسكه : وقدم اليه زعماء العرب وأشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحُلل والخبر وبرود الوَثْيِ المثلث بالذهب والتيجان ، فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك ، وما هو عليه من الوقار والهيبة ، ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم .

وفود العرب اليه : وكان ممن وفد عليه من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير ، ومعه ألف عبد دون من كان معه من عشيرته ، وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحلل ، فلما شاهد من أبي بكر ما وصفنا ألقى ما كان عليه وتزيًا بزيته ، حتى إنه روي يوماً في سوق من أسواق المدينة على كتفيه جلد شاة ، ففزعت عشيرته لذلك وقالوا له : قد فضحتنا بين المهاجرين والأنصار ، قال : أفأردتم مني أن أكون ملكاً جباراً في الجاهلية ، جباراً في الإسلام ، لا هال الله ، لا تكون طاعة الرب إلا بالتواضع لله والزهد في هذه الدنيا ، وتواضعت المسالك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر وتذللوا بمد التجبر .

بين أبي بكر وأبي سفيان : وبلغ أبا بكر رضي الله عنه عن أبي سفيان صخر بن حرب أمر ، فأحضره وأقبل يصيح عليه ، وأبو سفيان يتملقه ويتذلل له ، وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبي بكر ، فقال لقائده : على من يصيح ابني ؟ فقال له : على أبي سفيان ، فدنا من أبي بكر وقال له : أعلی أبي سفيان رفع صوتك يا عتيق الله ؟ وقد كان بالأمس سيد قريش في الجاهلية ، لقد تغديت طوراً وجُرّت مقدارك ، فتبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والأنصار ، وقال له : يا أبت ، إن الله قد رفع بالإسلام قوماً وأذل به آخرين .

ولم يتقلد أحد الخلافة وأبوه باق غير أبي بكر .
نسب أمه : وأم أبي بكر سلمى ، وتكنى : أم الخير ، بنت صخر بن

عمرو بن عامر بن كعب بن سعد بن قيس بن مرة .
وارتدت العرب بعد استخلافه بعشرة أيام .

أولاده : وكان له من الولد : عبد الله ، وعبد الرحمن ، ومحمد ، فأما عبد الله فإنه شهد يوم الطائف مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلحقته جراحة وبقي إلى خلافة أبيه أبي بكر ، ومات في خلافته وخلف سبعة دنانير ، فاستكثرها أبو بكر ، ولا عقب لعبد الله ؛ وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه شهد يوم بدر مع المشركين ، ثم أسلم فحسن إسلامه ، ولعبد الرحمن أخبار ، وله عقب كثير بدؤ وحضر في ناحية الحجاز ، مما يلي الجادة من طريق العراق في الموضع المعروف بالصفينيات والمسح ، ومحمد بن أبي بكر ، أمه أسماء بنت عميس الحثمية ، ومنها عقب جعفر بن أبي طالب ، وخلف عليها حين استشهد عبد الله وعونا ومحمدا بن جعفر ، فقتل عون ومحمد ابنا جعفر بالطف مع الحسين ابن علي ، ولا عقب لهما ، وعقب جعفر عن عبد الله بن جعفر ، وولد لعبد الله بن جعفر : علي وإسماعيل وإسحاق ومعاوية ، وتزوجها بعده أبو بكر الصديق ، فخلف منها محمداً ، ثم تزوجها علي بن أبي طالب فأولدها أولاداً درجوا ولا عقب له منها ، وأم أسماء العجوز الحريشية كان لها أربع بنات ، وهذه العجوز أكثر الناس اصهاراً ، كانت ميمونة الهلالية تحت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأم الفضل تحت العباس بن عبد المطلب ، وسلمى تحت حمزة بن عبد المطلب ، وخلف منها بنتاً ، وأسماء تحت من ذكرنا من جعفر وأبي بكر وعلي ، والعقب من محمد بن أبي بكر قليل ، وأم جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وكان محمد بن أبي بكر يدعى عابد قريش لنسكه وزهده ، ورباه علي بن أبي طالب ، وسنذكر خبره فيما يرد

من هذا الكتاب ومقتله في أخبار معاوية بن أبي سفيان .
موت أبي قحافة : ومات أبو قحافة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، وهو ابن تسع وتسعين سنة ، وذلك في سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهي السنة التي استخلف فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد قيل : أنه مات في سنة أربع عشرة .

يوم السقيفة : ولما بوبع أبو بكر في يوم السقيفة وجدت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج علي فقال : أفسدت علينا أمورنا ، ولم نستشر ، ولم نرزع لنا حقاً ، فقال أبو بكر : بلى ؛ ولكني خشيت الفتنة ، وكان للمهاجرين والانصار يوم السقيفة خطب طويل ، وبجاذبة في الإمامة ، وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع ، فصار إلى الشام ، فقتل هناك في سنة خمس عشرة ، وليس كتابنا هذا موضعاً لخبر مقتله ولم يبايعه أحد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها .

عدي بن حاتم الطائي : ولما ارتدت العرب إلا أهل المسجدين ، ومن بينها وأناساً من العرب ؛ قدم عدي بن حاتم بإبل الصدقة إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، ففي ذلك يقول الحارث بن مالك الطائي :

وَفِينَا وَفَاءَ لَمْ يَرَ النَّامُ مِثْلَهُ وَسَرَّ بَلَنَّا مَجْدًا عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ
 عِلَّتْهُ : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ سَمِعَهُ الْيَهُودَ فِي شَيْءٍ مِنَ
 الطَّعَامِ ؛ وَأَكَلَ مَعَهُ الْحَارِثُ بْنُ كَلْدَةَ فَعَمِيَ ، وَكَانَ السَّمُ لِسَنَةٍ ، وَمَرَضَ
 أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِخَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا .

كلام له : ولما احتضر قال : ما آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتها ووددت أني تركتها ، وثلاث تركتها ووددت أني فعلتها ، وثلاث ووددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ؛ فأما الثلاث التي فعلتها ووددت أني تركتها ؛ فوددت أني لم أكن فتشت بيت فاطمة ، وذكر في ذلك كلاماً كثيراً ، ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة وأطلقتها نجيحاً أو قتلتها صريحاً ، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قدّفت الأمر

في عنق أحد الرجلين فكان أميراً وكنت وزيراً ، والثلاث التي عرقتها ووددت أني فعلتها ووددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً ضربت عنقه ، فإنه قد خيل لي أنه لا يرى شراً إلا أعانه ، ووددت أني كنت قد قذفت المشرق بعمر بن الخطاب ، فكنت قد بسطت يميني وشمالي في سبيل الله ، ووددت أني يوم تجهزت جيش الردة ورجعت أقمت مكاني فإن سلم المسلمون سلموا ، وإن كان غير ذلك كنت صدر اللقاء أو مدداً ، وكان أبو بكر قد بلغ مع الجيش إلى مرحلة من المدينة ، وهو الموضع المعروف بذئ القصة ، والثلاث التي ووددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، ووددت أني كنت سأله في مَنْ هذا الأمر ؛ فلا ينازع الأمر أهله ، ووددت أني سأله عن ميراث العمة وبنت الأخ فإن بنفسها حاجة ، ووددت أني سأله هل للأنصار في هذا الأمر نصيب فنعطيتهم إياه . بناته : وخلف من البنات : أسماء ذات النبطاقين ، وهي أم عبد الله ابن الزبير ، وعمرت مائة سنة حتى عمت ، وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

بيعة علي إياه : وقد تنوزع في بيعة علي بن أبي طالب إياه ؛ فمنهم من قال : بإيعه بعد موت فاطمة بعشرة أيام ، وذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بنيف وسبعين يوماً ، وقيل : بثلاثة أشهر ، وقيل : ستة ، وقيل غير ذلك .

وصيته لامراء جيشه : ولما أنفذ أبو بكر الأمراء إلى الشام كان فيما أوصى به يزيد بن أبي سفيان وهو مشيع له ، فقال له : إذا قدمت على أهل عملك فقدم الخير وما بعده ، وإذا وعدت فأنجز ، ولا تكثرن عليهم الكلام ، فإن بعضه ينسي بعضاً ، وأصلح نفسك يصلح الناس لك ، وإذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم ،

فإنه أول خيرك إليهم ، وأقلل حبسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، وكن أنت الذي تلي كلامهم ، ولا تجعل شرك مع علانيتك فيمزج عملك ، وإذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة ، ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك ، وإذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعانها ، واستر في عسكري الأخبار وأذك حرمك ، وأكثر مفاجأتهم في ليلك ونهارك ، وأصدق اللقاء إذا لقيت ، ولا تجبن فيجبن من سواك .

المتنبون : وقد أعرضنا عن ذكر كثير من الأخبار في هذا الكتاب طلباً للاختصار والإيجاز ، منها خبر العنسي الكذاب المعروف بعيلة ، وما كان من خبره باليمن وصنعاء ، وتنبئه ومقتله ، وما كان من فيروز ، وغيره من الأنباء في أمرهم ، وخبر طليعة وتنبئه ، وخبر سجاح بنت الحارث بن سويد ، وقيل : بنت غطفان وتكنى أم صادر ، وهي التي يقول فيها قيس بن عاصم :

أضحت نبينا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وفيهما يقول الشاعر :

أضل الله سمي بني قيم كما ضلت بخطبتها سجاح

وقد كانت مع ادعائها النبوة مكذبة بنبوة مسيلة الكذاب ، ثم آمنت بنبوته ، وكانت قبل ادعائها النبوة متكينة تزعم أن سبيلها ، سبيل سطيح وابن سلمة والمأمون الحارثي وعمرو بن لُحي وغيرهم من الكهان ، وصارت إلى مسيلة فنكحها ، وما كان من خبر مسيلة كذاب اليمامة ، وحربه لخالد بن الوليد وقتل وحشي له مع رجل من الأنصار ، وذلك في سنة إحدى عشرة ، وما كان من أمره مع الأنصار في يوم سقيفة بني ساعدة والمهاجرين ، وقول المنذر بن الحباب : أنا جُذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، أما والله إن

شتم لنعيدها. جَنَعَةَ ، وقصة سعد بن عبادة ، وما كان من بشر ابن سعد ، وتخلي الأوس عن معاودة سعد خوفاً أن يفوز بها الخزرج ، وأخبار من قعد عن البيعة ومن بايع ، وما قالت بنو هاشم ، وما كان من قصة فذلك ، وما قاله أصحاب النص والاختيار في الإمامة ، ومن قال بإمامة المفضول وغيره ، وما كان من فاطمة وكلامها ، متعشلة حين عدلت إلى قبر أبيها عليه السلام ، من قول صفية بنت عبد المطلب :

قد كان بعدك أنباء وهيئمة لو كنت شاهداً ما لم تكثر الخطب
إلى آخر الشعر ، إلى غير ذلك مما تركنا ذكره من الأخبار في هذا الكتاب ؛ إذ كنا قد أتينا على جميع ذلك في كتاب « أخبار الزمان » ، والكتاب الأوسط ، فأغنى ذلك عن ذكره ها هنا ، والله أعلم .

ذكر خلافة

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

موجز : وبويع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين خرج حاجاً ، فأقام الحج في تلك السنة ، ثم أقبل حتى دخل المدينة ، فقتله فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة تمام سنة ثلاث وعشرين ؛ فكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال ، وقتل في صلاة الصبح ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : إن فيورهم مسطرة : أبو بكر إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمر إلى جنب أبي بكر ، وحج في خلافته تسع حجج ، وبعد أن قُتل صلى بالناس عبد الرحمن بن عوف ، وجعلها شوري إلى ستة ، وهم : علي ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ،

وعبد الرحمن بن عوف ، وصلى عليه 'صهيب' الرومي ، وكانت الشورى بعده ثلاثة أيام .

ذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره

نسبه : هو عمر بن الخطاب بن 'نفييل' بن عبد العزى بن قرط بن رياح بن عبد الله بن رزاج بن عدي بن كعب ، وفي كعب يجتمع نسبه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمه حنثمة بنت هشام ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت سوداء ، وإنما سمي الفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل ، وكنيته أبو حفص ، وهو أول من سمي بأمير المؤمنين ، سماه عدي بن حاتم ، وقيل غيره ، والله أعلم ، وكان أول من سَلَّم عليه بها المغيرة بن شعبه ، وأول من دعا له بهذا الاسم على المنبر أبو موسى الأشعري وأبو موسى أول من كتب إليه : لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، من أبي موسى الأشعري ، فلما قرئ ذلك على عمر قال : إني لعبد الله وإنني لعمر وإني لأمر المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين .

صفاته : وكان متواضعاً ، خشن الملبس ، شديداً في ذات الله ، واتبعه عماله في سائر أفعاله وشيمه وأخلاقه ، كل يتشبه به من غاب أو حضر ، وكان يلبس الجبة الصوف المرقعة بالأديم وغيره ، ويشتمل بالعباءة ، ويحمل القرية على كتفه مع هبة قد رزقها ، وكان أكثر ركابه الابل ، وراحله مشدودة بالليف ، وكذلك عماله ، مع ما فتح الله عليهم من البلاد وأوسعهم من الاموال .

عماله : وكان من عماله سعيد بن عامر بن خريم فشكاه أهل حص إليه وسأله عزله ، فقال عمر : اللهم لا تُفِلْ فراستي فيه اليوم ،

وقال لهم : ماذا تشكون منه ؟ قالوا : لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار ، ولا يجيب أحداً بليل ، وله يوم في الشهر لا يخرج الينا ، فقال عمر : عليّ به ، فلما جاء جمع بينهم وبينه ، فقال : ما تنقمون منه ؟ قالوا : لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار ، فقال : ما تقول يا سعيد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنه ليس لاهلي خادم ، فأعجن عجبني ، ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ، ثم أتوضأ وأخرج اليهم ، قال : وماذا تنقمون منه ؟ قالوا : لا يجيب بليل ، قال : قد كنت أكره أن أذكر هذا ، إني جعلت الليل كله لربي ، وجعلت النهار لهم ، قال : وماذا تنقمون منه ؟ قالوا : له يوم في الشهر لا يخرج الينا فيه ، قال : نعم ، ليس لي خادم فأغسل ثوبي ثم أجففه فأمسي ، فقال عمر : الحمد لله الذي لم يقل فراسق فيك . يا أهل حمص ، استوصوا بوالبيكم خيراً ، قال : ثم بعث إليه عمر بألف دينار ، وقال : استعن بها ، فقالت له امرأته : قد أغنانا الله عن خدمتك ، فقال لها : ألا ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما كنا إليه ؟ قالت : بلى ، فصّرّها صرراً ثم دفعها إلى من يثق به ، وقال : انطلق بهذه الصرة إلى فلان ، وبهذه إلى يتيم بني فلان ، وهذه إلى مسكين بني فلان ، حتى بقي منها شيء يسير ، فدفعه إلى امرأته ، وقال : أنفقي هذا ، ثم عاد إلى خدمته ، فقالت له امرأته : ألا تبعث إلي بذلك المال فنشتري لنا منه خادماً ؟ فقال : سيأتيك أحوج ما تكونين إليه .

سلمان الفارسي : ومن عماله على المدائن سلمان الفارسي ، وكان يلبس الصوف ، ويركب الحمار يبرذعته بغير إكاف ، ويأكل خبز الشعير ، وكان ناسكاً زاهداً ، فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن أبي وقاص : أوصني يا أبا عبد الله ، قال : نعم ، قال : اذكر الله عند همك إذا

همت ، وعند لسانك إذا حكمت ، وعند يدك إذا قست ، فجعل سلمان يبكي ، فقال له : يا أبا عبد الله ما يبكيك ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المُخِفُّون » وأرى هذه الأساودة حولي ، فنظروا فلم يجدوا في البيت إلا إداوة وركوة ومطهرة .

أبو عبيدة : وكان عامله على الشام أبا عبيدة بن الجراح ، وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافي ؛ فعذل على ذلك ، وقيل له : إنك بالشام ووالي أمير المؤمنين وحولنا الأعداء ، فغير من زيك ، وأصلح من شارتك ، فقال : ما كنت بالذي أترك ما كنت عليه ، في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عمر يحرص على الجهاد : وذكر الواقدي في كتابه في فتوح الأمصار أن عمر قام في المسجد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم دعاهم إلى الجهاد وحشهم عليه وقال : إنكم قد أصبحتم في غير دار مقام بالحجاز ، وقد وعدكم النبي صلى الله عليه وسلم فتح بلاد كسرى وقيصر ؛ فسيروا إلى أرض فارس ، فقام أبو عبيد فقال : يا أمير المؤمنين أنا أول من انتدب من الناس ، فلما انتدب أبو عبيد انتدب الناس ، وقيل لعمر : أمّر على الناس رجلاً من المهاجرين أو الأنصار ، فقال : لا أوامر عليهم إلا أول من انتدب فأمر أبا عبيد ، وفي حديث آخر أنه قيل له : أتؤمر رجلاً من ثقيف على المهاجرين والأنصار ؟ فقال : كان أول من انتدب فوليته ، وقد أمرته أن لا يقطع أمراً دون مسلة بن أسلم بن حريش وسليط بن قيس ، وأعلمته أنها من أهل بدر ، وخرج قلقي جمعاً من العجم عليهم رجل يقال له جالينوس ، فانهزم ، وسار أبو عبيد حتى عبر الفرات ، وعقد له بعض الدهاقين جسراً ، فلما خلف الفرات ورااه أمر بقطع الجسر ، فقال له مسلة بن

أسلم : أيها الرجل ، إنه ليس لك علم بما نرى ، وأنت تخالفنا ، وسوف يهلك من معك من المسلمين بسوء سياستك ، تأمر بجسر قد عقد أن يقطع فلا يجد المسلمون ملجأ من هذه الصحاري والبراري فلا تريد إلا أن تهلكهم في هذه القطعة ؛ فقال : أيها الرجل ، تقدم فقاتل فقد حُسم ما ترى ، وقال سليط : إن العرب لم تلق مثل جمع فارس قط ولا كان لهم بقتالهم عادة ، فاجعل لهم ملجأ ومرجعاً من هزيمة إن كانت ، فقال : والله لا فعلت جبنت يا سليط ، فقال سليط : والله ما جبنت ، وأنا أجراً منك نفساً وقيلاً ، ولكن والله أشرت بالرأي ، فلما قطع أبو عبيد الجسر والتحم الناس واشتد القتال نظرت العرب إلى الفيلة عليها التجافيف فرأوا شيئاً لم يروا مثله قط ، فانهزم الناس جميعاً ، ثم مات في الفرات أكثر من قتل بالسيف ، وخالف أبو عبيد سليطاً ، وقد كان عمر أوصاه أن يستشير ولا يخالفه ، وكان رأي سليط أن لا يعبر حتى يعبروا إليه ، ولا يقطع الجسر ، فخالفه ، وقال سليط في بعض قوله : لو لا أني أكره خلاف الطاعة لانحزرت بالناس ، ولكني أسمع وأطيع ، وإن كنت قد أخطأت وأشركني عمر معك ، فقال له أبو عبيد : تقدم أيها الرجل ، فقال : أفعل ، فتقدما فقتلا جميعاً ، وقد كان أبو عبيد في هذا اليوم ترجلاً ، وقد قتل من الفرس نحو ستة آلاف ، فدنا من الفيل ورمحه في يده فطعنه في عينه ، فخبط الفيل أبا عبيد بيده ؛ وجال الناس ، وتراجعت رجال فارس ، فأخذ الناس السيف لما قتل أبو عبيد ، وبادر رجل من بكر بن وائل والمثنى بن حارثة ، فحمى الناس حتى عقدوا الجسر فعبروا ومعهم المثنى بن حارثة ، وقد فقد من الناس أربعة آلاف غرقاً وقتلاً ، وكان على جيش فارس في هذا اليوم جاذويه ، ومعه راية فارس التي كانت لأفريدون ، حتى ثار الناس من الوهاد ، وهي المعروفة بدرفش كاويان وكانت من جلود

النمور طولها اثنا عشر ذراعاً في عرض ثمانية أذرع على خشب طوال موصل ، وكانت فارس تليمن بها وتظهرها في الامر الشديد ، وقد قدمنا الخبر عن هذه الراية في اخبار الفرس الأولى فيما سلف من هذا الكتاب .

ولما قتل أبو عبيد الثقفي بالجسر شق ذلك على عمر وعلى المسلمين ، فخطب عمر الناس وحثهم على الجهاد ، وأمرهم بالتأهب لأرض العراق ، وعسكر عمر بصرار وهو يريد الشخصوص ، وقد استعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله ، وعلى ميمنته الزبير بن العوام ، وعلى ميسرته عبد الرحمن بن عوف ، ودعا الناس ، فاستشارهم فأشاروا عليه بالسير ، ثم قال لعلي : ما ترى يا أبا الحسن ، أسير أم أبعث ؟ قال : سر بنفسك فإنه أهيب للعدو وأرعب له ، فخرج من عنده ، فدعا العباس في جيلة من مشيخة قريش وشاورهم ، فقالوا : أقم وابعث غيرك ليكون للمسلمين إن انهزموا فئة ، وخرجوا ، فدخل اليه عبد الرحمن بن عوف ، فاستشاره ، فقال عبد الرحمن : فديت بأبي وأمي ، أقم وابعث ، فإنه إن انهزم جيشك فليس ذلك كهزيمتك ، وإنك إن تهزم أو تقتل يكفر المسلمون ولا يشهدوا أن لا إله الا الله أبداً ، قال : أشر علي من أبعث ؟ قال : قلت : سعد بن أبي وقاص ، قال عمر : أعلم أنت سعداً رجلاً شجاعاً ، ولكني أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب ، قال عبد الرحمن : هو على ما تصف من الشجاعة ، وقد صعب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد بديراً فاعهد اليه عهداً وشاورنا فيما أردت أن تحدث اليه ، فإنه لن يخالف أمرك ، ثم خرج فدخل عثمان عليه ، فقال له : يا أبا عبد الله أشر علي أسير أم أقم ؟ فقال عثمان : أقم يا أمير المؤمنين وابعث بالجيش ، فإنه لا آمن إن أتى عليك آت أن ترجع العرب عن الإسلام ، ولكن ابعث الجيش

وداركها بعضها على بعض ، وابتعث رجلا له تجربة بالحرب وبصريها ، قال عمر : ومن هو ؟ قال : علي بن أبي طالب ، قال : فالفه وكله وذاكره ذلك ، فهل تراه مسرعا إليه أولا ، فخرج عثمان فلقني عليا فذاكره ذلك ، فأبى علي ذلك وكرهه ، فعاد عثمان إلى عمر فأخبره ، فقال له عمر : ومن ترى ؟ قال : سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، قال : ليس بصاحب ذلك ، قال عثمان : طلحة بن عبيد الله ، قال له عمر : أين أنت من رجل شجاع ضروب بالسيف رام بالنبل ، ولكني أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب ؟ قال : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : سعد بن أبي وقاص ، فقال عثمان : هو صاحب ذاك ؛ ولكنه رجل غائب وما منعتني من ذكره إلا أنني قلت : رجل غائب في عمل ، فقال عمر : أرى أن أوجهه ، وأكتب إليه أن يسير من وجهه ذلك ، فقال عثمان : رؤسره فليشاور قوما من أهل التجربة والبصر بالحرب ولا يقطع الأمور حتى يشاورهم ، ففعل عمر ذلك وكتب إلى سعد بالتوجه نحو العراق .

وقد كان جرير بن عبد الله البجلي قدم على عمر - وقد اجتمعت إليه بجيلة - فسرحتهم نحو العراق ، وجعل لهم ربع ما ظهروا عليه من السواد ، وسأهمهم مع المسلمين ، وخرج عمر فشيعة ، ولحق جرير بناحية الأبله ثم صاعد إلى ناحية المدائن ، ونمي قدوم جرير إلى مرزبان المدائن وكان في عشرة آلاف من فارس من الأساورة ، وذلك بعد يوم الجسر ومقتل أبي عبيد وسليط ، فقال بجيلة لجرير : اعبر الدجلة إلى المدائن ، فقال جرير : ليس ذلك بالرأي ، وقد مضى لكم في ذلك عبرة بمن قتل من اخوانكم يوم الجسر ، ولكن أمهلوا القوم ، فان جمعهم كثير حتى يعبروا اليكم ، فان فعلوا فهو الظفر ان شاء الله تعالى ، فأقامت الفرس أياما بالمدائن ، ثم أخذوا في العبور ،

فلما عبر منهم النصف أو نحوه حمل عليهم جرير فيمن تسرع معه من بجيلة ، فثبتوا ساعة ، فقتل المرزبان ، وأخذهم السيف ، وغسرق أكثرهم في دجلة ، وأخذ المسلمون ما كان في عسكرهم ، وسار جرير فاجتمع مع المثنى بن حارثة الشيباني بالبجلة ، فأقبل إليها مهران في جيوشه : فامتنع المسلمون من العبور إليهم ، فعبر مهران وبني على المسلمين ، فالتقوا وصبر الفريقان جميعاً حتى قتل مهران ، قتله جرير بن عبد الله البجلي وحسان بن المنذر بن ضرار الضبي ، ضربه البجلي ، وطعنه الضبي ، وفاز جرير بمنطقته وسلبه وتنازع جرير وحسان في أيها القاتل لمهران ، وقد كان جرير ضربه بعد أن طعنه حسان ، ولحسان في ذلك أبيات :

ألم ترني خالستُ مهرانَ نَفْسَه - بأشمرَ فيه كالخلال طرير
فخر صريعاً والتقتاني برجله - وبادر في رأس الهمام جرير
فقال : قتيلي ، والحوادث جمة ، وكاد جرير للسرور يطير
فقال أبو عمرو : وقتلي قتلتَه ومثلي قليل والرجال كثير
فأرسل ينياً أن رححك ناله - وأكرم أن تحلف وأنت أمير
وقد تنازع أهل الأخبار والسير في جرير والمثنى : فمن الناس من ذهب إلى أن جريراً كان هو المولثي على الجيش ، ومنهم من رأى أن جريراً على قومه والمثنى على قومه .

ولما قتل مهران أعظمت الفرس ذلك ، وسار شيرازاد في جمع فارس الأعظم وكنيته بوران ؛ وقد كانت جبهة الأساورة تقدمت وتقدم أمامهم رستم : فتنحى المسلمون لما بلغهم مسيره ، فلحق جرير بكازمة فنزلها ، وسار المثنى بقومه من بكر بن وائل فنزل بسيراف ، وبها آبار كثيرة بين الكوفة وزبالة على ثلاثة أميال من المنزل المعروف بواقصة ، وكان المثنى قد أصيب بجراحات كثيرة في بدنه يوم الجسر

وغيره فمات بسيراف ، رحمه الله تعالى ! .
 سعد بن أبي وقاص : ولما ورد كتاب عمر على سعد بن أبي وقاص
 نزل زبالة على حسب ما أمره به عمر ، ثم أتى سيراف ، وأتاه
 الناس من الشام وغيرها ، ثم سار فنزل العذيب وهو على قم
 البر وطرف السواد بما يلي القادسية ، فالتقى جيش المسلمين وجيش
 الفرس وعليهم رستم ، والمسلمون يومئذ في ثمانية وثمانين ألفاً ، وقيل :
 إن من أسنهم له ثلاثون ألفاً والمشركون في ستين ألفاً ، أمام جيوشهم
 الفيلة عليها الرجال ، وحرص الناس بعضهم بعضاً ، وبرز أهل النجدات ،
 فأشبوا القتال ، وخرج اليهم أقرانهم من صناديد فارس ، فاعتوروا
 الضرب والطعن ، وخرج غالب بن عبد الله الأسدي في من خرج ذلك
 اليوم وهو يقول :

قد علمت واردة المسالحي ذات البنان واللبنان الواضح
 أني سمام البطل المشايخ وفارج الأمر المهم الفادح
 فخرج اليه هرمز - وكان من ملوك اليباب والابواب ، وكان متوجاً
 - فأسره غالب أسراً ، فأتى به سعداً ، وكر راجعاً إلى المطاردة ،
 وحمي الوطيس ؛ وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول :

قد علمت بيضاء صفراء اللبب مثل اللجين يتغشاه الذهب
 أني امرؤ لا من يعنيه السبب مثلي على مثلك يغريه العتب
 فبرز اليه عظيم من أساورتهم ، فجالا ، ثم إن الفارسي ولّى ،
 واتبعه عاصم حتى لجأ إلى صفوفهم ، وعمّوه ، وغاص عاصم بينهم
 حتى أيس الناس منه ، ثم خرج في مجنبات القلب ، وقدامه بغل
 عليه صناديق موكبية بآلة حسنة ، فأتى به سعد بن مالك وعلى
 البغل رجل عليه مقطعات ديباج وقلنسوة مذهبة ، وإذا هو خباز
 الملك ، وفي الصناديق لطائف الملك من الأخبصة والعسل المعقود ،

فلما نظر اليه سعد قال : انطلقوا الى اهل موقفه ، وقولوا : ان الأمير قد تفكّم هذا فكلوه ففعلوا .

أيام القادسية : وكانت وقعة القادسية في المحرم سنة أربع عشرة ، ومال من الفيلة سبعة عشرة فيلا على كل فيل عشرون رجلاً ، وعلى الفيلة تحافيف الحديد والقرون مجللة بالديباج والحرير نحو بحيلة ، وحول الفيلة الرجال والخيول ، فبعث سعد الى بني أسد لما نظر الى المراكب والفيول قد مالت الى بحيلة ، فأمرهم بمعونتهم ، ومالت عشرون فيلا نحو القلب ، فخرج طلحة بن خويلد الأسدي مع فرسان بني أسد فقتل منهم خمسمائة رجل سوى من قتل من غيرهم فباشروا قتال الفيلة حتى أوقفوها ، واشتد الجلاء على بني أسد في هذا اليوم من سائر الناس ، وهذا اليوم يعرف بيوم أغواث .

فلما أصبح الناس في اليوم الثاني أشرف على الناس خيول المسلمين من الشام ، والأمداد سائرة قد ضغطت بأسنحتها الشمس عليها هاشم بن عتبة بن ابي وقاص في خمسة آلاف فارس من بني ربيعة ومضر والوف من اليمن ، ومعهم القعقاع بن عمرو ، وذلك بعد فتح دمشق بشهر ، وقد كان عمر رضي الله عنه كتب الى ابي عبيدة بن الجراح بصرف أصحاب خالد بن الوليد الى العراق ، ولم يذكر في كتابه خالداً ، فشع أبو عبيدة بتخليفة خالد عن يده ، وبعث برجاله وعليهم هاشم بن عتبة على ما ذكرنا ، وقد كانت في نفس عمر على خالد أشياء من أيام أبي بكر في قصة مالك بن نويرة ، وغير ذلك ، وكان خالد بن الوليد خال عمر ، فتقدم القعقاع في اوائل المدد ، فأيقن أهل القادسية بالنصر على فارس ، وزال عنهم ما لحقهم بالأمس من القتل والجراح ، وبرز القعقاع حين وروده أمام الصف ونادى : هل من مبارز ؟ فبرز اليه عظيم منهم ، فقال له القعقاع : من أنت ؟ قال :

ألا بهمن بن جاذويه ، وهو المعروف بذي الحاجب ، فنادى القعقاع :
 بالثارات أبي عبيد وسليط وأصحابهم يوم الجسر ! وقد كان ذو الحاجب
 مبارزاً لهم على ما ذكرنا من قتله إياهم ، فجلاً ، فقتله القعقاع ، ويقال
 ان القعقاع قتل في ذلك اليوم ثلاثين رجلاً في ثلاثين حملة ، كل حملة
 يقتل فيها رجلاً ، وكان آخر من قتل عظيماً من عظمائهم يقال له
 بزرجمهر ، ففيه يقول القعقاع :

حَبَوْتُهُ جِيَّاشَةً بِالنَّفْسِ هَدَّارَةً مِثْلَ شَعَاعِ الشَّمْسِ
 فِي يَوْمِ أَغْوَاثِ قَلِيلِ الْفَرَسِ أَنْخَسَ بِالْقَوْمِ أَشَدَّ نَخْسِ
 حَقٌّ يَفِيضُ مَعْشَرِي وَنَفْسِي

وبارز في ذلك اليوم الأعور بن قطبة شريار سجستان فقتل كل
 واحد منها صاحبه ، فقال أخو الأعور في ذلك :
 لَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَحْلَى وَأَمْرٌ مِنْ يَوْمِ أَغْوَاثِ إِذَا افْتَرَّ الشُّفْرُ
 مِنْ غَيْرِ ضَعْفِكَ كَانَ اسْوَا وَابِرْ

واعتل سعد فتخلف في حصن العذيب ، وجلس في اعلاه يشرف على
 الناس ، وقد تواقف الفريقان جميعاً ، وأمسى الناس ينتمون ، فلما سمع
 ذلك سعد قال لمن كان عنده في أعلى القصر : إن تم الناس على
 الانتماء فلا توقظوني فإنهم أقوياء على عدوهم ، وإن سكتوا فأيقظوني
 فإن ذلك شر ، واشتد القتال في الليل .

أبو محجن الثقفي : وكان أبو محجن الثقفي محبوساً في أسفل القصر ،
 فسمع انتداء الناس إلى آبائهم وعشائهم ، ووقع الحديد وشدة البأس ،
 فتأسف على ما يفوته من تلك المواقف ، فحباً حتى صعد إلى سعد
 يستشفعه ويستقيله ، ويسأله أن يخلي عنه ليخرج ، فزجره سعد
 وردّه ، فانحدر راجعاً ، فنظر إلى سلمى بنت حفصة زوجة المثنى
 ابن حارثة الشيباني ، وقد كان سعد تزوجها بعده ، فقال : يا بنت

حفصة ، هل لك في خير ؟ فقالت : وما ذاك ؟ قال : تخلين عني وتعيريني البلقاء والله علي إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في القيد ، فقالت : وما أنا وذلك ؟ فرجع يرسف في قيده وهو يقول :

كفى حزنًا أن ترتدي الخيل بالقنا وأترك مشدوداً علي وثاقياً
إذا قت عناني الحديد فأغلقت مصاريع من دوني تُصِمُّ المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وثروة فقد تركوني واحداً لا أخا ليا
فله عهد لا أخيس بعهد لئن فرجت أن لا أزور الحوانيا
فقلت سلمى : إني استخرت الله ورضيت بعهدك ، فأطلقته ،
وقالت : شأنك وما أردت ، فاقتاد بلبقاء سعد ، وأخرجها من باب
القصر الذي يلي الخندق ، فركبها ثم دب عليها ، حتى إذا كان بحيال
ميمنة المسلمين كبر ، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمح وسلاحه
بين الصفين ، فأوقف ميسرتهم وقتل رجالاً كثيراً من فتاكهم ،
ونكس آخرين ، والفريقان يرمقونه بأبصارهم ، وقد تنوزع في البلقاء ؛
فمنهم من قال : إنه ركبها عثرياً ، ومنهم من قال : بل ركبها
بسرّج ، ثم غاص في المسلمين ، فخرج في ميسرتهم ، وحمل على ميمنة
القوم فأوقفهم ، وجعل يلعب برمح وسلاحه ، لا يبدو له فارس إلا
هتكه ، فأوقفهم ، وهابته الرجال ، ثم رجع فناصر في قلب المسلمين ،
ثم برز أمامهم ووقف بإزاء قلب المشركين ، ففعل مثل أفعاله في
الميمنة والميسرة ، وأوقف القلب - حتى لم يبرز منهم فارس إلا اختطفه ،
وحمل عن المسلمين الحرب ، فتعجب الناس منه ، وقالوا : من هذا
الفارس الذي لم نره في يومنا ؟ فقال بعضهم : هو ممن قدم علينا من
إخواننا من الشام من أصحاب هاشم بن عتبة المرقال ، وقال بعضهم :
إن كان الحضر عليه السلام يشهد الحرب فهذا هو الحضر قد من

الله به علينا وهو علم نصرنا على عدونا ، وقال قائل منهم : لولا أن
الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا إنه ملك ، وأبو محجن كالليث
الضَّرغام قد هتك الفرسان كالعقاب يحول عليهم ، ومن حضر من
فرسان المسلمين مثل عمرو بن معديكرب وطلحة بن خويلد والقمقاع
ابن عمرو وهاشم بن عتبة المرقال وسائر فتاك العرب وأبطالها
ينظرون إليه ، وقد حاروا في أمره ، وجعل سعد يفكر ويقول
وهو مُشرف على الناس من فوق القصر : والله لولا محبس أبي
محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء ، فلما انتصف الليل تحاجز
الناس ، وتراجعت الفرس على أعقابها ، وتراجع المسلمون إلى مواضعهم
على بقيتهم ومصافهم ، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث
خرج ولا يعلم به ، ورَدَّ البلقاء إلى مربطها وعاد في محبسه ووضع
رجله في القيد ، ورفع عقيرته وهو يقول :

لقد علمت ثقيف غير فخر بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكرمهم دُرُوعاً سابغات وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا
وليلة قادم لم يشعروا بي ولم أشعر بخرجي الزحوفا
وأنا وفدم في كل يوم فإن عتبوا فسل بهم عريفا
فإن أحبس فذلكم بلائي وإن أترك أذيقهم الخوفا

فقالت له سلمى : يا أبا محجن ، في أي شيء حبسك هذا الرجل ؟
تعني سعداً ، قال : والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنني
كنت صاحب شراب في الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على
لساني فأصف القهوة وتداخلي أريحية فألتذ بمدحي إياها ، فلذلك
حبسني لأنني قلت فيها :

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروني عظامي بعد موتي عروفا
ولا تدفني بالفلاة فاني أخاف إذا ما مُت أن لا أذوقها

وهي أبيات .

وقد كان بين سلمى وسعد كلام كثير أوجب غضبه عليها ،
لذكرها المثنى عند مختلف القنا ، فأقامت مفاضبة له عشية أغواث
وليلة الهرير وليلة السواد ، حتى إذا أصبحت أتته فترضته وصالحته .
ثم أخبرته خبرها مع أبي محجن ، فدعا به ، فأطلقه ، وقال : اذهب
فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ، قال : لا تجرم والله لا
أجبت لساني إلى صفة قبيح أبداً .

يوم عماس : وأصبح الناس في اليوم الثالث وهم على مصافهم ، وهو
يوم عماس ، وأصبحت الأعاجم على مواقفها ، وأصبح بين الفريقين
كالرجلة الحمراء - يعني الحرة - في عرض ما بين الصفين ، وقد قتل
من المسلمين ألفان وخمسمائة ما بين ريث وريث وميت ، وقتل من الأعاجم
ما لا يحصى ، فقال سعد : أيها الناس ، من شاء غسل الشهيد الميت
والرثيث ، ومن شاء فليدفنهم بدمائهم ، وأقبل المسلمون على قتلاهم
فأحرزهم وجعلهم وراء ظهورهم . وكان النساء والصبيان يدفنون الشهيد
ويحملون الرثيث إلى النساء ويمالجونهن من كلومهم ، وكان بين موضع
الوقعة وما يلي القادسية وبين حصن العذيب نخلة ، فإذا حمل الجريح
وفيه تميز وعقل ونظر إلى تلك النخلة - ولم يكن هنالك يومئذ
نخلة غيرها ، واليوم بها نخل كثير - قال لحامله : قد قربت من السواد ،
فأريحوني تحت ظل هذه النخلة ، فراح تحتها ساعة ، فسمع رجل من
الجرحى يقال بجير من طيء ، وهو يحود بنفسه ويقول :

ألا يا سلمى يا نخلة بين قادم وبين العذيب ، لا يجاورك النخل
وسمع آخر من بني تميم الله - وقد أريح تحتها وحشوته خارجة
من جوفه - وهو يقول :

أي نخلة الجرعا ، يا نخلة العدا سقتك الغواصي والغيوث الهواطل

وأثخن الأعور بن قطبة ، فحمل من المعركة ، فسأل جماله أن يريجه تحتها حتى إذا بلغ إليها قال :

أيا نخلة بين العذيب قتلة سقتك الفوادي الداجنات من النخل

وأصبح الناس صبيحة يوم القادسية ، وهي صبيحة ليلة الهزيم ، وهي تسمى ليلة القادسية من تلك الأيام ، والناس حيارى ولم يغمضوا ليلتهم كلها ، وحرض رؤساء القبائل عشائرهم ، واشتد الجلاء إلى أن جاء وقت الزوال ، فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان والنيمران ، فتأخرا ، وثبتا حيث انتهيا ، وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة ، وهبت ريح عاصف فقطعت طيارة رسم عن مريره ، فهوت في نهر العتيق والرياح دبور ، فقال الغبار عليهم ، وانتهى القمعاق وأصحابه إلى مرير رسم فعثروا به وقد قام رسم عنه حين طارت الريح بالطيارة إلى بغال قد قدمت عليهم بال يومئذ فهي واقفة فاستظل في ظل بغل منها وحده ، وضرب هلال بن علقمة الحمل الذي رسم في ظله فقطع جماله ، ووقع على رسم أحد العِدْلَيْن ولا يراه هلال ولا يشعر به ، فأزال من ظهره فقارة وضربه هلال ضربة فنفتحت مسكا ، ومضى رسم الى نحو نهر العتيق فرمى بنفسه فيه ، واقتحم هلال عليه فتناوله برجله ، ثم خرج به إلى الخندق وضربه بالسيف حتى قتله ، ثم جاء به يحمله حتى رماه بين أرجل البغال ، وصعد السرير ونادى : قتلت رسم ورب الكعبة ، إلى إلى ، فطاف به الناس لا يحسون السرير ولا يرونه ، وتنادوا ، وتجبنت قلوب المشركين عندها وانهزموا وأخذهم السيف ، فمن غريق وقتيل ، وقد كان ثلاثون ألفا منهم قَرَنُوا أنفسهم بعضهم الى بعض بالسلاسل والحبال وتحالفوا بالنور وبيوت النيران لا يبرحون حتى يقتحموا أو يقتلوا ، فبحثوا على الركب ، وقرع بين أيديهم قناديل النشاب ، فقتل

القوم جميعاً .

وقد تنوزع فيمن قتل رستم : فذهب الأكثر الى أن قاتله هلال ابن علقمة من كتيمة الرباب على ما قدمنا ، ومنهم من رأى أن قاتله رجل من بني أسد ، ولذلك يقول شاعرهم في ذلك اليوم - وهو عمرو بن شاس الأسدي - من أبيات :

جلبنا الخيل من أكناف نيقر إلى كسرى فوافقها رعالا
تركن بهم على الأقسام شجواً وبالحقوين أياماً طوالا
قتلنا رستم وبنيه قسراً تثير الخيل فوقهم الهبالا
تركنا منهم حيث التقينا قياماً لا يريدون ارتحالا

وأخذ ضرار بن الخطاب في ذلك اليوم من فارس الراية العظمى المقدم ذكرها أنها من جلود النمر المعروفة بدرفش كاويان ، وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجواهر ، فعوض منها بثلاثين ألفاً ، وكانت قيمتها ألفي ألف ومائتي ألف ، وقتل في ذلك اليوم حول هذه الرواية - غير ما ذكرنا من المقتولين وغيرهم - عشرة آلاف .

تحديد تاريخ القادسية : وقد تنازع الناس من سلف وخلف في عام القادسية والعذيب ، فذهب كثير من الناس الى أن ذلك كان في سنة ست عشرة ، وهذا قول الواقدي عن آخرين من الناس ، ومنهم من ذهب إلى أن ذلك كان في سنة خمس عشرة ، ومنهم من رأى أنه كان في سنة أربع عشرة ، والذي قطع عليه محمد بن إسحاق أنها كانت في سنة خمس عشرة ، وقال : في سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب بالقيام في شهر رمضان لصلاة التراويح والذين ذهبوا الى أن وقعة القادسية كانت في سنة أربع عشرة احتجوا بهذه الرواية ، وكتب عمر الى الأمصار بإقامة صلاة التراويح ، وذهب كثير من الناس منهم المدائني وغيره أن عمر أنفذ عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة الى

البصرة فنزلها ومصرها ، وذهب كثير من الناس أنها مصرت في ربيع سنة ست عشرة ، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إليها من المدائن بعد فراغ سعد بن أبي وقاص من حرب جملوء وتكريت ، وأن عتبة قدم البصرة وهي يومئذ تدعى أرض الهند وفيها حجارة بيض فقل موضع الخريبة ، ومصر سعد بن أبي وقاص الكوفة في سنة خمس عشرة ، ودلهم على موضعها ابن نفيلة النساني ، وقال لسعد أدلك على أرض ارتفعت عن البر وانحدرت عن الفلاة ، فدلّه على موضع الكوفة اليوم .

أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة : قال المسعودي : وكان عمر لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينة ، فكتب إليه المغيرة بن شعبة : ان عندي غلاماً نقاشاً نجاراً حداداً فيه منافع لأهل المدينة ، فان رأيت أن تأذن لي في الإرسال به فعلت ، فأذن له ، وقد كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين ، وكان يدعى أبا لؤلؤة ، وكان مجوسياً من أهل نهاوند ، فلبث ما شاء الله ، ثم أتى عمر يشكو إليه ثقل خراجيه فقال له عمر : وما تحسن من الأعمال ؟ قال : نقاش نجار حداد ، فقال له عمر : ما خراجك بكثير في كنه ما تحسن من الأعمال ، فمضى عنه وهو يتذمر ، قال : ثم مر بعمر يوماً آخر وهو قاعد ، فقال له عمر : ألم أحدث عنك انك تقول : لو شئت ان اصنع رحاً تطحن بالريح لفعلت ، فقال أبو لؤلؤة : لأصنعن لك رحاً يتحدث الناس بها ومضى أبو لؤلؤة ، فقال عمر : أما العليج فقد توعدني آتفاً ، فلما أزمع بالذي أوعده به أخذ خنجراً فاشتعل عليه ثم قعد لعمر في زاوية من زوايا المسجد في الغلس ، وكان عمر يخرج في السحر فيوقظ الناس للصلاة ، فمر به ، فثار إليه فطعمه ثلاث طعنات احداهن تحت سترته وهي التي قتلتها ، وطعن اثني عشر رجلاً من أهل المسجد فمات منهم

سنة وبقي ستة ، ونحر نفسه بخنجره فمات ، فدخل عليه ابنه عبد الله ابن عمر وهو يحود بنفسه ، فقال له يا أمير المؤمنين : استخلف على أمة محمد ؟ فإنه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمه لا راعي لها ، ألمته وقلت له : كيف تركت أمانتك ضائعة ؟ فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد ؟ فاستخلف عليهم ، فقال : ان استخلف عليهم فقد استخلف عليهم أبو بكر ، وان أتركهم فقد تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيش منه عبدالله حين سمع ذلك منه .
وكان اسلام عمر قبل الهجرة بأربع سنين وكان يخضب بالحناء والكم .

أولاد عمر : وكان له من الولد : عبدالله ، وحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وعاصم ، وعبيد الله ، وزيد ، من أم ، وعبد الرحمن ، وقاطمة ، وبنات أخر ، وعبد الرحمن الأصغر - وهو المهدود في الشراب ، وهو المعروف بأبي شعبة - من أم .

عمر وابن عباس : وذكر عبدالله بن عباس ان عمر أرسل اليه فقال : يا ابن عباس ، ان عامل حص هلك ، وكان من أهل الخير ، وأهل الخير قليل ، وقد رجوت ان تكون منهم ، وفي نفسي منك شيء لم أره منك ، وأعياني ذلك ، فما رأيك في العمل ؟ قال : لن اعمل حق تخبرني بالذي في نفسك ، قال : وما تريد الى ذلك ؟ قال : أريده ، فإن كان شيء اخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت ، وان كنت بريئاً من مثله علمت أني لست من اهله ، فقبلت عملك هنالك ، فاني قلما رأيتك طلبت شيئاً الا عاجلته ، فقال : يا ابن عباس ، اني خشيت أن يأتي عليّ الذي هو آت وانت في عملك فتقول : هلم الينا ، ولا هلم اليكم دون غيركم ، اني رأيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، استعمل الناس وترككم ، قال : والله قد رأيت من ذلك ، فلم تراه فعل ذلك ؟ قال : والله ما أدري اذن بكم عن العمل فأهل ذلك انتم ، ام خشي ان تباعوا بمنزلتكم منه فيقع العتاب ، ولا بد من عتاب ، وقد فرغت لك من ذلك ، فما رأيك ؟ قال : قلت : ارى ان لا اعمل لك ، قال : ولم ؟ قلت : ان عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أبرح قذى في عينك ، قال : فأشر عليّ ، قلت : اني ارى ان تستعمل صحيحاً منك صحيحاً لك .

عمر يستعمل النعمان بن مقرن غازياً لنهاوند : وذكر علقمة بن عبد الله المزني ، عن معقل بن يسار ، أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان في فارس وأصبهان وأذربيجان ، فقال له : أصبهان الرأس ، وفارس وأذربيجان الجناحان ، فان قطعت أحد الجناحين فاء الرأس بالجناح الآخر ، وإن قطعت الرأس وقع الجناحان ، فابدأ بالرأس ، فدخل المسجد فإذا هو بالنعمان ابن مقرن يصلي ، فقدم إلى جنبه ، فلما قضى صلاته قال : ما أراني إلا مستعملك ، قال : أما جابيا فلا ، ولكن غازيا ، قال : فإنك غاز ، فوجهه وكتب إلى أهل الكوفة أن يمدوه ، وبعث معه الزبير بن العوام ، وعمرو بن معديكرب ، وحذيفة ، وابن عمرو ، والأشعث بن قيس ، فأرسل النعمان المغيرة بن شعبة إلى ملكهم ، وهو يقال له ذو الجناحين ، فقطع اليهم نهرهم ، فقبل لذي الجناحين : إن رسول العرب ما هنا ، فشاور أصحابه ، فقال : ما ترون ؟ فقالوا : اقعد له في بهجة الملك أو اقعد له في هيئة الحرب ، فقال : بسل اقعد له في بهجة الملك ، فصعد على سريره ووضع التاج على رأسه وأقعد أبناء الملوك سباطين عليهم الأقراط وأسورة الذهب والديباج ، وأذن للمغيرة ، فأخذ بضبعيه رجلان ومعه سيفه ورمحه قال : فجعل المغيرة يطعن برمحه في بسطهم يخرقها لينظروا فيفضيهم بذلك حتى قام

بين يديه وجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما ، فقال : إنكم معشر العرب أصابكم جهد ، فإن شتم مرثداكم ورجعتم ، فتكلم المغيرة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنا معشر العرب كنا أذلة يطؤونا الناس ولا نطؤهم ، ونأكل الكلاب والجيف ، ثم إن الله تعالى بعث منا نبيا في شرف منا أوسطنا حسبا وأصدقنا حديثا ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم ببعثه ، وأخبرنا بأشياء وجدناها كما قال لنا ، وإنه وعدنا فيما وعدنا به أنا سنملك ما ها هنا ونغلب عليه ، وإني أرى ها هنا هيئة وبرة ما من خلفي بتاركها حتى يصيبوها أو يموتوا ، فقالت لي نفسي : لو جمعت جراميزك ووثبت ففعدت مع العليج على سريرته حتى يتطير ، قال : فوثبت وثبة فإذا أنا معه على سريرته ، فجعلوا يلكزونني بأرجلهم ويحذبونني بأيديهم ، فقلت لهم : إنا لا نفعل برؤسكم هكذا ، وإن كنت قد فجرت واستخففت فلا تؤاخذوني ، فإن الرسل لا يصنع بها هكذا ، فقال الملك : إن شتم قطعنا اليكم وإن شتم قطعتم ألينا ، قلت : بل نقطع اليكم ، فقطعنا اليهم ، قال : فقتلوا كل خمسة وستة حتى لا يفروا ، فدنونا اليهم فضايقتناهم ، فرشقونا حتى أشرعوا فينا ، فقال المغيرة للنعمان : إنه قد أشرع في الناس وقد جرحوا ، فلو حملت ، فقال النعمان : إنك لذو مناقب ، وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال ، وكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر ، ثم قال : إني هاز لوائي ثلاث مرات ، فأما أول هزة فليقض الرجل حاجته وليتوضأ ، وأما الثانية فلينظر الرجل إلى شئعه وليلزم سلاحه ، فإذا هزرت الثالثة فاحملوا ولا يلويَنَّ أحد على أحد ، وإن قتل النعمان ، وإني داع إلى الله بدعوة ، وأقسمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها ، وقال : اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة في نصر وفتح عليهم ، فأمن القوم ،

فهرز لواءه ثلاثاً ، ثم أدنى درعه وحمل ، ثم حمل الناس فكان أول صريع ، قال معقل : فأتيت عليه فذكرت عزمته ألا أقف عليه ، وأعلمت غلبانه لأعرف مكانه ، وأمعنا القتل فيهم ، ووقع ذو الجناحين عن بغلة له شهباء فانشق بطنه ، وفتح الله على المسلمين ، فأتيت إلى مكان النعمان فصادفته وبه رمق ، فأتيته بإداوة ففسلت وجهه ، فقال : من هذا ؟ قلت : معقل بن يسار ، قال : ما فعل الله بالناس ؟ قلت : فتح الله عليهم ، قال : الحمد لله كثيراً اكتبوا بذلك إلى عمر ، وقاضت نفسه ، واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس ، وأرسلوا إلى أم ولده : هل عهد إليك النعمان عهداً له أم عندك كتاب ؟ قالت : بل سقط فيه كتاب ، فأخرجوه فإذا فيه : إذا قتل النعمان ففلان وإن قتل فلان ففلان ، وإن قتل فلان ففلان ، فامثلوا ، وفتح الله على المسلمين فتحاً عظيماً .

شهداء نهاوند : قال المسعودي رحمه الله : وهذه وقعة نهاوند ، وقد كان للأعاجم فيها جمع كثير وقتل هنالك خلق كثير : منهم النعمان بن مقرن ، وعمرو بن معديكرب . وغيرهما وقبورهم إلى هذا الوقت بينة معروفة على نحو فرسخ من نهاوند فيما بينها وبين الدينور ، وقد أقينا على وصف هذه الواقعة فيما سلف من كتبنا . عمر يسأل عمرو بن معديكرب عن قبائل من العرب ، وذكر أبو مخنف لوط بن يحيى قال : لما قدم عمرو بن معديكرب من الكوفة على عمر سأل عن سعد بن أبي وقاص ، فقال فيه ما قال من الثناء ، ثم سأل عن السلاح ، فأخبره بما علم ، ثم سأل عن قومه ، فقال له : أخبرني عن قومك مَذْحِج ودع طيئاً قال : سلفي عن أبيهم شئت ، قال : أخبرني عن علة بن جلد ، قال : هم فرسان أغراضنا ، وشفاة أمراضنا ، وهم أعتقنا ، وأنجبنا ، وأمرعنا طلباً ؛

وأقلنا هرباً ، وهم أهل السلاح والسلاح والرماح ، قال عمر : فما أبقيت
 لسعد العشيرة ؟ قال : هم أعظمنا خميساً ، وأسعنا نفوساً ، وخيرنا رئيساً ،
 قال : فما أبقيت لمراد ؟ قال : هم أوسعنا داراً ، وخيرنا جاراً ، وأبعدنا
 آثاراً ، وهم الأتقياء البررة ، والساعون الفخرة ، قال : فأخبرني عن
 بني زبيد ، قال : أنا عليهم ضنين ، ولو سألت الناس عنهم لقالوا هم
 الرأس والناس والأذئاب ، قال : فأخبرني عن طيء ، قال : خصوا
 بالجد ، وهم جمة العرب ، قال : فما تقول في عبس ؟ قال : حجم
 عظيم ، وزين أثير ، قال : أخبرني عن حمير ، قال : رعوا العفو ، وشربوا
 الصفو ، قال : فأخبرني عن كندة ، قال : ساسوا العباد ، وتمكنوا
 من البلاد ، قال : فأخبرني عن همدان ، قال : أبناء الليل وأهل النيل ،
 يمنعون الجار ، ويوفون الذمار ويطلبون للثار ، قال : فأخبرني عن الأزد ،
 قال : هم أقدمنا ميلاداً ، وأوسعنا بلاداً ، قال : فأخبرني عن الحارث
 ابن كعب ، قال : هم الحسكة المسكة ، تلقى المشايخ على أطراف
 رماحهم ، قال : فأخبرني عن لحم ، قال : آخرننا ملكاً ، وأولنا ملكاً ،
 قال : فأخبرني عن جذام ، قال : أولئك كالسجوز الغبراء ، وهم أهل
 مقال وفعال ، قال : فأخبرني عن غسان ، قال : أرباب في الجاهلية
 نجوم في الإسلام ، قال : فأخبرني عن الأوس والخزرج ، قال : هم
 الأنصار ، هم أعزنا داراً ، وأمنعنا ذماراً ، وقد كفانا الله مدحهم إذ
 يقول (والذين تبوءوا الدار والإيمان - الآية) قال : فأخبرني عن
 خزاعة ، قال : أولئك مع كنانة لنا نسبهم ، وبهم نصرنا ، قال :
 فأخبرني عن العرب أبغض إليك أن تلقاه ، قال : أما من قومي فوادعة من
 همدان ، وغطيف من مراد ، وبلحوث من مذحج ، وأما من معد
 فعدي من فزارة ، ومرة من ذبيان ، وكلاب من عامر ، وشيبان
 من بكر بن وائل ، ثم لو جلست بفرسي على مياه معد ما خفت

هيج أحد ما لم يَلْقَنِي حُرَّاهَا وَعَبْدَاهَا ، قال : ومن حُرَّاهَا ومن عبداها ؟ قال : أما حراها فعامر بن الطفيل وعُيَيْنَةُ بن الحارث ابن شهاب التميمي ، وأما عبداها فعنزة العبسي وسُلَيْكُ المناقب .
ويسأله عن الحرب : ثم سأله عن الحرب فقال : سألت عنها خيرا ، هي والله يا أمير المؤمنين مرة المذاق ، إذا شمرت عن ساق ، من صبر فيها ظفر ، ومن ضعف فيها هلك ، ولقد أحسن واصفها فأجاد :

الحرب أول ما تكون فتيةٌ تبدو بزيتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشبَّ ضرامُها عادت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للثم والتفيل
ثم سأله عن السلاح ، فأخبره بما عرف حتى بلغ السيف ،
قال : هنالك قارعتك أمك عن ثكلها ، فعلاه عمر بالدرة ، وقال :
بل أمك قارعتك عن ثكلها ، والله إني لأهم أن أقطع لسانك ،
فقال عمرو : الحمى أضرعتني لك اليوم ، وخرج من عنده وهو يقول :
أتوعدني كأنك ذو رُعَيْنِ بأنعم عيشة أو ذو نُرَاسٍ
فكم قد كان قبلك من ملوك عظيم ظاهِر الجبروتِ قاس
فأصبح أهله بادوا ، وأمسى يتقلُّ من أناس في أناس
فلا يفررك ملكك ، كلُّ ملك يصير مذلة بعد الشمس
قال : فاعتذر عمر إليه ، وقال : ما فعلت ما فعلته إلا لتعلم أن
الاسلام افضل وأعز من الجاهلية ، وفضله على الوفد .

عمرو يحدث عمر عن فراره : وقد كان عمر آنس عمراً بعد ذلك ، وأقبل يسأله ويذاكره الحروب وأخبارها في الجاهلية ، فقال له عمر : يا عمرو ، هل انصرفت عن فارس قط في الجاهلية هيبة له ؟ قال : نعم ، والله ما كنت استعملُ الكذب في الجاهلية فكيف

أستحله في الاسلام ؟ لأحدثتك حديثاً لم أحدث به أحداً قبلك ، خرجت في جريدة خيل لبني زبيد أريد الغارة ، فأتينا قوماً امرأة ، فقال عمر : وكيف عرفت أنهم امرأة ؟ قال : رأيت مزاود وقصوراً مكفأة وقباب آدم حمراً ونعماً كثيراً وشاء ، قال عمرو : فأهويت إلى أعظمها قبة بعد ما حوينا السبي ، وكان متبدداً من البيوت ، وإذا امرأة بادية الجمال على فرش لها ، فلما نظرت إليّ وإلى الخيل استعبرت ، فقلت : ما يبكيك ؟ قالت : والله ما أبكي على نفسي ، ولكني أبكي حسداً لبنات عمي يسلمن وأبتلي أنا من بينهن ، فظننت والله أنها صادقة ، فقلت لها : وأين هن ؟ قالت : في هذا الوادي ، فقلت لأصحابي : لا تحذروا شيئاً حتى آتيكم : ثم همزت فرسي حتى علوت كثيراً ، فإذا أنا بفلام أصهب الشعر اهذب اقنى أقرباً يخصف نعاله وسيفه بين يديه وفرسه عنده ، فلما نظر إليّ رمى النعل من يده ثم أحضر غير مكترث ، فأخذ سلاحه وأشرف على ثنية ، فلما نظر إلى الخيل محيطة ببيته ركب ثم أقبل نحوي وهو يقول :

أقول لما منحتني فاما والبستي بكرة رداها
إني سأحوي اليوم من حواها فليت شمري اليوم من دهاها
فعملت عليه وأنا أقول :

عمرو على طول الردى دهاها بالخيل يقيها على وجاها
حتى إذا حل بها حواها

ثم حملت عليه بالفرس فإذا هو أروغ من هر ، فراغ عني ، ثم حمل عليّ فضربني بسيفه ضربة جرححتني ، فلما أفقت من ضربته حملت عليه ، فراغ والله ، ثم حمل عليّ ، ثم صرعتني ، ثم استاق ما في أيدينا ، ثم استويت على فرسي ، فلما رأياني أقبل وهو يقول :

أنا عبيد الله محمود الشيم وخير من يمشي بساق وقدم
عدوه يفديه من كل السقم

فحملت عليه وأنا أقول :

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الاصم أنا ابن ذي الاكليل قتال البهم
من يلقي يودي كما اودت إرم اتركه لحما على ظهر وضم

فراغ والله عني ، ثم حمل علي فضربني ضربة أخرى ، ثم صرخ
صرخة ، ورأيت الموت والله يا أمير المؤمنين ليس دونه شيء ، وخفته
خوفا لم أخف قط أحدا مثله ، وقلت له : من أنت ثكلتك أمك ؟
فوالله ما اجترأ على أحد قط الا عامر بن الطفيل لاجابه بنفسه ،
وعمر بن كلثوم لسنه وتجربته فمن أنت ؟ قال : بل من انت ؟
خبرني والا قتلتك ، قلت : انا عمرو بن معد يكرب ، قال : وانا ربيعة
ابن مكدم ، قلت : اختر مني احدي ثلاث خصال : ان شئت اجتلدنا
بسيوفنا حتى يموت الاعجز منا ، وان شئت اصطرعنا ، وان شئت
السلم ، وانت يا ابن اخي حدث ويقومك اليك حاجة ، قال : بل
هي اليك ، فاختر لنفسك ، واخترت السلم ، ثم قال : انزل عن فرسك ،
قلت : يا ابن اخي قد جرححتني جراحتين ولا نزول لي ، فوالله ما
كف عني حتى نزلت عن فرمي ، فأخذ بعنانه ، ثم اخذ بيدي في
يده وانصرفنا الى الحي وانا اجر رجلي ، حتى طلعت علينا الخيل
فلما رأوني همزوا خيولهم الى قناديتهم : اليكم ، وارادوا ربيعة ، فمضى
والله كأنه ليث حتى شقهم ، ثم اقبل علي فقال : يا عمرو ، لعل
اصحابك يريدون غير الذي تريد ، فصمت والله القوم ما فيهم احد
ينطق واعظموا ما رأوا منه ، فقلت : يا ربيعة بن مكدم لا يريدون
الا خيرا ، واما سميت ليعرفه القوم ، فقال لهم : ما تريدون ؟ فقالوا :
وما تريد ؟ قد جرححت فارس العرب ، واخذت سيفه وفرسه ، ومضى

ومضينا معه ، حتى نزل ، فقامت اليه صاحبه وهي ضاحكة تمسح وجهه ، ثم أمر بإبل فنحرت ، وضربت علينا قباب ، فلما أمسينا جاءت الرعاء ومعهم أفراس لربيعه لم أر مثلها قط فلما رأى نظري اليها قال : كيف ترى هذه الخيول ؟ قلت : لم أر مثلها قط ، قال : أما لو كان عندي بعضها ما لبثت في الدنيا الا قليلا ، فضحكت وما ينطق احد من اصحابي ، فأقنا عنده يومين ثم انصرفنا .

عمرو بن معديكرب يخبر على بني كنانة : قال : وقد كان عمرو ابن معديكرب بعد ذلك بزمان اغار على كنانة في صناديد قومه فأخذ غنائمهم ، واخذ امرأة ربيعة بن مكدم ، فبلغ ذلك ربيعة - وكان غير بعيد - فركب في الطلب على فرس عري ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه ، فلما نظر اليه قال : يا عمرو ، نخل عن الظعينة وما معك فلم يلتفت اليه ، ثم اعاد عليه ، فلم يلتفت اليه ، فقال : يا عمرو ، إما أن تلق لي راما أن أقف لك ، فوقف عمرو وقال : لقد أنصف القارة من راماهما ، قف لي يا ابن أخي ، فوقف له ربيعة فحمل عليه عمرو وهو يقول :

أنا أبو كوزٍ ووقف الزلق لست بأفون ولا في خرق
وأسد القوم إذا احمر الحدق إذا الرجال بعضهم ناب الفرق
وجدتني بالسيف هتاك الحلق

حتى اذا ظن أنه قد خالطه السنان اذا هو لبب لفرسه ، وممر السنان على ظهر الفرس ، ثم وقف له عمرو ، فحمل عليه ربيعة وهو يقول :

أنا الغلام ابن الكناني لا بدخ كم من هزبر قد رأي فانشدخ
فقرع بالرمح رأسه ، ثم قال : خذها إليك يا عمرو ، ولولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك ، فقال عمرو : لا ينصرف الا احدا ،

فقف لي ، فحمل عليه حتى اذا ظن انه قد خالطه السنان اذا هو حزام
لفرسه ، وتمر السنان على ظهر الفرس ثم حمل عليه ربيعة فقرع بالرمح
رأسه ايضاً ، وقال : خذها اليك يا عمرو ثانية ، وإنما العفو مرتان ،
وصاحت به امراته : السنان لله درك ، فأخرج سناناً من سنخ إزاره
كأنه شعلة نارية ، فركبه على ربعه ، فلما نظر إليه عمرو ، وذكر طعنته
بلا سنان قال له عمرو : يا ربيعة خذ الغنيمة ، قال : دَعُها وانج ،
فقالت بنو زبيد : انترك غنيمتنا لهذا الغلام ؟ فقال لهم عمرو :
يا بني زبيد ، والله لقد رأيت الموت الأحمر في سنانه ، وسمعت صريه
في تركيبه ، فقالت بنو زبيد : لا يتحدث العرب ان قوماً من بني
زبيد فيهم عمرو بن معديكرب تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام ،
قال عمرو : إنه لا طاقة لكم به ، وما رأيت مثله قط ، فانصرفوا
عنه ، واخذ ربيعة امرأته والغنيمة وعاد إلى قومه .

قال المسعودي رحمه الله تعالى : ولعمري بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه أخبار كثيرة في أسفاره في الجاهلية إلى الشام والعراق مع
كثير من ملوك العرب والعجم ، وسير في الإسلام ، وأخبار وسياسات
حسان ، وما كان في أيامه من الكوائن والأحداث وفتوح مصر
والشام والعراق وغيرها من الأمصار ، قد أتينا على مبسوطها في
كتابنا « أخبار الزمان » ، والكتاب الأوسط ، وإنما نذكر في هذا
الكتاب لمعاً مما لم نذكره فيما سلف من كتبنا ، وبالله التوفيق .

ذكر

خلافة عثمان بن عفان

رضي الله تعالى عنه

موجز : بوبع عثمان يوم الجمعة غرة المحرم ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وقتل لاثني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وقيل غير ذلك مما سنورده بعد هذا الموضع إلا أنه في ذي الحجة ؛ فجميع ما ولي اثنتا عشرة سنة إلا ثمانية أيام ، وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ، ودفن بالمدينة بموضع يعرف بحش كوكب وكانت خلافته رضي الله تعالى عنه اثني عشرة سنة إلا ثمانية أيام .

ذكر

نسبه ، ولمع من أخباره وسيره

نسبه وأولاده : هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ويكنى بأبي عبد الله وأبي عمرو ، والأغلب منها أبو عبد الله ، وأمه أروى بنت كريز بن جابر بن حبيب بن عبد شمس ، وكان له من الولد : عبد الله الأكبر ، وعبد الله الأصغر ، أمها رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبان ، وخالد ، وسعيد ، والوليد ، والمغيرة ، وعبد الملك ، وأم أبان ، وأم سعيد ، وأم

عمرو ، وعائشة ، وكان عبدالله الأكبر يلقب بالمطرف لجماله وحسنه ، وكان كثير التزوج ، كثير الطلاق ، وكان أبان أبرصاً حول ، قد حمل عنه اصحاب الحديث عدة من السنن ، وولي لبني مروان مكة وغيرها ، وكان سعيد حول بخيلاً ، وقتل في زمن معاوية وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون ، وقتل ابوه وهو مخلوق الوجه سكران عليه مصبغات واسعة ، وبلغ عبد الله الأصغر من السن ستاً وسبعين عاماً ، فنقره ديك في عينه ، فكان ذلك سبب موته ، وعبد الملك مات صغيراً ولا عقب له .

صفاته : وكان عثمان في نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل في القريب والبعيد ، فسلك عماله وكثير من اهل عصره طريقته ، وتأسوا به في فعله ، وبني داره في المدينة ، وشيدها بالحجر والكليس ، وجعل أبوابها من الساج والعرعر ، واقتنى أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة .

ثروته : وذكر عبد الله بن عتبة ان عثمان يوم قتل كان له عند خازنه من المال خمسون ومائة الف دينار والاف الف درهم ، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحطين وغيرها مائة الف دينار ، وخلف خيلاً كثيراً وإبلاً .

ثروة الزبير بن العوام : وفي أيام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور : منهم الزبير بن العوام ، بنى داره بالبصرة ، وهي المعروفة في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - تنزلها التجار وأرباب الأموال واصحاب الجهاز من البحرين وغيرهم ، وابتنى أيضاً دوراً بمصر والكوفة والإسكندرية ، وما ذكرنا من دوره وضياعه فمعلوم غير محمّل إلى هذه الغاية .

وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار ، وخلف الزبير
ألف فرس ، وألف عبد وأمة ، وخططاً بحيث ذكرنا من الأمصار .

ثروة طلحة بن عبيد الله : وكذلك طلحة بن عبيد الله التيمي :
ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت ، المعروفة بالكناسة
بدار الطلحين ، وكان غلته من العراق كل يوم ألف دينار ، وقيل
أكثر من ذلك ، وبناحية الشراة أكثر مما ذكرنا ، وشيد داره بالمدينة
وبناها بالآجر والجص والساج .

ثروة عبد الرحمن بن عوف : وكذلك عبد الرحمن بن عوف
الزهري ، ابتنى داره ووسعها ، وكان على مربطه مائة فرس ، وله
ألف بعير ، وعشرة آلاف شاة من الغنم ، وبلغ بعد وفاته رُبْعُ ثمن
ماله أربعة وثمانين ألفاً .

ثروة قوم من الصحابة : وابتنى سعد بن أبي وقاص داره بالمعيق ،
فرفع سمكها ، ووسع قضاها ، وجعل أعلاها شرفات .

وقد ذكر سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف
من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس ، غير ما خلف من الأموال
والضياع بقيمة مائة ألف دينار .

وابتنى المقداد داره بالمدينة في الموضع المعروف بالجرف على أميال
من المدينة وجعل أعلاها شرفات ، وجعلها مخصصة للظاهر والباطن .
ومات يعلى بن منية ، وخلف خمسمائة ألف دينار ، وديوناً على
الناس ، وعقارات ، وغير ذلك من التركة ما قيمته ثلاثمائة ألف
دينار .

وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه ، فيمن تملك من الأموال

في أيامه ، ولم يكن مثل ذلك في عصر عمر بن الخطاب ، بل كانت جادة واضحة وطريقة بيّنة .

وحج عمر فأنفق في ذهابه وبعثه الى المدينة ستة عشر ديناراً ، وقال لولده عبد الله : لقد أسرفنا في نفقتنا في سفرنا هذا .

ولقد شكّا الناس أميرهم بالكوفة سعد بن أبي وقاص - وذلك في سنة إحدى وعشرين - فبعث عمر محمد بن مسلمة الانصاري حليف بني عبد الأشهر ، فحرق عليه باب قصر الكوفة ، وعرضه في مساجد الكوفة يسألهم عنه ؛ فحمدوه بعضهم ، وشكاه بعض ، فعزله وبعث إلى الكوفة عمار بن ياسر على الثغر ، وعثمان بن حنيف على الخراج ، وعبد الله بن مسعود على بيت المال ، وأمره ان يعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين ، وفرض لهم في كل يوم شاة ؛ فجعل شطرها وسواقطها لعمار بن ياسر ، والشطر الآخر بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف ، فأين عمر ممن ذكرنا ؟ وأين هو عما وصفنا ؟

عمال عثمان : وقدم على عثمان عمه الحكم بن أبي العاص وابنه مروان وغيرها من بني أمية - والحكم هو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي غرّبه عن المدينة ، ونفاه عن جواره - وكان عماله جماعة منهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط على الكوفة ، وهو من أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من اهل النار ، وعبد الله بن أبي سرح على مصر ، ومعاوية بن أبي سفيان على الشام ، وعبد الله بن عامر على البصرة ، وصرف عن الكوفة الوليد بن عقبة ، وولاه سعيد ابن العاص .

الوليد بن عقبة : وكان السبب في صرف الوليد بن عقبة وولاية

سعيد - على ما روي - أن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنييه من أول الليل الى الصباح ، فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلاً في غلائله ، فتقدم الى المحراب في صلاة الصبح ، فصلى بهم أربعا ، وقال : أتريدون ان ازيدكم ؟ وقيل : إنه قال في سجوده وقد أطال ، اشرب واسقني ، فقال له بعض من كان خلفه في الصف الاول : ما يزيد لا زادك الله من الخير ، والله لا اعجب إلا ممن بعثك بنا والياً وعلينا أميراً ، وكان هذا القائل عتاب بن عيلان الثقفي .

وخطب الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد ، فدخل قصره يترنح ، ويتمثلُ بأبيات لتأبط كسراً :

ولست بمبدأ عن مدام وقينة ولا بصفا صلد عن الخير معزل
ولكنني أروي من الخمر هامتي وأمشي المتلا بالساحب المتسلسل

وفي ذلك يقول الخطيئة :

شهد الخطيئة يوم يلقي ربه أن الوليد احق بالمعذر
نادى وقد تمت صلاتهم أأزيدكم ؟ ! ثلاً وما يدري
ليزيدهم أخرى ، ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر

حبسوا عنانك في الصلاة ، ولو خلّوا عنانك لم تزل تجري
وأشاعوا بالكوفة فعله ، وظهر فسقه ومداومته شرب الخمر ،
فهجم عليه جماعة من المسجد منهم ابو زينب بن عوف الأزدي
وجندب بن زهير الأزدي وغيرهما ، فوجدوه سكران مضطجعا على
سريره لا يعقل ، فأيقظوه من رقدته ، فلم يستيقظ ، ثم تقايا عليهم

ما شرب من الخمر ، فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم الى المدينة ، فأتوا عثمان بن عفان ، فشهدوا عنده على الوليد انه شرب الخمر ، فقال عثمان : وما يدريكما انه شرب خمرأ ؟ فقالا : هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية ، وأخرجنا خاتمه فدفعاه اليه ، فزجرهما ودفع في صدورهما ، وقال : قنحيًا عني ، فخرجنا من عنده وأتيا علي بن ابي طالب رضي الله عنه واخبراه بالقصة ، فأتى عثمان وهو يقول : دفعت الشهود ، وأبطلت الحدود ، فقال له عثمان : فما ترى ؟ قال : أرى ان تبعث الى صاحبك فتعضره فإن اقاما الشهادة عليه في وجهه ولم يدرأ عن نفسه بحجة اقت عليه الحد ، فلما حضر الوليد دعاهما عثمان فأقاما الشهادة عليه ولم 'يدل بحجة ، فألقى عثمان السوط الى علي ، فقال علي لابنه الحسن : قم يا بني فأقم عليه ما أوجب الله عليه ، فقال يكفينيه بعض من ترى ، فلما نظر إلى امتناع الجماعة عن اقامة الحد عليه ، توقياً لغضب عثمان لقربته منه ، أخذ علي السوط ودنا منه ، فلما أقبل نحوه سبه الوليد ، وقال : يا صاحب مكس ، فقال عقيل بن أبي طالب وكان ممن حضر : انك لتتكلم يا ابن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت ، وأنت عالج من أهل صفورية - وهي قرية بين عكاء واللجون ، من أعمال الأردن ، من بلاد طبرية ، كان ذكر ان اياه كانت يهوديا منها - فأقبل الوليد يرؤغ من علي ، فاجتذبه علي فضرب به الأرض ، وعلاه بالسوط ، فقال عثمان : ليس لك ان تفعل به هذا ، قال : بل وشرا من هذا اذا فسق ومنع حق الله تعالى ان يؤخذ منه .

سعيد بن العاص : وولي الكوفة بعده سعيد بن العاص ، فلما دخل سعيد الكوفة والياً أبى ان يصعد المنبر حتى 'ينسل ، وأمر

بفسله ، وقال : إن الوليد كان نجساً رجساً ، فلما اتصلت أيام سعيد بالكوفة ظهرت منه امور منكرة ، فاستبد بالأموال ، وقال في بعض الأيام او كتب به إلى عثمان : انما هذا السواد قطين لقريش ، فقال له الاشر ، وهو مالك بن الحارث النخعي : اتجعل ما افاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستاناً لك ولقومك ؟ ثم خرج الى عثمان في سبعين راكباً من اهل الكوفة فذكروا سره سيرة سعيد بن العاص وسألوا عزله عنهم : فمكث الأشتر وأصحابه أياماً لا يخرج لهم من عثمان في سعيد شيء ، وامتدت أيامهم بالمدينة ، وقدم على عثمان أمراؤه من الأمصار منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من مصر ومعاوية من الشام وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد بن العاص من الكوفة ، فأقاموا بالمدينة أياماً لا يردهم الى أمصارهم ، كراهة أن يرد سعيداً الى الكوفة ، وكره أن يعزله ، حتى كتب اليه من أمصارهم يشكون كثرة الخراج وتعطيل الثغور ، فجمعهم عثمان وقال : ما ترون ؟ فقال معاوية : أما انا فراض بي جندي ، وقال عبد الله بن عامر بن كريز : ليكلفك امرؤ ما قبله أكفك ما قبلي ، وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح : ليس بكثير عزل عامل للعامة وتولية غيره ، وقال سعيد بن العاص : إنك ان فعلت هذا كان اهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون ، وقد صاروا حلقاً في المسجد ليس لهم غير الأحاديث والخوض ، فجهزهم في البعوث حتى يكون هم أحدهم ان يموت على ظهر دابته ، قال : فسمع مقالته عمرو بن العاص فخرج الى المسجد ، فإذا طلحة والزبير جالسان في ناحية منه ، فقالا له : تعال الينا ، فصار اليهما ، فقالا : ما وراءك ؟ قال : الشر ، ما ترك شيئاً من المنكر الا اتى به وأمر

به ، وجاء الأشر فقالا له : ان عاملكم الذي قتم فيه خطباء قد رد عليكم وامر بتجهيزكم في البعوث وبكذا وبكذا ، فقال الأشر : والله لقد كنا نشكو سوء سيرته وما قمنا فيه خطباء ، فكيف وقد قمنا ؟ ! وايم الله على ذلك لولا اني انقضت النفقة وانضيت الظهر لسبقته الى الكوفة حتى أمنعه دخولها ، فقالا له : فعندنا حاجتك التي تقوم بك في سفرك ، قال : فأسلفاني اذاً مائة ألف درهم ، قال : فأسلفه كل واحد منها خمسين ألف درهم ، فقسمها بين أصحابه ، وخرج الى الكوفة فسبق سعيداً ، وصعد المنبر وسيفه في عنقه ما وضعه بعد ، ثم قال : أما بعد ، فإن عاملكم الذي انكرتم تعديده وسوء سيرته قد رد عليكم ، وأمر بتجهيزكم في البعوث ، فبايعوني على ان لا يدخلها ، فبايعه عشرة آلاف من اهل الكوفة وخرج راكباً متخفياً يريد المدينة او مكة ، فلقي سعيداً بواقصة فأخبره بالخبر ، فانصرف الى المدينة ، وكتب الاشر الى عثمان : إنا والله ما منعنا عاملك الدخول لتفسد عليك عملك ، ولكن لسوء سيرته فينا وشدة عذابه ، فابعث الى عملك من احببت . فكتب اليهم : انظروا من كان عاملكم ايام عمر بن الخطاب فولوه ، فنظروا فإذا هو ابو موسى الأشعري ، فولوه .

بدء الطعن على عثمان وسببه : وفي سنة خمس وثلاثين كثر الطعن على عثمان رضي الله عنه ، وظهر عليه النكير لأشياء ذكروها من فعله : منها ما كان بينه وبين عبد الله بن مسعود ، وانحراف هذيل عن عثمان من أجله .

ومن ذلك ما قال عمار بن ياسر من الفتن والضرب ، وانحراف بني غزوم عن عثمان من أجله .

الوليد بن عقبة ويهودي مشعوذ : ومن ذلك فعل الوليد بن عقبة

في مسجد الكوفة ، وذلك أنه بلغه عن رجل من اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة مما يلي جسر بابل يقال لها زرارة يعمل أنواعاً من الشعبة والسحر يعرف ببطروني فأحضره فأراه في المسجد ضرباً من التخيل ، وهو أن أظهر له في الليل قبلاً عظيماً على فرس يركض في صحن المسجد ، ثم صار اليهودي ناقة يمشي على حبل ، ثم أراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره ، ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده ورأسه ، ثم أمر السيف عليه فقام الرجل ، وكان جماعة من أهل الكوفة حاضراً منهم جندب بن كعب الأزدي فجعل يستعيز بالله من فعل الشيطان ، ومن عمل يبعد من الرحمن ، وعلم أن ذلك هو ضرب من التخيل والسحر ، فاخترط سيفه وضرب به اليهودي ضربة أدار رأسه ناحية من بدنه ، وقال : (جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً) ، وقد قيل : إن ذلك كان نهاراً ، وإن جندباً خرج إلى السوق ودنا من بعض الصياقلة وأخذ سيفاً ودخل فضرب به عنق اليهودي ، وقال : إن كنت صادقاً فأحسب نفسك ، فأنكر عليه الوليد ذلك ، وأراد أن يقيده به ، فنفته الأزدي ، فحبسه ، وأراد قتله غيلة ، ونظر السجن إلى قنينة ليله إلى الصبح ، فقال له : أنتج بنفسك ، فقال له جندب : تقتل بي ، قال : ليس ذلك بكثير في مرضاة الله والدفع عن ولي من أولياء الله ، فلما أصبح الوليد دعا به وقد استعد لقتله فلم يجده ، فسال السجن ، فأخبره بهربه فضرب عنق السجن ، وصلبه بالكناسة .

بين عثمان وأبي ذر : ومن ذلك ما فعل بأبي ذر ، وهو أنه حضر مجلسه ذات يوم فقال عثمان : أرايتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره ؟ فقال كعب : لا يا أمير المؤمنين ، فدفع أبو ذر في صدر كعب ، وقال له : كذبت يا ابن اليهودي ، ثم تلا (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل

المشرق والمغرب - الآية) فقال عثمان : أترون بأساً ان نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه ؟ فقال كعب : لا بأس بذلك ، فرفع ابو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال : يا ابن اليهودي ما أجراًك على القول في ديننا ! فقال له عثمان : ما أكثر أذاك لي اغيب وجهك عني فقد آذيتنا ، فخرج ابو ذر الى الشام ، فكتب معاوية الى عثمان : إن أبا ذر تجتمع اليه الجموع ، ولا آمن ان يفسدكم عليك ، فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله اليك ، فكتب اليه عثمان بحمله ، فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيطون به ، حتى أتوا به المدينة وقد تسلخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف ، فقبل له : انك تموت من ذلك ، فقال : هيات لن أموت حتى أنقى . وذكر جوامع ما ينزل به بعد ، ومن يتولى دفنه ، فأحسن اليه عثمان في داره أياماً ، ثم دخل اليه فجلس على ركبتيه وتكلم بأشياء ، وذكر الخبر في ولد ابي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خوفاً ، ومر في الخبر بطوله ، وتكلم بكلام كثير ، وكان في ذلك اليوم قد أتى عثمان بركة عبد الرحمن بن عوف الزهري من المال ، فنثرت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم ، فقال عثمان : إني لأرجو لعبد الرحمن خيراً ؛ لأنه كان يتصدق ، ويقري الضيف ، وترك ما ترون ، فقال كعب الأحبار : صدقت يا امير المؤمنين ؛ فشال ابو ذر العصا ، فضرب بها رأس كعب ، ولم يشغله ما كان فيه من الألم ، وقال : يا ابن اليهودي تقول لرجل مات وترك هذا المال : إن الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة ، وتقطع على الله بذلك ، وأنا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ما يسرني ان اموت وادع ما يزن قيراطاً ، فقال له عثمان : وار عني وجهك ، فقال : اسير الى مكة ، قال : لا والله ، قال :

فتمنعي من بيت ربي أعبدته فيه حتى اموت ؟ قال : إي والله ، قال : فإلى الشام ، قال : لا والله ، قال البصرة ؟ قال : لا والله ، فاختر غير هذه البلدان ، قال : لا والله ما اختار غير ما ذكرت لك ، ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئا من البلدان ، فسيرني حيث شئت من البلاد ، قال : فإني مسيرك إلى الربذة ، قال : الله أكبر ، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرني بكل ما أنا لاق ، قال عثمان : وما قال لك ؟ قال : أخبرني بأني أمنع عن مكة والمدينة وأموت بالربذة ، ويتولى مواردني نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز ، وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته - وقيل : ابنته - وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتى يسير إلى الربذة ، فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها طلع عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه ابنه الحسن والحسين وعقيل أخوه وعبد الله ابن جعفر وعمار بن ياسر ، فاعترض مروان فقال : يا علي إن أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره وبشيعوه ، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك ، فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط وضرب بين أذني راحلته ، وقال : تنح نحواك الله إلى النار ، ومضى مع أبي ذر فشيعة ثم ودعه وانصرف ، فلما أراد علي الانصراف بكى أبو ذر ، وقال : رحمك الله أهل البيت ، إذا رأيتك يا أبا الحسن وولدتك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب ، فقال عثمان : يا معشر المسلمين من يعذرني من علي ؟ رد رسولني عما وجهته له ، وفعل كذا ، والله لنعطينه حقه ، فلما رجع علي استقبله الناس ، فقالوا له : إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشيعك أبا ذر ، فقال علي : غضب الخيل على اللجُم .

فلما كان بالعشي جاء إلى عثمان ، فقال له : ما حملك على ما صنعت بمروان ولم اجترأت عليّ ورددت رسولي وامري ؟ قال : اما مروان فإنه استقبلني يردني فرددته عن ردي ، واما امرؤ فلم أرده ، قال عثمان : ألم يبلغك اني قد نهيت الناس عن أبي ذر وعن تشييعه ؟ فقال علي : او كل ما أمرتنا به من شيء نرى طاعة الله والحق في خلافه اتبعنا فيه أمرؤ . بالله لا نفعل ، قال عثمان : أقيد مروان ، قال : ومم أقيده ؟ قال : ضربت بين اذني راحلته وشتمته ، فهو شاتك وضارب بين أذني راحلتك قال علي : أما راحلتي فهي تلك فإن أراد ان يضربها كما ضربت راحلته فليفعل ، واما انا فوالله لن شتمني لأشتمنك انت مثلها بما لا اكذب فيه ولا اقول إلا حقاً ، قال عثمان : ولم لا يشتمك إذا شتمته ، فوالله ما انت عندي بأفضل منه ؟! فغضب علي بن ابي طالب وقال : الي تقول هذا القول ؟ وبمروان تعدلني ؟ فأنا والله افضل منك ، وابي افضل من أبيك ، وأمي افضل من امك ، وهذه نَبْلِي قد نَشَلْتُهَا ، وهم فائتل بنبلك ، فغضب عثمان واحمر وجهه ، فقام ودخل داره ، وانصرف علي ، فاجتمع اليه أهل بيته ، ورجال من المهاجرين والأنصار .

فلما كان من الغد واجتمع الناس إلى عثمان شكوا اليهم علياً وقال : إنه يعيبي ، ويظاهر من يعيبي ، يريد بذلك ابا ذر وعمار بن ياسر وغيرهما ، فدخل الناس بينها حتى اصطلحا وقال له علي : والله ما اردت بتشيع ابي ذر إلا الله تعالى .

عمار بن ياسر : وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول ابي سفيان صخر بن حرب في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو امية فقال ابو سفيان : افيكم احد من

غيركم ؟ وقد كان عمي ، قالوا : لا ، قال يا بني امية ، تَلَقَّفُوهَا تَلَقَّفَ الكرة ، فوالذي يحلف به ابو سفيان ما زلت ارجوها لكم ولتصيرنَّ إلى صبيانكم وراثه ، فانتهره عثمان ، وساءه ما قال ، ونمي هذا القول الى المهاجرين والانصار وغير ذلك الكلام فقام عمار فقام عمار في المسجد فقال : يا مسر قريش ، أما إذ صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم هنا مرة وهنا مرة فما انا بأمن من أن ينزعه الله منكم فيضعه في غيركم كما تزعموه من اهل ووضعتوه في غير اهل ، وقام المقداد فقال : ما رأيت مثل ما أؤدي به اهل هذا البيت بعد نبيهم ، فقال له عبد الرحمن بن عوف . وما انت وذاك يا مقداد بن عمرو ؟ فقال : إني والله لأحبهم لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم ، وإن الحق معهم وفيهم ، يا عبد الرحمن أعجب من قريش - وإنما تطوهم على الناس بفضل اهل هذا البيت - قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده من ايديهم ، أما وایم الله يا عبد الرحمن لو اجسد على قريش انصاراً لقاتلتهم كقتالي إياهم مع النبي عليه الصلاة والسلام يوم بدر ، وجرى بينهم من الكلام خطب طويل قد اتينا على ذكره في كتابنا « أخبار الزمان » في أخبار الثورى والدار .

الثورة على عثمان : ولما كان سنة خمس وثلاثين سار مالك بن الحارث النخعي من الكوفة في مائتي رجل ، وحكيم بن جبلة العبدي في مائة رجل من اهل البصرة ، ومن اهل مصر ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلسوي ، وقد ذكر الواقدي وغيره من أصحاب السير انه من بايع تحت الشجرة ، الى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الحق الحزاعي وسعد بن حمران التميمي ، ومعهم محمد ابي بكر الصديق ، وقد كان تكلم بمصر ، وحرص الناس على عثمان لأمر يطول

ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم ، فنزلوا في الموضع المعروف بذي الحشيب فلما علم عثمان بنزولهم بعث الى علي بن أبي طالب فأحضره ، وسأله ان يخرج إليهم ، ويضمن لهم عنه كل ما يريدون من العدل وحسن السيرة ، فسار علي إليهم ، فكان بينهم خطب طويل ، فأجابوه الى ما أراد وانصرفوا ، فلما صاروا الى الموضع المعروف بحسمى إذا هم بغلام على بعير وهو 'مقبيل' من المدينة ، فتأملوه فإذا هو ورش غلام عثمان ، فقرروه ، فأقر وأظهر كتاباً الى ابن أبي سريح صاحب مصر وفيه : « إذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان ، واقتل فلاناً ، وافعل بفلان كذا ، وأحصي أكثر من في الجيش ، وأمر فيهم بما أمر » وعلم القوم ان الكتاب بخط مروان ، فرجعوا الى المدينة ، واتفق رأيهم ورأي من قدم من العراق ، ونزلوا المسجد وتكلموا ، وذكروا ما نزل بهم من 'عثماتهم' ، ورجعوا الى عثمان فحاصروه في داره ، ومنعوه الماء ، فأشرف على الناس وقال : ألا أحد يسقينا ؟ وقال : هم تستحلون قتلي وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس بنير نفس ؟ ووالله ما فعلت ذلك في جاهلية أو إسلام ، فبلغ علياً طلبه للماء ، فبعث إليه بثلاث قرب ماء ، فما وصل اليه ذلك حتى خرج جماعة من موالي بني هاشم وبني أمية ، وارتفع الصوت ، وكثر الضجيج ، وأحدقوا بداره بالسلاح وطالبوه بمروان ، فأبى ان يخلي عنه ، وفي الناس بنو زهرة لأجل عبد الله بن مسعود لأنه كان من أحلافها ، وهذيل لأنه كان منها ، وبنو نخزوم وأحلافها لعمار ، وغفار وأحلافها لأجل أبي ذر ، وتيم بن مرة مع محمد بن أبي بكر ، وغير هؤلاء ممن لا يحمل كتابنا ذكره ، فلما بلغ علياً انهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه

بالسلاح الى بابہ لنصرته ، وامرهم ان يمنعوه منهم ، وبعث الزبير ابنه عبد الله ، وبعث طلحة ابنه محمداً ، واكثر ابناء الصحابة ارسلهم آباؤهم اقتداءً بمن ذكرنا ، فصدّوهم عن الدار ، فرمى من وصفنا بالسهام ، واشتبك القوم ، وجرح الحسن ، وشج قنبر ، وجرح محمد بن طلحة ، فخشي القوم ان يتعصب بنو هاشم وبنو أمية ، فتركوا القوم في القتال على الباب ، ومضى نفر منهم الى دار قوم من الأنصار فتسوروا عليها ، وكان ممن وصل إليه محمد بن أبي بكر ورجلان آخران ، وعند عثمان زوجته ، وأهلُه ومواليه مشاغل بالقتال خذ محمد بن أبي بكر بلحيته ، فقال : يا محمد ، والله لو رأيك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده ، وخرج عنه الى الدار ، ودخل رجلان فوجداه فقتلاه ، وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه ، فصعدت امرأته فصرخت وقالت : قد قتل أمير المؤمنين ، فدخل الحسن والحسين ومن كان معها من بني أمية ، فرجدهوه قد فاضت نفسه رضي الله عنه ، فبكوا ، فبلغ ذلك علياً وطلحة والزبير وسعداً وغيرهم من المهاجرين والأنصار ، فاسترجع القوم ، ودخل عليّ الدار ، وهو كالواله الحزين ، وقال لابنيه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ ولطم الحسن وضرب صدر الحسين ، وشتم محمد بن طلحة ، ولعن عبد الله بن الزبير ، فقال له طلحة : لا تضرب يا أبا الحسن ، ولا تشتم ولا تلعن لو دَفَع اليهم مروان ما قتل ، وهرب مروان وغيره من بني أمية وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا ، وقال عليّ لزوجته نائلة بنت الفرافصة : من قتلته وانت كنت معه ؟ قالت : دخل اليه رجلان وقصت خبر محمد بن أبي بكر ، فلم ينكر ما قالت ، وقال : والله لقد دخلت عليه وأنا أريد قتله ، فلما خاطبني بما قال خرجت ، ولا اعلم بتخلف الرجلين عني ، والله ما كان لي في قتله من سبب ، ولقد قتل وأنا

لا اعلم بقتله .

وكانت مدة ما حوَصر عثمان في داره تسعاً وأربعين يوماً ،
وقيل : أكثر من ذلك .

مقتله ، وقتلته : وقتل في ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة ،
وذكر أن أحد الرجلين كنانة بن بشر التيجي ، ضربه بعمود على
جبهته ، والآخر منها سعد بن حُمران المرادي ، ضربه بالسيف على
حبل عاتقه فحله .

وقد قيل : إن عمرو بن الحلق طعنه بسهام تسع طعنات ، وكان
فيمن مال عليه عمير بن ضابئ البرجمي التميمي ، وخضخض سيفه
في بطنه .

مدفنه : ودفن على ما وصفنا في الموضع المعروف بحش كوكب ،
وهذا الموضع فيه مقابر بني أمية ، ويعرف أيضاً بحلة ، وصلى عليه
جبير بن مطعم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة .

ولما حوَصر عثمان كان أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه يصلي
بالناس ، ثم امتنع ، فصلى بهم سهل بن حنيفة ، فلما كان يوم النحر
صلى بهم علي ، وقيل : إن عثمان قتل ومعه في الدار من بني أمية
ثمانية عشر رجلاً منهم مروان بن الحكم .

ما قيل فيه من الرثاء : وفي مقتله تقول زوجته نائلة بنت الفرافصة :

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتيل التيجي الذي جاء من مصر

وماري لا أبكي وتبكي قرابتي وقد غيبوا عني فضول أبي عمرو

وقال حسان بن ثابت فيمن تخلف عنه وأخذله من الأنصار

وغيرهم ، واعان عليه وعلى قتله ، والله اعلم بما قاله ، من أبيات :

خذلته الأنصار إذ حضر الموت وكانت ولاية الأنصار

من عذيري من الزبير ومن طلحة إذ جا امر له مقدار

فتولى محمد بن أبي بكر عياناً ، وخلفه عمار
في شعر له طويل يذكر فيه غير من ذكرنا ، وينسبهم إلى التآلؤ
على قتله والرضا بما فعل به ، والله أعلم ، وكان حسان عثمانياً منصرفاً
عن غيره ، وكان عثمان إليه محسناً ، وهو المتوعد للأنصار في قوله
في شعره :

يا لَيْتَ شعري وليت الطير تخبرني ما كان شأني علي وابن عفاناً
لَتَسْمَعُنَّ وشيكا في ديارهمُ الله اكبر ، يا ثارات عثماننا
وكان عثمان رضي الله عنه كثيراً ما ينشد أبياتاً قالها ويطيل
ذكرها لا تعرف لغيره ، منها :

تفنى اللذافة ممن قال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار
يلقى عواقب سوء من مغبته لا خير في لذة من بعدها النار
وكان الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخا عثمان لأمه ، فسمع في
الليلة الثانية من مقتل عثمان يندبه ، وهو يقول :

بني هاشم ، إنا وما كان بيننا كصدع الصفا ما يومض الدهر شاعبه
بني هاشم ، كيف الهوادة بيننا وسيف ابن أروى عندكم وحرائبه
بني هاشم ، ردوا سلاح ابن اختكم ولا تنهبوه ، لا تحل مناهبه
غدرتم به كما تكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مراربه
وهي أبيات .

فأجابه عن هذا الشعر ، وفيما رمى به بني هاشم ونسبه إليهم ،
الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب فقال :

فلا تسألونا سيفكم ؛ إن سيفكم أضيع ، وألقاه لدى الرؤع صاحبه
سلوا أهل مصر عن سلاح ابن اختنا فهم سلبوه سيفه وحرائبه
وكان ولي الأمر بعد محمد علي ، وفي كل المواطن صاحبه

علي ولي الله أظهر دينه وأنت مع الأشقيين فيما تحاربه
وأنت امرؤ من أهل صفواء نازح فما لك فينا من حيم تعاتبه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسق فما لك في الاسلام سهم تطالبه

قال المسعودي رحمه الله : ولعثمان أخبار وسير ومآثر حسان ،
قد أتينا على ذكرها في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط ،
وكذلك ما كان في أيامه من الكوائن والاحداث والفتوح والحروب
مع الروم وغيرهم ، والله ولي التوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم .

ذكر

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

موجز : بويعَ علي بن أبي طالب في اليوم الذي قُتل فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فكانت خلافته إلى أن استشهد أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام ، وقيل : أربع سنين وتسعة أشهر إلا يوماً ، وكانت الفرقة بينه وبين معاوية بن أبي سفيان على ما ذكرنا في خلافته ، وكان مولده في الكعبة ، وقيل : إن خلافته كانت خمس سنين وثلاثة أشهر وسبع ليالٍ ، واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وعاش بعد الضربة الجمعة والسبت ، وتوفي ليلة الأحد ، وقد قيل في مقدار عمره أقل ما ذكرنا ، وقد تتوزع في موضع قبره ؛ فمنهم من قال : إنه دفن في مسجد الكوفة ، ومنهم من قال : إنه حمل إلى المدينة فدفن عند قبر فاطمة ، ومنهم من قال إنه حمل في تابوت على جبل وإن الجبل تاه ووقع إلى وادي طيء ، وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا ، وقد أتينا على ذلك في كتابنا و اخبار الزمان ، والكتاب الاوسط .

ذكر

نسبه ، ولع من أخباره وسيره

نسبه : هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويكنى أبا الحسن ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، ولم يكن من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا من خلافة المتقي من ولي الخلافة من اسمه علي غيره ، وغير المكتفي بالله علي بن المعتض ، وكان أول من ولد له هاشميات من الخلفاء ، وقد قيل : إنه يبيع البيعة العامة بعد قتل عثمان بأربعة أيام ، وقد ذكرنا البيعة الأولى فيما سلف من هذا الكتاب ، وتنازع الناس في اسم أبي طالب أبيه ، وولد أبي طالب بن عبد المطلب أربعة ذكور وابنتان ، فطالب وعقيل وجعفر وعلي وفاخنة وجمانة لأب وأم أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وبين كل واحد من البنين عشر سنين : فطالب الأكبر ، وبينه وبين عقيل عشر سنين ، وبين عقيل وجعفر سنتان ، وبين جعفر وعلي عشر سنين ، وأخرج مشركو قريش طالب بن أبي طالب يوم بدر إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهاً ، ومضى ولم يعرف له خبر ، وحفظ من قوله في هذا اليوم :

يا رب إما خرجوا بطالب في مقنب من تلبم المقانب
فاجعلهم المغلوب غير الغالب والرجل المسلوب غير السالب

وكان زوج فاختة بنت أبي طالب أبو وهب هبيرة بن عمرو
ابن عائذ بن عمرو بن مخزوم ، وخلف عليها ابناً وبنتاً ، وهاجرت
رمات زوجها بنجران مشركاً ، وفيها يقول ببلاد نجران من
أبيات كثيرة :

أشأقتك هند أم شاك سؤاها ؟ كذاك النوى أسباها وانتقالها
وأرقني في رأس حصن ممرّد بنجران يسري بعد نوم خيالها
فإن تك قد تابعت دين محمد وقطعت الأرحام منك حبالها
وهي طويلة ، وكانت تكنى أم هانئ ، وقد استعمل علي - حين
أفضت الخلافة إليه - ابنها جعدة بن هبيرة ، وجعدة هو القائل :
أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً ومن هاشم أمي خير قبيل
فمن ذا الذي ينأى علي بخاله وخالي علي ذو الندى وعقيل
وجماعة بنت أبي طالب كان بعلمها سفيان بن الحارث بن عبد
المطلب ، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي ، كذلك ذكر الزبير بن
بكار في كتابه في أنساب قريش وأخبارها ، وهاجرت وماتت بالمدينة
في أيام النبي صلى الله عليه وسلم .

مسيره إلى البصرة : وكان مسير عليّ إلى البصرة في سنة ست
وثلاثين ، وفيها كانت وقعة الجمل ، وذلك في يوم الخميس لعشر خلون
من جمادى الأولى منها وقتل فيها من أصحاب الجمل من أهل البصرة
وغيرهم ثلاثة عشر ألفاً ، وقتل من أصحاب علي خمسة آلاف ، وقد
تنازع الناس في مقدار من قتل من الفريقين : فمن مقلل ومكثر ،
فالقليل يقول : قتل منهم سبعة آلاف ، والمكثر يقول : عشرة آلاف .
على حسب ميل الناس وأهوائهم إلى كل فريق منهم ، وكانت وقعة
واحدة في يوم واحد .

وقيل : إنه كان بين خلافة علي إلى وقعة الجمل خمسة أشهر وأحد

وعشرون يوماً ، وبين وقعة الجمل وأول الهجرة خمس وثلاثون سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام ، وبين ذلك وبين دخول علي إلى الكوفة شهر ، وبين ذلك وبين أول الهجرة خمس وثلاثون سنة وستة أشهر وعشرة أيام ، وبين دخول علي والتقاءه مع معاوية للقتال بصفتين ستة أشهر وثلاثة عشر يوماً ، وبين ذلك وأول الهجرة ست وثلاثون سنة وثلاثة عشر يوماً .

قتلى صفين وأيامها : وقتل بصفين سبعون ألفاً : من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً ، وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام ، وقتل بها من الصحابة ممن كان مع علي خمسة وعشرون رجلاً : منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سعيبة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

وكانت عدة الوقائع بين أهل العراق والشام سبعون وقعة .

التقاء الحكمين : وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري بأرض البلقاء من أرض دمشق وقيل : بدومة الجندل ، وهي على نحو عشرة أميال من دمشق ، وكان من أمرهما ما قد شهر ، وسنورد في هذا الكتاب جوامع ما ذكرنا وإن كنا قد أثينا على مبسوط ذلك فيما سلف من كتبنا .

وفي هذه السنة حكمت الخوارج وتحكمت وهم الشراة .

وكان ممن شهد صفين مع علي من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً : منهم سبعة عشر من المهاجرين ، وسبعون من الأنصار ، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعمائة وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة .

حربه مع الخوارج : وفي سنة ثمان وثلاثين كان حربه مع أهل

الجزء الثاني : ذكر أبي السبطين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ٢٥٣

النهروان من الخوارج ، وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا إلا الخروج عن الأمر ، منهم سعد بن أبي وقاص ، وعبدالله بن عمر ، وبإيع يزيد بعد ذلك والحجاج لعبد الملك بن مروان ، ومنهم 'قدامة' بن مظعون ، وأهبان ابن ضيفي ، وعبدالله بن سلام ، والمغيرة بن شعبة الثقفي ، ومن اعتزل من الأنصار كعب بن مالك ، وحسان بن ثابت ، وكانا شاعرين ، وأبو سعيد الخدري ، ومحمد بن مسلمة حليف بني عبد الأشهل ، ويزيد ابن ثابت ، ورافع بن خديج ، ونعمان بن بشير وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عجرة ومسلمة بن خالد ، في آخرين ممن لم نذكرهم من العثمانية من الأنصار وغيرهم من بني أمية وسواهم .

وانتزع علي أملاكا كان عثمان أقطعها جماعة من المسلمين ، وقسم ما في بيت المال على الناس ، ولم 'يفضل' أحداً على أحد ، وبعت أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أخيها معاوية بقميص عثمان مخضباً بدمائه مع نعيان بن بشير الأنصاري ، واتصلت بيعة علي بالكوفة وغيرها من الأمصار ، وكان أهل الكوفة أسرع إجابة إلى بيعته ، وأخذ له البيعة على أهلها أبو موسى الأشعري ، حتى تكاثر الناس عليه ، وكان عليها عاملاً لعثمان .

بنو أمية عند علي : وأناه جماعة ممن تخلف عن بيعته ، من بني أمية : منهم سعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، والوليد ابن عقبة بن أبي معيط ، فجري بينه وبينهم خطب طويل ، وقال له الوليد : إنا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك ، ولكننا قوم وحرنا الناس ، وخفنا على نفوسنا ، فعذرنا فيما نقول واضح ، أما أنا فقتلت أبي صبراً وضربتني حداً ، وقال سعيد بن العاص كلاماً كثيراً ، وقال له الوليد : أما سعيد فقتلت أباه ، وأهنت مشواه

وأما مروان فإنك شمت أباه ، وعبت عثمان في ضمه إياه .
وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى أن حسان بن ثابت وكعب
ابن مالك والنعمان بن بشير - قبل نفوذه بالقميص - أتوا علياً
في آخرين من العثمانية ، فقال كعب بن مالك : يا أمير المؤمنين ،
ليس مسيئاً من أعتب ، وخير كفر ما يحاه عذر ، في كلام كثير ،
ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعاً .

عمرو بن العاص : وقد كان عمرو بن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه
عنه وتوليته مصر غيره ، فنزل الشام ، فلما اتصل به أمر عثمان
وما كان منبيعة علي ، كتب الى معاوية يهزه ويشير عليه بالمطالبة
بدم عثمان ، وكان فيما كتب به اليه : ما كنت صانعاً إذا قشرت من
كل شيء تملكه فاصنع ما أنت صانع ، فبعث اليه معاوية ، فسار
اليه ، فقال له معاوية : بايعني ، قال : لا ، والله لا أعطيك من ديني
حتى أثال من دنياك ، قال : سل ، قال : مصر طعمة ، فأجابه الى
ذلك ، وكتب له به كتاباً ، وقال عمرو بن العاص في ذلك :

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل به منك دنيا ، فانظرون كيف تصنع
فإن تعطني مصرأ فأربح بصفقة أخذت بها شيخاً يضر وينفع
المغيرة بن شعبة ينصح علياً ثم يرجع . وأتى المغيرة بن شعبة علياً ، فقال
له : إن لك حق الطاعة والتصيحة ، وإن الرأي اليوم تحوز به ما في
غد ، وإن المضاع اليوم تضيع به ما في غد ، أقرر معاوية على عمله ،
وأقرر ابن عامر على عمله ، وأقرر العمال على أعمالهم ، حق إذا أتنك
طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت ، قال : حتى أنظر ،
فخرج من عنده وعاد اليه من الغد ، فقال : إني أشرت عليك بالأمس
برأي وتعقبته برأي ، وإنما الرأي أن تعاجلهم بالنزع فتعرف السامع
من غيره وتستقبل أمرك ، ثم خرج من عنده فلتقاه ابن عباس خارجاً

وهو داخل ، فلما انتهى الى علي قال : رأيت المغيرة خارجاً من عندك فقيم جاءك ؟ قال : جاءني أمس بكيت وكيت ، وجاءني اليوم بذيت وذيت ، فقال : أما أمس فقد نصحك ، وأما اليوم فقد غشك ، قال : فما الرأي ؟ قال : كان الرأي أن تخرج حين قتل عثمان ، أو قبل ذلك ، فتأتي مكة فتدخل دارك فتخلق عليك بابك ، فإن كانت العرب مائلة مضطرة في أترك لا تجد غيرك ، فأما اليوم فإن بني أمية سيحسنون الطلب بأن يلزموك شعبة من هذا الأمر ، ويشبهون فيك على الناس ، وقال المغيرة : نصحته فلم يقبل ، فغششته ، وذكر انه قال : والله ما نصحته قبلها ، ولا أنصحه بعدها .

قال المسعودي : ووجدت في وجه آخر من الروايات أن ابن عباس قال : قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال ، فجلست علياً أدخل عليه ، فقبل لي : عنده المغيرة بن شعبة ، فجلست بالباب ساعة ، فخرج المغيرة ، فسلم علي ، وقال : متى قدمت ؟ قلت : الساعة ، ودخلت على علي وسلمت عليه ، فقال : أين لقيت الزبير وطلحة ؟ قلت : بالنواصف ، قال : ومن معها ؟ قلت : ابو سعيد بن الحارث بن هشام في فتية من قريش ، فقال علي : أما إنهم لم يكن لهم بد أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان ، والله يعلم أنهم قتلة عثمان ، فقلت : أخبرني عن شأن المغيرة ، ولم خلا بك ؟ قال : جاءني بعد مقتل عثمان بيومين ، فقال : أخليني ، ففعلت ، فقال : إن النصيح رخيص ، وأنت بقية الناس ، وأنا لك ناصح ، وأنا أشير عليك أن لا ترد عمال عثمان عامك هذا ، فاكتب اليهم بإثباتهم على أعمالهم فاذا بايعوا لك واطمأن أمرك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت ، فقلت له : والله لا أداهن في شيء ، ولا أعطي الرياء في أمري ، قال : فإن كنت قد أبيت فافزع من شئت واترك معاوية فإن له جراءة وهو في أهل

الشام مسموع منه ، ولك حجة في إثباته فقد كان عمر ولأه الشام كلها ، فقلت له : لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً ، فخرج من عندي على ما أشار به ، ثم عاد ، فقال : إني أشرت عليك بما أشرت به وأبيت علي ، فنظرت في الأمر ، وإذا أنت مصيب لا ينبغي أن تأخذ أمرك بخدعة ، ولا يكون فيه دلسة ، قال ابن عباس : فقلت له : أما أول ما أشار به عليك فقد نصحك ، وأما الآخر فقد غشك ، وأنا أشير عليك أن تثبت معاوية فإن بايع لك فعلي أن أقلمه من منزله ، قال : لا ، والله لا أعطيه إلا السيف ثم تمثل :

فأَمِيتَ "إن" متيها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت رجل شجاع ، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الحرب خدعة » ؟ فقال علي : بلى ، قلت : أما والله لئن أطعني لأصدرت بهم بعد ورود ، ولأتركنهم ينظرون في أدبار الأمور ، ولا يدرون ما كان وجهها ، من غير نقص لك ، ولا إثم عليك ، فقال لي : يا ابن عباس ، لست من هنيئك ولا هنيات معاوية في شيء تشير به علي برأي ، فإذا عصيتك فأطعني ، فقلت أنا : أفعل ، فإن أيسر ما لك عندي الطاعة ، والله ولي التوفيق .

ذكر

الأخبار عن يوم الجمل وبَدءه

وما كان فيه من الحرب ، وغير ذلك

الخروج على علي : ودخل طلحة والزبير مكة ، وقد كانا استأذنا علياً في العمرة ، فقال لهما : لعلكما تريدان البصرة أو الشام ، فأقسما أنهما لا يقصدان غير مكة ، وقد كانت عائشة رضي الله عنها بمكة ، وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة هرب عنها حين أخذ البيعة لعلي بها على الناس حارثة بن قدامة السعدي ، ومسير عثمان بن حنيف الأنصاري إليها على خراجها من قبل علي رضي الله عنه . وانصرف عن اليمن عامل عثمان وهو يعلى بن منية ، فأتى مكة وصادف بها عائشة وطلحة والزبير ومروان بن الحكم في آخرين من بني أمية ، فكان ممن حرض على الطلب بدم عثمان ، وأعطى عائشة وطلحة والزبير أربعمئة ألف درهم ، وكراعاً وسلاحاً ، وبعث إلى عائشة بالجمل المسمى عسكرياً وكان شراؤه عليه باليمن مائتي دينار ، فأرادوا الشام ، فصددهم ابن عامر ، وقال : إن به معاوية ، ولا ينقاد إليكم ، ولا يطيعكم ، لكن هذه البصرة لي بها صنائع وعدة ، فجهزم بألف ألف درهم ومائة من الإبل وغير ذلك . وسار القوم نحو البصرة في ستائة راكب . فانتهوا في الليل إلى ماء لبني كلاب يعرف بالحوأب ، عليه ناس من بني كلاب ، فعوت كلهم على الركب ، فقالت عائشة : ما اسم هذا الموضع ؟ فقال لها السائق لجلها : الحوأب ، فاسترجعت وذكرت ما قيل لها في ذلك ،

فقلت : رُدُّوني الى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا حاجة لي في المسير ، فقال الزبير : بالله ما هذا الحوَّاب ، ولقد غلط فيما أخبرك به ، وكان طلحة في ساقَةِ الناس ، فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحوَّاب ، وشهد معها خمسون رجلاً من كان معهم ، فكان ذلك أول شهادة زور أقيمت في الإسلام ، فأتوا البصرة فخرج إليهم عثمان بن حُتَيْف فمانعهم ، وجرى بينهم قتال ، ثم إنهم اصطَلَحوا بعد ذلك على كف الحرب الى قدوم علي ، فلما كان في بعض الليالي بيَّتوا عثمان بن حنيف فأسروه وضربوه وشتتوا لحيتَه ، ثم إن القوم استرجعوا وخافوا على غلَّتِهم بالمدينة من أخيه سهل بن حُتَيْف وغيره من الأنصار ، فغفلوا عنه وأرادوا بيت المال فمانعهم الخزائن والموكلون به وهم السبايكة ، فقتل منهم سبعون رجلاً غير من جرح ، وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبراً من بعد الأمر ، وهؤلاء أول من قُتل ظُلماً في الإسلام وصبراً ، وقتلوا حكيم بن جبلة العبدي ، وكان من سادات عبد القيس وزُهَّاد ربيعة ونسَّاكها ، وتشاحَّ طلحة والزبير في الصلاة بالناس ، ثم اتفقوا على أن يصلي بالناس عبد الله ابن الزبير يوماً ، ومحمد بن طلحة يوماً ، في خطب طويل كان بين طلحة والزبير الى أن اتفقا على ما وصفنا .

مسير علي الى العراق : وسار علي من المدينة بعد اربعة أشهر ، وقيل غير ذلك ، في سبعمائة راكب منهم اربعمائة من المهاجرين والأنصار ، منهم سبعون بدرياً وباقيهم من الصحابة ، وقد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري ، فانتهى الى الرُبَّة بين الكوفة ومكة من طريق الجادة ، وفاته طلحة وأصحابه ، وقد كان عليُّ ارادهم فانصرف حين فاتوه الى العراق في طلبهم ، ولحق بعلي من أهل المدينة جماعة من الأنصار فيهم خزيمة بن ثابت ذو

الشهادتين ، وأناه من طيء ستمائة راكب ، وكاتب علي من الربذة
أبا موسى الأشعري ليستنفر الناس ، فثبطهم أبو موسى ، وقال : إنما
هي فتنة ، فمني ذلك الى علي ، فولى على الكوفة قرظة بن كعب
الأنصاري ، وكتب الى أبي موسى : اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموماً
مدحوراً ، فما هذا أول يومنا منك ، وإن لك فينا لهفات وهنيات ،
وسار علي بمن معه حتى نزل بذي قار ، وبعث بإبنة الحسن وعمار
ابن ياسر الى الكوفة يستنفران الناس ، فسارا عنها ومعهما من أهل
الكوفة نحو من سبعة آلاف ، وقيل : ستة آلاف وخسمائة وستون
رجلاً ، منهم الأشتر ، فأتتهى علي الى البصرة وراسل القوم وناشدهم الله ،
فأبوا إلا قتاله .

قُدوم علي البصرة : وذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به
أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي عن ابن عائشة عن معن بن
عيسى عن المنذر بن الجارود قال : لما قدم علي رضي الله عنه
البصرة دخل مما يلي الطف ، فأتى الزاوية فخرجت أنظر إليه فورد
موكب في نحو ألف فارس يتقدمهم فارس على فرس أشهب عليه
قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفاً ومعه راية ، وإذا تيجان القوم
الأغلب عليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح ، فقلت :
من هذا ؟ فقلت : هذا أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وهؤلاء الأنصار وغيرهم ، ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة
صفراء وثياب بيض متقلد سيفاً متنكب قوساً معه راية على فرس
أشقر في نحو ألف فارس ، فقلت : من هذا ؟ فقلت : هذا خزيمه بن
ثابت الأنصاري ذو الشهادتين ، ثم مر بنا فارس آخر على فرس
كُمَيْتٍ معتمٌ بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء وعليه قباء
أبيض مصقول متقلد سيفاً متنكب قوساً في نحو ألف فارس من

الناس ومعه راية ، فقلت : من هذا ؟ ف قيل لي : أبو قتادة بن ربعي ،
ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة
سوداء قد سدّها من بين يديه ومن خلفه شديد الأدمة عليه سكينه
ووقار ، رافع صوته بقراءة القرآن ، متقلد سيفاً متنكب قوساً ، معه راية
بيضاء في ألف من الناس مختلفي التيجان ، حوله مشيخة وكهول وشباب
كأنما قد أوقفوا للحساب ، أثرُ السجود قد أثر في جباههم ، فقلت :
من هذا ؟ ف قيل : عمار بن ياسر في عدة من الصحابة من المهاجرين
والأنصار وأبنائهم ، ثم مر بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب
بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء ، متنكب قوساً متقلد سيفاً ، تخط
رجلاه في الأرض في ألف من الناس للغالب على تيجانهم الصفرة
والبياض معه راية صفراء ، قلت : من هذا ؟ قيل : هذا قيس بن سعد
ابن عباد في عدة من الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان ، ثم مر
بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحسن منه ، عليه ثياب بيض
وعمامة سوداء قد سدّها من بين يديه بلواء ، قلت : من هذا ؟ قيل :
هو عبد الله بن العباس في وفده وعدة من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين ،
قلت : من هذا ؟ قيل : عبيد الله بن العباس ، ثم تلاه موكب آخر
فيه فارس أشبه الناس بالأولين ، قلت : من هذا ؟ قيل : قُشَم بن
العباس ، أو معبد بن العباس ، ثم أقبلت المواكب والرايات يقدم
بعضها بعضاً ، واشتبكة الرماح ، ثم ورد موكب فيه خلق من الناس
عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات في أوله راية كبيرة يقدمهم
رجل كأنما كُسِرَ وجُبِرَ ، قال ابن عائشة : وهذه صفة رجل شديد
الساعدين نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق ، كذلك تخبر
العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل أنه كسر وجبر كأنما على

رؤوسهم الطير ، وعن يمينه شاب حسن الوجه ، وعن يساره شاب حسن الوجه ، وبين يديه شاب مثلها ، قلت : من هؤلاء ؟ قيل : هذا علي ابن أبي طالب ، وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله ، وهذا محمد ابن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى ، وهذا الذي خلفه عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب ، وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم ، وهؤلاء المشايخ هم أهل بدر من المهاجرين والأنصار .

فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية ، فصلى أربع ركعات ، وعفر خديه على التراب ، وقد خالط ذلك دموعه ، ثم رفع يديه يدعو : اللهم رب السموات وما أظلت ، والأرضين وما أقلت ، ورب العرش العظيم ، هذه البصرة أسألك من خيرها ، وأعوذ بك من شرها ، اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين ، اللهم إن هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي ، وبغوا علي ، ونكثوا بيمتي ، اللهم احقن دماء المسلمين .

وبعث إليهم من يناشدهم الله في الدماء ، وقال : علام تقاتلونني ؟ فأبوا إلا الحرب ، فبعث إليهم رجلا من أصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعهم إلى الله ، فرموه بسهم فقتلوه ، فحمل إلى علي وقالت أمه :

يارب إن مسلماً أظلم يتلو كتاب الله لا يخشام
فغضبوا من دمه لحام وأمه قائمة ترام

مبدأ القتال : وأمر علي رضي الله عنه أن يصفوهم ، ولا يبدء وهم يقتال ، ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم بسيف ولا يطعنوهم برمح ، حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي من اليمنة بأخ له مقتول ، وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمي بسهم

فقتل ، فقال علي : اللهم اشهد ، وأعدروا إلى القوم .
ثم قام غمار بن ياسر بين الصفين فقال : أيها الناس ، ما أنصفتكم
نبيكم حين كففت عقائلكم في الخدور وأبرزتم عقيلته للسيوف ،
وعائشه على جبل في هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح
وجلود البقر ، وجعلوا دونه اللبود ، وقد غشي على ذلك بالدروع ،
فدنا غمار من موضعها ، فنادى : إلى ماذا تدعين ؟ قالت : إلى
الطلب بدم عثمان ، فقال : قاتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب
بغير الحق ، ثم قال : أيها الناس ، إنكم لتعلمون أينما المماليء في
قتل عثمان ؟ ثم انشأ يقول وقد رشقوه بالنبل :

فمنك البكاء ، ومنك المويل ومنك الرياح ، ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام وقاتله عندنا من أمر

وقواتر عليه الرمي واتصل ، فحرك فرسه ، وزال عن موضعه وأتى
علياً فقال : ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم
إلا الحرب ؟

خطبة لعلي قبل الالتحام : فقام علي رضي الله عنه في الناس خطيباً
رافعاً صوته فقال : أيها الناس ، إذا هزمتهم فلا تجهزوا على جريح ،
ولا تقتلوا أسيراً ، ولا تتبعوا مولياً ، ولا تطلبوا مديراً ، ولا تكشفوا
عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، ولا تهتكوا ستراً ، ولا تقربوا شيئاً من
أموالهم إلا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد
أو أمة ، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله .

بين علي والزبير : وخرج علي بنفسه حاسراً على بغلة رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا سلاح عليه فنادى : يا زبير ، اخرج إليّ ، فخرج إليه الزبير
شاكاً في سلاحه ، فقيل ذلك لعائشة ، فقالت : واؤكلك يا أسماء ،

فقبل لها : إن علياً حامر فاطمأنت ، واعتنق كل واحد منها صاحبه ، فقال له علي : ويحك يا زبير ! ما الذي أخرجك ؟ قال : دم عثمان ، قال : قتلَ الله أولانا بدم عثمان ، أما تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني بياضة وهو راكب حماره ، فضحك إلي رسول الله ، وضحكت إليه ، وأنت معه ، فقلت أنت : يا رسول الله ما يدع عليّ زهوه ، فقال لك : « ليس به زهو ، أتجبه يا زبير » فقلت : إني والله لأجبه ، فقال لك : « إنك والله ستقاتله وانت له ظالم » فقال الزبير : استغفر الله ، والله لو ذكرتها ما خرجت ، فقال له : يا زبير ارجع ، فقال : وكيف ارجع الآن وقد التقت حلفتنا البيطان ؟ هذا والله العار الذي لا يغسل ، فقال : يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار ، فرجع الزبير وهو يقول :

اخترت عاراً على نار مؤججة ما إن يقوم لها خلق من الطين
نادى عليّ بأمر لست أجبه عار لممرك في الدنيا وفي الدين
فقلت : حسبك من عدل أبا حسن فبمض هذا الذي قد قلت يكفيني
فقال ابنه عبدالله : أين تذهب وتدعنا ؟ فقال : يا بني أذكرني أبو الحسن بأمر كنت قد أنسيته . فقال : لا والله ، ولكنك فررت من سيوف بني عبد المطلب ، فإنها طوال حديد ، تحملها فتية أنجاد ، قال : لا والله ، ولكنني ذكرت ما أنسانيه الدهر ، فاخترت العار على النار ، أبا الجبن تعيرني لا أبا لك ؟ ثم أمال سنانهُ وشدّ في الميمنة فقال علي : أفرجوا له فقد هاجوه ، ثم رجع فشدّ في الميسرة ، ثم رجع فشدّ في القلب ، ثم عاد إلى ابنه ، فقال أيفعل هذا جبان ؟ ثم مضى منصرفاً ، حتى أتى وادي السباع والأحنف بن قيس معتزلاً في قومه من بني تميم ، فأتاه آت فقال له : هذا الزبير ماراً ، فقال : ما أصنع بالزبير وقد جمع بين فتكين عظيمنتين من الناس يقتل بعضهم

بعضاً وهو مار إلى منزله سالماً؟! فلحقه نفر من بني تميم ، فسبقهم إليه عمرو بن جرموز ، وقد نزل الزبير إلى الصلاة فقال : أتؤمنني أو أؤمك؟! فأمه الزبير فقتله عمرو في الصلاة ، وقتل الزبير رضي الله عنه وله خمس وسبعون سنة ، وقد قيل : إن الأحنف بن قيس قتله بإرساله مَنْ أرسل من قومه ، وقد رثته الشعراء وذكرت غدرَ عمرو بن جرموز به ، ومن رثاه زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل أخت سعيد بن زيد ، فقالت :

غدرَ ابن جرموز بفارس بُهْمَةً يوم اللقاء ، وكان غير مسدّد
يا عمرو ، لو نبهته لوجدته لا طائشاً رعرع الجنان ولا اليد
هَبِلْتِكَ أملك ان قلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله فيمن مضى من يروح ويفتدي

وأتى عمرو علياً بسيف الزبير وشاغفه ورأسه ، وقيل : انه لم يأت برأسه ، فقال علي : سيف طالما جلا الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكنه الحين ومصارع السوء ، وقاتل ابن صفية في النار ، ففي ذلك يقول عمرو بن جرموز التميمي في أبيات :

أتيت علياً برأس الزبير وقد كنت أرجو به الزلفه
فبشر بالنار قبل العيانت وبش بشارة ذي التحفه
لسيانت عندي قتل الزبير وضرطة عنز بذوي الجحفه

بين علي وطلحة : ثم نادى علي رضي الله عنه طلحة حين رجع الزبير : يا أبا محمد ، ما الذي أخرجك؟ قال : الطلب بدم عثمان ، قال علي : قتل الله أولانا بدم عثمان ، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأنت أول من بايعني ثم ذكّشت ، وقد قال الله عز وجل : (ومن نكث فإنما

ينكث على نفسه) فقال : أستغفر الله ، ثم رجع ، فقال مروان بن الحكم : رجع الزبير ويرجع طلحة ، ما أبالي رميت ههنا أم ههنا ، فرماه في أكحله فقتله ، فمر به علي بعد الوقعة في موضعه في قنطرة قرّة ، فوقف عليه ، فقال : انا لله وإنا اليه راجعون ، والله لقد كنت كارهاً لهذا ، أنت والله كما قال القائل :

فَقَدْ كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ
كَأَنَّ الثَّرِيًّا عُلِّقَتْ فِي يَمِينِهِ وَفِي خَدِّهِ الشَّعْرَى ، وَفِي الْآخِرِ الْبَدْرُ
وَذَكَرَ أَنَّ طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا وَلِيَ سَمِعَ وَهُوَ يَقُولُ :

ندامة ما ندمت وضل حلمي ولهفي ثم لهف أبي وأمي
ندمت ندامة الكُسَمِيِّ لَمَّا طَلَبْتُ رِضَا بَنِي جَرْمٍ بِزَعْمِي

وهو يمسح عن جبينه القبار ويقول : (وكانت أمر الله قدراً مقدوراً) وقيل : انه سمع وهو يقول هذا الشعر وقد جرحه في جبهته عبد الملك ورماه مروان في أكحله وقد وقع صريعا يحد بنفسه .

نسب طلحة : وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وهو ابن عم أبي بكر الصديق ، ويكنى أبا محمد ، وأمه الصعبة ، وكانت تحت أبي سفيان صخر بن حرب ، كذلك ذكر الزبير بن بكار في كتابه في أنساب قريش ، وقتل وهو ابن أربع وستين سنة ، وقيل غير ذلك ، ودفن بالبصرة ، وقبره ومسجده فيها مشهور الى هذه الغاية ، وقبر الزبير بوادي السباع .

مقتل محمد بن طلحة : وقتل محمد بن طلحة مع أبيه في ذلك اليوم ، ومر به علي فقال : هذا رجل قتله بره بأبيه وطاعته له ، وكان يدعى بالسجّاد ، وقد تنوزع في كنيته ، فقال الواقدي : كان يكنى بأبي

سليمان ، وقال الهيثم بن عدي : كان يكنى بأبي القاسم ، وفيه يقول قائله :

وأشعث سجاد بآيات ربه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
شككت له بالرمح جيب قميصه فخرٌ صريعاً للدين وللهم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً علياً ، ومن لا يتبع الحق يندم
يذكرني حمام والرمح شارع فهلا تلا حمام قبل التقدم
وقد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة علي وميسرته فكشفوها ،
فأناه بعض ولد عقيل وعلي يخفيق نعاساً على قرَّبوس سرجه ، فقال له :
يا عم ، قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى ، وأنت تخفيق نعاساً ؟
قال : اسكت يا ابن أخي ، فإن لعمرك يوماً لا يعدوه ، والله ما يبالي
عمك وقع على الموت أو وقع الموت عليه ، ثم بعث إلى ولده محمد
ابن الحنفية ، وكان صاحب رأيته : أحمل على القوم ، فأبطأ محمد بحملته ،
وكان بإزائه قوم من الرماة ينتظر نفاد سهامهم ، فأناه علي فقال :
هلا حملت ، فقال لا أجد متقدماً إلا على سهم أو سنان ، وإني منتظر
نفاد سهامهم وأحمل ، فقال له : أحمل بين الأسته ؛ فإن للموت عليك
جنة ، فحمل محمد ، فشك بين الرماح والنشاب فوقف ، فأناه علي
فضربه بقائم سيفه ، وقال : أدر كك عرق من أمك ، وأخذ الراية
وحمل ، وحمل الناس معه ، فما كان القوم إلا كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف ، وأطافت بنو ضبة بالجمل وأقبلوا يرتجزون ويقولون :
نحسن بنو ضبة أصحاب الجمل تنازل الموت إذا الموت نزل
ردُّوا علينا شيخنا ثم يجل كنعى ابن عفان بأطراف الأسل
والموت أحلى عندنا من العسل

وقطع علي خطام الجمل سبعون يداً من بني ضبة منهم سعد بن
سود القاضي متقلداً مصحفاً ، كلما قطعت يد واحد منهم فصرع قام

آخر فأخذ الخطام وقال : أنا الغلام الضبي ، ورمى الهودج بالنشاب والنبل حتى صار كأنه قنفذ ، وعرقب الجمل وهو لا يقع وقد قطعت أعضاؤه وأخذته السيوف حتى سقط ، ويقال إن عبد الله بن الزبير قبض على خطام الجمل ، فصرخت عائشة - وكانت خالته - واثكل أسماء ، خل الخطام ، وناشدته ، فخلى عنه ، ولما سقط الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن أبي بكر ، فأدخل يده فقالت : من أنت ؟ قال : أقرب الناس منك قرابة ، وأبغضهم اليك ، أنا محمد أخوك ، يقول لك أمير المؤمنين : هل أصابك شيء ؟ قالت : ما أصابني إلا سهم لم يضرني ، فجاء علي حتى وقف عليها ، فضرب الهودج بقضيب ، وقال : يا حميراء ، رسول الله أمرك بهذا ؟ ألم يأمرك أن تقرري في بيتك ؟ والله ما أنصفك الذين أخرجوك إذ صانوا عقائلهم وأبرزوك ، وأمر أخاها محمداً فأنزلها في دار صفية بنت الحارث بن طلحة المبهدي وهي أم طلحة الطلحات ، ووقع الهودج والناس مفترقون يقتتلون ، والتقى الأشتر مالك بن الحارث النخعي وعبد الله بن الزبير فاعتركا وسقطا على الأرض عن فرسيهما ، وطال اعتراكهما على وجه الأرض ، فملا الأثر ولم يجد سبيلاً إلى قتله لشدة اضطرابه من تحته والناس حولها يحولون ، وابن الزبير ينادي :

اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي

فلا يسمعه أحد لشدة الجلال ووقع الحديد على الحديد ولا يراها راء لظلمة النقع ، وعرادف العجاج ، وجاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تنكس اليوم رأس محمد ، واردة إليه الراية ، فدعا به ، ورد عليه الراية ، وقال :

اطعنهم طعن أبيك محمد لا خير في الحرب إذ لم توقد

بالمشرقي والقنا المسرد

ثم استسقى ، فأتى بمسل وماء ، فحسا منه حُسوة ، وقال : هذا الطائفي وهو غريب بهذا البلد ، فقال له عبد الله بن جعفر : أما شغلك ما نحن فيه عن علم هذا ؟ قال : إنه والله يا بني ما ملأ صدر عمك شيء قط من أمر الدنيا .

دخول علي البصرة : ثم دخل البصرة ، وكانت الواقعة في الموضع المعروف بالخريبة ، وذلك يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، على حسب ما قدمنا آنفاً من التاريخ ، وخطب الناس بالبصرة خطبته الطويلة التي يقول فيها : يا أهل السبخة ، يا أهل المؤتفكة اتتفكت بأهلك من الدهر ثلاثاً ، وعلى الله تمام الرابعة ، يا جُند المرأة ، يا أتباع البهيمة ، رغوا فأجبتهم وعقر فانهمزتم ، أخلاقكم رقاق ، وأعمالكم نفاق ، ودينكم زيغ وشقاق ، وماؤكم أجاج وزُعاق ، وقد ذم على أهل البصرة بعد هذا الموقف مراراً كثيرة .

بين ابن عباس وعائشة : وبعث بمجد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالخروج إلى المدينة ، فدخل عليها بغير إذن ، واجتذب وسادة فجلس عليها ، فقلت له : يا ابن عباس أخطأت السنة المأمور بها ، دخلتَ إلينا بغير إذننا ، وجلست على رحلنا بغير أمرنا ، فقال لها : لو كنت في البيت الذي خلقت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخلنا إلا بإذنك ، وما جلسنا على رحلك إلا بأمرك ، وإن أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الأوبة ، والتأهب للخروج إلى المدينة ، فقالت : أبيت ما قلت وخالفت ما وصفت ، فعضى إلى علي ، فخبره بامتناعها ، فردده إليها ، وقال : إن أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعي ، فأنعمت وأجابت إلى الخروج ، وجهزها علي وأثاها في اليوم الثاني ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقي أولاده وأولاد أخوته وفتيان أهله من بني هاشم وغيرهم من شيعته من همدان ، فلما بصرت به النسوان صحن

في وجهه وقلن : يا قاتل الأحبة ، فقال : لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت ، وأشار الى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم ، فضرب من كان معه بأيديهم الى قوائم سيوفهم لما علموا من في البيت بخافة أن يخرجوا منه فيقتالوه ، فقالت له عائشة بعد خطب طويل كان بينها : اني أحب أن أقيم معك فأسير الى قتال عدوك عند سيرك ، فقال : بل ارجعي الى البيت الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يؤمن ابن أختها عبد الله بن الزبير ، فأمنه ، وتكلم الحسن والحسين في مروان ، فأمنه ، وأمن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بني أمية ، وأمن الناس جميعاً ، وقد كان نادى يوم الواقعة : من القى سلاحه فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن .

حزن علي على القتلى : واشتد حزن علي من قتل من ربيعة قبل وروده البصرة ، وهم الذين قتلهم طلحة والزبير من عبد القيس وغيرهم من ربيعة ، وجدده حزنه قتل زيد بن صوحان العبدي قتله في ذلك اليوم عمرو بن سبرة ، ثم قتل عمار بن ياسر عمرو بن سبرة في ذلك اليوم أيضاً ، وكان علي يكثر من قوله :

يا لهف نفسي على ربيعه ربيعة السامعة المطيعه

وخرجت امرأة من عبد القيس تطوف في القتلى ، فوجدت ابنين لها قد قتلوا ، وقد كان قتل زوجها وأخوان لها فيمن قتل قبل مجيء علي البصرة ، فأنشأت تقول :

شهدت الحروب فشييني فلم أر يوماً كيوم الجمل
أضر على مؤمن فتنة وأقتله لشجاع بطل

فليت الظمينة في بيتها وليتك عسكر لم ترحل
وقد ذكر المدائني أنه رأى بالبصرة رجلاً مصطلم الأذن ، فسأله
عن قصته ، فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى ، فنظر إلى
رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول :

لقد اوردتنا حومة الموتِ امثنا فلم تنصرف الا ونحن رواء
أطعنا بني تميم لشقوه جدنا وما تيم الا أعبد وإماء
فقلت : سبحان الله ! أتقول هذا عند الموت ؟ قل لا إله الا الله ،
فقال : يا ابن اللخناء ، إياي تأمر بالجزع عند الموت ؟ فوليت عنه
متعجباً منه ، فصاح بي اذنُ مني ولقني الشهادة ، فصرت إليه ، فلما
قربت منه استدعاني ، ثم التقم أذني فذهب بها ، فجعلت ألعنه وأدعو
عليه ، فقال : اذا صرت إلى امك فقالت من فعل هذا بك ، فقل
عمير بن الأهلب الضبي مخدوع المرأة التي ارادت ان تكون أمير
المؤمنين .

خروج عائشة من البصرة : وخرجت عائشة من البصرة ، وقد
بعث معها علي أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر وثلاثين رجلاً
وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبد القيس ومهتان وغيرهما ،
ألبسهن العباءم وقلدهن السيوف ، وقال لهن لا تعلمن عائشة أنكن
نسوة وقتلتمن كأنكن رجال وكن اللاتي تلين خدمتها وحملها ، فلما
أتت المدينة قيل لها : كيف رأيت مسيرك ؟ قالت : كنت بخير
والله ، لقد أعطى علي بن أبي طالب فأكثر ، ولكنسه بعث معي
رجالا أنكرتهم فعرفها النسوة أمرهن ، فسجدت وقالت : ما ازددت
والله يا ابن أبي طالب إلا كرماً ، ووددت أني لم أخرج وإن أصابتن
كيت وكيت من أمور ذكرتها شاقة وانما قيل لي : تخرجين فتصلحين
بين الناس ، فكان ما كان ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب

أن الذي قتل من أصحاب علي في ذلك اليوم خمسة آلاف نفس ومن أصحاب الجمل وغيرهم من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفاً ، وقيل غير ذلك .

ووقف علي على عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية وهو قتيل يوم الجمل فقال : لهفي عليك يعسوب قريش ، قتلت النطاريف من بني عبد مناف ، شقيت نفسي وجدعت أنفي ، فقال له الأشتر : ما أشد جزعك عليهم يا أمير المؤمنين وقد أرادوا بك ما نزل بهم ! فقال : انه قامت عني وعنهم نوسة لم يقمن عنك ، وقد كان قتله في ذلك اليوم الأشتر النخعي ، وأصيب كف ابن عتاب بمنى وقيل باليامة ألقها عقاب وفيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب وكان اليوم الذي وجد فيه الكف بعد يوم الجمل بثلاثة أيام .

ودخل على بيت مال البصرة في جماعة من المهاجرين والأنصار ، فنظر الى ما فيه من العين والورق فجعل يقول : يا صفراء ، غري غيري ، ويا بيضاء غري غيري ، وأدام النظر الى المال مفكراً ، ثم قال : اقسموه بين أصحابي ومن معي خمسمائة خمسمائة ، ففعلوا ، فما نقص درهم واحد ، وعدد الرجال اثنا عشر ألفاً .

وقبض ما كان في معسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك فباعه وقسمه بين أصحابه ، وأخذ لنفسه كما أخذ لكل واحد من ماله من أصحابه وأهله وولده خمسمائة درهم ، فأناه رجل من أصحابه فقال : يا أمير المؤمنين إني لم آخذ شيئاً ، وخلفني عن الحضور كذا ، وأدلى بعذر ، فأعطاه الخمسمائة التي كانت له .

وقيل لأبي ليبد الجهضمي من الأزدي : أتحب علياً ؟ قال : وكيف أحب رجلاً قتل من قومي في بعض يوم ألفين وخمسمائة ، وقتل من

الناس حق لم يكن أحد يعزي أحداً ، واشتغل أهل كل بيت بمن لهم ؟ .

مسيره إلى الكوفة : وولى عليّ على البصرة عبدالله بن عباس ، وسار إلى الكوفة ، فكان دخوله إليها لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب ، وبعث إلى الأشعث بن قيس يعزله عن أذربيجان وأرمينية ، وكان عاملاً لعثمان عليها ، وصرف عن ممدان جرير بن عبدالله البجلي ، وكان عاملاً لعثمان ، فكان في نفس الأشعث على عليّ ما ذكرنا من العزل ، وما خاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك من الأموال .

علي يبعث إلى معاوية : ووجه يحريز بن عبدالله إلى معاوية وقد كان الأشتر حذره من ذلك ، وخوفه من جرير ، وقد كان جرير قال لعلني : ابعتني إليه ، فإنه لم يزل لي مستنصحاً وواذاً ، فأتته وأدعوه إلى أن يسلم لك هذا الأمر ، وأدعو أهل الشام إلى طاعتك ، فقال الأشتر : لا تبعته ولا تصدقه ، فوالله إني لأظن هواه هوام ونيتهم ، فقال عليّ : دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا ، فبعث به وكتب إلى معاوية معه يعلمه مبايعة المهاجرين والأنصار إياه واجتماعهم عليه ، ونكث الزبير وطلحة ، وما أوقع الله بهما ويأمره بالدخول في طاعته ، ويعلمه أنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ، فلما قدم عليه جرير دافعه وسأله أن ينتظره وكتب إلى عمرو بن العاص على ما قدمنا فقدم عليه فأعطاه مصر طومة على ما قدمنا في صدر هذا الباب ، فأشار إليه عمرو بالبعث إلى وجوه الشام وأن يلزم علياً دم عثمان ، ويقاتله بهم ، فقدم جرير على عليّ فأخبره خبرهم ، واجتماع أهل الشام مع معاوية على قتاله ، وأنهم سيكون على عثمان ويقولون : إن علياً قتله ، وآوى قتلته ومنع منهم ، وإنهم لا بد لهم من قتاله حتى يفتنوه أو يفتنهم ، فقال

الأشتر : قد كنت أخبرتك يا أمير المؤمنين بعداوتك وغشه ، ولو بعثتني لكنت حيراً من هذا الذي أرخى خناقه وأقام حتى لم يدع باباً نرجو روحه إلا فتحه ، ولا باباً يخاف منه إلا أغلقه ، فقال جرير : لو كنت ثمّ لقتلوك ، والله لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان ، قال الأشتر : لو أتيتهم والله يا جرير لم يعني جوابهم ، ولا ثقل علي خطابهم ولملت معاوية على خطة أعجلته فيها عن الفكر ، ولو طاعني أمير المؤمنين فيك لحبسك وأشباهك في محبس فلا تخرجون منه حتى يستقيم هذا الأمر .

فخرج جرير عند ذلك إلى بلاد قرقيسيا والرجبة من شاطئ الفرات ، وكتب إلى معاوية يعلمه بما نزل به ، وأنه أحب مجاورته والمقام في داره ، فكتب إليه معاوية يأمره بالمسير إليه .

بين المغيرة ومعاوية : وبعث معاوية إلى المغيرة بن شعبة الثقفي عند منصرف علي من الجمل ، وقبل مسيره إلى صفين - بكتاب يقول فيه : لقد ظهر من رأي ابن أبي طالب ما كان تقدم من وعده لك في طلحة والزبير ، فما الذي بقي من رأيه فينا ؟ وذلك أن المغيرة بن شعبة لما قتل عثمان وبايع الناس علياً دخل عليه المغيرة فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لك عندي نصيحة ، فقال : وما هي ؟ قال : إن أردت أن يستقيم لك ما أنت فيه فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة ، والزبير بن العوام على البصرة ، وابعث إلى معاوية بمعهده على الشام حتى تلزمه طاعتك ، فإذا استقر قرارها رأيت فيه رأيك ، قال : أما طلحة والزبير فسأرى رأيي فيهما ، وأما معاوية فلا والله لا يراني الله أستعين به ما دام على حاله أبداً ، ولكنني أدعوه إلى ما عرفته ، فإن أجاب وإلا حاكته إلى الله ، فانصرف المغيرة مغضباً وقال :

نصحت علياً في ابن هند مقالة فردت، فلا يسمع لها الدهر ثانيه
وقلت له : أرسل إليه بعهد علي الشام ، حتى يستقر معاويه
ويعلم أهل الشام أن قد ملكته وأم ابن هند عند ذلك هاويه
فلم يقبل النصيح الذي جثته به وكانت له تلك النصيحة كافيه
قال المسعودي رحمه الله : وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب
ما كان من المفيرة مع علي ، وما أشار به ، وهذا أحد الوجوه
المروية في ذلك .

فهذه جوامع ما يحتاج اليه من أخبار يوم الجمل وما كان فيه ،
دون الإكثار والتطويل وتكرار الأسانيد في ذلك والله ولي التوفيق .

ذكر

جوامع مما كان بين أهل العراق

وأهل الشام بصيفين

قال المسعودي رحمه الله : قد ذكرنا جملاً وجوامع من أخبار علي
رضي الله عنه بالبصرة وما كان يوم الجمل ، فلنذكر الآن جوامع
من سيره الى صفين ، وما كان فيها من الحروب ، ثم نعقب ذلك
بشأن الحكمين والنهروان ، ومقتله عليه السلام .

مسيره الى صفين : وكان سير علي من الكوفة الى صفين لخمس
خلون من شوال سنة ست وثلاثين ، واستخلف على الكوفة أبا مسعود
عقبة بن عامر الأنصاري ، فاجتاز في مسيره بالمدائن ، ثم أتى
الأنبار ، وسار حتى نزل الرقة ، فعقد له هنالك جسر ، فعبر الى
جانب الشام .

عدد جيشه : وقد تنوزع في مقدار ما كان معه من الجيش ،

فكثير ومقلل ، والمتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفاً ، وقال رجل من أصحاب علي لما استقروا مما يلي الشام من أبيات كتب بها إلى معاوية حيث يقول :

اثبت معاوي قد أذاك الحافل تسعون ألفاً كلهم مقاتل
عما قليل يضمحل الباطل

جيش معاوية : وسار معاوية من الشام ، وقد قنوزع في مقدار من كان معه أيضاً فمكث ومقلل ، والمتفق عليه من قول الجميع خمس وثمانون ألفاً ، فسبق علياً إلى صِفِّين ، وعسكر في موضع سهل أفبح اختاره قبل قدوم علي ، على شريعة لم يكن على الفرات في ذلك الموضع أسهل منها للوارد إلى الماء ، وما عداها أخراق عالية ، ومواقع إلى الماء وعرة ، ووكل أبا الأعور السلمي بالشريعة مع أربعين ألفاً ، وكان على مقدمته ، وبات علي وجيشه في البر عطاشاً قد حيل بينهم وبين الورود إلى الماء فقال عمرو بن العاص لمعاوية : إن علياً لا يموت عطشاً هو وتسعون ألفاً من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم ، ولكن دعهم يشربون ونشرب ، فقال معاوية : لا والله أو يموتوا عطشاً كما مات عثمان ، وخرج علي يدور في عسكره بالليل ، فسمع قائلاً وهو يقول :

أيمننا القوم ماء الفرات وفينا علي وفينا الهدى ؟
وفينا الصلاة وفينا الصيام وفينا المناجون تحت الدجى
ثم مر بآخر عند راية ربيعة ، وهو يقول :

أيمننا القوم ماء الفرات وفينا الرماح وفينا الخبف
وفينا علي له صولة إذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير وطلحة خضناً غمار التلف
فما بالنا أمس أسد العرب وما بالنا اليوم شاء النجف

وألقي في فسطاط الأشعث بن قيس رقعة فيها :
 لئن لم يُجَلَّ الأشعثُ اليومَ كربةً من الموت فيها للنفوس تَسْفَلَتْ
 فشرب من ماء الفرات بسيفه نَهَبْنَا أُناساً قبلُ كانوا فموتوا
 فلما قرأها حَمِيَّ وأتى علياً رضي الله عنه ، فقال له : أخرج
 في أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم بهم في وسط عسكر معاوية
 فتشرب وتستقي لأصحابك أو تموتوا عن آخركم ، وأنا مُسَيَّرُ
 الأَشْتَرِ في خيل ورجالة وراءك ، فسار الأشعث في أربعة آلاف
 من الخيل وهو يقول مرتجزا :

لأورِدَنُ خَيْلِي الفرات شُعْتَ النواصي أو يقال ماتا
 ثم دعا عليّ الأَشْتَرُ فسرّعه في أربعة آلاف من الخيل
 والرجالة ، فصار يؤم الأشعث وصاحب رايته وهو رجل من النُشَاجِ
 وهو يرتجز ويقول :

بأشتر الخيوات يا خير النُشَاجِ وصاحب النصر إذا عمّ الفزع
 قد جَزَعَ القومُ وعمُّوا بالفزع إن تَسْتَقِينَا اليومَ فما هو بالبدع
 ثم سار علي رضي الله عنه وراء الأَشْتَرِ بباقي الجيش ، ومضى
 الأشعث فما رد وجهه أسد حتى هجم على عسكر معاوية ، فأزال
 أبا الأعور عن الشريعة ، وغرَّقَ منهم بشراً وخيلاً ، وأورد
 خيله الفرات ، وذلك أن الأشعث داخلته الحمية في هذا اليوم ، وكان
 يقدم رمحه ثم يحث أصحابه فيقول : ازحموم مقدار هذا الرمح ،
 فيزيلوم عن ذلك المكان ، فبلغ ذلك من فعل الأشعث علياً ، فقال :
 هذا اليوم نصرنا فيه بالحمية ، وفي ذلك يقول رجل من أهل العراق :

كشفت الأشعث عنا	كُربَةَ الموت عيابا
بعد ما طارت طلاقا	طيرة مست لانا
فله المن علينا	وبه دارت رحانا

وارتحل معاوية عن الموضع ، وورد الأشتر ، وقد كشف الأشعث القوم عن الماء ، وأزالهم عن مواضعهم ، وورد علي* فنزل في الموضع الذي كان فيه معاوية ، فقال معاوية لعمر بن العاص : يا أبا عبد الله ، ما ظنك بالرجل أترأه يمنعنا الماء لمنعنا إياه ؟ وقد كان انحاز بأهل الشام إلى ناحية في البر نائية عن الماء ، فقال له عمرو : لا ، إن الرجل جاء لغير هذا ، وإنه لا يرضى حتى تدخل في طاعته أو يقطع حبل عاتقك ، فأرسل إليه معاوية يستأذنه في وروده مشرعه واستقاء الناس من طريقه ودخول رسله في عسكره ، فأباحه على كل ما سأل وطلب منه .

ولما كان أول يوم من ذي الحجة - بعد نزول علي* على هذا الموضع بيومين - بعث إلى معاوية يدعو إلى اتحاد الكلمة والدخول في جماعة المسلمين ، وطالت المراسلة بينهما ، فاتفقوا على المودة إلى آخر المحرم من سنة سبع وثلاثين وامتنع المسلمون عن الغزو في البحر والبر لشغلهم بالحروب ، وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله إليه لشغله بعلي* ، ولم يتم بين علي* ومعاوية صلح على غير ما اتفقا عليه من المودة في المحرم ، وعزم القوم على الحرب بعد انقضاء المحرم ، ففي ذلك يقول حابس بن سعد الطائي صاحب راية معاوية :

فما دون المنايا غير سبع يقين من المحرم أو ثمان

ولما كان في اليوم الآخر من المحرم قبل غروب الشمس بعث علي* إلى أهل الشام : إني قد احتججت عليكم بكتاب الله ، ودعوتكم إليه ، وإني قد نبذت إليكم على سوء ، إن الله لا يهدي كيد الخائنين ، فلم يردوا عليه جوابا إلا « السيف بيننا وبينك أو يهلك الأعجز منا » .

مبدأ الحرب : وأصبح علي يوم الأربعاء - وكان أول يوم من صفر - فعباً الجيش ، وأخرج الأشتر أمام الناس ، وأخرج اليه معاوية - وقد تصافت أهل الشام وأهل العراق - حبيب من مسلمة الفهري ، وكان بينهم قتال شديد سائر يومهم ، وأسفرت عن قتلى من الفريقين جميعاً ، وانصرفوا .

فلما كان يوم الخميس - وهو اليوم الثاني - أخرج علي هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري المرقّل ، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، وإنما سمي المرقال لأنه كان يرقل في الحرب ، وكان أعور ذهبت عينه يوم اليرموك ، وكان من شيعة علي ، وقد أتينا على خبره في اليوم الذي ذهبت فيه عينه ، وحسن بلانه في ذلك اليوم ، في الكتاب الأوسط في فتوح الشام ، فأخرج اليه معاوية أبا الأعور السلمي وهو سفيان بن عوف ، وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن علي ، فكانت بينهم الحرب سجّالاً ، وانصرفوا في آخر يومهم عن قتلى كثيرة .

وأخرج علي في اليوم الثالث - وهو يوم الجمعة - أبا اليقظان عمار بن ياسر في عدة من البديرين وغيرهم من المهاجرين والانصار فيمن تسرع معهم من الناس ، وأخرج إليه معاوية عمرو بن العاص في كتفوخ وبهراء وغيرهما من أهل الشام ، فكانت بينهم سجّالا إلى الظهر ، ثم حل عمار بن ياسر فيمن ذكرنا ، فأزال عمراً عن موضعه وألحقه بمسكر معاوية ، وأسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام ودونهم من أهل العراق .

وأخرج علي في اليوم الرابع - وهو يوم السبت - ابنه محمد بن الحنفية في كهدان وغيرها ممن خفّ معه من الناس ، فأخرج اليه معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب في حمير ولحتم وُجْدَام ، وقد كان عبيد الله بن عمر لحق بمعاوية خوفاً من عليّ أن يقيده بالهرمزان

— وذلك أن أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قاتل عمر ، وكان في أرض المعجم غلاماً للهرمزان ، فلما قُتل عمر شد عبيد الله على الهرمزان فقتله ، وقال : لا أترك بالمدينة فارسياً ولا في غيرها إلا قتلته بأبي ، وكان الهرمزان عليلاً في الوقت الذي قتل فيه عمر — فلما صارت الخلافة إلى عليّ أراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله إياه ظملاً من غير سبب استحقه ، فلجأ إلى معاوية ، فاقتتلوا في ذلك اليوم ، وكانت على أهل الشام ، ونجا ابن عمر في آخر النهار هرباً . وأخرج عليّ في اليوم الخامس — وهو يوم الأحد — عبيد الله بن العباس ، فأخرج إليه معاوية الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فاقتتلوا وأكثر الوليد من سب بني عبد المطلب بن هاشم ، فقاتله ابن عباس قتالاً شديداً ، وناداه : ابرز إلي يا صفوان ، وكان لقب الوليد ، وكانت الغلبة لابن عباس ، وكان يوماً صعباً .

وأخرج عليّ في اليوم السادس — وهو يوم الاثنين — سعيد بن قيس الهمداني ، وهو سيد همدان يومئذ ، فأخرج إليه معاوية ذا الكلاع ، وكانت بينهما إلى آخر النهار ، وأسفرت عن قتلى ، وانصرف الفريقان جميعاً .

وأخرج عليّ في اليوم السابع — وهو يوم الثلاثاء — الأشتر في النخع وغيرهم ، فأخرج إليه معاوية حبيب بن مسلمة الفهري ، فكانت الحرب بينهم سجالات ، وصبر كلا الفريقين وتكافؤا وتواقفوا للموت ثم انصرف الفريقان وأسفرت عن قتلى منهما ، والجراح في أهل الشام أعم .

خروج عليّ للقتال : وخرج في اليوم الثامن — وهو يوم الأربعاء — علي رضي الله تعالى عنه بنفسه في الصحابة من البدرين وغيرهم من المهاجرين والأنصار وربيعه وهمدان .

قال ابن عباس : رأيت في هذا اليوم علياً وعليه عمامة بيضاء ، وكأن عينيه سراجاً سكيط ، وهو يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثهم ويحرضهم ، حتى انتهى إليّ وأنا في كثيف من الناس ، فقال : يا معشر المسلمين ، عموا الأصوات ، وأكملوا الأمة ، واستشعروا الخشية ، وأقلقوا السيوف في الأجفان قبل السلّة ، والحظوا الشزّر ، واطعنوا الهبر ، وناقحوا بالطبا ، وصلوا السيوف بالخطا والنبال بالرماح ، وطيبوا عن أنفسكم أنفساً ؛ فإنكم بعين الله ، ومع ابن عم رسول الله ، عاودوا الكرّ ، واستقبحوا الفرّ ، فإنه عار في الأعقاب ، ونار يوم الحساب ودونكم هذا السواد الأعظم ، والرواق المطنّب ، فاضربوا نهجَه فإن الشيطان راكب صعيده ، مفترش ذراعيه ، قد قدم للوثبة يداً وآخر للنكوص رجلاً ، فصبراً جيلاً حتى تنجلي عن وجه الحق ، وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

وتقدم عليّ للحرب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء وخرج معاوية في عدد أهل الشام ، فانصرفوا عند المساء وكلّ غير ظافر .

وخرج في اليوم التاسع - وهو يوم الخميس - عليّ ، وخرج معاوية فاقتلوا إلى ضحوة من النهار ، وبرز أمام الناس عبيد الله بن عمر بن الخطاب في أربعة آلاف من الحضرية معتمين بشقاق الحرير الأخضر متقدمين للموت يطلبون بدم عثمان ، وابن عمر يقدمهم وهو يقول : أنا 'عبيد الله ينميني' عمر خير قريش من مضى ومن غير غير نبي الله والشيخ الأغر قد أبطأت في نصر عثمان مضر' والربعيون ، فلا أسقوا المطر

فناداه عليّ : ويحك يا ابن عمر ، علام تقتاتني ؟ والله لو كان أبوك حياً ما قاتلني ، قال : أطالب بدم عثمان ، قال : أنت تطلب بدم

الجزء الثاني : ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق والشام بصفين ٣٨١

عثمان ، والله يطلبك بدم الهرمزان ، وأمر علي الأشتر النخعي بالخروج إليه ، فخرج الأشتر إليه وهو يقول :

إني أنا الأشتر معروف السير إني أنا الأفعى العسراقي الذئكر

لست من الحي ربيع أو مضر لكنني من مذحج البيض الغرر

فانصرف عنه عبيد الله ولم يبارزه ، وكثرت القتل يومئذ .

عمار بن ياسر ، وقال عمار بن ياسر : إني لأرى وجوه قوم لا

يزالون يقاتلون حق يرتاب المبطون ، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا

سَعَفَاتِ هَجَرٍ لَكُنَّا عَلَى الْحَقِّ وَكَانُوا عَلَى الْبَاطِل .

وتقدم عمار فقاتل ثم رجع إلى موضعه فاستسقى ، فأتته امرأة

من نساء بني شيبان من مصافهم بعُصٍّ فيه لبن ، فدفعته إليه ، فقال : الله

أكبر الله أكبر ، اليوم ألقى الأعبة تحت الأسنة ، صدق الصادق ،

وبذلك أخبرني الناطق ، وهو اليوم الذي 'وَعِدْتُ' فيه ، ثم قال :

أيها الناس ، هل من راثع إلى الله تحت العوالي ؟ والذي نفسي بيده

لنقاتلنهم على تأويله كما قاتلناهم على تنزيله ، وتقدم وهو يقول :

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله

ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَالِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

أو يرجع الحق إلى سبيله

فتوسط القوم ، واشتبكت عليه الأسنة ، فقتله أبو العادية العاملي

وابن جَوْنُ السكسكي ، واختلفا في سلبه ؛ فاحتكما إلى عبد الله بن

عمرو بن العاص ، فقال لهما : اخرجا عني ، فإني سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقول ، أو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وولعت قريش بعمار وما لهم ولعمار ؟ يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى

النار ، وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة ، وقبره بصفين

وصلى عليه عليّ عليه السلام ولم يفسله ، وكان يغير شيبه . وقد

تبرزع في نسبه فمن الناس من ألحقه ببني مخزوم ، ومنهم من رأى أنه من حلفائهم ، ومنهم من رأى غير ذلك ، وقد أتينا على خبره في كتاب « مظاهر الأخبار وطرائف الآثار » عند ذكرنا الأشراف الحسين الذين بايعوا علياً على الموت ، وفي قتله يقول الحجاج بن عزيّة الأنصاري أبياتاً رثاه بها :

يا للرجال لعين دمعها جاري قد هاج حزني أبو اليقظان عمار
أهوى إليه أبو حوّا فوارسه يدغو السكون وللجيشين إحصار
فاختل صدر أبي اليقظان معترضاً للرمح ، قد وجبت فينا له النار
الله عن جمعهم لا شك كان عفا أتت بذلك آيات وآثار
من ينزع الله غلاً من صدورهم على الأسيرة لم تمسهم النار
قال النبي له تقتلك شرذمة سيطت لحومهم بالبغي فجار
فاليوم يعرف أهل الشام أنهم أصعب تلك وفيها النار والعار

ولما صرع عمار تقدم سعيد بن قيس الهمداني في همدان ، وتقدم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري في الأنصار وربيعة ، وعدي بن حاتم في طيء ، وسعيد بن قيس الهمداني في أول الناس ، فخلطوا الجميع بالجمع ، واشتد القتال ، وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم إلى معاوية ، وقد كان معاوية صمّده فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان ، وأمر علي الأشر أن يتقدم بالواء إلى أهل حمص وغيرهم من أهل قنسرين ، فأكثر القتل في أهل حمص وقنسرين بمن معه من القراء ، وأبلى المرق قال يومئذ بمن معه فلا يقوم له شيء ، وجعل يرقل كما يرقل الفحل في قيده ، وعلي وراءه يقول له : يا أعور ، لا تكن جباناً ، وتقدم ، والمرق قال يقول :

قد أكثر القوم وما أقلّ أعور يبني أهله محلاً
قد عالج الحياة حتى ملأ لا بد أن يفّل أو يفلاً

أَشْلَاهُمْ بذي الكعوب شلاً

ثم صمد هاشم بن عتبة المِرْقَال لذي الكلاع وهو في حمير ،
فحمل عليه صاحب لواء ذي الكلاع ، وكان رجلاً من عُدْرَة
وهو يقول :

أثبت فإني لست من فرعي مضر نحن اليانيون ما فينا ضجر
كيف ترى وقع غلام من عذر ينمي ابن عفان ويكثحي من غدر
يا أعور العين رمى فيها العور سيان عندي من سعى ومن أمر
مصرع هاشم المرقال : فاختلفا طعنتين ، فطعنه هاشم المرقال فقتله ،
وقتل بعده تسعة عشر رجلاً ، وحمل هاشم المرقال وحمل ذو الكلاع
ومع المرقال جماعة من أسلم قد آلوا أن لا يرجعوا أو يفتحوا أو
يقتلوا ، فاجتلد الناس ، فقتل هاشم المرقال ، وقتل ذو الكلاع جميعاً ،
فتناول ابن المرقال اللواء حين قتل أبوه في وسط المعركة ، وكر في
العجاج وهو يقول :

يا هاشم بن عتبة بن مالك أغررَ بشيخ من قريش هالك
تخطه الخيلات بالسنابك أبشِرْ بحور العين في الأرائك
والرؤج والريحان عند ذلك

ووقف علي رضي الله عنه عند مصرع المِرْقَال ومَن صرع
حوله من المسلمين وغيرهم ، فدعا لهم وترحم عليهم ، وقال
من أبيات :

جزى الله خيراً عصابة أسلمية صباح الوجوه صرّعوا حول هاشم
يزيد وعبد الله بشر بن معبد وسفيان وابنا هاشم ذي المكارم
وعروة لا ينفد ثناء وذكره إذا اختُرطت يوماً خفاف الصوارم
حذيفة بن اليمان ، وابناء : واستشهد في ذلك اليوم صفوان وسعد
ابنا حذيفة بن اليمان ، وقد كان حذيفة عليلاً بالكوفة في سنة ست

وثلثين ، فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلي فقال : أخرجوني وادعوا « الصلاة جامعة » فوضع على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وعلى آله ، ثم قال : أيها الناس ، إن الناس قد بايعوا علياً فعليكم بتقوى الله وانصروا علياً وواظروه ؛ فوالله إنه لعلي الحق آخرأ وأولاً ، وإنه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقي إلى يوم القيامة ، ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال : اللهم اشهد ، إني قد بايعت علياً ، وقال : الحمد لله الذي أبقاني إلى هذا اليوم ، وقال لابنيه صفوان وسعد : احملاني وكونا معه ، فستكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس ، فاجتهدا أن تستشهدا معه ، فإنه والله على الحق ، ومن خالفه على الباطل ، ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام ، وقيل : بأربعين يوماً ، واستشهد عبد الله بن الحارث النخعي أخو الأشتر ، واستشهد فيه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل بن ورقاء الخزاعي في خلق من خزاعة ، وكان عبد الله في ميسرة علي وهو يرتجز ويقول :

لم يبق إلا الصبر والتوكل وأخذك النرس وسيف مصقل
ثم التمشي في الرعيل الأول

فقتل ، ثم قتل عبد الرحمن أخوه بعد ، فيمن ذكرنا من خزاعة .
ولما رأى معاوية القتل في أهل الشام وكتب أهل العراق عليهم استدعى بالنعمان بن جبلة التنوخي - وكان صاحب راية قومه في تنوخ وبهراء - وقال له : لقد هممت أن أولى قومك من هو خير منك مقدماً ، وأنصح منك ديناً ، فقال له النعمان : إنا لو كنا ندعو قومنا إلى جيش مجموع لكان في كسع الرجال بعض الأناة ، فكيف ونحن ندعوهم إلى سيوف قاطعة ، ورؤى شاجرة ، وقوم ذوي بصائر نافذة ، والله لقد نصحتك على نفسي ، وآثرت ملكك

على ديني ، وتحركت لهواك الرشد وأنا أعرفه ؛ وحدثتُ عن الحق وأنا أبصره ، وما وفقت لرشد حين أقاتل على ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول مؤمن به ومهاجر معه ، ولو أعطيناك ما أعطيناك لكان أراف بالرعية ، وأجزل في العطية ، ولكن قد بذلنا لك الأمر ولا بد من اتمامه كان غياً أو رشداً ، وحاشا أن يكون رشداً ، وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها إذ حرمتنا أثمار الجنة وأنهارها ، وخرج إلى قومه ، وصمد إلى الحرب .

مقتل عبيد الله بن عمر : وكان عبيد الله بن عمر إذا خرج إلى القتال قام إليه نساؤه فشددن عليه سلاحه ، ماخلت الشيبانية بنت هانيء بن قبيصة ، فخرج في هذا اليوم ، وأقبل على الشيبانية ، وقال لها : اني قد عبات اليوم لقومك ، وإيم الله اني لأرجو أن أربط بكل طنب من اطناب فسطاطي سيداً منهم ، فقالت له : ما ابغض إلا ان تقاتلهم ، قال : ولم ؟ قالت : لأنه لم يتوجه اليهم صنديد في جاهلية ولا اسلام وفي رأسه صمّر الا ابادوه ، واخاف أن يقتلوك ، وكأني بك قتيلاً وقد أتيتهم اسألهم ان يهبوا لي جيفتك ، فرماها بقوس فشجتها ، وقال لها : ستعلمين بمن أتيتك من زعماء قومك ، ثم توجهت فحمل عليه جرير بن جابر الجمعي فطعنه فقتله ، وقيل : إن الأشتر النخعي هو الذي قتله ، وقيل : ان علياً ضربه ضربة فقطع ما عليه من الحديد حتى خالط سيفه حشوة جوفه ، وإن علياً قال حين هرب فطلبه ليقيد منه بالهرمزان : لئن فاتني في هذا اليوم لا يفوتني في غيره ، وكلم نساؤه معاوية في جيفته ، فأمر أن تأتين ربيعة فتبذلن في جيفته عشرة آلاف ، ففعلن ذلك ، فاستأمرت ربيعة علياً ، فاقبل لهم : انما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها ، ولكن قد اجبتهم

الى ذلك ؛ فاجعلوا جيافته لبنت هانئ بن قبيصة الشيباني زوجته ، فقالوا لنسوة عبید الله : ان شئتן شدناه الى ذنب بغل ثم ضربناه حق يدخل الى عسكر معاوية ، فصرخن وقلن : هذا اشد علينا ، وأخبرن معاوية بذلك ، فقال هن : اتوا الشيبانية فسلوها أن تكلمهم في جيافته ، ففعلن ، وأتت القوم وقالت : أنا بنت هانئ بن قبيصة وهذا زوجي القاطع الظالم وقد حذرته مسا صار اليه فهبوا الي جيافته ففعلوا ، وألقت اليهم بمطرف خز فأدرجوه فيه ودفعوه اليها فمضت به ، وكان قد شد في رجله الى طناب فسطاط من فساطيطهم . ولما قتل عمار ومن ذكرنا في هذا اليوم حرض علي عليه السلام الناس وقال لربيعة : أنتم درعي ورحمي ، فالتدب له ما بين عشرة آلاف الى اكثر من ذلك من ربيعة وغيرهم ، قد جادوا بأنفسهم لله عز وجل ، وعلي امامهم على البغلة الشباء ، وهو يقول :

من أي يومي من الموت أفر أيوم لم يُقدر أم يوم قدر
وحمل وحملوا معه حمة رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشام صف
الا انتقض ، وأهدوا كل ما أتوا عليه ، حتى أتوا الى قبة معاوية ، وعلي لا يمر بفارس الا قده وهو يقول :

أضربهم ولا أرى معاوية الأخزر العين العظيم الحواويه
تهوي به في النار أم هاويه

وقيل : ان هذا الشعر لبديل بن ورقاء ، قاله في ذلك اليوم . ثم نادى علي : يا معاوية ، علام يقتل الناس بيني وبينك ؟ هل أحاكمك إلى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور ، فقال له عمرو : قد أنصفك الرجل ، فقال له معاوية : ما أنصفت ، وإنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله أو أمره ، فقال له عمرو : وما يحمل بك إلا مبارزته ، فقال له معاوية : طمعت فيها بعدي ، وحقدتها عليه

وقد قيل في بعض الروايات : إن معاوية أقسم على عمرو لما أشار عليه بهذا أن يبرز إلى علي ، فلم يجد عمرو من ذلك بداً ، فبرز ، فلما التقيا عرفه عليّ وشال السيف ليضربه به ، فكشف عمرو عن عورته ، وقال : مكره أخوك لا بطل ، فحول علي وجهه عنه ، وقال : قبحت ! ورجع عمرو إلى مصافه .

وقد ذكر هشام بن محمد الكلبي عن الشرقي بن القطامي أن معاوية قال لعمرو بعد انقضاء الحرب : هل غشقتني منذ نصحتني ؟ قال : لا ، قال : بلى والله يوم أشرت علي بمبارزة علي وأنت تعلم ما هو ، قال : دعاك إلى المبارزة فكنت من مبارزته على إحدى الحسينين : أما أن تقتله فتكون قد قتلت قاتل الأقران وتزداد شرفاً إلى شرفك ، وإما أن يقتلك فتكون قد استعجلت مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، فقال معاوية : يا عمرو ، الثانية أشد من الأولى .

وكان في هذا اليوم من القتال ما لم يكن قبل ، ووجدت في بعض النسخ من أخبار صفين أن هاشماً المير قال لما وقع إلى الأرض وهو يجود بنفسه رفع رأسه فإذا عبيد الله بن عمر مطروحاً إلى قربه جريحاً ، فحباً حتى دنا منه ، فلم يزل يعض على ثدييه حتى ثبتت فيه أسنانه لعدم السلاح والقوة ؛ لأنه أصيب فوقه ميتاً هو ورجل من بكر بن وائل ، قد زحفا إلى عبيد الله جميعاً فنهشاه ، وانصرف القوم إلى مواضعهم ، وخرج كل فريق منهم يحملون ما أمكن من قتلاهم .

ومر معاوية في خواص من أصحابه في الموضع الذي كانت ميمنته فيه ، فنظر إلى عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي مضعراً بدمائه ، وقد كان على ميسرة علي ، فحمل على ميمنة معاوية

فأصيب على ما قدمنا آنفاً ، فأراد معاوية أن يمثل به ، فقال له
عبدالله بن عامر وكان صديقاً لابن بديل : والله لا تركتك وإياه ،
قوهبه له ، فغطاه بعمامته وحمله فواراه ، فقال له معاوية : قد والله
واريت كبشاً من كباش القوم وسيداً من سادات خزاعة غير مدافع ،
والله لو ظفرت بنا خزاعة لأكلونا ، ولو أنا من جندل ، دون هذا
الكبش ، وأنشأ يقول متمثلاً :

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت يوماً به الحرب شمرها
كليث هزبري كان يحمي ذماره رمت المنايا قصدها فتقطرا
ونظر علي إلى غسان في مصافهم لا يزولون ، فعرض أصحابه
عليهم ، وقال : إن هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن يخرج
منه النسيم ، وضرب يفلق الهام ويصج العظام ، وتسقط منه المصاصم
والأكف ، وحتى تشدخ جباههم بعمد الحديد ، وتنتثر لمهم على الصدور
والأذقان ، أين أهل الصبر وطلاب الأجر ؟ فثاب إليه عصابة من
المسلمين من سائر الناس ، فدعا ابنه محمداً ، فدفع إليه الراية وقال :
امش بها نحو هذه الراية مشياً رويداً ، حتى إذا أشرعت في
صدورهم الرماح ، فأمسك حتى يأتيك أمري ، ففعل ، وأناه علي ومعه
الحسن والحسين وشيوخ بدر وغيرهم من الصحابة ، وقد كرددس الخيل ،
فحملوا على غسان ومن يليها ، فقتلوا منها بشراً كثيراً ، وعادت
الحرب في آخر النهار كحالها في أوله ، وحملت ميمنة معاوية وفيها
عشرة آلاف من مذحج وعشرون ألفاً مقنعون في الحديد على ميسرة
علي ، فاقتطعوا ألف فارس ، فنتدب من أصحاب علي عبد العزيز
ابن الحارث الجعفي ، وقال لعلي : مرني بأمرك ، فقال : شدة الله ركنك !
سير حتى تنتهي إلى إخواننا المحاط بهم ، وقل لهم : يقول لكم
علي : كبروا ثم احموا ونحمل حتى نلتقي ، فحمل الجعفي ، فطعن في

عرضهم حتى انتهى اليهم ، فأخبرهم بمقالة علي ، فكبروا ، ثم شدوا حتى التقوا بعلي ، وشدخوا سبعمائة من أهل الشام ، وقتل حوشب ذو ظلم ، وهو كبش من كباش اليمن من أهل الشام ، وكان علي راية ذهل بن شيبان وغيرها من ربيعة الحُضَيْن بن المنذر بن الحارث ابن وعلة النهملي ، وفيه يقول علي في هذا اليوم :

لن راية سوداء يخفق ظلها إذا قلت قدّمها حُضَيْنُ تقدما
فأمره بالتقدم ، واختلط الناس ، وبطل النبل ، واستعملت السيوف ، وجنّهم الليل ، وتنادوا بالشعار ، وتقصفت الرياح ، وتكادم القوم ، وكان يعتنق الفارسُ الفارسَ ويقعان جميعاً الى الأرض عن فرسيهما ، وكانت ليلة الجمعة - وهي ليلة الهريز - فكان جملة من قتل علي بكفه في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلاً أكثرهم في اليوم ، وذلك أنه كان إذا قتل رجلاً كبيراً إذا ضرب ، ولم يكن يضرب إلا قتل ، ذكر ذلك عنه مَنْ كان يليه في حربه ، ولا يفارقه مَنْ ولده وغيرهم .

وأصبح القوم على قتالهم ، وكسفت الشمس ، وارتفع القتّام ، وتقطعت الألوية والرايات ولم يعرفوا مواقيت الصلاة ، وغدا الأشر يرتجز وهو يقول :

نحن قتلنا حوشبا لما غدا قد أعلا
وذا الكّلاع قبله ومعبدا إذ أقدما
إن تقتلوا منا أبا السيقظان شيخاً مسلماً
فقد قتلنا منكم سبعين رأساً مجرماً
أضحوا بصفين وقد لاقوا نكالا مؤلماً

خدعة رفع المصاحف : وكان الأشر في هذا اليوم - وهو يوم الجمعة - على ميمنة علي ، وقد أشرف على الفتح ، وفادت مشيخة أهل

الشام : يا معشر العرب الله الله في الحرمات والنساء والبنيات ، وقال معاوية : هلم نخبأتك يا ابن العاص فقد هلكنا ، وتذكر ولاية مصر ، فقال عمرو : أيها الناس ، من كان معه مصحف فليرفعه علي ربه ، فكثر في الجيش رفع المصاحف ، وارتفعت الضجة ونادوا : كتاب الله بيننا وبينكم ، من لشغور الشام بعد أهل الشام ؟ ومن لشغور العراق بعد أهل العراق ؟ ومن لجهاد الروم ؟ ومن للترك ؟ ومن للكفسار ؟ ورفع في عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف ، وفي ذلك يقول النجاشي بن الحارث :

فأصبح أهل الشام قد رفعوا القنا عليها كتاب الله خير قران
ونادوا عليا : يا ابن عم محمد أما تتقي أن يهلك الثقلان ؟
فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا : نجيب إلى كتاب
الله وننيب إليه ، وأحب القوم الموادة ، وقيل لملي : قد أعطاك
معاوية الحق ، ودعاك إلى كتاب الله فاقبل منه ، وكان أشدهم في
ذلك اليوم الأشعث بن قيس ، فقال علي : أيها الناس ، إنه لم يزل من
أمركم ما أحب حتى قرحتكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركتم ، وإني
كنت بالأمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً ، وقد أحببتكم البقاء ، فقال الأشتر :
إن معاوية لا خلف له من رجاله ، ولك بحمد الله الخلف ، ولو
كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك ، فاقرع
الحديد بالحديد واستعن بالله ، وتكلم رؤساء أصحاب علي بنحو من
كلام الأشتر ، فقال الأشعث بن قيس : إننا لك اليوم على ما كنا عليه
أمس ، ولسنا ندري ما يكون غدا ، وقد والله قل الحديد ، وكنت
البصائر ، وتكلم معه غيره بكلام كثير ، فقال علي : ويحكم
إنهم ما رفعوها لأنكم تعلمونها ولا يعلمون بها ، وما رفعوها لكم
إلا خديعة ودهاء ومكييدة ، فقالوا له : إنه ما يسعنا أن ندعى

إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله ، فقال : ويحكم إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم الكتاب ، فقد عصوا الله فيما أمرهم به ، ونبذوا كتابه ، فامضوا على حكم وقصدكم ، وخذوا في قتال عدوكم ؛ فإن معاوية وابن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن النابغة وعدداً غير هؤلاء ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأنا أعرف بهم منكم ؛ صحبتهم أطفالاً ورجالا ، فهم شر أطفال ورجال ، وجرى له مع القوم خطب طويل قد أتينا ببعضه ، وتهددوه أن يصنع به ما صنع بعثات ، وقال الأشعث : إن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد ، قال : ذلك إليك فاتيه إن شئت ، فأطاه الأشعث فسأله ، فقال له معاوية : نرجع نحن وأنتم إلى كتاب الله وإلى ما أمر به في كتابه : تبعثون منكم رجلاً ترضونه وتختارونه ، ونبعث برجل ، ونأخذ عليها العهد والميثاق أن يعملوا بما في كتاب الله ولا يخرجوا عنه ، وننقاد جميعاً إلى ما اتفقا عليه من حكم الله ، فصبوب الأشعث قوله ، وانصرف إلى علي ، فأخبره ذلك ، فقال أكثر الناس : رضينا وقبلنا وسمعنا وأطعنا ، فاختار أهل الشام عمرو بن العاص ، وقال الأشعث ومن ارتد بعد ذلك إلى رأي الخوارج : رضينا نحن بأبي موسى الأشعري فقال علي : قد عصيتهموني في أول هذا الأمر فلا تعصوني الآن ، إني لا أرى أن أولي أبا موسى الأشعري ، فقال الأشعث ومن معه : لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري ، قال : ويحكم ! هو ليس بثقة ، قد فارقني وخذل الناس مني ، وفعل كذا وكذا ، وذكر أشياء فعلها أبو موسى ، ثم إنه هرب شهوراً حتى أمنته ، لكن هذا عبد الله بن عباس أولي ذلك ، فقال الأشعث وأصحابه : والله لا يحكم فينا مضريان ، قال علي : فالأشتر ، قالوا : وهل حاج هذا الأمر إلا الأشتر ، قال : فاصنعوا الآن ما أردتم ، وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه ، فبعثوا إلى

أبي موسى وكتبوا له القصة ، وقيل لأبي موسى : إن الناس قد اصطلموا ، فقال : الحمد لله ، قيل : وقد جعلوك حكماً ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

ذكر

الحكمين وبدء التحكيم

كان أبو موسى الأشعري يحدث قبل وقعة صفين ويقول : إن الفتن لم تزل في بني إسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى بعثوا الحكمين يحكمان بحكم لا يرضى به من اتبعها ، وإن هذه الأمة لا تزال بها الفتن ترفعها وتخفضها حتى يبعثوا حكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتبعها ، فقال له سويد بن غفلة : أياك ان ادركت ذلك الزمان أن تكون أحد الحكمين ، قال : أنا ؟ قال : نعم أنت ، قال : فكان يخلع قميصه ويقول : لا جمل الله لي إذا في السماء مصعداً ، ولا في الأرض مقعداً ، فلقبه سويد بن غفلة بعد ذلك فقال : يا أبا موسى ، أتذكر مقالتك ؟ قال : سل ربك العافية .

شروط الحكم وموعد الاجتماع : وكان فيما كتب في الصحيفة أن يحبي الحكمان ما أحيا القرآن ويميد ما ألمات القرآن ، ولا يتبعان الهوى ، ولا يُدَاهِنان في شيء من ذلك فإن فعلا فلا حكم لهما ، والمسلمون من حكمها برآء ، وقال عليّ للحكمين حين أكره على أمرهما ، ورد الأشر وكان قد أشرف في ذلك اليوم على الفتح فأخبره بخبر بما قالوا في علي وأنه إن لم يُردهُ سُلم إلى معاوية يفعل به ما فعل بآب بن عفان ، فأنصرف الأشر خوفاً على عليّ فقال لهما علي : علي ان تحكما بما في كتاب الله ، وكتاب الله كله لي ، فإن لم تحكما بما في كتاب فلا حكم لكما ، وصيروا الأجل إلى شهر رمضان على اجتماع

الحكمين في موضع بين الكوفة والشام ، وكان الوقت الذي كتبت فيه الصحيفة لأيام بقرين من صفر سنة سبع وثلاثين ، وقيل : بعد هذا الشهر منها ، ومرّ الأشعث بالصحيفة يقرأها على الناس فرحاً مسروراً حتى انتهى إلى مجلس لبني تميم ، فيه جماعة من زعمائهم ، منهم عروة ابن أذينة التميمي ، وهو أخو بلال الخارجي ، فقرأها عليهم ، فجرى بين الأشعث وبين أناس منهم خطب طويل ، وإن الأشعث كان بدء هذا الأمر والممانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيئوا إلى أمر الله ، وقال له عروة بن أذينة : أتحكمون في دين الله وأمره ونهيه الرجال؟ لا حكم إلا لله ، فكان أول من قالها ، وحكم بها وقد تنوزع في ذلك ، وشد بسيفه على الأشعث فصم فرسه عن الضربة فوقعت في عجز الفرس ونجا الأشعث ، وكادت العصبية أن تقع بين النزارية واليمانية ، لولا اختلاف كلمتهم في الديانة والتحكيم ، وفي فصل عروة ابن أذينة بالأشعث ، يقول رجل من بني تميم في أبيات :

عرو يا عرو كل فتنة قوم سلفت إنما تكون قتيبة
ثم كتمني ويمظم الخطب فيها فاحذرن غيب ما أتيت عريته
أعلى الأشعث المصعب بالناج حملت السلاح يا ابن أذينة
إنها فتنة كفتنة ذي المجمل ، أيا عروة العصا والعصية
فانظر اليوم ما يقول علي واتبعه ، فذاك خير البرية

عدة قتلى صفين : وقد تنوزع في مقدار من قتل من أهل الشام والعراق بصفين ؛ فذكر أحمد بن الدورقي عن يحيى بن معين أن عدة من قتل بها من الفريقين في مائة يوم وعشرة أيام مائة ألف وعشرة آلاف من الناس ؛ من أهل الشام تسعون ألفاً ، ومن أهل العراق عشرون ألفاً ، ونحن نذهب إلى أن عدد من حضر الحرب من أهل الشام بصفين أكثر مما قيل في هذا الباب ، وهو خمسون ومائة ألف

مقاتل ، سوى الخدم والاتباع ، وعلى هذا يجب ان يكون مقدار القوم جميعاً من قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلثمائة الف بل اكثر من ذلك ؛ لأن اقل من فيهم معه واحد يخدمه ، وفيهم من معه خمسة والعشرة من الخدم والاتباع واكثر من ذلك ، واهل العراق كانوا في عشرين ومائة الف مقاتل دون الاتباع والخدم .

وأما الهيثم بن عدي الطائي وغيره مثل الشري بن القطامي وأبي مخنف لوط بن يحيى فذكروا ما قدمنا ، وهو أن جملة من قتل من الفريقين جميعاً سبعون ألفاً : من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً ، فيهم خمسة وعشرون بَدْرِيَا ، وأن العدد كان يقع بالنقصي والاحصاء للقتلى في كل وقعة ، وتحصيل هذا يتفاوت ؛ لأن في قتل الفريقين من يُعرَف ومن لا يعرف ، وفيهم من غرق ، وفيهم من قتل في البر ؛ فأكلته السباع فلم يدركهم الاحصاء ، وغير ذلك مما يعتور ما وصفنا ، وسمعت امرأة بصفين من أهل العراق وقد قتل لها ثلاثة أولاد وهي تقول :

أعيني جوداً بدمع سريب على فتية من خيار العرب
وما ضرهم غير حن النفوس بأي امرئ من قريش غلب

بعد التحكيم : ولما وقع التحكيم ثباغض القوم جميعاً وأقبل بعضهم يتبرأ من بعض : يتبرأ الأخ من أخيه ، والابن من أبيه ، وأمر علي بالرحيل ، لعله باختلاف الكلمة ، وتفاوت الرأي ، وعدم النظام لأمرهم ، وما لحقه من الخلاف منهم ، وكثر التحكيم في جيش أهل العراق ، وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف ، وتسابوا ، ولام كل فريق منهم الآخر في رأيه ، وسار علي يؤم الكوفة ، ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام ، وفرق عساكره فلاحق كل جند منهم ببلده .

الخوارج الحرورية : ولما دخل علي رضي الله عنه الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفاً من القراء وغيرهم فلاحقوا بحروراء - قرية من قرى الكوفة - وجعلوا عليهم شبيب بن ريمي التميمي ، وعلى صلاتهم عبد الله بن الكواء اليشكري من بكر بن وائل ، فخرج علي اليهم وكانت له معهم مناظرات ، فدخلوا جميعاً الكوفة ، وإنما سموا الحرورية لاجتماعهم في هذه القرية ، وانحيازهم اليها .

وقد ذكر يحيى بن معين قال : حدثنا وهب بن جابر بن حازم ، عن الصلت بن بهرام ، قال : لما قدم علي الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر : جزعت من البلية ؛ ورضيت بالقضية ، وقبلت الدنية ، لا حكم إلا لله ، فيقول : 'حکم الله أنتظر فيكم' ، فيقولون : (ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فيقول علي : (فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستغفرك الذين لا يؤمنون) .

التقاء الحكمين : وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل ، وقيل : بنجرها على ما قدمنا من وصف التنازع في ذلك ، وبعث علي بعبد الله بن العباس وشريح ابن هانئ ، الحمداني في أربعمئة رجل فيهم أبو موسى الأشعري ، وبعث معاوية بعمر بن العاص ومعه شرحبيل بن السمط في أربعمئة ، فلما تدانى القوم من الموضع الذي كان فيه الاجتماع قال ابن عباس لأبي موسى : إن علياً لم يرض بك حكماً لفضل عندك والمتقدمون عليك كثير ، وإن الناس أبوا غيرك ، وإني لأظن ذلك لشريادهم ، وقد ضم داهية العرب معك ، إن نسيت فلا تنس أن علياً بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وليس فيه خصلة تباعده من الخلافة ، وليس في معاوية خصلة تقربه من الخلافة ، ووصى معاوية عمرأ حين فارقه وهو يريد الاجتماع بأبي

موسى ، فقال : يا أبا عبد الله ، ان أهل العراق قد أكرهوا علياً
على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون بك ، وقد ضم إليك رجل
طويل اللسان قصير الرأي ، فأختر الحزب ، وطبق المفصل ، ولا تلقه
برأيك كله ، ووافاهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وعبد
الرحمن بن عوف الزهري والمغيرة بن شعبة الثقفي وغيرهم ،
وهؤلاء ممن قعدت عن بيعة عسلي ، في آخرين من الناس .
وذلك في شهر رمضان من سنة ثمان وثلاثين ، فلما التقى أبو موسى
وعمر بن الخطاب قال عمرو لأبي موسى : تكلم وقل خيراً ، فقال أبو موسى :
بل تكلم أنت يا عمرو ؛ فقال عمرو : ما كنت لأفعل وأقدم نفسي
قبلك ، ولك حقوق كلها واجبة لسنك وصحبتك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وأنت ضيف ، فحمد الله أبو موسى وأثنى عليه ، وذكر
الحدث الذي حل بالإسلام ، والخلاف الواقع بأهله ، ثم قال : يا عمرو :
هلم إلى أمر يجمع الله به الألفة ، ويلم الشعث ، ويصلح ذات البين ،
فجزاه عمرو خيراً ، وقال : إن للكلام أولاً وآخرأ ، ومتى تنازعنا
الكلام خطباً لم نبلغ آخره حتى ننسى أوله ، فاجعل ما كنت من
كلام بيننا في كتاب يصير إليه أمرنا ، قال : فاكتب ، فدعا عمرو
بصحيفة وكاتب ، وكان الكاتب غلاماً لعمر بن الخطاب ، فتقدم إليه ليبدأ به
أولاً دون أبي موسى ؛ لما أراد من المكر به ، ثم قال له بحضرة
الجماعة : اكتب فإنك شاهد علينا ، ولا تكتب شيئاً يأمر بك به أحدنا
حتى تستأمر الآخر فيه ، فإذا أمرت فاكاتب ، وإذا نهاك فانتد حتى
يجمع رأينا ، أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه
فلان وفلان فكتب ، وبدأ بعمر بن الخطاب ، فقال له عمرو : لا أم لك !
أتقدمني قبله كأنك جاهل بحقه ؟ فبدأ باسم عبد الله بن قيس ،
وكتب : تقاضيا على أنها يشهدان أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ثم قال عمرو : ونشهد أن أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسول الله حتى قبضه الله إليه ، وقد أدّى الحق الذي عليه ، قال أبو موسى : اكتب ، ثم قال في عمر مثل ذلك ، فقال أبو موسى : اكتب ، ثم قال عمرو : واكتب ، وأن عثمان ولي هذا الأمر بعد عمر على إجماع من المسلمين وشورى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاً منهم ، وأنه كان مؤمناً ، فقال أبو موسى الأشعري : ليس هذا بما قعدنا له ، قال عمرو : والله لا بد من أن يكون مؤمناً أو كافراً ، فقال أبو موسى : كان مؤمناً ، قال عمرو : فمُره يكتب : قال أبو موسى : اكتب ، قال عمرو : فظالماً قتل عثمان أو مظلوماً ، قال أبو موسى : بل قتل مظلوماً ، قال عمرو : أفليس قد جعل الله لولي المظلوم سلطاناً يطلب بدمه ؟ قال أبو موسى : نعم ، قال عمرو : فهل تعلم لعثمان ولياً أولى من معاوية ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو : أفليس لمعاوية أن يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله أو يعجز عنه ؟ قال أبو موسى : بلى ، قال عمرو للكاتب : اكتب ، وأمره أبو موسى فكتب ، قال عمرو : فإننا نقيم البينة أن علياً قتل عثمان ، قال أبو موسى : هذا أمر قد حَدَّثَ في الإسلام ، وإنما اجتمعنا لنيره ، فهل إلى أمر يصلح الله به أمر أمة محمد ، قال عمرو : وما هو ؟ قال : أبو موسى : قد علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً ، وأن أهل الشام لا يحبون علياً أبداً ؛ فهل نخلمها جميعاً ونستخلف عبد الله ابن عمر ؟ وكان عبد الله بن عمر على بنت أبي موسى ، قال عمرو : أيفعل ذلك عبد الله بن عمر ؟ قال أبو موسى : نعم إذا حمله الناس على ذلك فعل ، فعمد عمرو إلى كل ما مال إليه أبو موسى

فصوّبه ، وقال له : هل لك في سعد ؟ قال له أبو موسى : لا ،
فعدّد له عمرو جماعة وأبو موسى يأبى ذلك إلا ابن عمر ، فأخذ
عمرو الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه بعد أن ختمها جميعاً ، وقال
عمرو : أرأيت إن رضي أهل العراق بعبد الله بن عمر وأباه أهل
الشام أتقاتل أهل الشام ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو : فإن رضي
أهل الشام وأبى أهل العراق أتقاتل أهل العراق ؟ قال أبو موسى : لا ،
قال عمرو : أما إذا رأيت الصلاح في هذا الأمر والخير للمسلمين فقم
فاخطب الناس ، واخلع صاحبينا معاً وتكلم باسم هذا الرجل الذي
تستخلفه ، فقال أبو موسى : بل أنت قم فاخطب فأنت أحسب
بذلك ، قال عمرو : ما أحب أن أتقدمك ، وما قولي وقولك للناس
إلا قول واحد ، فقم راشداً .

تمام الخدعة : فقام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على
نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أيها الناس ، إنا قد نظرنا في
أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ولم الشعث وحقن
الدماء وجمع الألفة خلعنا علياً ومعاوية ، وقد خلعت علياً كما خلعت
عمامتي هذه ، ثم أهوى إلى عمامته فخلعها ، واستخلفنا رجلاً قد
صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أبوه النبي
صلى الله عليه وسلم ، فبرز في سابقته ، وهو عبد الله بن عمر ،
وأطراه ، ورغب الناس فيه ، ثم نزل .

فقام عمرو فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه
وسلم ، ثم قال : أيها الناس ، إن أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع
علياً وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب ، وهو أعلم به ، ألا وإني
قد خلعت علياً معه ، وأثبتت معاوية عليّ وعليكم ، وإن أبا موسى
قد كتب في الصحيفة أن عثمان قد قتل مظلوماً شهيداً وإن لوليه

سلطاناً أن يطلب بدمه حيث كان ، وقد صحب معاوية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أبوه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأطراه ، ورغَّب الناس فيه ، وقال : هو الخليفة علينا ، وله طاعتنا وبيعنا على الطلب بدم عثمان ، فقال أبو موسى : كذب عمرو ، نستخلف معاوية ، ولكننا خلعنا معاوية وعلياً معا ، فقال عمرو : بل كذب عبد الله بن قيس ، قد خلع علياً ولم أخلع معاوية .

قال المسعودي رحمه الله : ووجدت في وجه آخر من الروايات أنها اتفقا على خلع علي ومعاوية ، وأن يجعل الأمر بعد ذلك شورى : يختار الناس رجلاً يصلح لهم ، فقدم عمرو أبا موسى ، فقال أبو موسى : إني قد خلعت علياً ومعاوية ، فاستقبلوا أمرهم ، وتنحى ، وقام عمرو مكانه فقال : إن هذا قد خلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية ، فقال أبو موسى : ما لك لا وفقك الله غدرت وفجرت ؟ إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، فقال له عمرو : بل إياك يلعن الله ، كذبت وغدرت ، إنما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ثم وكز أبا موسى فألقاه لجنبه ، فلما رأى ذلك شريح بن هانئ قنع عمرأ بالسوط ، وانخزل أبو موسى فاستوى على راسلته ولحق بمكة ، ولم يعد إلى الكوفة ، وقد كانت خطته وأهله وولده بها ، وآلى أن لا ينظر إلى وجه علي ما بقي ، ومضى ابن عمر وسعد إلى بيت المقدس فأحرما .

ما قيل من الشعر في التحكيم : وفي فعل الحكمين يقول أيمن بن نخزيم بن فائك الأسدي :

لو كان للقوم رأي يعصمون به عند الخطوب رموكم بآبن عباس
لكن رموكم بوغدير من ذوي يمن لم يدر ما ضرب أخماس لأسداس
وفي اختلاف الحكمين والحكمة يقول بعض من حضر ذلك :

رضينا بحكم الله لا حكم غيره وبالله ربنا والنبي وبالذكر
وبالأصلع الهادي عليّ إمامنا رضينا بذلك الشيخ في العسر واليسر
رضينا به حيا وميتا ؛ فإنه إمام الهدى في موقف النهي والأمر
ولأبي موسى يقول ابن أعين :

أبا موسى ، بليت وأنت شيخ قريب الله ومخزون اللسان
وما عمرو صفاتك يا ابن قيس فيا الله من شيخ يماني
فأمسيت العشيّة ذا اعتذار ضعيف الركن منكوب الجنان
تعض الكف من ندم ، وماذا يرد عليك عضك للبنان ؟

وقيل : إنه لم يكن بينها غير ما كتبناه في الصحيفة وإقرار أبي
موسى بأن عثمان قتل مظلوماً وغير ذلك مما قدمنا ، وإنها لم يخطبا ،
وذلك أن عمراً قال لأبي موسى : سمّ من شئت حتى أنظر معك ،
فسمي أبو موسى ابن عمر وغيره ثم قال لعمرو : قد سميت أنا فسم
أنت ، قال : نعم ، أسمي لك أقوى هذه الأمة عليها ، وأسدها رأياً ،
وأعلمها بالسياسة ، معاوية بن أبي سفيان ، قال : لا والله ما هو لذلك
بأهل ، قال : فأتيك بأخبر ليس هو بدونه ، قال : من هو ؟ قال :
أبو عبد الله عمرو بن العاص ، فلما قالها علم أبو موسى أنه يلعب به ،
فقال : فعلتها لعنك الله ولعن الذي أرسلك ، فلتسابا ، فلحق أبو موسى بمكة .
فلما انصرف أبو موسى انصرف عمرو بن العاص إلى منزله ، ولم
يأت إلى معاوية ، فأرسل إليه معاوية يدعوه ، فقال : إنما كنت أجيئك
إذا كانت لي إليك حاجة ، فأما إذا كانت الحاجة إلينا فانت احق
أن تأتينا ، فعلم معاوية ما قد دفع إليه ، فخمر الرأي وأعمل الحيلة ،
وأمر معاوية بطعام كثير فصنع ، ثم دعا بخاصته ومواليه وأهله ،
فقال : اني سأغدو إلى عمرو فإذا دعوت بالطعام فدعوا مواليه وأهله ،
فليجلسوا قبلكم ، فإذا شبع رجل منهم وقام فليجلس رجل منكم

مكانه ، فإذا خرجوا ولم يبق في البيت أحد منهم فأغلقوا باب البيت ، واحذروا أن يدخل أحد منهم إلا أن آمركم .

غدر معاوية وخذعته لعمر بن العاص : وغدا إليه معاوية وعمر وجالس على فرشه ، فلم يقم له عنها ، ولا دعاه إليها فجاء معاوية وجلس على الأرض ، واتكأ على ناحية الفراش ، وذلك أن عمرا كان يحدث نفسه أنه قد ملك الأمر وإليه العقد ، يضعها فيمن يرى ، ويندب للخلافة من يشاء ، فجري بينها كلام كثير ، وكان مما قال له عمرو : هذا الكتاب الذي بيني وبينه عليه خاتمي وخاتمه ، وقد أقر بأن عثمان قتل مظلوماً ، وأخرج علياً من هذا الأمر ، وعرض علي رجالاتهم أرم أهلاً لها ، وهذا الأمر إلى أن أستخلف من شئت ، وقد أعطاني أهل الشام عهدهم وموائيقهم ، فحادثه معاوية ساعة وأخرجه عما كانوا عليه ، وضاحكه وداعبه ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، هل من غداء ؟ قال : أما والله شيء يشبع من ترى فلا ، فقال معاوية : هلم يا غلامي غداً ؟ فجيء بالطعام المستعد ، فوضع ، فقال : يا أبا عبد الله ادع مواليك وأهلك ، فدعاهم ثم قال له عمرو : وادع أنت أصحابك ، قال : نعم يا كل أصحابك أولاً ثم يجلس هؤلاء بعد ، فجعلوا كلما قام رجل من حاشية عمرو قعد موضعه رجل من حاشية معاوية ، حتى خرج أصحاب عمرو وبقي أصحاب معاوية ، فقام الذي وكله بغلق الباب ، فأغلق الباب ، فقال له عمرو : فعلتها ، فقال : إي والله بيني وبينك أمران فاختر أيهما شئت : البيعة لي ، أو أقتلك ، ليس والله غيرهما ؛ قال عمرو : فأذن لغلامي وردان حتى أشاوره وأنظر رأيه ، قال : لا تراه والله ولا يراك إلا قتيلاً أو على ما قلت لك ، قال : فالوفاء إذن بطعمة مصر ، قال : هي لك ما عشت ، فاستوثق

كل واحد منهما من صاحبه ، وأحضر معاوية الخواص من أهل الشام ، ومنع أن يدخل معهم أحد من حاشية عمرو ، فقال لهم عمرو : قد رأيت أن أبايع معاوية ، فلم أر أحداً أقوى على هذا الأمر منه ، فبايعه أهل الشام وانصرف معاوية إلى منزله خليفة .

بين علي وأصحابه : ولما بلغ علياً ما كان من أمر أبي موسى وعمرو قال : إني كنت تقدمت إليكم في هذه الحكومة ونهيتكم عنها ، فأبيتُم إلا عصياني ، فكيف رأيتم عاقبة أمركم إذا أبيتم علي ؟ والله إني لأعرف من حكم علي خلافي والترك لأمري ، ولو أشاء أخذه لفعلت ، ولكن الله من ورائه ، يريد بذلك الأشعث بن قيس والله أعلم ، وكنت فيما أمرت به كما قال أخو بني خثعم :

أمرتهمُ أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشداً إلا ضحى الغد

من دعا إلى هذه الحكومة فاقتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامي هذه ، ألا إن هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموها حكيمين قد ترابا حكم الله ، وحكما بهوى أنفسهما بغير حجة ولا حق معروف ، فأما ما أحيا القرآن ، وأحيا ما أماته ، واختلف في حكمهما كلامها ، ولم يرشدهما الله ولم يوفقهما ، فبرىء الله منها ورسوله وصالح المؤمنين ، فتأهبوا للجهاد واستعدوا للمسير ، وأصبحوا في عسكرهم ، إن شاء الله تعالى .

قال المسعودي : وقد اختلفت الفرق من أهل ملتنا في الحكمين ، وقالوا في ذلك أقاويل كثيرة ، وقد أتينا على ما ذهبوا إليه في ذلك وما قاله كل فريق منهم ، ومن أيد قوله من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم من فرق هذه الأمة في كتابنا في « المقالات في أصول الديانات » وذكرنا في كتاب « أخبار الزمان » قول علي في موافقه وخطبه ،

وما قاله في ذلك ، وما اكره عليه ، وتأنيبه لهم بعد الحكومة ، وما تقدم الحكومة من تحذيره إياهم منها حين ألحوا في تحكيم أبي موسى الأشعري وعمره ، وحيث قال : ألا إن القوم قد اختاروا لأنفسهم أقرب الناس مما يحبون ، واختارتم لأنفسكم أقرب الناس مما تكرهون ، إنما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس وهو يقول : ألا إنها فتنة ، فقطعوا فيها أوتاركم وكسروا قسيكم ، فإن يك صادقاً فقد أخطأ في مسيره غير مستكره عليه ، وإن يك كاذباً فقد لزمته التهمة ، وهذا كلام أبي موسى في تحذيله الناس ، وتحريضهم على الجلوس وتثبيطهم عن أمير المؤمنين علي في حروبه ومسيره إلى الجمل وغيره ، ثم ما قاله في بعض مقامات بني معانته لقريش ، وقد بلغه عن أناس منهم من قعد عن بيعته ووافق في خلافته كلام كثير ، فقال : وقد زعمت قريش أن ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب ، تربت أيديهم ! وهل فيهم أشد مراساً لها مني ؟ لقد نهضت فيها وما بلغت المشركين ، وما أنا ذا قد أربيت على نيف وستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

قال المسعودي : وإذا قد تقدم ذكرنا لجمل من أخبار الجمل وصفين والحكمين ؛ فلنذكر الآن جوامع من أخبار يوم النهروان ، ونعقب ذلك بذكر مقتله عليه السلام ، وإن كنا قد أتينا على مبسوط سائر ما تقدم لنا في هذا الكتاب ، وما تأخر ، فيما سلف من كتبنا ، والله أعلم .

ذكر

حروبه رضي الله عنه مع اهل النهروان

وما لحق بهذا الباب من مقتل محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه والأشتر النخعي ، وغير ذلك .

اجتماع الخوارج ومسير علي اليهم : واجتمعت الخوارج في أربعة آلاف ، فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي ، ولحقوا بالمدائن ، وقتلوا عبد الله بن حباب عامل علي عليها : ذبحوه ذبحاً ، وبقروا بطن امرأته وكانت حاملاً ، وقتلوا غيرها من النساء ، وقد كان علي انفصل عن الكوفة في خمسة وثلاثين ألفاً ، وأتاه من البصرة ، من قبل ابن عباس - وكان عامله عليها - عشرة آلاف فيهم الأحنف بن قيس وحارثة بن قدامة السعدي ، وذلك في سنة ثمان وثلاثين ، فنزل علي الأنبار ، والتأمت اليه العساكر ، فخطب الناس وحرّضهم على الجهاد ، وقال : سيروا الى قتلة المهاجرين والأنصار قدماً ، فانهم طالما سعوا في اطفاء نور الله ، وحرّضوا على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ، الا ان رسول الله امرني بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرّوا اليهم ، والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم ، والمارقين ولم نلقهم بعد ، فسيروا الى القاسطين ، فهم أهم علينا من الخوارج ، سيروا الى قوم يقاتلونكم كما يكونون جبارين يتخذهم الناس ارباباً ويتخذون عباد الله خولاً وما لهم دولا ، فأبوا إلا ان يبدأوا بالخوارج ، فسار علي اليهم ، حتى أتى النهروان ، فبعث اليهم بالحارث بن مرة

العبيدي رسولا يدعومهم الى الرجوع ، فقتلوه ، وبعثوا الى علي : إن
 'تبنت من حكومتك وشهدت على نفسك بالكفر بايعناك ، وإن أبيت
 فاعتزلنا حتى نختار لأنفسنا إماماً فإننا منك براء ، فبعث اليهم
 علي : أن ابعثوا الى بقتلة اخواني فاقتلهم ثم أثاركم الى أن أفرغ
 من قتال اهل المغرب ، ولعل الله يقلب قلوبكم ، فبعثوا اليه : كلنا
 قتلة اصحابك ، وكلنا مستحلون لدمائهم ، مشتركون في قتلهم ، وأخبره
 الرسول - وكان من يهود السواد - ان القوم قد عبروا نهر طبرستان وهذا
 النهر عليه قنطرة ، تعرف بقنطرة طبرستان ، بين حلوان وبغداد ، من
 بلاد خراسان ، فقال علي : والله ما عبروه ولا يقطعونه ، حتى نقتلهم
 بالرمية دونه ، ثم تواترت عليه الأخبار بقطعهم لهذا النهر ، وعبرهم
 هذا الجسر ، وهو يأبى ذلك ، ويحلف انهم لم يعبروه ، وأن مصارعهم
 دونه . ثم قال : سيروا الى القوم ، فوالله لا يفلت منهم الا عشرة ،
 ولا يقتل منكم عشرة ، فسار علي ، فأشرف عليهم ، وقد عسكروا
 بالموضع المعروف بالرمية على حسب ما قال لأصحابه . فلما أشرف
 عليهم قال : الله اكبر ، صدق الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 فتصاف القوم ، ووقف عليهم بنفسه ، فدعاهم الى الرجوع والتوبة ،
 فأبوا ورموا أصحابه ، فقبل له : قد رمونا ، فقال : كفوا ، فكررنا
 القول عليه ثلاثاً وهو يأمرهم بالكف ، حتى أتى برجل قتيل متشطح
 بدمه ، فقال علي : الله اكبر ، الآن حل قتالهم ، احموا على القوم ،
 فجهل رجل من الخوارج على اصحاب علي ، فجرح فيهم ، وجعل
 يغشى كل ناحية ، ويقول :

أضربهم ولو أرى علياً ألبسته أبيض مشرفياً

فخرج اليه علي رضي الله عنه ، وهو يقول :

يا أيها المبتغي عليا إني أراك جاهلاً شقيفاً
قد كنت عن كفاحه غنياً هلم فابرز هاهنا إلينا
وحمل عليه علياً ، فقتله .

ثم خرج منهم آخر ، فحمل على الناس ، فقتل فيهم ، وجعل يكره
عليهم ، وهو يقول :

أضربهم ولو أرى أبا حسن ألبسته بصارمي ثوب غبن
فخرج اليه علي وهو يقول :

يا أيها المبتغي أبا حسن إليك فانظر أينما يلقي الغبن
وحمل عليه علي وشكه بالرمح وترك الرمح فيه ، فانصرف علي
وهو يقول : لقد رأيت أبا حسن فرأيت ما تكره .

وحمل أبو أيوب الأنصاري على زيد بن حصن فقتله ، وقتل عبدالله
ابن وهب الراسبي ، قتله هانيء بن حاطب الأزدي ، وزيايد بن حفصة ،
وقتل حرقوص بن زهير السعدي ، وكان جملة من قتل من أصحاب
علي تسعة ، ولم يفلت من الخوارج إلا عشرة ، وأتى علي على القوم ،
وهم أربعة آلاف ، فيهم المخدج ذو الثدية ، إلا من ذكرنا من هؤلاء
العشرة ، وأمر علي بطلب المخدج ، فطلبوه ، فلم يقدرُوا عليه ، فقام
علي عليه أثر الحزن لفقد المخدج ، فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق
بعض ، فقال : أفرجوا ، ففرجوا يمينا وشمالاً واستخرجوه . فقال علي
رضي الله عنه : الله أكبر ، ما كذبتُ على محمد ، وإنه لناقص اليد
ليس فيها عظم ، طرفها حلقة مثل ثدي المرأة ، عليها خمس شعرات
أو سبع ، رؤوسها معقفة ، ثم قال : اتوني به ، فنظر إلى عضده ،
فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود إذا
مدت اللحمة امتدت حتى تحاذي بطن يده الأخرى ، ثم ترك فتعود
إلى منكبه ، فتنسى رجله ونزل وخر لله ساجداً .

ثم ركب ومر بهم وهم صرعى ، فقال : لقد صرعكم من غركم ، قيل : ومن غركم ؟ قال : الشيطان وأنفسُ السوء ، فقال أصحابه : قد قطع الله دابرهم الى آخر الدهر ، فقال : كلا والذي نفسي بيده ، وإنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء ، لا تخرج خارجة إلا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأشمط يخرج اليه رجل منا أهل البيت فيقتله ، ولا تخرج بعدها خارجة الى يوم القيامة .

وجمع علي ما كان في عسكر الخوارج ، فقسم السلاح والدواب بين المسلمين ، ورد المتاع والعبيد والإماء الى أهلهم ، ثم خطب الناس ، فقال : إن الله قد أحسن اليكم وأعز نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين قد كلت سيوفنا ، ونفدت نبالنا ، ونصلت أسنة رماحنا ، فدعنا نستمد بأحسن عدتنا ، وكان الذي كلمه بهذا الأشعث بن قيس ، فعسكر علي بالنخيلة

تفرق أصحاب علي وردتهم : فجعل أصحابه يتسللون ويلحقون بأوطانهم ، فلم يبق معه الا نفر يسير ، ومضى الحارث بن راشد الناجي في ثلاثمائة من الناس فارتدوا الى دين النصرانية ، وهم من ولد سامة بن لؤي بن غالب ، من ولد إسماعيل عند أنفسهم ، وقد أبى ذلك كثير من الناس ، وذكروا أن سامة بن لؤي ما أعقب ، وقد حكى عن علي فيهم ما قد ذكرناه في كتابنا في «أخبار الزمان» . ولد سامة بن لؤي وعلي : ولست تكاد ترى سامياً إلا منحرفاً عن علي : من ذلك ما ظهر من علي بن الجهم الشاعر السامي من النصب والانحراف ، وقد أتينا على لمع من شعره وأخباره في الكتاب الأوسط ، ولقد بلغ من انحرافه ونصبه العداوة لعلي عليه السلام أنه كان يلعن أباه . فسئل عن ذلك ، وبم استحق اللعن منه ؟ فقال :

بتسميته إياي عليا .

فسرح إليهم عليّ معقل بن قيس الرياحي ، فقتل الحارث ومن معه من المرتدين بسيف البحر ، وسبى عيالهم وذرايعهم ، وذلك بساحل البحرين ، فنزل معقل بن قيس بعض كُور الأهواز بسبي القوم ، وكان هنالك مصقلة بن هبيرة الشيباني عاملا لعلّي ، فصاح به النسوة : امنن علينا ، فاشترام بثلاثمائة ألف درهم وأعتقهم ، وأدى من المال مائتي ألف وهرب إلى معاوية ، فقال علي : قبح الله مصقلة ، فعل فعل السيد وفر فرار العبد ، لو أقام أخذنا ما قدرنا على أخذه ، فإن أعسر أنظرناه ، وإن عجز لم نأخذه بشيء ، وأنفذ العتق ، وفي ذلك يقول مصقلة بن هبيرة ، من أبيات :

ترك نساء الحمي بكر بن وائل وأعتقت سبياً من لؤي بن غالب وفارقت خير الناس بعد محمد لمالي قليل لا محالة ذاهب وفي ذلك يقول الآخر :

ومصقلة الذي قد باع بيعة ربيعاً يوم ناجية بن سامه ولمصقلة أفعال أناها ، وحيل عملها قد ذكرناها وما قال في ذلك من الشعر في الكتاب الأوسط .

وقال علي بن محمد بن جعفر العلوي فيمن انتمى إلى سامة بن لؤي ابن غالب :

وسامة منّا فأما بنوه	فأمرهم عندنا مظلم
أناس أتونا بأنسابهم	خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصي	وكل أقاويله محكم
إذا ما سئلت فلم تدر ما	تقول فقل : ربنا أعلم

عمرو بن العاص ومحمد بن أبي بكر في مصر : وفي سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمرو بن العاص إلى مصر في أربعة آلاف ، ومعه معاوية بن خديج ، وأبو الأعور السلمي ، واستعمل عمرأ عليها حياته ووفى له بما تقدم من ضمانه ، فالتقواهم ومحمد بن أبي بكر - وكان عامل علي عليها - بالموضع المعروف بالسناة ، فاقتتلوا ، فانهزم محمد لإسلام أصحابه إياه وتركهم له ، وصار إلى موضع بمصر ، فاختم في فيه ، فأحيط بالدار ، فخرج إليهم محمد ومن معه من أصحابه ، فقاتلهم حتى قتل ، فأخذه معاوية بن خديج وعمرو بن العاص وغيرهما ، فجعلوه في جلد حمار وأضرموه بالنار ، وذلك بموضع في مصر يقال له : كوم شريك ، وقيل : انه فعل به ذلك وبه شيء من الحياة ، وبلغ معاوية قتل محمد وأصحابه ، فأظهر الفرح والسرور . وبلغ عليا قتل محمد وسرور معاوية ، فقال : جزعنا عليه على قدر سرورهم ، فما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحروب جزعني عليه ، كان لي ربيباً ، وكنت أعدؤه ولداً ، وكان بي برأ ، وكان ابن اخي ، فعلى مثل هذا نحزن ، وعند الله نحتسبه .

ولاية الاشر ومقتله بالعريش مسموما ، وولتي علي الاشر
مصر وأنفذه اليها في جيش ، فلما بلغ ذلك معاوية دس إلى دهقان كان بالعريش ، فأرغبه وقال اترك خراجك عشرين سنة ، واحتل للأشر بالسم في طعامه ، فلما نزل الأشر العريش سأل الدهقان : اي الطعام والشراب أحب اليه ؟ قيل له : العسل ، فاهدى له عسلاً ، وقال : إن من أمره وشأنه كذا وكذا ، ووصفه للأشر ، وكان الأشر صائماً ، فتناول منه شربة ، فما استقرت في جوفه حتى تلف ، وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه ، وقيل : كان ذلك بالقلم ، والأول

أثبت ، فبلغ ذلك علياً ، فقال : للدين والفهم ، وبلغ ذلك معاوية ، فقال : إن لله جنداً من العسل .

وقبض أصحابه عن عليّ في هذه السنة ثلاثة أرزاق على حسب ما كان يحمل إليه من المال من أعماله ، ثم ورد عليه مال من أصبهان ، فخطب الناس ، وقال : اغدوا إلى عطاء رابع ، فوالله ما أنا لكم بخازن ، وكان في عطاءه أسوة للناس يأخذ كما يأخذ الواحد منهم . ولم يكن بين علي ومعاوية من الحرب إلا ما وصفنا بصفين ، وكان معاوية في بقية أيام علي يبعث سرايا تغير ، وكذلك علي كان يبعث من يمنع سرايا معاوية من أذية الناس ، وقد أتينا على ذكر السرايا والغارات فيما سلف من كتبنا .

فروق المعاملة بين الجمل وصفين وسمره : قال المسعودي رحمه الله : وقد تكلم طوائف من الناس ممن سلف وخلف من أهل الآراء من الخوارج وغيرهم في فعل عليّ يوم الجمل ، وصفين ، وتباين حكمه فيها ، من قتله من أهل صفين ، مقبلين ومدبرين ، وإجهازه على جرّحاهم ، ويوم الجمل لم يتبع مؤلياً ، ولا أجهز على جريح ، ومن ألقى سلاحه أو دخل داره كان آمناً ، وما أجابهم به شيعة علي في تباين حكم علي في هذين اليومين لاختلاف حكمهما ، وهو أن أصحاب الجمل لما انكشفوا لم يكن لهم فئة يرجعون إليها ، وإنما رجع القوم إلى منازلهم ، غير محاربين ولا منابذين ، ولا لأمره مخالفين ، فرضوا بالكف عنهم ، وكان الحكم فيهم رفع السيف ؛ إذ لم يطلبوا عليه أعواناً ، وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة ، وإمام منتصب ، يجمع لهم السلاح ، ويُسْنِي لهم الأعطية ، ويقسم لهم الأموال ، ويحبر كسيرهم ، ويحمل راجلهم ، ويردهم ، فيرجعون إلى الحرب ، وهم إمامته منقادون ، ولرأيه متبعون ، ولغيره مخالفون ، ولإمامته

تاركون ، ولحقه جاحدون ، وبأنه يطلب ما ليس له قائلون ، فاختلف الحكم لما وصفنا ، وتباين حكماهما لما ذكرنا ، ولكل فريق من السائل والمجيب كلام يطول ذكره ويتسع شرحه ، وقد أتينا على استيعابه ، وما ذكره كل فريق منهم فيما سلف من كتبنا ، فأغنى ذلك عن إعادته ، والله أعلم .

ذكر

مقتل امير المؤمنين علي بن أبي طالب

رضي الله عنه !

المؤامرة : وفي سنة أربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج ، فتذاكروا الناس ، وما هم فيه من الحرب والفتنة ، وتعاهد ثلاثة منهم على قتل علي ، ومعاوية ، وعمرو ابن العاص ، وتواعدوا ، واتفقوا على أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي يتوجه إليه ، حق يقتله أو يقتل دونه ، وهم عبد الرحمن بن ملجم ، لعنه الله ! وكان من تجيب ، وكان عداهم في مراد ، فنسب اليهم ، وحجاج بن عبد الله الصريمي ، ولقبه : البرك ، وزادويه : مولى بني العتير ، فقال ابن ملجم - لعنه الله ! - : أنا أقتل علياً ، وقال البرك : أنا أقتل معاوية ، وقال زادويه : أنا أقتل عمرو بن العاص ، واتعدوا أن يكون ذلك ليلة سبع عشرة من شهر رمضان ، وقيل : ليلة إحدى وعشرين .

ابن ملجم وقطام : فخرج عبد الرحمن بن ملجم المرادي الى علي ، فلما قدم الكوفة أتى قطام بنت عمه ، وكان علي قد قتل أباهما وأخاهما يوم النهروان ، وكانت أجمل أهل زمانها ، فخطبها ، فقالت : لا أتزوج حتى تسمي لي ، قال : لا تسألني شئاً الا أعطيتك ، فقالت : ثلاثة آلاف وعبداً وقينة ، وقتل علي ، فقال : ما سألت هو لك مهر

الاقتل علي ، فلا أراك تدركينه ، قالت : فالتمس غرته ، فإن أصبته شفيت نفسي وتفعلك العيش معي ، وإن هلكت فما عند الله خير لك من الدنيا ، فقال : والله ما جاء بي إلى هذا المصير وقد كنت هارباً منه إلا ذلك ، وقد أعطيتك ما سألت ، وخرج من عندها وهو يقول :

ثلاثة آلافٍ وعبدٌ وقينةٌ وقتل علي بالحسام المصمم

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

فلقبه رجل من أشجع يقال له شبيب بن نجدة من الخوارج ، فقال له : هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما ذاك ؟ قال : تساعدني على قتل علي ، قال : ثكلتك أمك ! لقد جئت شيئاً إداً ، قد عرفت غناؤه في الإسلام ، وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن ملجم : ويحك ! أما تعلم أنه قد حكم الرجال في كتاب الله ، وقتل إخواننا المصلين ؟ فنقتله ببعض إخواننا ، فاقبل معه حتى دخل علي قسّطام ، وهي في المسجد الأعظم ، وقد ضربت كِلّةً لها وهي معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ، فأعلمتها أن مجاشع بن وردان بن علقمة قد انتدب لقتله معها ، فدعت لها بحريز فعصبتها وأخذوا أسياقهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التي يخرج منها علي للمسجد ، وكان علي يخرج كل غداة أول الأذان يوقظ الناس للصلاة ، وقد كان ابن ملجم مر بالأشعث وهو في المسجد فقال له : فضحك الصبح ، فسمعها حُجْر بن عدي ، فقال : قتلته يا أعور قتلك الله ، وخرج علي رضي الله عنه ينادي : أيها الناس ، الصلاة ، فشد عليه ابن ملجم وأصحابه وهم يقولون : الحكم لله ، لا لك ، وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف في قرنه وأما شبيب فوقعت ضربه بعضادة الباب ، وأما مجاشع بن وردان فهرب ، وقال علي : لا يفوتكم الرجل وشدّ الناس على ابن ملجم يرمونه

بالحصباء ، ويتناولونه ويصيحون ، فضرب ساقه رجل من همدان برجله ، وضرب المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وجهه فصرعه ، وأقبل به إلى الحسن ، ودخل ابن وردان بين الناس ، فنجبا بنفسه ، وهرب شبيب حتى أتى رحله ، فدخل إليه عبدالله بن نجدة - وهو أحد بني أبيه - فرآه ينزع الحرير عن صدره ، فسأله عن ذلك ، فخبّره خبره فانصرف عبد الله إلى رحله ، وأقبل إليه بسيفه فضربه حتى قتله .

وقيل : إن علياً لم يتم تلك الليلة ، وإنه لم يزل يمشي بين الباب والحجرة ، وهو يقول : والله ما كذبت ولا كذبت ، وإنها الليلة التي وعدت فيها ، فلما خرج صاح بط كان للصبيان ، فصاح بهن بعض من في الدار ، فقال علي : ويحك ! دعهن فلأنهن نوائح .

وقد ذكرت طائفة من الناس أن علياً رضي الله عنه أوصى إلى ابنه الحسن والحسين ؛ لأنها شريكاه في آية التطهير ، وهذا قول كثير من ذهب إلى القول بالنص .

وصية علي لأولاده : ودخل عليه الناس يسألونه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أرأيت إن فقدناك ، ولا نفقدك ، أنبايع الحسن ؟ قال : لا آمركم ولا أنهاكم ، وأنتم أبصر ، ثم دعا الحسن والحسين ، فقال لهما : أوصيكما بتقوى الله وحده ، ولا تبغيا الدنيا وإن بفتكما ، ولا تأسفا على شيء منها ، قولوا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعيننا الضعيف ، وكونا للظالم خصما والمظلوم عوناً ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم ، ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال : هل سمعت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم ، قال : أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك ؟ وتزيين أمرهما ، ولا تقطعن امرأ دونهما ، ثم قال لهما : أوصيكما به ، فإنه سيفكما وابن أبيكما ، فأكرماه واعرفا حقه .

فقال له رجل من القوم : ألا تعهد يا امير المؤمنين ؟ قال : لا ،
ولكنني أتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :
فماذا تقول لربك إذا أتيتك ؟ قال : أقول : اللهم إنك أبقيتني فيهم ما
شئت أن تبقيني ، ثم قبضتني وتركتك فيهم فإن شئت أفسدتهم ،
وإن شئت أصلحتهم ، ثم قال : أما والله إنها الليلة التي ضرب فيها
يوشع بن نون ليلة سبع عشرة ، وقبض ليلة إحدى وعشرين .
وبقي علي الجمعة والسبت ، وقبض ليلة الأحد ، ودفن بالرحبة عند
مسجد الكوفة .

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخباره تنازع الناس في
موضع قبره ، وما قيل في ذلك .

سنه وفضله : وقبض وقد أتى عليه اثنتان وسبعون سنة ، وقيل :
اثنتان وستون ، وقد قدمنا تنازع الناس في مقدار سنه ، وكان كما
قال الحسن : والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الأولون إلا
بفضل النبوة ، ولا يدركه الآخرون ، وإن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يبعث المبعث فيكثفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره
فلا يرجع حتى يفتح الله عليه .

وكان الذي صلى عليه الحسن ابنه ، وكبر عليه سبعاً ، وقيل
غير ذلك .

تركته : ولم يترك صفراء ولا بيضاء ، إلا سبعمائة درهم بقيت من
عطائه ، أراد أن يشتري بها خادماً لأهله ، وقال بعضهم : ترك لأهله
مائتين وخمسين درهماً ومصحفه وسيفه .

فعلهم بابن ملجم : ولما أرادوا قتل ابن ملجم لعنه الله ، قال عبد الله
ابن جعفر : دعوني حتى أشفي نفسي منه ، فقطع يديه ورجليه
وأحمي له مسباراً حتى إذا صار جرة كعله به ، فقال : سبحان الذي

خلق الإنسان ، إنك لتكحل عمك بملول الرصاص ، ثم إن الناس
أخذوه وأدرجوه في بوارى ثم طلوها بالنفط وأشعلوا فيها النار
فاحترق ، وفيه يقول عمران بن حطان الرقاشي يمدحه في ضربته من
شعر له طويل :

يا ضربة من تقيي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحبه أوفى البرية عند الله ميزانا

فأجابه القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعي :

إني لأبرأ مما أنت قائله عن ابن ملجم الملعون بهتانا
يا ضربة من شقي ما أراد بها إلا ليهدم للإسلام أركاننا
إني لأذكره يوماً فألغنه دنيا ، وألعن عمراناً وحطانا
عليه ثم عليه الدهر متصلاً لعائن الله إمراراً وإعلاناً
فأنتم من كلاب النار جاء به نص الشريعة برهاناً وتبياناً

وزاد بعضهم على هذه الأبيات بيتاً آخر وهو :

عليكما لعنة الجبار ما طلعت شمس ، وما أوقدوا في الكون نيرانا

معارضة لبيقي اللعين ابن حطان لعنه في ابن ملجم أخزاه الله :

قل لابن ملجم ، والأقدار غالبة ، هدمت ويلك للإسلام أركاننا
قتلت أفضل من يمشي على قدم وأول الناس إسلاماً وإيماناً
وأعلم الناس بالقرآن ، ثم بما سنّ الرسول لنا شرعاً وتبياناً
صهر النبي ، ومولانا ، وناصره أضحت مناقبه نوراً وبرهاناً
وكان منه على رغم الحسود له مكان هارون من موسى بن عمراننا
وكان في الحرب سيفاً صارماً ذكراً لبناً إذا ما لقي الأقران أقراننا
ذكرت قائله والدمع منحدر فقلت : سبحان رب الناس سبحاننا
إني لأحبه ما كان من بشر يخشى المعاد ولكن كان شيطاناً

أشقى مراد إذا عدت قبائلها وأخسر الناس عند الله ميزانا
 كعاقر الناقة الأولى التي جَلَبَتْ على ثمود بأرض الحجر خسرا
 قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها قبل المنية أزمانا فأزمانا
 فلا عفا الله عنه ما تحمله ولا سقى قبر عمران بن حطانا
 لقوله في شقي ظل مجترما ونال ما ناله ظلما وعدوانا
 يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليلخ من ذي العرش رضوانا
 بل ضربة من غوي أورثته لظى مخلداً قد أتى الرحمن غضبانا
 كأنه لم يرد قصداً بضربته إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

ولعمران بن حطان ولأبيه حطان أخبار كثيرة قد أتينا على ذكرها في
 كتابنا « أخبار الزمان » في باب أخبار الخوارج من الأزارقة والأباضية
 والحمرية والصفورية والنجدية وغيرهم من فرق الخوارج الى سنة ثمان
 عشرة وثلثمائة .

وكان آخر من خرج منهم ربيعة المعروف بغيرون ، فأدخل على
 المقتدر بالله ، بعث به ابن حمدان من كفتوتنا ، وقد كان خرج في
 أيامه أيضاً المعروف بابي شعيب .

وقد رثى الناس أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه في ذلك الوقت
 وإلى هذه الغاية ، وذكروا مقتله ، ومن رثاه في ذلك الوقت أبو
 الأسود الدؤلي من أبيات :

ألا أبلغ معاوية بن حرب فلا قرئت عيون الشامتينا
 أفي شهر الصيام فجعثمونا بخير الناس طراً أجمعينا ؟
 قتلتم خير من ركب المطايا وذللها ومن ركب السفينا
 ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثاني والمبيننا
 إذا استقبلت وجه أبي حسين رأيت النور فوق الناظرينا
 لقد علمت قريش حيث كانت بأنك خيرهم حسبا وديننا

البرك ومعاوية : وانطلق البرك الصريمي الى معاوية فطعنه بخنجر في البيت وهو يصلي فأخذ وأوقف بين يديه ، فقال له : ويلك ! وما أنت ؟ وما خبرك ؟ قال : لا تقتلني ، وأخبره ، قال : إنا تبايعنا في هذه الليلة عليك وعلى علي وعلى عمرو ؛ فإن أردت فاحبسني عندك ، فإن كنا قتلا وإلا خليت سبيلي فطلبت قتل علي ولك علي أن أقتله وأن آتيك حتى أضع يدي في يدك ، فقال بعض الناس : قتله يومئذ ، وقال بعضهم : حبسه حتى جاءه خبر قتل علي فأطلقه . زادويه وعمرو بن العاص : وانطلق زادويه - وقيل : إنه عمرو بن بكر التميمي - الى عمرو بن العاص ، فوجد خارجة قاضي مصر جالسا على السرير يطعم الناس في مجلس عمرو ، وقيل : بل صلى خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم ، وتخلف عمرو عن الصلاة لعارض ، فضربه بالسيف ، فدخل عليه عمرو وبه رمق ، فقال له خارجة : والله ما أراد غيرك ، فقال عمرو : ولكن الله أراد خارجة ، وأوقف الرجل بين يدي عمرو ، فسأله عن خبره ، فقص عليه القصة وأخبره أن عليا ومعاوية قد قتلا في هذه الليلة ، فقال : إن قتلا أو لم يقتلا فلا بد من قتلك ، فبكى ، فقيل له : أجزعا من الموت مع هذا الإقدام ؟ لا والله ، ولكن غما أن يفوز صاحبنا بقتل علي ومعاوية ولا أفوز أنا بقتل عمرو ، فضربت عنقه وصلب . وكان علي رضي الله عنه كثيراً ما يتمثل :

تِلْكَ قَرِيشُ تَمَنَانِي لِتَقْتُلَنِي فَلَا وَرَبِّكَ مَا بَرُّوا وَمَا ظَفَرُوا
فَإِنْ هَلَكْتَ فَرَهْنٌ ذَمَّتِي لَهُمْ بِذَاتِ وَدَقِينَ لَا يَغْفِرُ لَهَا أَلْ
وكان يكثر من ذكر هذين البيتين :

أَشَدُّ حَيَازِيكَ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيَا

ولا تجزع من الموت اذا حل بواديكا
وسمعا منه في الوقت الذي قتل فيه ، فإنه قد خرج الى المسجد ،
وقد عسر عليه فتح باب دله ، وكان من جذوع النخل ، فاقتلعه
وجعله ناحية ، وانخل إزاره ، فشهده وجعل يفشد هذين البيتين
المتقدمين .

وقد كان معاوية دس أناساً من أصحابه الى الكوفة يشيعون
موته ، وأكثر الناس القول في ذلك حتى بلغ علياً ، فدخل في مجلسه :
قد أكثرتم من نعي معاوية ، والله ما مات ولا يموت حتى يملك ما
تحت قدمي ، وإنما أراد بن آكلة الأكباد أن يعلم ذلك مني ، فبعث
مَنْ يشيع ذلك فيكم ليعلم ويتيقن ما عندي فيه ، وما يكون من
أمره في المستقبل من الزمان ، ومر في كلام كثير يذكر فيه أيام
معاوية ومن قلاه من يزيد ومروان وبنيه ، وذكر الحجاج وما يسومهم
من العذاب ، فارتفع الضجيج ، وكثر البكاء والشهيق ، فقام قائم من الناس
فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد وصفت أموراً عظيمة ، الله إن ذلك
كائن ؟ قال علي : والله إن ذلك لكائن ، ما كذبت ولا كذبت ،
فقال آخرون : متى يكون ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إذا خضبت
هذه من هذه ، ووضع إحدى يديه على لحيته والأخرى على رأسه ،
فأكثر الناس من البكاء ، فقال : لا تبكروا في وقتكم هذا فسبكون
بعدي طويلاً ، فكاتب أكثر أهل الكوفة معاوية سرّاً في أمورهم ،
واتخذوا عنده الأيادي ، فوالله ما مضت إلا أيام قلائل حتى كان ذلك ،
وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب - بعد ذكرنا لزهده وبلغ من كلامه -
جلاً من أخباره أيضاً في أيام معاوية بن أبي سفيان ، والله ولي
التوفيق .

ذكر

لمع من كلامه ، وأخباره ، وزهده

رضوان الله عليه !

لم يلبس عليه السلام في أيامه ثوباً جديداً ، ولا اقتنى ضيعة ولا ربماً ، إلا شيئاً كان له ينبع مما تصدق به وحبسه .

والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمئة خطبة وزيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة ؛ وتداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً .

خيار العباد : وقيل له : من خيار العباد ؟ قال : الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أساءوا استغفروا وإذا أعطوا شكروا وإذا ابتلوا صبروا ، وإذا اغضبوا غفروا .

وصف الدنيا : وكان يقول : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، الدنيا مسجد أحبباء الله ، ومصلى ملائكة الله ، ومهبط وحيه ، ومتجر أوليائه ، اكتسبوا فيها الرحمة ، وربحوا فيها الجنة ، ومن ذا يذمها وقد آذنت ببيتها ، وفادت بفراقها ، ونعت نفسها وأهلها ، ومثلت لهم ببلاتها البلاء ، وشوقت بسرورها إلى السرور ، وراحت بفجيعة ، وابتكرت بعافية ؛ تحذيراً وترغيباً وتخويفاً ، فذمها رجال غب الندامة ، وحمدوا آخرون غب المكافأة ، ذكرتهم فذكروا تصاريقها ، وصدقتهم فصدقوا حديثها ، فيا أيها الدائم للدنيا الماتر بفروورها ، متى استدامت لك الدنيا ؟ بل

متى غرتك من نفسها؟ أبضاجع آباءك من البلى؟ أم بمصارع أمهاتك من الثرى؟ كم قد عللت بكفك ومرضت بيدك من تبغي له الشفاء وتستوصف له الدواء من الأطباء؟ لم تنفعه بشفائك، ولم تسعف له بطلبتك، قد مثلت لك به الدنيا نفسك، وبصرعه مصرعك، غداً لا ينفعك بكاؤك، ولا يغني عنك احباؤك - ولا تسمع في مدح الدنيا احسن من هذا.

وبما حفظ من كلامه في بعض مقاماته في صفة الدنيا أنه قال :
 الا ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وان الآخرة قد دنت مقبلة ، ولهذه
 ابناء ، ولهذه أبناء ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء
 الدنيا ، الا وكونوا من الزاهدين في الدنيا ، والراغبين في الآخرة ،
 ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً والماء
 طيباً ، وقوضوا الدنيا تقويضاً ، الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن
 الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في
 الدنيا هانت عليه المصيبات ، ومن راقب الآخرة سارع في الخيرات ،
 الا وان الله عبداً كأنهم يرون أهل الجنة في الجنة منعمين مخلدين ،
 ويرون أهل النار في النار معذبين قلوبهم محزونة ، وشروهم مأمونة ،
 أنفسهم عفيفة ، وحاجتهم خفيفة ، صبروا اياماً قليلة فصارت لهم
 العقبى ، راحة طويلة ، أما الليل فصافئو أقدامهم ، تجري دموعهم على
 خدودهم ، يحأرون الى ربهم ، ويسعون في فكاك رقابهم ، واما النهار
 فعلماء حكماء برة أتقياء ، كأنهم القداح براهم الخوف والعبادة ،
 ينظر اليهم الناظر فيقول : مرضى ، وما بالقوم من مرض ، ان خولطوا
 فقد خالطهم امر عظيم من ذكر النار ومن فيها .

وقال لابنه الحسن : يا بني ، استغن عن شئت تكن نظيره ،
 وسل من شئت تكن حقيره ، واعط من شئت تكن أميره .

ودخل عليه رجل من أصحابه فقال : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ، قال : أصبحت ضعيفاً مذنباً ، آكل رزقي ، وانتظر أجلي ، قال : وما تقول في الدنيا ؟ قال : وما أقول في دار أولها غم ، وآخرها موت ، من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن ، حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، قال : فأبي الخلق أنعم ؟ قال : أجساد تحت التراب ، قد أمنت من العقاب ، وهي تنتظر الثواب .

وصف علي عند معاوية : ودخل ضرار بن ضمرة - وكان من خواص علي - على معاوية وافداً ، فقال له : صف لي علياً ، قال : أعفني يا أمير المؤمنين ، قال معاوية : لا بد من ذلك ، فقال : أما إذا كان لا بد من ذلك فإنه كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنبثق الحكمة من فواحيه ، يعجبه من الطعام ما شئت ، وما قصر ، وكان والله يخبينا إذا دعواته ، ويعطينا إذا سألناه ، وكنت - على تقريبه لنا وقربه منا - لا نكلمه هيبة له ، ولا نستوي في نفوسنا ، يبسم عن ثمر كاللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويرحم المساكين ، ويطعم في المستغبة يتيا ذا مقربة أو مستغينة ، إذا عجزت العريان ، وينصر اللهفان ، ويستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته ، وكأني به وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وهو في محرابه قابض على لحيته يتململ تملل السلم ويبكي بكاء الحزين ويقول : يا دنيا غري غيري ، ألي تعرضت أم إلي تشوفت ؟ هيات هيات لا حان حينك ، قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك ، عمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك يسير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق . من كلامه : فقال له معاوية : زدني شيئاً من كلامه ، فقال ضرار : كان يقول : أعجب ما في الإنسان قلبه ، وله مواد من الحكمة ،

واضداد من خلافها ، فإن سَنَحَ له الرجاء اماله الطمع ، وإن مال به الطمع أهلكه الحرص ، وإن ملكه القنوط قتله الأسف ، وإن عرض له الغضب اشتد به الفيظ ، وإن أسعده الرضا نسي التحفظ ، وإن ناله الخوف فضحه الجزع ، وإن افاد مالا اطفاه الغنى ، وإن عضته فاقة فضحه الفقر ، وإن أجهده الجوع أقعده الضعف ، وإن افراط به الشبع كظته البطنة ، فكل تقصير به مضر ، وكل افراط له مفسد .

فقال له معاوية : زدني كلما وعيته من كلامه ، قال : هيهات أن آتي على جميع ما سمعته منه ، ثم قال : سمعته يوصي كميل بن زياد ذات يوم فقال له : يا كميل ذُبْ عن المؤمن فإن ظهره رحى الله ، ونفسه كريمة على الله ، وظالمه خصم الله ، واحذركم من ليس له ناصر إلا الله .

قال : وسمعته يقول ذات يوم : ان هذه الدنيا اذا أقبلت على قوم أعارتهم محاسن عيهم ، وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم . قال : وسمعته يقول : بَطِرَ للمنى يمنع من عز الصبر . قال : وسمعته يقول : ينبغي للمؤمن ان يكون نظره عبدة ، وسكوته فكرة ، وكلامه حكمة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - بعد ان قتل جعفر بن ابي طالب الطيار بمؤتة من ارض الشام - لا يبعث بعلي في وجه من الوجوه إلا يقول : (رب لا تَذَرْنِي فرداً وانت خير الوارثين) . وحمل علي يوم احد على كردوس من المشركين خشن فكشفهم ، فقال جبريل : يا محمد ، إن هذه هي المواساة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا جبريل ان علياً مني ، قال جبريل : وأنا منكم ، كذلك ذكره اسحاق عن ابن اسرائيل وغيره .

ووقف عليّ عليّ سائل ، فقال للحسن : قل لأملك تدفع إليه

درهما ، فقال إنما عندنا ستة دراهم للدقيق ، فقال علي : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده ، ثم أمر للسائل بال ستة الدراهم كلها ، فما برح علي رضي الله عنه حتى مر به رجل يقود بعيراً ؛ فاشتراه منه بمائة وأربعين درهما ، وأنساً أجَلَه ثمانية أيام ، فلم يحلَّ أجله حتى مر به رجل والبعير معقول فقال : بكم هذا ؟ فقال : بمئتي درهم ، فقال : قد أخذته ، فوزن له الثمن ، فدفع علي منه مائة وأربعين درهماً للذي ابتاعه منه ، ودخل بالستين الباقية على فاطمة عليها السلام ، فسأله : من أين هي ؟ فقال هذه تصديق لما جاء به أبوك صلى الله عليه وسلم : (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) .

ومر ابن عباس بقوم ينالون من علي ويسبونونه ، فقال لقائده : أدنني منهم ، فأدناهم ، فقال : أيكم الساب لله ؟ قالوا : نعوذ بالله أن نسب الله ، فقال : أيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : نعوذ بالله أن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيكم الساب علي بن أبي طالب ؟ قالوا : أما هذه فنعم ، قال : أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سبني فقد سب الله ، ومن سب علياً فقد سبني ، فاطرقوا ، فلما ولى قال لقائده : كيف رأيتمهم ؟ فقال :

نظروا إليك بأعين مُزَوَّرَةٍ نظر التيوس إلى شفار الجازر

فقال زدني فداك أبي وأمي ، فقال :

خُزِرَ العيون منكسي أذقانهم نظر الذليل إلى العزيز القاهر

قال : زدني فداك أبي وأمي ، قال : ما عندي مزيد ، قال :

ولكن عندي :

أحياؤهم تجني على أمواتهم والميتون فضيحة للغابر

وصيته يوم موته : وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي بن الحسين بن علي أن علياً قال في صبيحة الليلة التي ضربه فيها عبد الرحمن بن ملجم ، بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم : كل امرئ ملاقيه ما يفر منه ، والأجل تساق النفس إليه ، والهرب منه موافاته ، كم طردت الأيام أتحننها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله عز وجل إلا إخفاءه ، هيات علم مكنون ، أما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئاً ، ومحمداً لا تضيعوا سنته ، أقيموا هذين الصودين ، حل كل امرئ منكم بمجوده ، وخفف عن الحملّة رب رحيم ، ودين قويم ، وإمام عليم ، كنا في إعصار دي رباح تحت ظل عمامة اضمحل راكمها فمغطها من الأرض حيا ، وبقي من بعدي جنة جاواء ، سكة بعد حركة ، كاظمة بعد نطق ، ليعظكم هدوئي وخفوتي أطراقي ، إنه أوعظ لكم من نطق البليغ ، ودعتكم وداع امرئ مرصد كئلاق ، وفدا ترون ويكشف عن ساق ، عليكم السلام إلى يوم المرام ، كنت بالأمس صاحبكم واليوم عظة لكم وعدا بمرحوم . إني أفق قانا ولي دمي ، وإن أمت فالقيامة ميعادي ، والعفو أقرب للتقوى ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم .

ترهيد في الدنيا : ومن خطبه قبل هذا وترهيد في هذه الدنيا قوله في بعض مقاماته وخطبه : إن الدنيا قد ادبرت وآذنت بدواع ، وإن الآخرة قد اشرفت واقبلت باطلاع ، وإن المضار اليوم والسباق غدا ، إلا إنكم في أيام امل من ورائه اجل ، فمن اخلص في أيام امله قبل حضور اجله فقد حسن عمله ، وما قصّر اجله ، ومن قصّر في أيام اجله خسر اجله ، الا فاعملوا لله في الرغبة ،

كما تعملون في الرهبة ، الا واني لم ار كالجنة غام طالبتها ، ولا كالنار غام هاربها ، الا وانه مَنْ لم ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لا يستقيم له الهدى يخزيه الضلال ، وقد امرتم بالظعن ودلتم على الزاد ، وإن اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل .

وفضائل علي ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه اكثر من ان يأتي عليه كتابنا هذا او غيره من الكتب ، او يبلغه إسهاب مسهب ، او إطناب مطنب ، وقد أتينا على جمل من اخباره وزهده وسيره ، وانواع من كلامه وخطبه في كتابنا المترجم بكتاب « حقائق الأذهان » في أخبار آل محمد عليه السلام ، وفي كتاب « مظاهر الأخبار » وطرائف الآثار ، للصفرة النورية والذرية الزكية ابواب الرحمة وينابيع الحكمة ،

فضائله رضي الله عنه : قال المسعودي : والاشياء التي استحق بها حباب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل هي : السبق الى الايمان ، والهجرة ، والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقربى منه والقناعة وبذل النفس له ، والعلم بالكتاب والتنزيل ، والجهاد في سبيل الله ، والورع ، والزهد ، والقضاء ، والحكم ، والفقه والعلم ، وكل ذلك لعلي عليه السلام منه النصيب الأوفر ، والحظ الأكبر ، الى ما يتفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين اصحابه « أنت اخي » وهو صلى الله عليه وسلم لا ضد له ، ولا ند ، وقوله صلوات الله عليه : « انت مني بمنزلة هرون من موسى » الا انه لا نبي بعدي ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « من كنت مولاه فعلي مولاه » اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، ثم دعاؤه عليه السلام وقد قدم اليه انس الطائر : اللهم ادخل الي احب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطائر ، فدخل عليه علي ، الى آخر الحديث ،

فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع فيه من الخصال مما تفرق في غيره ، ولكل فضائل من تقدم وتأخر ، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم يخبر عن بواطنهم بموافقتها لظواهرهم بالإيمان ، وبذلك نزل التنزيل ، وتولى بعضهم بعضا ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي حدثت أمور تنازع الناس في صحتها منهم ، وذلك غير يقين ، ولا يقطع عليهم بها ، واليقين من أمورهم ما تقدم ، وما روي بما كان في أحداثهم بعد نبينهم صلى الله عليه وسلم فغير متيقن ، بل هو ممكن ، ونحن نعتقد فيهم ما تقدم ، والله اعلم بما حدث ، والله ولي التوفيق .

ذكر

خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنهما !

ثم بويع الحسن بن علي بن أبي طالب بالكوفة بعد وفاة علي أبيه بيومين ، في شهر رمضان من سنة أربعين ، ووجه عماله إلى السواد والجبل .

وقتل الحسن عبد الرحمن بن ملجم ، على حسب ما ذكرنا ، ودخل معاوية الكوفة بعد صلح الحسن بن علي ، خمس بقين من شهر ربيع الأول في سنة إحدى وأربعين .

وكانت وفاة الحسن - وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة - بالسم . ودفن بالبييع مع أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ولي التوفيق .

ذكر

لمع من أخباره وسيره ، رضي الله عنه !

حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، قال : دخل الحسين على عمي الحسن بن علي لما سقي السم ، فقام لحاجة الإنسان ثم رجس ، فقال : لقد سقيت السم عدة مرار فما سقيت مثل هذه ، لقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبه يعود في بسدي ، فقال له الحسين : يا أخي مَنْ سقاك ؟ قال : وما تريد بذلك ؟ فإن كان الذي أظنه فالله حسبه ، وإن كان غيره فما أحب أن يؤخذ بي بريء ، فلم يلبث بعد ذلك إلا ثلاثاً حتى توفي رضي الله عنه .

وذكر أن امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السم ، وقد كان معاوية دس إليها : إنك إن احتلست في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم ، وزوجتك من يزيد ، فكان ذلك الذي بعثها على سمه ، فلما مات وقى لها معاوية بالمال ، وأرسل إليها : إنا نحب حياة يزيد ، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه .

وذكر أن الحسن قال عند موته : لقد حاقت شربته ، وبلغ أمنيته ، والله لا وفي لها بما وعد ولا صدق فيما قال .

وفي فعل جعدة يقول النجاشي الشاعر ، وكان من شيعة علي ، في شعر له طويل :

جعدة بكته ولا تسامي بعد بكاء المغول الثاكل

لم يُسْبَلِ السِّرَ عَلَى مِثْلِهِ فِي الْأَرْضِ مِنْ حَافٍ وَمَنْ فَاعِلٍ
كَانَ إِذَا شُبِّتَ لَهُ نَارُهُ يَرْفَعُهَا بِالسِّنْدِ الْغَائِلِ
كَيْمَا يَرَاهَا بِأَنْسٍ مُرْمِلٍ وَفَرْدٍ قَوْمٍ لَيْسَ بِالْأَهْلِ
بَغْلِي بَنِيهِ اللَّحْمَ ، حَتَّى إِذَا أَنْضَجَهُ لَمْ يَغْلِ مِنْ آكَلِ
أَعْنَى الَّذِي أَسْلَمْنَا هَلَكَهُ لِلزَّمَنِ الْمُسْتَحْرِجِ الْمَاحِلِ

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ آخَرُ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

تَأْسُ فَكَمْ لَكَ مِنْ سُلُوءٍ تَفْرَجُ عَنْكَ غَلِيلُ الْحَزَنِ
بِمَوْتِ النَّبِيِّ ، وَقَتْلِ الْوَصِيِّ وَقَتْلِ الْحُسَيْنِ ، وَرَسْمِ الْحَسَنِ

قَالَ الْمَسْعُودِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَوَجَدْتُ فِي كِتَابِ « الْأَخْبَارِ » لِأَبِي
الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سُلَيْمَانَ النَّوْفَلِيِّ عَنْ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَطِيَّةِ
الْأَصَمِّ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَبَّاسِ الْهَاشِمِيُّ ، عَنْ أَبِي عَوْنٍ
صَاحِبِ الدَّوْلَةِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَلَمَّا
رَأَاهُ اسْتَفَرَّ فِي وَجْهِهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ لَتَسْفِرُ فِي
وَجْهِهِ هَذَا الْغَلَامُ : فَقَالَ : يَا عَمُّ رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ اللَّهُ أَشَدُّ
حُبًّا لِي مِنْنِي ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا وَذَرِيَّتُهُ الْبَاقِيَةُ بَعْدَهُ
مِنْ صُلْبِهِ ، وَإِنْ ذَرِيَّتِي بَعْدِي مِنْ صُلْبِ هَذَا ، إِنَّهُ إِذَا كَانَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُعِيَ النَّاسُ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ أُمَّهَاتِهِمْ سَتَرًا مِنْ
اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، إِلَّا هَذَا وَشِيعَتُهُ فَإِنَّهُمْ يُدْعَوْنَ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ
لِصَحَّةِ وَلَادَتِهِمْ .

رِثَاءُ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ لِلْحَسَنِ : وَلَمَّا دُفِنَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَفَ
مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ أَخُوهُ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَ : لَنْ عَزَتْ حَيَاتُكَ لَقَدْ
هَدَيْتَ وَقَاتَكَ ، وَلَنَعَمَ الرُّوحُ رُوحَ تَضَمَّنَتْهُ كَفْنُكَ ، وَلَنَعَمَ الْكَفْنُ

كفن تضمن بدنك ، وكيف لا تكون هكذا وأنت عقبه الهدى
 وخلف أهل التقوى ، وخامس أصحاب الكساء ، غدتك
 بالتقوى أكف الحق ، وأرضعتك ثدي الإيمان ، وربيت في حجر
 الإسلام ، قطبت حياً وميتاً ، وإن كانت أنفسنا غير سخية
 بفراقك ، رحلك الله أبا محمد .

ووجدت في وجه آخر من الروايات في أخبار أهل البيت أن
 محمداً وقف على قبره فقال : أبا محمد ، لئن طابت حياتك لقد فجع
 بماتك ، وكيف لا تكون كذلك وأنت خامس أهل الكساء ، وابن
 محمد المصطفى ، وابن علي المرتضى . وابن فاطمة الزهراء ، وابن شجرة
 طوبى ؟ ثم أنشأ يقول رضي الله عنه :

أدمن رأسي أم تطيب مجالسي وتخذلك معقور وأنت سليب
 أشرب ماء المزن من غير مائه من الأششاء منك لبيب
 ما بكيك ما ناحت حمامة أيكك وما انخضر في دوح الجباز قضيب
 غريب وأكناف الجباز كعوطه لا تح تحت التراب غريب

ووجدت في بعض كتب التاريخ أنه لما أخذ الحسن ومعاوية أن
 بخلافة الحسن صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلافة
 بعدي ثلاثون سنة ، لأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه تقلدها
 سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام ، وعمر رضي الله عنه عشر سنين
 وستة أشهر وأربع ليال ، وعثمان رضي الله عنه إحدى عشرة سنة
 وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً ، وعلي رضي الله عنه أربع
 سنين وسبعة أشهر إلا يوماً ، والحسن رضي الله عنه ثمانية أشهر وعشرة
 أيام ، فذلك ثلاثون سنة .

وحدث محمد بن جرير الطبري ، عن محمد بن حميد الرازي ، عن
 علي بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الفضل بن عباس بن ربيعة

قال : وقد عبد الله بن العباس على معاوية ، قال : فوالله إني لفي المسجد إذ كبر معاوية في الحضراء فكبر أهل الحضراء ، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الحضراء ، فخرجت فاخنة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها ، فقالت : سرّك الله يا أمير المؤمنين ! ما هذا الذي بلغك فسررت به ؟ قال : موت الحسن بن علي فقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم بكّت وقالت : مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال معاوية : نعم والله ما فعلت ، إنه كان كذلك أهلاً أن تبكي عليه ، ثم بلغ الخبر ابن عباس رضي الله عنها ، فراح فدخل على معاوية ، قال : علمت يا ابن عباس أن الحسن توفي ، قال : أذلك كبرت ؟ قال : نعم ، قال : أما والله ما مرته بالذي يؤخر أجلك ، ولا حفرته بسادة حفرتك ، ولئن أصبنا به فقد أصبنا قبله بسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين ثم بعده بسيد الأوصياء ، فجبر الله تلك المصيبة ، ورفع تلك العثرة فقال : ويحك يا ابن عباس ! ما كلمتك قط إلا وجدتك معداً .

وفي نسخة أنه لما صالح الحسن معاوية كبر معاوية في الحضراء ، وكبر أهل الحضراء ، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الحضراء ، فخرجت فاخنة بنت قرظة من خوخة لها ، فقالت : سرّك الله يا أمير المؤمنين ! ما هذا الذي بلغك ؟ قال : أتاني البشير بصلح الحسن وانقياده ، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ابني هذا سيد أهل الجنة ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين » فالحمد لله الذي جعل فئتي إحدى الفئتين .

ولما صالح الحسن معاوية لما ناله من أهل الكوفة وما نزل به أشار عمرو بن العاص على معاوية وذلك بالكوفة أن يأمر الحسن فيقوم فيخطب الناس ، فكره ذلك معاوية ، وقال : ما أريد أن يخطب

بالناس ، قال عمرو : لكفي أريد أن يبدو عيته في الناس بأنه يتكلم في أمور لا يدري ما هي ، ولم يزل به حتى أطاعه ؛ فخرج معاوية فخطب الناس ، وأمر رجلاً أن ينادي بالحسن بن علي ، فقام إليه ، فقال : قم يا حسن فكلّم الناس ، فقام فتشهد في بديته ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإن الله هداكم بأولنا ، وحقق دماءكم بأخركم ، وإن لهذا الأمر مدة ، والدنيا دول ، قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قل إن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون ، إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين) ، ثم قال في كلامه ذلك : يا أهل الكوفة ، لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت : مقتلکم لأبي ، وسلبكم ثقلي ، وطعنكم في بطني ، وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا .

وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سرّادق الحسن ورحله ، وطعنوا بالخبجر في جوفه ، فلما تبين ما نزل به انقاد إلى الصلح .

وقد كان علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه اعتل فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصلي بالناس يوم الجمعة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله لم يبعث نبياً إلا اختار له نقيباً ورهطاً وبيتاً ، فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد إلا نقصه الله من عمله مثله ، ولا تكون علينا دولة إلا وتكون لنا العاقبة ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

ومن خطب الحسن رضي الله عنه في أيامه في بعض مقاماته أنه قال : نحن حزب الله المفلحون ، وعشرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقربون ، وأهل بيته الطاهرون الطيبون ، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثاني كتاب الله فيه تفصيل

كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، والمعول عليه في كل شيء ، لا يخطئنا تأويله ، بل نتيقن حقائقه ، فأطيعونا ؛ فإن طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولي الأمر مقرونة (فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ... ولو ردوه الى الرسول ، وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الدين يستنبطونه منهم) وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان إنه لكم عدو مبين ؛ فتكونون كأوليائه الذين قال لهم : (لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، فلما ترامت الفتتان نكص على عقبيه وقال : إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون) فتلقون للرماح أزرأ ، وللسيوف جزراً ، وللعمد خطأ ، وللسهام غرَضاً ، ثم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، والله أعلم .

فهرس الموضوعات

الواردة في الجزء الثاني من

كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» للمسعودي

الرس ٢٥ - النبط ٢٥ - دعوى الشعوبية ٢٦ -
الرد على الشعوبية ٢٧ - اول من عبد
التماثيل ٢٩ - ولاية البيت ٣٠ - قريش
البطاح ، قريش الظواهر ٣٢ - الاحلاف من
قريش ٣٢ - المطيبون ٣٣

٣٤ - ٤٢ ذكر جوامع من الاخبار ،
ووصف الارض والبلدان وحنين
النفوس الى وطن

عمر بن الخطاب يستوصف بقاع
٣٦ - تأثير البيئة الطبيعية ٣٤ - الشام
٣٤ - اليمن ٣٥ - الحجاز ٣٥ -
- العراق ٣٦ - الجبال ٣٦ -
خراسان ٣٧ - فارس ٣٧ - خوزستان ٣٧ -
٣٧ - الهند والصين ٣٧ - كعب
الاجير ، وصف بحر العراق ٣٨ - وصف
اقليم بابل ٣٨ - الحنين الى الوطن
والاخوان ٣٩ - فضل علم الاخبار ٤٠ -
فضل الكتاب ٤١

٤٣ - ٤٤ ذكر تنازع الناس في المعنى
الذي من اجله سمي اليمن يمناً ،
والعراق عراقاً ، والشام شاماً
والحجاز حجازاً

٤٤ - ٤٧ ذكر اليمن وانسابها وما

٣ - ٥ ذكر الصقالبة ومساكنها واخبار
ملوكها وتفرق اجناسها
الصقالبة ٣ - ملوك الصقالبة ٤

٤ - ١٠ ذكر الافرنجة والجلالة
وملوكها وما يتصل بذلك
الافرنجة والصقالبة ٥ - مساكنهم ٦ - ملوك
الافرنجة ٧ - عبد الرحمن والجلالة ٨

١٠ - ١١ ذكر النوكيرد وملوكها
نسبهم ومساكنهم ١٠

١١ - ١٤ ذكر عاد وملوكها
عاد الاولى ١١ - نسب عاد ١٢ - عاد الثانية ١٣

١٤ - ١٨ ذكر ثمود وملوكها وصالح
نبيها

مساكن ثمود ١٤ - النبي صالح ١٥

١٨ - ٣٢ ذكر مكة واخبارها وبنائها
البيت ومن تداوله من جرم وغيرها
وما لحق بهذا الباب

مكن اسماعيل وامه بمكة ١٨ - زيارة
ابراهيم الاولى لابنه اسماعيل ١٩ - جرم
تستوطن مكة ٢٠ - تسمية اسماعيل ٢١ -
ابناء اسماعيل ٢١ - بناء البيت ٢٢ - ولاية
البيت ٢٢ - طسم وجديس ٢٥ - اصحاب

قاله الناس في ذلك

٤٨ - ٦٥ ذكر اليمن وملوكها
ومقدار سنيها

سبأ ٤٨ - حمير ٤٨ - كهلان ٤٨ - عمرو
ابن سبأ ٤٨ - جماعة من ملوك اليمن ٤٩ -
يوسف ذوقواس ٥٢ - ابرهة الأشرم ابو
يكسوم ٥٢ - قبر العبادي ٥٤ - مسروق بن
ابرهة ٥٥ - وفود العرب تهنيء معديكرب
٥٨ - عبد المطلب تهنيء الملك ٥٨ - ابو زمعة
تهنيء ٥٩ - مقتل معديكرب ٦٠ - رواية
عبيد بن شربة ٦٠ - ملك فارس باليمن ٦٢ -
ملك اليمن في ابناء ابراهيم ٦٣ - عاصمة
اليمن ٦٣ - مساحة اليمن وحدوده ٦٤

٦٥ - ٨١ ذكر ملوك الحيرة من بني
نصر وغيرهم

جذبة الوضاح ومقتله ٦٥ - مالك بن فهم
٦٥ - عمرو بن عدي وقصته ٦٦ - قصة نديمي
جذبة ٦٧ - بين الزباء وجذبة ٦٩ - ثار عدي
لخاله ٧١ - بقية ملوك الحيرة ٧٤ - بين النابضة
والنعمان ٧٥ - النعمان وزيد بن عدي وكسرى
٧٦ - بنت النعمان وسعد بن ابي وقاص ٧٩ -
خراب الحيرة ٨١

٨٢ - ٨٦ ذكر ملوك الشام من اليمن
من غسان وغيرهم من الملوك

اول ملوك الشام ٨٢ - تنوخ ونسبها
٨٢ - سليح ونسبها ٨٢ - ملوك غسان على
الشام ٨٣ - حسان والحارث الفساني ٨٤ -
جيلة بن الايمم ٨٤ - ديار غسان ٨٥

٨٧ - ١٠٢ ذكر البوادي من العرب
وغيرها من الامم وعلة سكنها البدو
وجمل من اخبار العرب

بين دجيل والكميت ٨٧ - بين قبيع وقباد
ملك الطوائف ٨٨ - نزار بن معد واولاده
٨٩ - قصة اولاد نزار بن معد مع الافعى
الجرمي ٩٠ - سكتى البدو ٩٤ - خطيب
العرب عند كسرى يعطل اختيار قومه البداة
٩٧ - الأكراد ونسبهم ومساكنهم ٩٩ -
بعض ايام العرب ووقائعها وحروبها ١٠١

١٠٢ - ١٣١ ذكر ديانات العرب
وأرائها في الجاهلية وتفرقها في البلاد
وخبر اصحاب الفيل

ديانات العرب في الجاهلية ١٠٢ - عبد
المطلب بن هاشم ١٠٣ - قصة اصحاب الفيل
١٠٤ - القول بتناسخ الأرواح ١٠٦ - تنازع
الناس في ايمان عبد المطلب ١٠٨ - اسم ابو
طالب ١٠٩ - تمعدد الألسنة واختلاطها ١٠٩ -
مسير يعرب وحلوله اليمن ١١٠ - مسير عاد
الى الأحقاف ١١٠ - ارم ذات العماد ١١٠ -
نزول ثمود الحجر ١١٠ - مسير جديس الى
اليامة ١١١ - رحلة عملاق الى مواضع مختلفة
١١٢ - اذينة بن السعيد العملاقي ١١٢ -
مسير طسم الى البحرين ١١٣ - عملاق الظالم
ملك طسم ١١٤ - انتقام جديس ١١٦ -
رباع الطسمي يستنجد حمير على جديس ١١٧ -
زرقاء اليامة ١١٩ - مسير وبار بن أمم ١١٩ -
مسير عبد ضخم للطائف ١٢١ - بدء الكتابة
بالعربية ١٢٢ - مسير جرم الى مكة ١٢٢ -
مسير أمم الى فارس ١٢٢ - اول امرئ بني
البيوت أمم بن لارذ ١٢٢ - انساب البربر
١٢٣ - الشام بلاد كنعان ١٢٣ - مسير نوفير
الى الهند ١٢٣ - عبادة عاد وبقيهم ١٢٤ -
اصل الشرك ١٢٤ - مهلك عاد ١٢٥ - بلاد
الجحفة ١٢٦ - يثرب ١٢٧ - قوم شعيب
١٢٨ - حضورا وتنازع الناس في انسابهم ١٢٩

وبعض العرافين ١٥٤ - الكهانة في العرب
١٥٤ - الرؤيا واسبابها ١٥٥ - سطيع وشق
الكاهنان ١٦٠

١٦٠ - ١٧٩ ذكر من اخبار الكهان ،
وسيل العرم وتفرق الازد في البلدان
السد وبانيه ومكافه ١٦١ - وصف بلاد
سبا ١٦١ - مبدأ التهدم ١٦٣ - العرم ١٦٣ -
مفاخرة عند السفاح بين قحطاني وعدناني ١٦٤ -
العرم في شعر العرب ١٦٤ - طول العمر
وعمر النسور ١٦٥ - علة طول الأعمار ونقصها
١٦٦ - عود لذكر سبا ١٦٧ - طريفة
الكاهنة ١٦٧ - عمرو بن عامر يتعيل للخروج
من بلاده ١٧٠ - عبادة اهل مأرب وصنعهم
مع رسلهم ١٧٤ - اول كهانة سطيع القسائي
١٧٥

١٧٥ - ذكر سبي العرب والعجم
وعيونها وما اتفق منها وما اختلف
١٧٨ - ١٨٠ ذكر شهور القبط
والسريانيين واختلف في اسمائها وجل

شهور القبط ١٧٨ - سنة القبط ١٧٨ -
مبدأ التواريخ ١٧٩ - اوائل كل تاريخ ١٧٩
١٨٠ - ١٨٥ ذكر شهور السريانيين
ووصف موافقتها لشهور العرب ،
وعدة ايام السنة ومعرفة الانواء
شهورم وايام كل شهر ١٨٠ - سر تسمية
المهرجان ١٨١ - بطارقة التنصاري ١٨٢ -
مشهور كنائسهم ١٨٢ - حود الى الشهور
وايامها ١٨٤ - ايام المجوز ١٨٤ - شهور
الروم ١٨٥

١٨٦ ذكر شهور القروس

منازل حضورا ١٣١

١٣٣ - ١٣٤ ذكر ما ذهب اليه العرب
في النفوس والهام والصفير وغير ذلك
من مذاهب الجاهلية في النفوس والمريء
الاختلاف في النفس ١٣٢ - الهام ١٣٣ -
تنقل الأرواح ١٣٤

١٣٤ - ١٣٩ ذكر اقوال العرب في
الفيضان والتفول وما لحق بهذا الباب
رأى في الفول ١٣٤ - الفول تتلوت
وتضلل ١٣٥ - رأي الفلاسفة ١٣٥ - قولهم
في السملة ١٣٧ - قولهم في الشياطين ونجوم
١٣٧

١٣٩ - ١٤٥ ذكر قول العرب في
الهواتف والجان

قولهم في الهواتف والجان ١٣٩ - بين شيخ
وعلقمة بن صفوان ١٤٠ - الجن تقتل حوب
ابن أمية ١٤١ - من قتله الجن ٤١ - قبر
حاتم طيء بقري الضيف ١٤١

١٤٤ - ١٥١ ذكر ما ذهبت

في القيافة ، والزجر ، والقيافة ،
والسائح والبارح وغير ذلك

الخلاف في القيافة وجوازها ١٤٤ -
اختصاص العرب بذلك ١٤٥ - منشأ القيافة ،
الزجر ١٤٥ - اختصاص بعض العرب ببعض
هذه الأمور ١٤٩ - القيافة عند اهل الشرع
١٥٠

١٥١ - ١٦٠ ذكر الكهانة وما قيل
في ذلك وما اتصل بهذا الباب بما يراه
الناس وحد النفس الناطقة

اصل ادعاء علم الغيب ١٥١ - العرافة

١٨٧ ذكر أيام الفرس

كبس الفرس ١٨٧

١٨٨ - ١٩٣ ذكر سني العرب

وشهورها وتسمية أيامها ولياليها

الاشهر الحرم ١٨٩ - شهور الحج ١٨٩ -
تسمية ايام التشريق ١٩٠ - الايام النعسات
١٩١ - اسماء الايام عند العرب قديماً ١٩١ -
اسماء الشهور عند العرب قديماً ١٩١ - الازمنة
الاربعة ١٩٢ - شهور الروم مرسومة على
فصول السنة دون شهور العرب ١٩٢

١٩٣ - ١٩٦ ذكر قول العرب في

ليالي الشهور القمرية وغيرها

تقسيم الليالي ثلاثاً وثلاثاً واسم كل ثلاث
١٩٥ - اسماء الهلال والليالي ١٩٥

١٩٦ - ٢٠٣ ذكر القول في

النيرين في هذا العالم ، وحينما قيل
في ذلك ، وغير ذلك بما لحق بهذا
الباب

تصور الجنين

الاختلاف في تأثير النيرين ١٩٩ - حروية السماء
والارض ٢٠٠

٢٠٣ - ٢٣٤ ذكر ارباع العالم والطبائع

وما خص به كل جزء منه من الشرق
والغرب واليمين والجنوبي والاموية ..

الطبائع الاربع ٢٠٣ - علة عدم سكنى
بعض الارض ٢٠٤ - مدة سلطان الكواكب
٢٠٥ - اجناس الاجسام ٢٠٦ - التناسل
٢٠٨ - العنقاء ٢١١ - خالد بن سنان
المبسي ٢١٣ - خلق الخيل ٢١٤ - الكلام
على الاخبار ٢١٥ - أمثلة من الاخبار ٢١٦ -
عود الى ذكر ارباع العالم والطبائع ٢١٧

فصول السنة واثركل منها ٢١٧ - الهواء واثره
في الانسان والحيوان ٢١٨ - الاستدلال
بالاقاليم على تأثير الهواء ٢١٩ - اثر الجنوب
٢٢٠ - الرياح الاربعة ٢٢١ - مساحات
الممالك وما بينها من مسافة ٢٢٢

٢٢٥ - ٢٣٢ ذكر البيوت المعظمة

والهيكل المشرقة وبيوت النيران
والاصنام وذكر الكواكب ...

عبادة الهند واتخاذهم الاصنام ٢٢٥ -
عبادتهم الكواكب واتخاذهم اصناماً لها ٢٢٥ -
بوداسف اول الصابئة ٢٢٦ - جم اول من
دعا الى عبادة النار ٢٢٧ - عمرو بن لحي
اظهر الاصنام بمكة ٢٢٧ - البيت الحرام
٢٢٧ - بيت المعجوس باصبيان ٢٢٨ - بيت
بالهند ٢٢٨ - بيت البرامكة ببلخ ٢٢٨ -
عبدان بضماء ٢٢٩ - بيت بفرغانة بخراسان
٢٣٠ - بيت بالعين ٢٣١

٢٣٢ - ٢٣٣ ذكر البيوت المعظمة

عند اليونانيين

٢٣٢ - اكية ٢٣٢ - الاهرام بمصر ٢٣٣ -
بيت المقدس ٢٣٣

٢٣٤ - ذكر البيوت المعظمة عند

اوائل الروم

بيت قرطاجنة ٢٣٤ - بيت بافرنجة ٢٣٤ -
بيت مقدونية ٢٣٤

٢٣٤ - ٢٣٦ ذكر البيوت المعظمة

عند الصقالبة

البيت الاول ٢٣٤ - البيت الثاني ٢٣٥ -
البيت الثالث ٢٣٥

٢٣٦ - ٢٤١ ذكر البيوت المعظمة

والهيكل المشرقة للصابئة وغيرها

وضع الحجر الأسود ٢٧٢ - كسوة الكعبة
٢٧٣ - تحديد المولد ٢٧٤ - نسب امه ٢٧٤ -
احداث قبل النبوة ٢٧٥

٢٧٥ - ٢٧٨ ذكر مبعثه ﷺ وما
جاء في ذلك الى هجرته

تحديد المبعث ٢٧٦ - اسلام علي بن ابي
طالب ٢٧٦ - اسلام ابي بكر ومن اسلم
باسلامه ٢٧٧ - الخلاف في اول من اسلم ٢٧٧

٢٧٨ - ٢٨٥ ذكر هجرته وجوامع
ما كان في ايامه ﷺ الى وفاته

تقدمة ٢٧٨ - تحديد المهجر ٢٧٨ -
كيف فعل في الهجرة ٢٧٩ - دخول المدينة
٢٧٩ - علته ووفاته ٢٨٠ - غزواته
٢٨٠ - ترتيبها ٢٨١ - قول الواقدي في
غزواته ٢٨١ - سراياه وبعوثه ٢٨٢ -
مشاهير الاحداث ٢٨٢ - النزاع في عمره
٢٨٣ - وفاة النبي ودفنه ٢٨٤

٢٨٥ - ٢٩٢ ذكر امور واحوال من
مولده الى وفاته ﷺ

تقدمة ٢٨٥ - السنة الاولى من مولده
٢٨٥ - السنة الخامسة ٢٨٥ - السنة
السادسة ٢٨٥ - خروجه الى الشام ٢٨٦ -
شهده الفجار ٢٨٦ ست وعشرين ٢٨٧ -
ست وثلاثين ٢٨٧ - احدى واربعين ٢٨٧ -
ست واربعين ٢٨٧ - سنة خمسين ٢٨٧ -
احدى وخمسين ٢٨٧ - اربع وخمسين ٢٨٧ -
اثنين من الهجرة ٢٨٨ - ثلاث من الهجرة
٢٨٨ - اربع من الهجرة ٢٨٨ - خمس من
الهجرة ٢٨٩ - ست من الهجرة ٢٨٩ -
سبع من الهجرة ٢٨٩ - ثمان من الهجرة
٢٩٠ - فتح مكة ٢٩٠ - تسع من الهجرة
٢٩٠ - عشر من الهجرة ٢٩٠ - احدى

مبكل العقل والملة الاولى ٢٣٦ - جملة
من هياكلهم ٢٣٦ - القول في قتل الارواح
٢٣٨ - عود الى الكلام عن الصابئة ٢٤٠
٢٤٢ - ٢٥٦ ذكر الاخبار عن بيوت
النيران وغيرها

رايهم في النار والنور ٢٤٢ - اماكن
بيوت النيران ٢٤٢ - زرادشت والبيوت التي
اتخذها ٢٤٣ - بيت باسطخر ٢٤٤ - بيت بساور
٢٤٥ - بيت بيجور ٢٤٥ - بيوت اخوي
٢٤٦ - حصن الحضرة ٢٤٦ - قول في نسب
النيمان بن المنذر ٢٤٧ - جملة من بيوت النار
٢٤٩ - بيت بعل ٢٤٩ - جبرون بدمشق
٢٥٠ - كتاب الف ليلة وليلة ٢٥١ - اصل
مسجد دمشق ٢٥١ - البريص بدمشق
٢٥١ - الديلم بافطاكية ٢٥٢ - بعض عجائب
الدنيا ٢٥٢ - محاولات قديمة لوصول بحر الروم
بالبحر الاحمر ٢٥٤

٢٥٧ - ٢٦٤ ذكر جامع التاريخ من
بدء العالم الى مولد رسول الله ﷺ
وما لحق بهذا الباب

بعض قول الطبيعيين ٢٥٧ - دليل على
حدوث العالم ٢٥٨ - المحدث للعالم ٢٥٩ -
عمر الدنيا ٢٦٠ - رأي اهل النظر من المسلمين
٢٦٢

٢٦٥ - ٢٧٥ ذكر مولد النبي ﷺ
ونسبه ، وغير ذلك مما لحق بهذا
الباب

تقديم ٢٦٥ - نسبه الشريف ٢٦٥ -
الخلاف في نسب معد بن عدنان ٢٦٦ - كنية
الرسول ٢٦٨ - اسائه ٢٦٨ - مولده
٢٦٨ - بطون قريش ٢٦٩ - حلف الفضول
وسببه ٢٧٠ - قريش تبني الكعبة ٢٧١ -

عشرة من الهجرة ٢٩١ - اولاده ٢٩١
 ٢٩٢ - ٢٩٧ ذكر ما بدأ به ^{عليه السلام} من
 الكلام بما لم يحفظ قبله عن احد
 من الانام

تقدمة ٢٩٢ - من موجز كلامه ٢٩٣ -
 ذكر بعض من جمع موجز اقوال الرسول ٢٩٧
 ٢٩٧ - ٢٩٨ باب ذكر خلافة ابي
 بكر الصديق

٢٩٨ - ٣٠٤ ذكر نسبه وولع من
 اخباره وسيره

نسبه ٢٩٨ - صفاته ٢٩٨ - قواضيه
 وزعمه ونسكه ٢٩٩ - وفوه العرب اليه
 ٢٩٩ - بين ابي بكر وابي سفيان ٢٩٩ -
 نسب امه ٢٩٩ - اولاده ٣٠٠ - موت
 ابي قحافة ٣٠١ - يوم السقيفة ٣٠١ -
 عدي بن حاتم الطائي ٣٠١ - علمه ٣٠١ -
 كلام له ٣٠١ - بناته ٣٠٢ - بيعة علي اياه
 ٣٠٢ - وصيته لامراء جيشه ٣٠٢ -
 التنبئون ٣٠٣

٣٠٤ - ٣٠٥ ذكر خلافة عمر بن الخطاب

٣٠٥ - ٣٣٠ ذكر نسبه وولع من
 اخباره وسيره

نسبه ٣٠٥ - صفاته ٣٠٥ - عماله ٣٠٥ -
 سلمان الفارسي ٣٠٦ - ابو عبيدة ٣٠٧ -
 عمر يعرض على الجهاد ٣٠٧ - سعد بن أبي
 وقاص ٣١٢ - أيام القادسية ٣١٣ - ابو
 محجن الثقفي ٣١٤ - يوم عيلاس ٣١٧ - تحديد
 تاريخ القادسية ٣١٩ - ابو لؤلؤة غلام المغيرة
 ابن شعبة ٣٢٠ - اولاد عمر ٣٢١ - عمر وابن
 عباس ٣٢١ - عمر يستعمل النعمان بن مقرن
 غازياً لنهارة ٣٢٢ - شهداء نهارة ٣٢٤ -

عمر يسأل عمرو بن معديكرب عن قبائل من
 العرب ٣٢٤ - ويسأله عن الحرب ٣٢٦ - عمرو
 يتحدث عمر عن فراره ٣٢٦ - عمرو بن معد
 يكرب يغير طي بني كنانة ٣٢٩

٣٣١ - ٣٤٨ ذكر خلافة عثمان بن
 عفان

موجز ٣٣١ - نسبه واولاده ٣٣١ -
 صفاته ٣٣٢ - ثروته ٣٣٢ - ثروة الزبير بن
 العوام ٣٣٢ - ثروة طلحة بن عبيدالله ٣٣٣ -
 ثروة عبد الرحمن بن عوف ٣٣٣ - ثروة قوم
 من الصحابة ٣٣٣ - عمال عثمان ٣٣٤ - الوليد
 ابن عتبة ٣٣٤ - سميد بن العاص ٣٣٦ - بدء
 الطعن على عثمان وسببه ٣٣٨ - الوليد بن عتبة
 ويهودي مشعوز ٣٣٨ - بين عثمان وابي ذر
 ٣٣٩ - عمار بن ياسر ٣٤٢ - الثورة على عثمان
 ٣٤٣ - مقتل وقتلته ٣٤٦ - مدفنه ٣٤٦ -
 ما قيل فيه من الرثاء ٣٤٦

٣٤٩ - ٣٥٦ ذكر خلافة امير المؤمنين

علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
 موجز ٣٤٩ - نسبه وولع من اخباره وسيره
 ٣٥٠ - ميره الى البصرة ٣٥٠ - قتلى صفين
 واماها ٣٥٢ - حربه مع الخوارج ٣٥٢ - بنو امية
 عند علي ٣٥٣ - عمرو بن العاص ٣٥٤ -
 المغيرة بن شعبة ينصح علياً ثم يرجع ٣٥٤

٣٥٧ - ٣٧٤ ذكر الاخبار عن يوم
 الجمل وبدنه وما كان فيه من الحرب
 وغير ذلك

الخروج على علي ٣٥٧ - مسير علي الى
 العراق ٣٥٨ - قدوم علي البصرة ٣٥٩ -
 مبدأ القتال ٣٦١ - خطبة لعلي قبل الالتحام
 ٣٦٢ - بين علي والزبير ٣٦٢ - بين علي
 وطلحة ٣٦٤ - لسب طلحة ٣٦٥ - مقتل

مقتل محمد بن أبي بكر الصديق ...

اجتماع الخوارج ومسير علي اليهم ٤٠٤ -
تفرق اصحاب علي وردتهم ٤٠٧ - ولد سامة
بن لؤي وعلي ٤٠٧ عمرو بن العاص ومحمد بن أبي
بكر في مصر ٤٠٩ - ولاية الاشر ومقتله
بالعريش مسموماً ٤٠٩ - فرق العامة بين
الجل وصفين وصره ٤١٠

٤١١ - ٤١٨ ذكر مقتل أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب

المأمرة ٤١١ - ابن ملجم وقطام ٤١١ -
وصية علي لاولاده ٤١٣ - سنه وفضله ٤١٤ -
تركته ٤١٤ - فعلهم بابن ملجم ٤١٤ - البرك
ومعاوية ٤١٧ - زاذويه وعمرو بن العاص ٤١٧
٤١٩ - ٤٢٦ ذكر لمع من كلامه
واخباره وزهده

خيار العباد ٤١٩ - وصف الدنيا ٤١٩ -
وصف علي عند معاوية ٤٢١ - وصيته يوم
موته ٤٢٤ - تزيده في الدنيا ٤٢٤ - قضائه
٤٢٥

٤٢٦ - ٤٢٧ ذكر خلافة الحسن بن
علي بن أبي طالب

٤٢٧ - ٤٣٢ ذكر لمع من اخبار موسيره
وقه ابن الحنفية للحسن ٤٢٨

محمد بن طلحة ٣٦٥ - دخول علي البصرة
٣٦٨ - بين ابن عباس وعائشة ٣٦٨ - حزن
علي على القتل ٣٦٩ - خروج عائشة من
البصرة ٣٧٠ - مسيره الى الكوفة ٣٧٢ -
علي يبعث الى معاوية ٣٧٢ - بين الفيرة
ومعاوية ٣٧٣

٣٧٤ - ٣٩٢ ذكر بموامع ما كان
بين اهل العراق واهل الشام بصفين

مسير علي الى صفين ٣٧٤ - عدد جيشه
٣٧٤ - جيش معاوية ٣٧٥ - مبدأ الحرب
٣٧٨ - خروج علي للقتال ٣٧٩ - حمار بن
ياسر ٣٨١ - مصرع هاشم المرقال ٣٨٣ -
حذيفة بن اليمان وابناه ٣٨٣ - مقتل عبيد الله
ابن عمر ٣٨٥ - خدعة رفع المصاحف ٣٨٩

٣٩٢ - ٤٠٣ ذكر الحكمين وبده التحكيم
شروط الحكم وموعد الاجتماع ٣٩٢ -

عدة قتلى صفين ٣٩٣ - بعد التحكيم ٣٩٤ -
الخوارج الحوذية ٣٩٥ - لتقاء الحكمين
٣٩٥ - تمام الخدعة ٣٩٨ - ما قيل من الشر
في التحكيم ٣٩٩ - غدر معاوية وخدعته
لعمرو بن العاص ٤٠١ - بين علي واصحابه
٤٠٢

٤٠٤ - ٤١١ ذكر حروبه مع اهل
النهر وان وما لحق بهذا الباب من